

BOBST LIBRARY

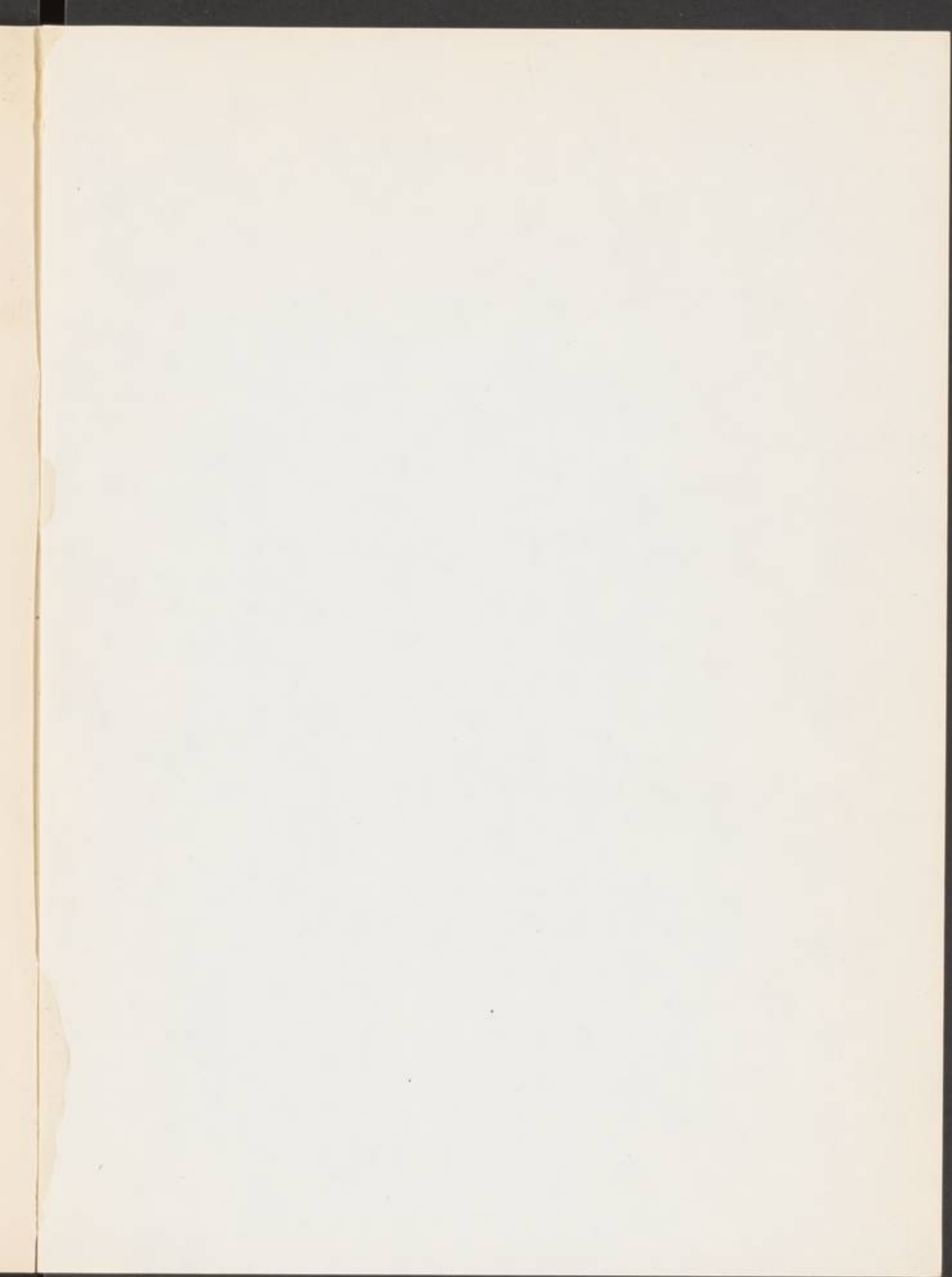


3 1142 02881 4930



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

1870
1871
1872
1873
1874
1875
1876
1877
1878
1879
1880
1881
1882
1883
1884
1885
1886
1887
1888
1889
1890
1891
1892
1893
1894
1895
1896
1897
1898
1899
1900



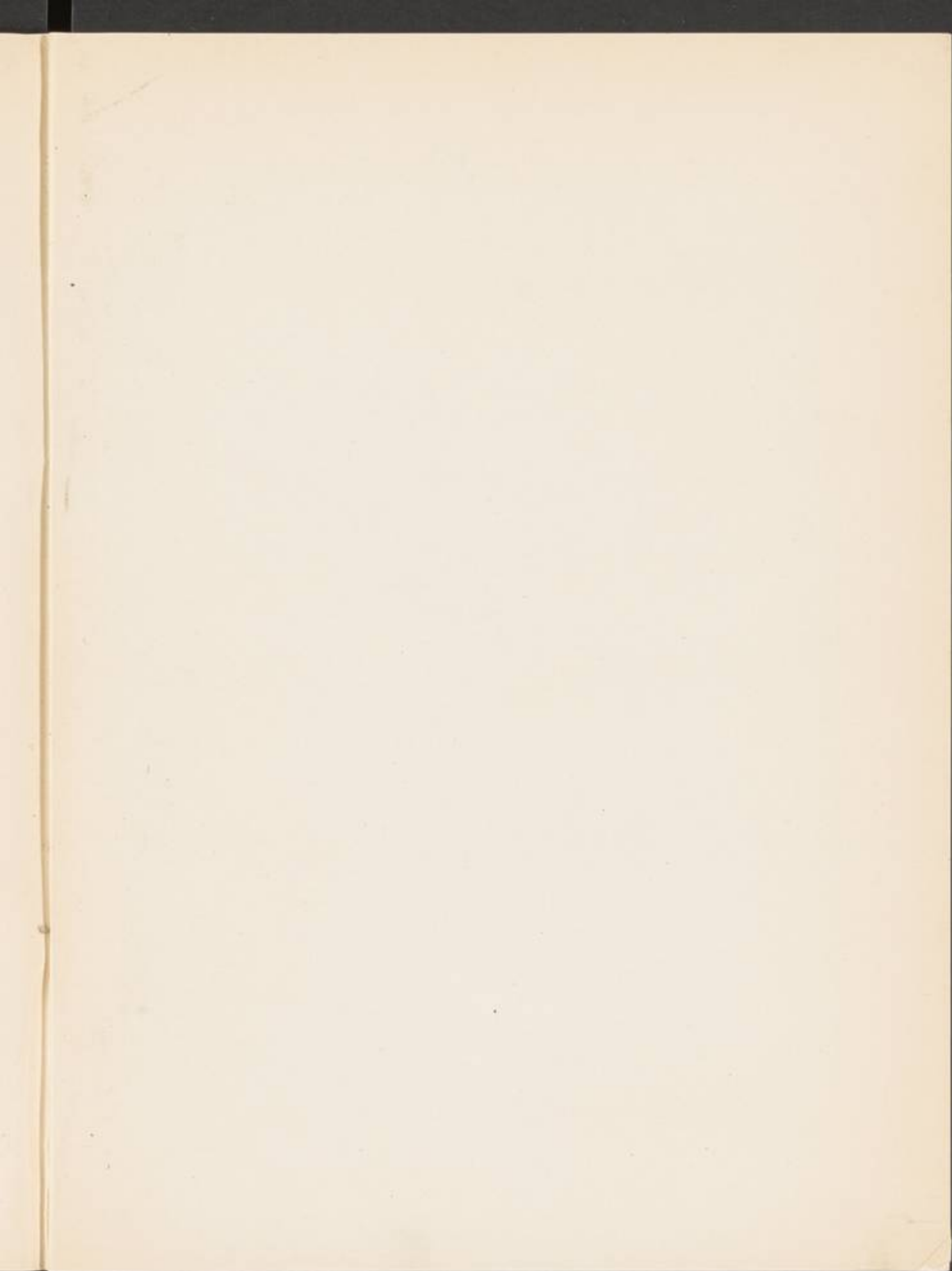
+

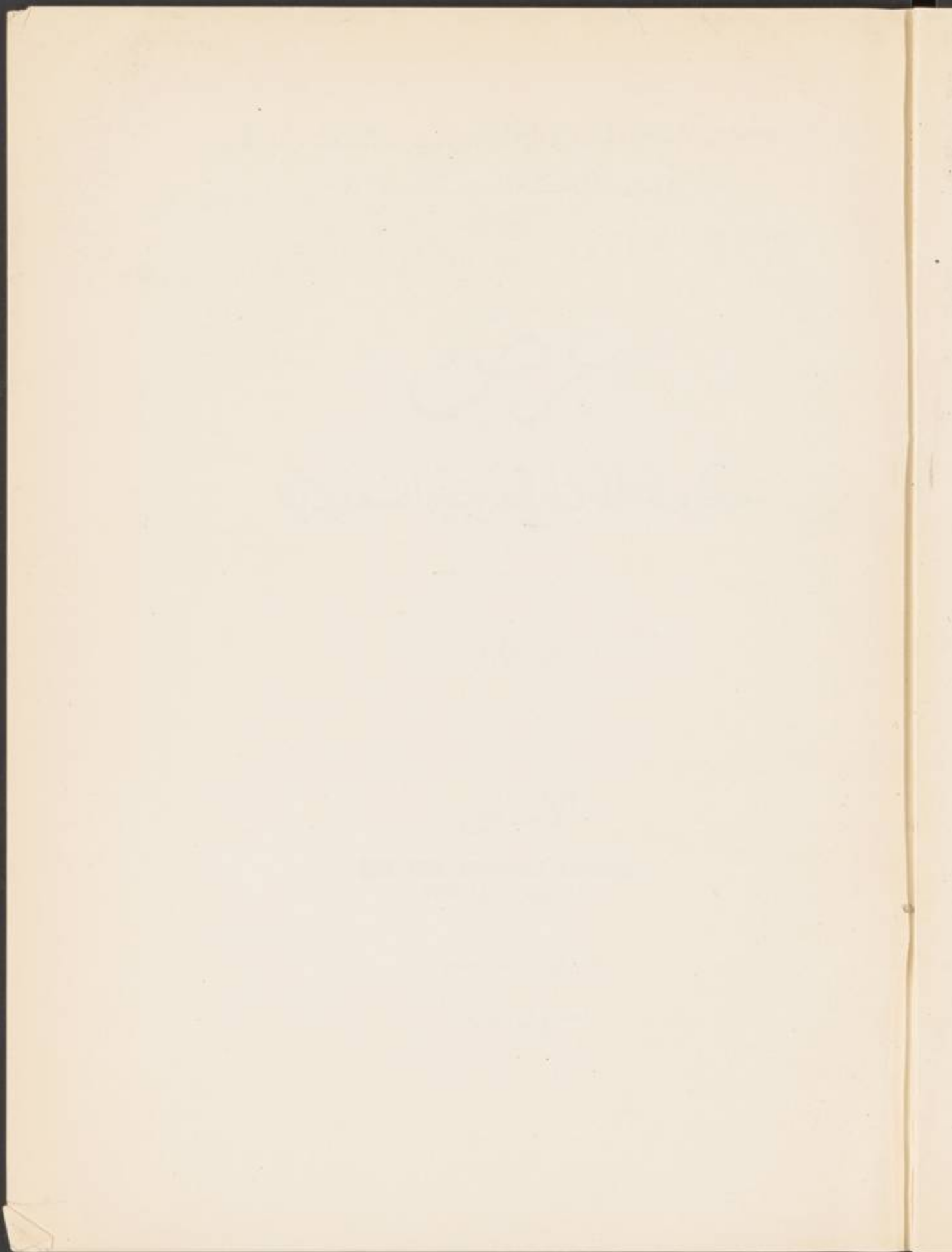
v.1

front

5

B







التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبوظبي

وبين المملكة العربية السعودية
Saudi Arabia

al-Tahkim li-taswiyat al-nizā' al-iglimī

عرض

حكومة المملكة العربية السعودية

المجلد الأول ٧٠١

الأساس

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

١١ ذى الحجة ١٣٧٤

٣١ يوليو ١٩٥٥

Near East

DS

247

.M88

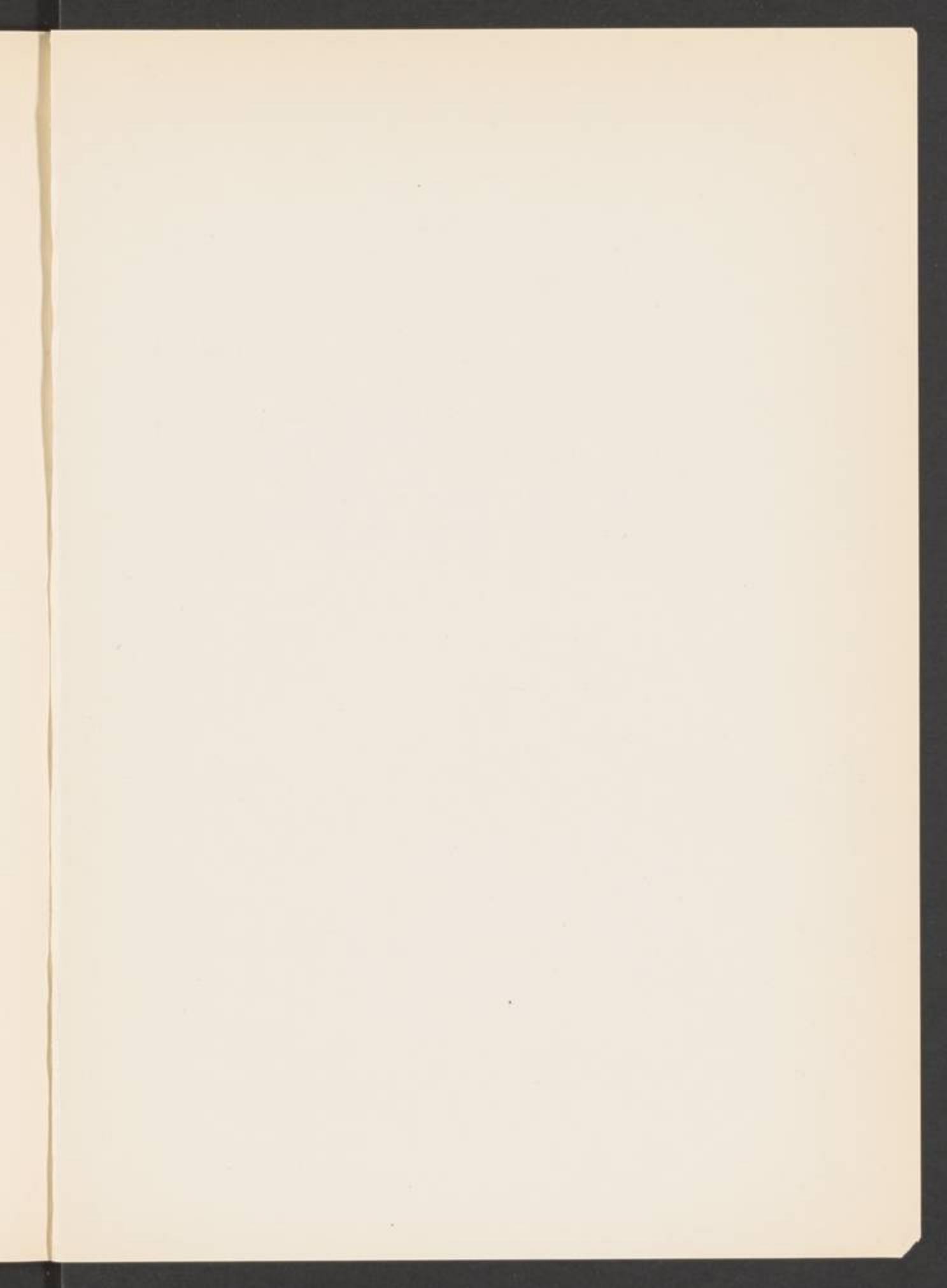
.S29

v.1

e-1

إنني ، طبقاً للفقرة (١) من المادة الثامنة من اتفاقية التحكيم
أشهد أن جميع الأقوال المقتبسة في هذا المجلد قد نقلت دون أدنى
تغيير عن المصادر التي أشير إليها في كل حالة أو قد ترجمت عنها
بعناية وتدقيق. وسترد ملاحظات عن بعض هذه المصادر في التذييل
(د) الموجود في نهاية المجلد الثاني من هذا العرض. وإني أشهد كذلك
بصحة الصور الشمسية التي تظهر في هذا المجلد .

عبد الرحمن عزام
وكيل المملكة العربية السعودية



فهرست المجلد الأول

صفحة	
١	١ - المقدمة
	٢ - الوضع الجغرافي العام
٩	١ - المناطق الغربية المتنازع عليها
٣٠	٢ - منطقة البريمي
٤٦	٣ - أبو ظبي ومسقط
	٣ - السكان والقبائل
٤٩	١ - آراء عامة
٥٣	٢ - آل مرة
٥٩	٣ - المناصير
٦٨	٤ - بني ياس
٧٧	٥ - المزاريع
٧٩	٦ - العوامر
٨١	٧ - المناهيل
٨٢	٨ - آل راشد
٨٣	٩ - العفار

٨٤	١٠- نعيم
٨٨	١١- الظواهر
٩٣	١٢- بنى قتب
٩٤	١٣- البلوش
٩٥	١٤- بنى كعب

٤- الأساس التاريخي المتعلق بالمناطق المتنازع عليها

١١٧٩ - ١٣٧٤ هـ (١٧٦٥ - ١٩٥٥ م)

٩٧	١- جزيرة العرب قبل القرن الثاني عشر الهجري (القرن الثامن عشر الميلادي)
١٠٠	٢- جزيرة العرب في القرن الثاني عشر الهجري (القرن الثامن عشر الميلادي)
١٠٤	٣- حكم الإمام عبد العزيز آل سعود ١١٧٩ - ١٢١٨ هـ (١٧٦٥ - ١٨٠٣ م)
١٢٠	٤- حكم الإمام سعود بن عبد العزيز ١٢١٨ - ١٢٢٩ هـ (١٨٠٣ - ١٨١٤ م)
١٣٨	٥- حكم الإمام عبد الله بن سعود ١٢٢٩ - ١٢٣٣ هـ (١٨١٤ - ١٨١٨ م)
١٤٢	٦- فترة خلو العرش ١٢٣٣ - ١٢٣٤ هـ (١٨١٨ - ١٨١٩ م)
١٤٥	٧- البعث الأول للدولة السعودية ١٢٣٤ - ١٢٣٥ هـ (١٨١٩ - ١٨٢٠ م)

- ١٤٧ ٨ - فترة خلو العرش ١٢٣٥ - ١٢٤٠ هـ (١٨٢٤ - ١٨٢٠ م)
- ١٥١ ٩ - حكم الإمام تركي بن عبد الله ١٢٤٠ - ١٢٥٠ هـ
(١٨٢٤ - ١٨٣٤ م)
- ١٦٥ ١٠ - العهد الأول لحكم الإمام فيصل بن تركي ١٢٥٠ - ١٢٥٤ هـ
(١٨٣٤ - ١٨٣٨ م)
- ١٧٣ ١١ - فترة خلو العرش ١٢٥٤ - ١٢٥٦ هـ (١٨٣٨ - ١٨٤٠ م)
- ١٨٠ ١٢ - حكم خالد بن سعود ١٢٥٦ - ١٢٥٧ هـ (١٨٤٠ - ١٨٤١ م)
- ١٨١ ١٣ - عهد عبد الله بن ثنيان ١٢٥٧ - ١٢٥٩ هـ
(١٨٤٣ - ١٨٤١ م)
- ١٨٣ ١٤ - العهد الثاني لحكم فيصل بن تركي ١٢٥٩ - ١٢٨٢ هـ
(١٨٤٣ - ١٨٦٥ م)
- ٢٢٥ ١٥ - العهد الأول لحكم الإمام عبد الله بن فيصل ١٢٨٢ - ١٢٨٧ هـ
(١٨٦٥ - ١٨٧١ م)
- ٢٣٨ ١٦ - حكم الإمام سعود بن فيصل ١٢٨٧ - ١٢٩١ هـ
(١٨٧١ - ١٨٧٥ م)
- ٢٤٩ ١٧ - العهد الثاني لحكم الإمام عبد الله بن فيصل ١٢٩٢ - ١٣٠٧ هـ
(١٨٧٥ - ١٨٨٩ م)
- ٢٦٣ ١٨ - حكم الإمام عبد الرحمن بن فيصل ١٣٠٧ - ١٣٠٨ هـ
(١٨٨٩ - ١٨٩١ م)
- ٢٦٥ ١٩ - فترة خلو العرش ١٣٠٨ - ١٣١٩ هـ (١٨٩١ - ١٩٠٢ م)
- ٢٧٨ ٢٠ - حكم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن ١٣١٩ - ١٣٧٣ هـ
(١٩٠٢ - ١٩٥٣ م)

صفحة

٢١- حكم الملك سعود بن عبد العزيز من ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) ٣٥٣

٢٢- النتائج ٣٥٨

٥- التاريخ الدبلوماسي ١٣٢٩-١٣٧٣ هـ (١٩١١-١٩٥٤ م) ٣٦٣

١- المفاوضات الإنكليزية التركية ١٣٢٩-١٣٣٢ هـ

٣٦٤ (١٩١١-١٩١٤ م)

٢- مفاوضات ١٣٥٢-١٣٥٧ هـ (١٩٣٤-١٩٣٨ م) ٣٧٩

٣- الحوادث من ١٣٥٨ إلى ١٣٧٠ هـ (١٩٣٩-١٩٥١ م) ٣٩٦

٤- مؤتمر لندن ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) ٤٠٨

٥- مؤتمر الدمام ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) ٤١٢

٦- مسألة البريمي واتفاقية التوقف ١٣٧٢-١٣٧٣ هـ

٤١٨ (مارس - أكتوبر ١٩٥٢ م)

٧- الحوادث من ١٣٧٢ إلى ١٣٧٣ هـ

٤٢٨ (نوفمبر ١٩٥٢ - يوليو ١٩٥٤ م)

٨- النتائج ٤٣٨

٦- الأسانيد القانونية للمملكة العربية السعودية

١- المبادئ العامة ٤٤٣

٢- عروض المملكة العربية السعودية ٤٥٧

٣- أدلة الحيابة الفعلية ٤٥٩

٤٥٩ . (أ) الوضع الذي كان قائماً في القرن التاسع عشر

٤٦٢ . (ب) وجود القبائل السعودية

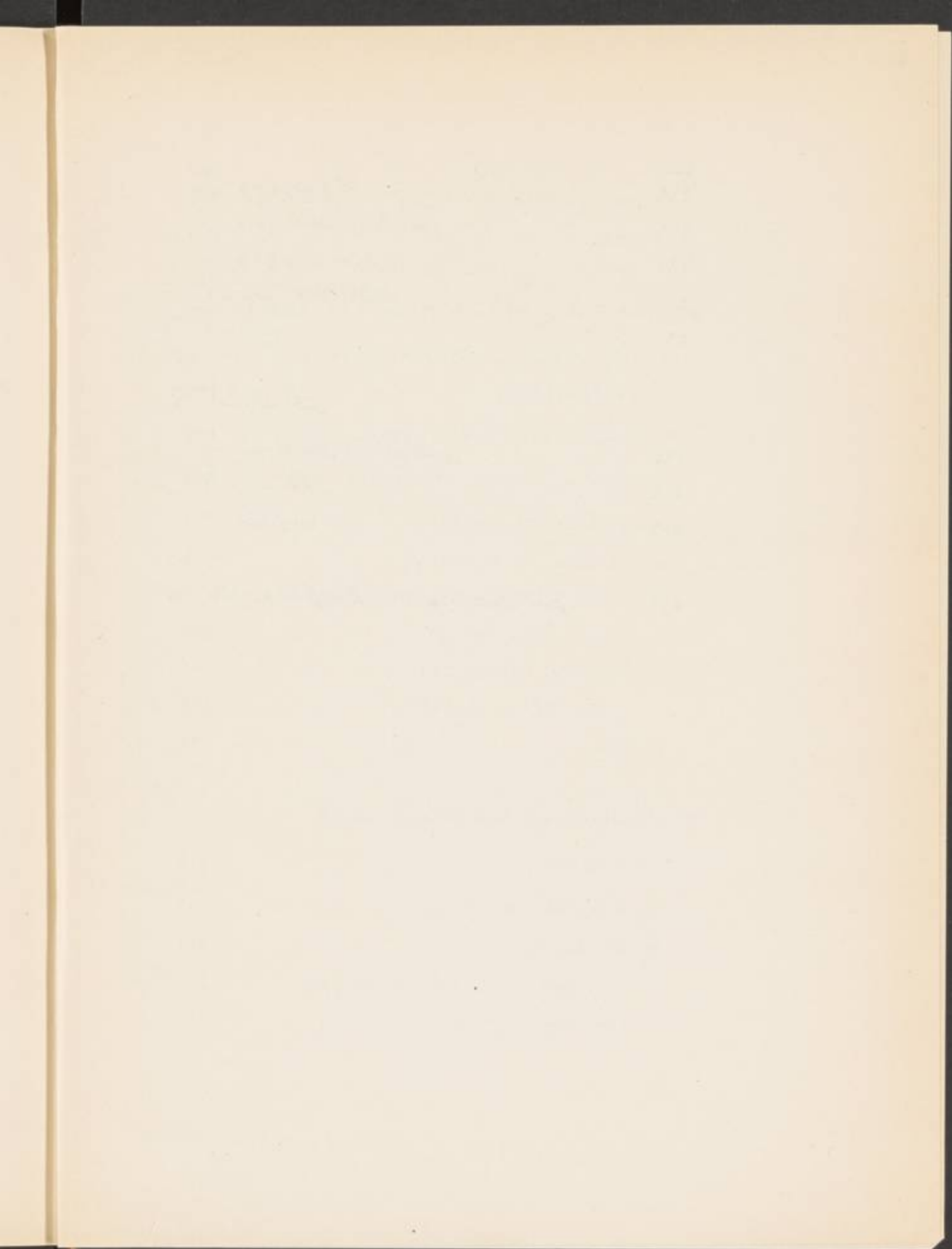
صفحة	
٤٦٩	(ج) جمع الزكاة
٤٧٦	(د) المحافظة على الأمن العام
٤٨١	(هـ) بينات أخرى
٤٨٥	٤ - موضوع فترات الانقطاع
٤٩٠	٥ - النتائج

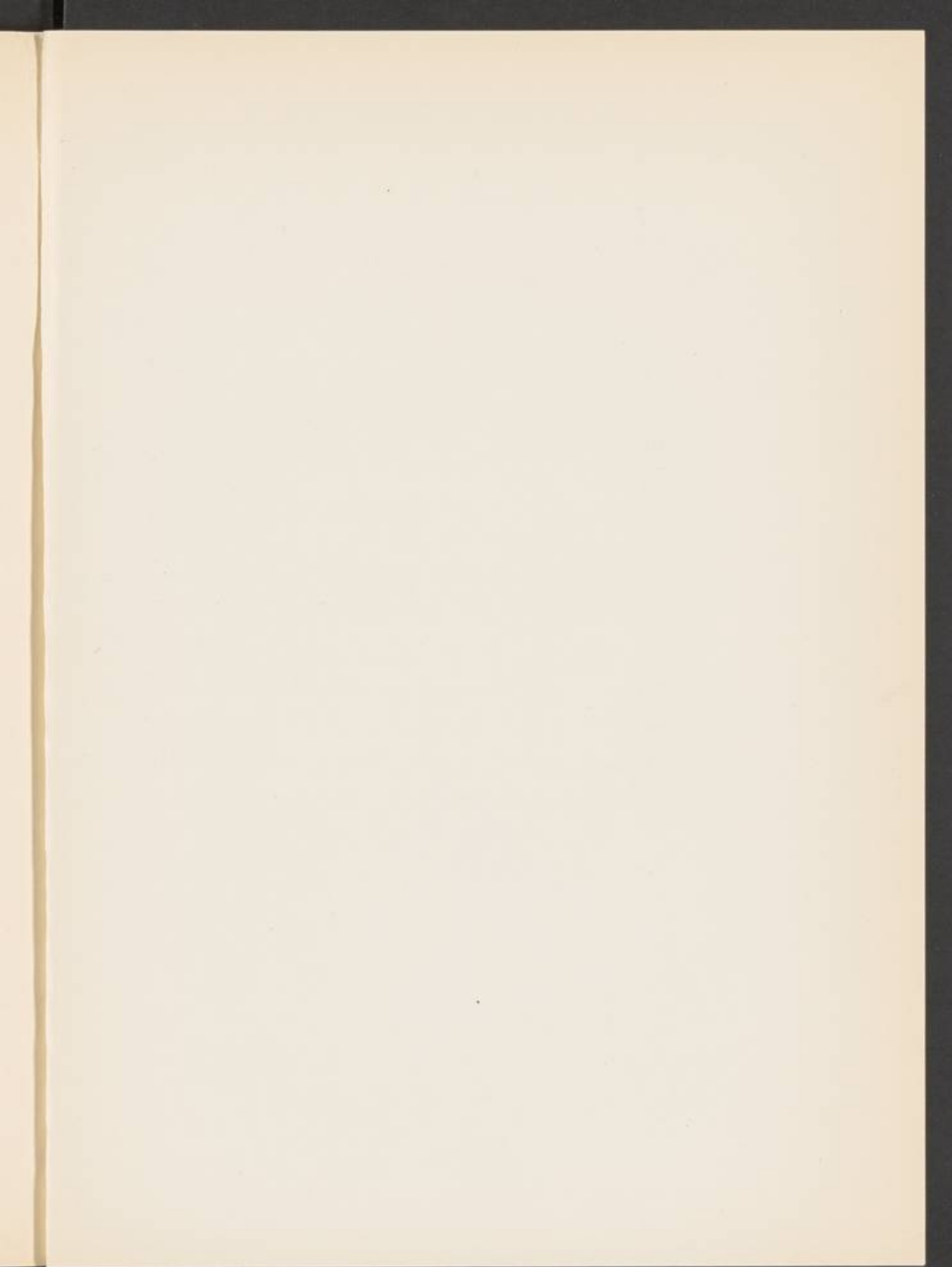
٧ - اعتبارات أخرى

٤٩٣	١ - النظام البريطاني في الخليج الفارسي
٥٠٢	٢ - رغبات الأهالي
٥٠٦	٣ - فكرة الوحدة

٨ - ماتعرضه الحكومة العربية السعودية بصدد الحكم

٥١١





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الأول

المقدمة

١ - إن اتفاقية التحكيم التي أوجدت بمقتضاها هذه الهيئة قد وقعت في جدة في يوم ٢٩ ذى القعدة عام ١٣٧٣ هـ (٣٠ يوليو عام ١٩٥٤ م) من جانب حكومة المملكة العربية السعودية وحكومة المملكة المتحدة ، وقد نابت الأخيرة عن حاكم أبو ظبي وسعيد بن تيمور سلطان مسقط^(١) . وبعد أن شكلت هيئة التحكيم وفقاً للمادة الأولى من الاتفاقية ، افتتحت أولى جلساتها في مدينة نيس في يوم ٢٨ جمادى الأولى ١٣٧٤ هـ (٢٢ يناير ١٩٥٥ م) . وفي تلك الجلسة عين الرئيس ، طبقاً للفقرة (١) من المادة الخامسة ، يوم ٥ جمادى الآخرة ١٣٧٤ (١ فبراير ١٩٥٥) موعداً تحسب منه مدة الأشهر الستة الخاصة بتقديم الطرفين عرضيهما . وطبقاً للمادة الخامسة ، يقدم هذا العرض باسم المملكة العربية السعودية .

٢ - وطبقاً للمادة الثانية من الاتفاقية يطلب من الهيئة أن تقرر مسألتين :
(١) موقع الحدود المشتركة بين البلاد العربية السعودية وأبو ظبي ،
فيما بين الخط الذي طالبت به الحكومة العربية السعودية في سنة

(١) أدرج النص الكامل لاتفاقية التحكيم في الملحق ١ المرفق بهذا العرض .

١٩٤٩ ، والخط المطالب به باسم أبوظبي في مؤتمر الدمام في سنة

١٩٥٢ .

(ب) السيادة في المنطقة الداخلة في دائرة مركزها قرية البريمي ويمر

محيطها عبر نقطة تلاقي خط العرض ٢٤ درجة و ٢٥ دقيقة شمالا

مع خط الطول ٥٥ درجة و ٣٦ دقيقة شرقا .

ويظهر في الخريطة الأولى منظر عام للمناطق المحددة في هاتين المسألتين .

٣ - يعتقد ، على الرغم من الخلاف في اللفظ ، أن المشكلة الأساسية التي تقدمها كل من المسألتين المعروضتين هي في جوهرها واحدة . ففي الإقليم الذي يعالجه هذا التحكيم لم يتفق الطرفان قط على خطوط للحدود من قبل . ومن ثم فإن المسألة الأولى تتضمن أكثر من تبديد الشك عن موقع خط سبق الاتفاق عليه ولكن لم يتم تحديده بصفة دقيقة . وإنما تستدعي المسألة أن يستحدث خط حدود بين المملكة العربية السعودية وأبو ظبي ، على أن يكون خطأ متمشياً مع مقتضيات العدالة والسياسة السليمة . ومثل هذه المهمة تتطلب في بادئ الأمر قراراً من الهيئة عن أحقية ادعاءات الفريقين بالمنطقة ذات الشأن ، وهي منطقة تقارب مساحتها ٧٣٥٠٠ كيلو متر مربع ، وذلك قبل أن يستطاع وضع أي خط بدقة وضبط . وهكذا فإن هذه المشكلة تشابه المشكلة التي تعرضها المسألة الثانية - وهي تقرير مطالب البلاد العربية السعودية وأبو ظبي ومسقط في المنطقة التي تقع ضمن نطاق دائرة البريمي . وكما تبين المادة الرابعة من الاتفاقية بجلاء ، فإن اعتبارات متماثلة تنطبق على كلتا المشكلتين ، ومن الطبيعي إذن أن يعالجا بطريقة مماثلة . ومن باب التسهيل واليسر ، فحيثما تدعو الضرورة إلى التمييز بين قسمي المنطقة التي يشملها التحكيم سيشار في هذا العرض إلى الأراضي المحددة في المسألة الأولى « بالمناطق الغربية » ، ويشار إلى الأراضي المحددة في المسألة الثانية « بمنطقة البريمي » .

٤ - تقع المنطقة التي تعنى بها الهيئة ، وشأنها شأن بعض الأجزاء الأخرى المنعزلة في جزيرة العرب ، في بقعة كانت حتى السنين الأخيرة غير معروفة تقريباً للذين لا يقيمون فيها أو يمارسون عملاً هناك . والأرض في أغلبها جافة مجدبة تتميز بسبخ قرب الساحل وكذلك برمال واسعة في الداخل . وتمارس بعض الزراعات ، ولا سيما زراعة النخيل ، في البريمي وبين كثبان الجواء في المناطق الغربية ، بينما هناك مجموعات للنخيل تناثرت في مناطق أخرى حيث تسمح موارد الماء بذلك ، ولكن فيما عدا ذلك ، فإن اقتصاد المنطقة يقوم على الرعى في أساسه . ففي مثل هذه المنطقة المحدودة الموارد الطبيعية التي لا تهيئ أسباب المعيشة إلا لعدد محدود من السكان ، تبرز البريمي باعتبارها مركزاً للأهالي والتجارة ومعبراً للمسافرين .

٥ - إن سكان الإقليم ، ويكاد يكون معظمهم بلا استثناء ، أفراد قبائل مستقرة هناك منذ زمن طويل ، يعيشون في مجتمع تطور على مر القرون لمواجهة متطلبات بيئتهم الصعبة القاسية . وقد اتبعوا لأجيال كثيرة طرائق الحياة التقليدية للبدو الرحل ولأشباه الحضر في جزيرة العرب معتمدين في معاشهم على ما شتيم وعلى تمر البريمي والجواء . وقد آثر بعض أقسام القبائل البقاء إلى جوار نخيلها على الدوام ، بينما فضلت أقسام أخرى البقاء إلى جوار نخيلها في موسم الحصاد ثم العودة إلى الصحراء في الشتاء . وليس من الممكن التفرقة تفرقة صحيحة بين القبائل « الرحل » « والحضر » . وطبقاً لعادات البادية منذ قديم الزمان يعترف بصفة عامة لكل قبيلة بحقها في « ديرة » معينة لها ، ويحترم لها ذلك الحق . ومع أن قبائل أخرى قد تدخل في هذه الديرة ، فإنها لا تفعل ذلك إلا بموافقة أصحابها . وليست حركات القبائل تجوالاً على غير هدى ، بل أنها تراعى في دروب سيرها حقوق الآخرين . وهذا النوع من الحياة لا يمكن اعتباره في حد ذاته أفضل أو أسوأ من غيره من طرق المعيشة في الأماكن الأخرى ،

وإنما هي تمثل أحسن الوسائل الممكنة للإنسان لاستخدام مثل هذه الأراضي حال انعدام الأساليب الحديثة التي تتيح استعمال طرق جديدة من النشاط .

٦ - لذلك يوجد في هذا الإقليم سكان متمدنون لهم نظام سياسي واجتماعي راق من طراز قبلي ، متمسكون بمبادئ الإسلام السامية ، ويحكم أمرهم قانون الشريعة الإسلامية والعادات التقليدية القديمة . وفي الواقع إن ذلك هو نفس النظام الموجود في الصحراء العربية عامة ، والذي سد على مر القرون حاجات قاطني الصحراء ورغباتهم . ولا يمكن المغالاة في تأكيد القول بأن النزاع الحالي لا يستهدف أي موضوع خاص بالتوسع أو الاستعمار من جانب المملكة العربية السعودية . ففي نظرها يعتبر سكان المناطق المتنازع عليها سعوديين لا يختلفون عن غيرهم من السعوديين في الأصل أو اللغة أو الدين أو العادات ، وإنما هم إخوانهم في الوطن . والمسألة بالنسبة للحكومة العربية السعودية هي موضوع شعب واحد تهمة المحافظة على وحدته وسلامته كيانه .

٧ - وبينما نجد من الواضح أن هيئة التحكيم لا تعالج أمر مجتمع بدائي في هذه المناطق ، إلا أنه من الصحيح أيضاً أن هذا المجتمع يختلف في وجوه كثيرة عن أمثاله في الغرب ، بل وحتى أيضاً عن المجتمعات الموجودة في أجزاء مأهولة من العالم العربي مثل وادي النيل . وتظهر هذه الاختلافات أكثر وضوحاً بسبب العزلة النسبية لهذا الجزء من جزيرة العرب ، حتى وقت قريب . ولذلك فإن النظريات التي تكونت في مجتمعات أخرى ينبغي تطبيقها هنا في شيء من الحذر والتحفظ إذا أريد عدم وقوع شيء من سوء الفهم أو إمكان مجافاة العدالة . ومن المعتقد أنه ينبغي توجيه عناية خاصة في هذا الصدد عند وضع مبادئ القانون المتعلقة بالموضوع . إن المبادئ الأساسية للقانون الدولي وهي التي يتمثل فيها جوهر المنطق الحق الذي يفرض رضاء جميع الشعوب التي تحترم القانون في الشرق والغرب - إن تلك المبادئ مقيدة وملزمة للجميع ، وسوف تثيرها

الحكومة العربية السعودية في الوقت المناسب . ولكن ينبغي تفادي القيام بمحاولة آلية بحتة لتطبيق قواعد جاهزة أعدت في الأصل في وضع مخالف مغاير ، كما ينبغي ألا يغرب عن البال أن صحارى جزيرة العرب شىء ، وسهول بيكارديا شىء آخر .

٨ - ولقد صيغت المادة الرابعة من الاتفاقية بألفاظ تدل على إدراك هذه النقطة من جانب الطرفين وعلى الرغبة في أن تباشر الهيئة عملها على أوسع قاعدة ممكنة . فلا يتحتم على الهيئة عامة أن « تنظر بما يجب من الرعاية إلى جميع اعتبارات القانون والواقع والإنصاف » فقط ، سواء وجه الطرفان نظرها إليها أو ظهر ذلك نتيجة لمباشرة الهيئة لسلطات التحقيق المخولة لها ، بل إنها قد زودت أيضاً بقائمة فيها أربعة أمور معينة عليها أن تدخلها في حسابها حينما ترى أنها ذات أثر في الموضوع . وهذه الأمور هي :

(أ) الوقائع التاريخية المتعلقة بحقوق حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية وآبائه وأجداده ، وحقوق الحكام الآخرين ذوى الشأن وأجدادهم .

(ب) الولاء التقليدى لسكان المنطقة ذات الشأن .

(ج) التنظيم القبائلى ، وطرق حياة القبائل الساكنة في المنطقة ذات الشأن .

(د) ممارسة السلطة وأى نشاط آخر في المنطقة ذات الشأن .

وفضلاً عن ذلك فإن لها أن تدخل في حسابها أية اعتبارات أخرى يوجه أى الطرفين نظرها إليها .

٩ - وفي رأى المملكة العربية السعودية أن الأمور الأربعة الواردة هنا هي في جوهرها محاولة من الطرفين لصياغة مبادئ عامة معينة من النوع المشار إليه آنفاً في صورة تطابق الموقف الذى يعرض للبحث هنا . ومن ثم ، فإن الأمر

الأول يتصل بالنوع العام للمطالب التاريخية ، ولكنه مصوغ بعبارات شخصية تناسب الظروف وتعلق بحقوق الملك والحكام الآخرين ذوى الشأن . والأمر الثانى يأخذ بعين الاعتبار ميول السكان ، وهو أمر ربما قد لا يرد فى صميم القانون ولكنه جوهرى فى أى حل مرض . والأمر الثالث يوجه الاهتمام إلى القبائل باعتبارها وحدات سياسية واجتماعية ذات شأن ، ويقترح ألا يتسبب أى قرار ، بغير داع ، فى تغيير مناهج الحياة المقررة عند القبائل . والأمر الأخير يقرر اختبار السلطة والسيطرة اختباراً عرفياً قانونياً ، ولكنه يضعهما فى نطاق مجتمع منظم تنظيمياً قديماً .

١٠ - وبموجب نصوص الفقرة (هـ) من المادة الرابعة التى تخول كلا من الطرفين أن يستلقت النظر إلى أية اعتبارات أخرى ، فسوف تثير الحكومة العربية السعودية فى هذا العرض مسائل معينة ذات طابع سياسى واقتصادى مما تعتقد هذه الحكومة أنه متعلق بإيجاد حل سليم . وفى هذه المناسبة تود الحكومة العربية السعودية أن تذكر مرة ثانية أن هيئة التحكيم منوطة بموجب الفقرة (ا) من المادة الثانية بوضع خط للحدود لم يكن له وجود من قبل ، ولكى يتم ذلك بطريقة تؤدى إلى إيجاد حدود مرضية مقبولة على الدوام ، فلا بد من مراعاة الحقائق السياسية والاقتصادية ورغبات السكان ، جنباً إلى جنب مع الحجج والآراء القانونية . فالمهمة هى مهمة إيجاد وخلق ، وينبغى أن تتم على أساس الإنصاف والعدل .

١١ - فهمة الهيئة إذن ليست سهلة أو قصيرة . فهى تدعو إلى معرفة جغرافية منطقة نائية وتاريخها وطرائق معيشة السكان ورغباتهم وميولهم . وفى نية الحكومة العربية السعودية فى خلال هذه الإجراءات أن تقدم إلى الهيئة كل معونة فى طاقتها لتوضيح المسائل المعروضة عليها . وقد أعد هذا العرض على هذا الأساس . ويتبع هذه المقدمة مباشرة بيان واف عن جغرافية المناطق ذات الشأن (الفصل

الثاني) وعن أهلها (الفصل الثالث) ثم تتلو ذلك دراسة تاريخية مفصلة (الفصل الرابع) ونستلفت النظر بصفة خاصة إلى هذا الجزء لأنه يعتمد على أبحاث أصلية واسعة على أساس مصادر عربية وغربية ، كما أنه يصحح كثيراً من الأخطاء الواردة في الكتب المنشورة حتى بأقلام أقدر الكتاب الغربيين . وبلى هذا التاريخ سرد للمداولات الدبلوماسية التي جرت خلال الخمسين سنة الأخيرة مما يتصل بهذه المناطق (الفصل الخامس) . أما وقد وضع أساس الموضوع فإن بقية العرض تختص بالآراء القانونية للحكومة العربية السعودية مع الأدلة التي تؤيدها (الفصل السادس) ثم ببعض الاعتبارات الأخرى التي يعتقد أنها ذات أثر وعلاقة بالموضوع (الفصل السابع) . أما آراء الحكومة العربية السعودية بصدد قرار هيئة التحكيم فواردة في الفصل الثامن .

Faint, illegible text at the top of the page, possibly a header or title.

Main body of faint, illegible text, appearing to be several lines of a letter or document.

Lower section of faint, illegible text, possibly a signature block or a closing.

افصل الثاني

الوضع الجغرافي العام

١ - المناطق الغربية المتنازع عليها

١ - تقع المناطق الغربية المتنازع عليها ، كما حددت في المسألة الأولى المعروضة على هيئة التحكيم ، جنوب الخليج الفارسي بين شبه جزيرة قطر غرباً وشبه جزيرة روس الجبال شرقاً . وتبلغ مساحة الأراضي التي تتكون منها هذه المناطق حوالي ٧٣٥٥٤ كيلو متراً مربعاً . ويشمل البحر الواقع بين قطر وروس الجبال جزءاً كبيراً من مغاصات اللؤلؤ الكبيرة وعدداً ضخماً من الجزائر الصغيرة . وفي بعض الأماكن القريبة من الساحل بين قطر وسبخة مطي تكون مياه الخليج عميقة نسبياً ، أما على طول الساحل الجنوبي من سبخة مطي شرقاً فإنها ضحلة إلى مسافة بعيدة بعض البعد عن الشاطئ ، كما أنها تحتوى على عدد كبير من الضحاضيح والشعاب .

٢ - وتطالب المملكة العربية السعودية بالشاطئ الجنوبي للخليج الفارسي شرقاً من نقطة تقع على الساحل الجنوبي الشرقي لشبه جزيرة قطر (خط العرض الشمالي ٢٤ درجة ٤٨ دقيقة) إلى نقطة تقع بين بندر المرفأ وبندر المغيراء . ومن النقطة الأخيرة شرقاً يتكون الساحل الجنوبي للخليج من أرض لا تدخل في النزاع الحالي .

٣ - تقع أبو ظبي ، وهي إحدى المشيخات السبع المسماة مشيخات الصلح البحري والمشمولة بالحماية البريطانية أقصى من غيرها نحو الجنوب

وتقع ست من هذه المشيخات على الساحل الجنوبي الشرقي للخليج الفارسي .
فإلى الشمال الشرقي من أبو ظبي نجد على التوالي : دبي ، والشارقة ، وعجمان ،
وأم القيوين ، ورأس الخيمة . أما الفجيرة وهي المشيخة السابعة ، فتقع على
خليج عمان إلى الجنوب الشرقي من روس الجبال .

٤ - أما المنطقة الشرقية من جزيرة العرب الممتدة جنوباً من الخليج الفارسي
إلى داخل الربع الخالي فتتألف من سباح ، وهي أراض منبسطة مالحة ، تمتد
على طول السهل الساحلي ، ومن سهول مرتفعة مكسوة بالحصى ، ومن مساحات
شاسعة من رمال ، هي تارة كثبان متموجة وطوراً كتل رملية تحتوى على نقيان
يبلغ ارتفاعها ٢٠٠ متر أو أكثر . وليس هناك على طول المسافة الممتدة من
الواحات الصغيرة جنوبى شبه جزيرة قطر إلى واحة البريمي أية ينابيع أو مجارى
مياه كتلك التي كثيراً ما تزود القرى في جزيرة العرب بالماء غير أن رمال هذه
المنطقة وسهولها المكسوة بالحصى تحوى من الآبار والمراعى والأحطاب ما يكفي
لسد حاجات عدد لا يستهان به من البدو ، وهناك في الرمال الكثيفة على بعد
نحو مائة كيلو متر إلى الجنوب من الخليج الفارسي تقع الواحات الصغيرة التي
تعرف في مجموعها بالحواء . ويأتى الماء الضرورى للحياة في الحواء من مياه
ربما كانت تتسرب على طول خط أحدثه شق في الطبقات الصخرية
السفلية .

٥ - ولا تسقط الأمطار في قطر أو في الساحل الجنوبي للخليج
الفارسي أو في مشيخات الصلح البحرى إلا بمقادير قليلة ، وبصورة غير منتظمة
يبلغ معدلها حوالى سبعة سنتيمترات في العام الواحد . أما فصول الصيف الطويلة
فحارة جداً ، كما أن درجة الرطوبة مرتفعة على طول الساحل . وترتفع درجة
الحرارة في الداخل بينما تنخفض درجة الرطوبة .

٦ - ويزاول سكان هذه المنطقة منذ قديم الزمن مهن صيد الأسماك والغوص لاستخراج اللؤلؤ وزراعة النخيل وتربية المواشى . إلا أن العمل في حقول الزيت في السنوات الأخيرة قد اجتذب الكثير من الرجال الأقوياء فجعلهم يهجرون حرفهم السابقة .

قاعدة شبه جزيرة قطر

٧ - تمتد شبه جزيرة قطر شمالاً إلى داخل الخليج الفارسي بين الخليج المسمى دوحة سلوة إلى الغرب والامتداد الجنوبي للخليج الفارسي إلى الشرق . ومن الناحية السياسية تحتل حكومة قطر القسم الأكبر من شبه الجزيرة ويحكمها صاحب السمو الشيخ على بن عبد الله بن قاسم آل ثاني . ويتألف سطح الأرض في شبه الجزيرة من قوس كبير من حجر الكلس وتبيء مياه الأمطار التي تسقط في جيوبه وشقوقه الممتلئة بالرمال أماكن تصلح للكلأ في الشتاء وفي الربيع . وربما كانت قطر جزيرة في وقت ما في الماضي البعيد ، وفي هذه الحالة يكون خط السباخ في قاعدة شبه الجزيرة هو العلامة التي تحدد موقع المضائق التي كانت تصل بين دوحة سلوة والخليج الفارسي الواقع شرقها ، وذلك بالقرب من خور العديد على الأرجح .

٨ - وترتفع أرض قطر إلى الشمال من خط السباخ ويقوم حولها من الجهة الغربية عدد كبير من ضلوع الجبال والهضاب . وكلما اتجهنا شرقاً أخذ سطح أرض البلاد يتخذ شكل سهل من حجر الكلس أقل وعورة وينحدر انحداراً هيناً إلى الخليج الفارسي . أما الشاطئ المنخفض إلى الشمال من خور العديد فمغطى بنقيان على شكل هلال .

الواحات الواقعة جنوبي قطر

٩ - هناك في الطرف الجنوبي من دوحة سلوة بعض النخيل القصير ينمو في واحات عديدة صغيرة تعرف في مجموعها بسلوة . وفي واحة من أكبر هذه الواحات بئر مبطنة بالحجارة فيها ماء عذب تقع في وسط أطلال حصن قديم . وسلوة هي ملتقى الطرق الرئيسية الآتية من قطر ومن بعض الأجزاء الواقعة في القسم الجنوبي الشرقي من جزيرة العرب مثل البريمي ومشبخات الصلح البحري وعمدان ، وتقيم في سلوة في فصل الصيف ثلثة من رجال الأمن العام تتبع الحكومة العربية السعودية وتقوم بحصاد التمر في تلك الأثناء . وفي فصل الشتاء تعسكر هذه الثلثة في رمال العريق شرقي سلوة . أما قائد هذه الثلثة فهو أمير سلوة الذي يعينه أمير المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية وهو مسئول تجاه هذا الأخير .

١٠ - وعلى بعد عشرة كيلومترات إلى الجنوب من سلوة تقع هجرة السكك ، وعلى بعد عشرين كيلو متراً إلى الجنوب من هذه تقع هجرة نباك ، وهما قريتان صغيرتان فيهما بيوت مبنية بالآجر المخفف بالشمس وأكوخ مستقوفة بالقش ، وفيهما آبار ونخيل . وقد أنشأ آل مرة في الأصل هاتين القريتين لتكونا لم هجرتين ، والمجر هي قرى البدو الزراعية التي أسسها الملك عبد العزيز آل سعود خلال الجزء الأول من القرن الحالى .

خور العديد

١١ - يقع خور العديد إلى الجنوب من قطر على ساحل الخليج الفارسي ، وهو خور طويل ضيق يتجه إلى الداخل في اتجاه جنوبي غربي ويتصل بدوحة كبيرة تتصل بدورها عن طريق مدخل ضيق بدوحة أخرى كبيرة تقع إلى

الجهة الشمالية . وليس خور العديد من العمق بحيث يمكن استعماله للسفن التي تمخر المحيطات ، غير أنه مرفأً ممتاز للمراكب الشراعية التي تجوب مياه الخليج .

١٢ - ويمتد الشاطئ الجنوبي الشرقي لخور العديد على طول الرأس الصخري الذي يقع رأس أبو قميص في أبعد مكان فيه . ويشكل ضلع جبل العديد المستوى القمة ، القسم الرئيسي من هذا الرأس . وتقع أطلال قرية العديد في شبه جزيرة صغيرة تمتد شمالاً من هذا الرأس إلى داخل مضيق خور العديد . وليس من الصعب للناظر من الأرض أن يعثر على هذه الأطلال ، أما من الجو فإنه يسهل رسم التخطيط الكامل لهذه البلدة السابقة . وقد كانت القرية في مواجهة مدخل خور العديد ، وكان هناك سور حول جهة اليابسة يمتد من الشاطئ إلى الشاطئ الآخر على شكل قوس يشبه نصف دائرة . وقد أقيمت أبراج في أماكن متباعدة على طول السور وكانت هناك قلعة صغيرة مربعة الشكل ذات أربعة أبراج تقع إلى الجنوب من البلدة في وسط القوس . ولم يبق أي من المباني القديمة على حاله ، وفي معظم الأماكن ترتفع الأنقاض الباقية إلى ما هو أقل من متر واحد فوق سطح الأرض . وقد دمرت قرية العديد وهجرت عام ١٢٩٤ هـ الموافق ١٨٧٧ م وفي ذلك الحين ردم الأهالي الراحلون جميع الآبار التي كانت تزود القرية بالماء . وهناك بئر من هذه الآبار كان قد أعاد فتحها فيما بعد أفراد من المناصر وهي مبطنة بالحجارة وفيها ماء صالح للشرب ، وهي تقع على بعد كيلو متر واحد إلى الجنوب الشرقي من البلدة (١) . وفي مكان لا يبعد كثيراً عن القسم الجنوبي من خور العديد يوجد بعض النخيل ومورد المياه المعروف بعبيدل ، وهو اسم جاء من قبيلة عبيدل التي كان أفراد منها أول من قطن خور العديد .

(١) في الفصل الرابع بحث مفصل في تاريخ العديد .

العقل

١٣ - تقع موارد المياه المعروفة بالعقل في المنطقة المنخفضة الممتلئة بالرمال والواقعة إلى الغرب وإلى الجنوب من خور العديد . واسمها يصف نوع الآبار فيها ، فكلمة «العقل» هي جمع «عقلة» ويطلقها سكان تلك البقعة على مجموعة من الآبار الضحلة التي تعتمد عادة على أمطار الموسم والتي لا يزيد مقدار عمقها على طول عقال البعير . ويبلغ عدد موارد العقل الهامة نحواً من عشرين مورداً، والأماكن الشمالية منها تقع في الحقيقة إلى الشمال من خور العديد. وقد ورد ذكر بعض هذه الموارد عدة مرات في المحادثات والمفاوضات التي أجريت حول مسألة الحدود ، ومن تلك الموارد سوداء نثيل وعقلة الرمث ورغوان وحليوين وعقلة النخلة . ويظهر أن حزم سوداء نثيل وهو مرتفع لا يبعد كثيراً إلى الشمال من أول موارد المياه هذه ، يعتبر النقطة النهائية في الغرب للخط الذي طالبت به أبو ظبي في عام ١٣٧١ هـ الموافق ١٩٥٢ م .

١٤ - وسلسلة موارد العقل أشبه ما تكون بممر يسلكه البدو القادمون من الشرق بحثاً عن المراعى في قطر . ومن المعترف به أن هذه الآبار جزء من ديرة المناصير ، بل ان اسم هذه القبيلة قد أطلق على إحدى هذه المجموعات أى عقلة المناصير .

المجن

١٥ - المجن (أى المكان المأهول بالمجن) هو ذلك السهل المرتفع المستوى نسبياً المنشور فوقه الحصى والواقع بين الرمال الممتدة إلى الجنوب من خور العديد وبين سهل الملح الكبير المعروف بسبخة مطى . وينحدر المجن انحداراً حاداً

نحو الخليج الفارسي في الشمال ونحو سبخة مطى في الشرق ، بينما تتأ الأراضي المرتفعة على شكل أصابع لتكون رأسين بارزين هما رأس الحضرة ورأس مشيرب .

١٦ - ويحتوي الحصى الذى يكسو الحجن على مقادير وافرة من الحصباء ، كما يحتوى على حجارة من الصوان وحجارة نارية سوداء وحجارة أخرى بلورية ، ومن الأرجح أن تكون هذه الحجارة قد حملتها المياه منذ أمد بعيد من القسم الغربى من جزيرة العرب . وتظل هذه السهول المستوية خالية من الرمال نسبياً بسبب الرياح التى تهب عليها ، وليس هناك سوى القليل من النبات للرعى . وقد قطع مجرى ماء السهباء الجفاف حالياً والمتجه من الجبال الواقعة فى أواسط نجد غير بعيد عن الرياض ، قطع هذه المنطقة ليصب فى الخليج غربى رأس الحضرة مباشرة ، وكان ذلك فى زمن ما بعد رسوب الحصى . والمجرى الذى حفرته مياه السهباء والمعروف هنا بجو الغويفات يقسم الحجن قسمين ، القسم الشمالى الغربى والقسم الجنوبى الشرقى . وهناك منخفض آخر معروف وهو بطن الطرفاء يقع فى تجويف فى الطرف الجنوبى من الحجن . وفى أحد الأماكن تنخفض أرض بطن الطرفاء بمقدار ستة عشر متراً تحت سطح البحر .

١٧ - وهناك عدد من موارد المياه يحيط بالحجن . فى الرمال الواقعة إلى الجهة الشمالية الغربية تقع آبار نكوت وخور دويهن . واسم دويهن هذا يستحق الالتفات فيما يتعلق بالجزء المفتوح من الخليج الفارسي الواقع جنوب خور العديد إذ ليس لدى العرب أى اسم شامل له . وحيث أنه من الأنسب استعمال اسم له . وحيث أن الحرائط الأفرنجية تستعمل عادة صيغاً مشوهة لكلمة دويهن ، فإن اسم « دوحة دويهن » على ما يظهر هو أفضل اسم يمكن اختياره له ، ولذا فإن اسم « خور دويهن » يشير إلى الآبار الداخلية واسم « دوحة دويهن » يشير إلى الجزء المذكور من الخليج الفارسي .

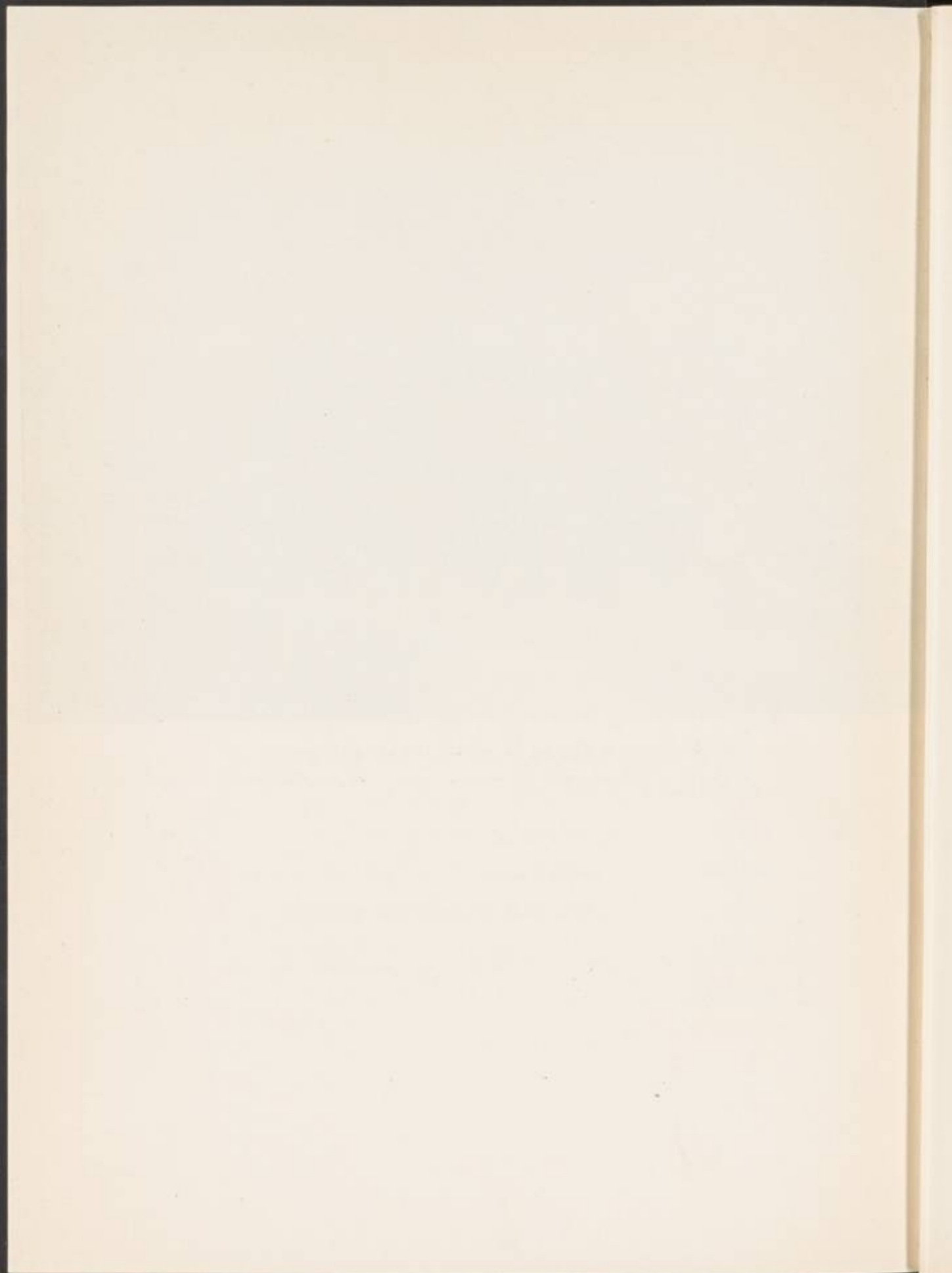
١٨ - وفي الطرف الغربي من جزء الحين الممتد إلى رأس مشيرب تقع آبار المنبج الضحلة التي يقوم بالقرب منها عدد من النخيل القصير القوى . والآبار والنخيل يملكها أفراد من المناصير .

١٩ - وفي منتصف المنحدر الشرق للمجن ، عند انحداره نحو شاطيء الخليج الفارسي ، تقع آبار بعجاء والسلع . أما بعجاء فهي مبطنه بالحجارة فيها ماء مقبول يتردد عليها المناصير كثيراً . وأما السلع ، التي تبعد قليلاً إلى الجنوب ، فيستعملها أيضاً المناصير لإبلهم ، غير أنهم يفضلون استعمال مياه بعجاء لأنفسهم .

٢٠ - وفي أسفل منحدر الحين في موازاة الطرف الغربي لسبخة مطى تقع ثلاثة موارد للمياه قريب بعضها من بعض ، وأحدها ، وهو الصفق ، يبعد ١٨ كيلومتراً إلى الجنوب من المنعطف على الخط الساحلي بالقرب من الزاوية الشمالية الغربية لسبخة مطى . أما عقلة حازر فتقع على بعد كيلو مترين تقريباً إلى الشمال من الصفق ، كما أن آبار الحشم تبعد نفس المسافة تقريباً إلى الجنوب .

سبخة مطى

٢١ - سبخة مطى هي سهل مالح واسع منخفض يمتد مسافة نحو ١٠٠ كيلو متر جنوباً من الخليج الفارسي إلى داخل الربع الخالي ، ويبلغ عرضه عند شاطيء الخليج ما يقرب من خمسين كيلومتراً . ونظراً لموقعه بين منطقتي الحين والظفرة فإنه يربط بينهما إذ يمكن للإبل والسيارات أن تعبره بسهولة خلال الجزء الأكبر من السنة . غير أن الأمطار في بعض الأحيان تحيل سبخة مطى إلى مستنقع موحل لا يمكن عبوره ، وبعد فترة قصيرة من الجفاف تغطي السبخة أحياناً طبقة جافة خادعة إذ تنفذ منها السيارات إلى الوحل الذي





مياه الخليج الفارسي تلامم قاعدة القمة المخروطية بحبل براكه في بينونة التي تكون الجزه
الشمالى الغربى من الظفرة . ويبدو السهل المنبسط وراء ذلك وهو يحتوى في الغالب على السبخ .

تحتها. وهناك طريق تستعملها السيارات عادة تقطع سبخة مطى بالقرب من شاطئ الخليج متتبعه الطريق الرئيسية للإبل . كما أن هناك طرقاً للإبل تقطع السبخة في أماكن أبعد إلى الجنوب يؤدي أكثرها إلى الصفاق وموارد المياه القريبة منها .

الظفرة

٢٢ - الظفرة هي تلك المنطقة الواسعة المغطاة كلها تقريباً بالرمال والممتدة جنوباً من الخليج الفارسي إلى داخل الربع الخالي جنوب خط العرض الشمالي ٢٣ درجة من سبخة مطى في الغرب حتى مكان يقرب من خط الطول الشرقي ٥٥ درجة . وتوجد السباخ بشكل يكاد يكون منتظماً على طول ساحل الظفرة ، كما يوجد عدد كبير من الجزائر تجاه الساحل . وتبين خرائط عديدة هذا الخط الساحلي على غير حقيقته لأن بعض الجزائر القريبة من الشاطئ كانت تحسب خطأ أنها جزء من البر الأصلي .

٢٣ - وهناك إلى الجنوب من السباخ في محاذاة الساحل رقعة طويلة من الأرض المرتفعة قليلاً تسمى الطف . وتمتاز هذه المنطقة بكثرة التواءات الصخرية والقمم غير الطوال التي ترتفع مخترقة ستارها الرمل الرقيق . والبدو يقسمون الطف إلى ثلاثة أقسام :

بينونة	(الطف الغربي)
الطف ذاته	(الطف الأوسط)
الحبل	(الطف الشمالي الشرقي أو طف عمان)

وتعتبر هذه كلها أجزاء من الطف بمعناه الشامل . ولا يخص الظفرة منها إلا الاثنان الأولان .

٢٤ - ويبدو أن طبقات الأرض الصخرية الواقعة إلى الجنوب من أرض الطف المرتفعة تنحدر إلى داخل الحوض الكبير الذى يقوم عليه الربع الخالى . ولكن هذا الانحدار لا يظهر على سطح الأرض . فالرمال الكثيفة تملأ الحوض ، ونقيان الظفرة يزيد ارتفاعها عموماً كلما اقتربنا من الجنوب .

٢٥ - وهناك ثلاث مناطق تقع فى الرمال إلى الجنوب من الطف مباشرة ، وهى المغرب فى الغرب ، والقفا وهى منطقة الظفرة الوسطى ، والحمرة فى الشرق . فأما المغرب والحمرة فهما حقلان من النقيان يكون فيهما الكلاً جيداً بعد سقوط الأمطار ، وأما القفا فتتألف من أرض متماسكة متموجة والسفر فيها سهل نسبياً . وهناك إلى الجنوب من القفا قطعتان من الأرض ذاتا رمال كثيفة ، وهما البطانة إلى الشمال والبطين إلى الجنوب . وهنا تلتقى النقيان لتشكل سلاسل طويلة تتجه إلى الشرق والغرب . وتعتبر سلاسل نقيان البطين من أطول السلاسل فى الربع الخالى . وهناك بين نقيان البطين الواقعة فى أقصى الشمال ، جنوبي البطانة مباشرة ، تقع واحات الجواء . وإلى الجنوب من البطين تقع الكدن ، أبعد مناطق الظفرة إلى الجنوب .

بينونة

٢٦ - بينونة هى ذلك الجزء من الطف الواقع بين سبخة مطى إلى الغرب وبندر المرفأ وبندر المغبراء إلى الشرق . وجبل بو موركة المحروطى الشكل هو الحد الفاصل بين بينونة وبين الطف الأوسط فى الرمال . وقد وصف ياقوت الجغرافى المسلم الذى كتب معجمه الكبير فى أوائل القرن السابع الهجرى الموافق لأوائل القرن الثالث عشر الميلادى ، وصف بينونة بأنها مكان يقع بين عمان والبحرين على مسافة ستين فرسخاً من البحرين .

٢٧- وفي الجزء الغربي من بينونة بالقرب من الساحل ، على طرف سبخة مطى أو غير بعيد عنه ، ترتفع ثلاثة جبال بارزة فوق السهول المحيطة هي الوتيد وبراقة والظنة . وتتألف براكمة من قمة واحدة مخروطية الشكل يبلغ علوها ١٠٣ أمتار . أما الظنة فتتألف من كتلة غير متسقة من تلال مختلفة الألوان يبلغ ارتفاعها في أحد الأماكن ١٣١ متراً . ويعتقد أنها كانت قد تكونت بفعل نتوء ملحى جوفى يندفع اندفاعاً بطيئاً من الأسفل إلى الأعلى ، وهذه هي النظرية السائدة أيضاً فيما يتعلق بتكوين بعض الجزائر الواقعة بين قطر وبين ساحل الصالح البحرى .

٢٨- وإلى الجنوب من جبل الوتيد يمتد لسان ضيق نسبياً من بينونة على طول الطرف الشرقى من سبخة مطى بحيث يشمل آبار أم الأشطان وجبال المطلعيات . ويصل هذا الامتداد المتجه نحو الجنوب بين بينونة وبين المنطقة الجنوبية الغربية للمغرب ويحول دون اتصال منطقة القفا بسبخة مطى .

٢٩- والإشارات القليلة لبينونة الواردة في المصادر الغربية تقلل من أهمية تلك الأراضي كما كان يمكن العيش فيه ، حتى أنها لتبعث على الاعتقاد بأن هذه الأراضي في الواقع غير آهلة بالسكان . وقد وصفها ضابط بريطاني متخصص في العلوم كان قد مر بينونة أثناء قيامه بأعمال مكافحة الجراد تبعاً لبرنامج دولى إبان الحرب العالمية الثانية ، وصفها بأنها « خالية تقريباً من السكان إلا من مسافرين قلائل وجماعات ضئيلة من المناصر تضرب خيامها هنا وهناك »^(٢) . وقد وقع هذا الضابط في نفس الخطأ الذى وقع فيه الكتاب الذين لم يزوروا تلك المنطقة ، والأرجح أن يكون سبب ذلك هو أنه لم يجد عن طريق السباخ المألوفة الممتدة على طول الساحل . فمن البديهي أن لا يجد في هذه

(٢) دزمنه فيزى - فترجرله « من الحساء إلى عمان بالسيارة » في المجلة الجغرافية الأمريكية ، مجلد ٤١ (١٩٥١) ص ٥٥١ .

السهول المالحة القاحلة إلا القليل من جماعات البدو الذين يضربون خيامهم في
رمال بينونة حيث المراعى والأحطاب وعدد لا بأس به من آبار الماء الصالح للشرب.

٣٠ - وصحيح أن عدد النازلين في بينونة متقلب دائماً لأن من ينزل فيها هم
من البدو الرحل ، غير أنه إذا فحصنا دفاتر زكاة الحكومة العربية السعودية
ثبت لنا أن تلك المنطقة ليست غير آهلة بالسكان (٣) . ففي عام ١٣٦٧ هـ
الموافق ١٩٤٧ - ١٩٤٨ م مثلاً ، دفعت حوالى مائة عائلة من المناصر والعوامر
ضرائب على أكثر من ٢٥٠٠ بعير وذلك في موردين فقط من موارد المياه
في بينونة هما الجاهلية والعقيلة . ومن بين موارد المياه الأخرى المعروفة في بينونة
أم الأشطان والمرخية وبدع الغينة .

الطف

٣١ - يمتد الجزء الأوسط من الطف ، الذى ليس له اسم خاص يميزه
عن غيره ، من جبل بو موركة جنوبي بندر المرفأ وبندر المغيرة إلى مورد مياه
مفلجة في الجنوب الشرقى من بلدة أبو ظبي . وتقع مفلجة في أول الجبل ، وهو
القسم الشمالى الشرقى من الطف . وإذا ما تابع المرء سيره من بو موركة إلى الشرق
ازدادت وعورة الأرض وازدادت صعوبة اجتيازها بالسيارات . وفي هذا الجزء
من الطف تكون رمال الجنوب الكثيفة أقرب إلى ساحل الخليج منها في أى مكان
آخر في الظفرة .

٣٢ - وبمحاذاة ساحل الخليج الفارسى على الطرف الشمالى للطف يقع
الامتداد الغربى لأراضى أبو ظبي طبقاً للتحديد الذى اقترحتة الحكومة العربية

(٣) يأتي الكلام عن دفاتر الزكاة هذه في الفصل السادس .

السعودية سنة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) إذ رأت الحدود القائمة بين أراضيها وأراضي أبو ظبي تبدأ في مكان على ساحل الخليج يقع على بعد كيلو مترين شرقي المرفأ . ويسير خط الحدود من هذا المكان في اتجاه جنوبي شرقي إلى خط العرض الشمالي ٢٣ درجة و ٥٦ دقيقة ، ثم يسير في اتجاه شرقي إلى خط الطول الشرقي ٥٤ درجة ، ويستمر في النهاية في اتجاه مستقيم إلى تقاطع خط العرض الشمالي ٢٤ درجة و ٢٥ دقيقة وخط الطول الشرقي ٥٥ درجة و ٣٦ دقيقة .

٣٣ - ولشركة استثمار البترول (ساحل الصلح) المحدودة ، وهي إحدى الشركات التي تكون مجموعة شركة نفط العراق ، وتملك امتيازاً من حاكم أبو ظبي ، منشآت في الجزء الغربي من أبو ظبي . ففي عام ١٣٧١ هـ الموافق ١٩٥٢ م أقامت هذه الشركة حياً للسكن على أرض طريف المرتفعة وأنشأت مهبطاً للطائرات على السبخة المجاورة ، وفي العام التالي عثر على الزيت على مسافة قريبة إلى الجنوب الغربي من طريف في مكان لا يبعد كثيراً إلى الشمال من خط الحدود الذي اقترحتة الحكومة العربية السعودية . وحتى اليوم لم يبدأ استثمار حقول الزيت هذا .

٣٤ - وأكثر موارد المياه في الطف تقع إلى الجنوب من خط الحدود الذي اقترحتة الحكومة العربية السعودية . ومن بين هذه الموارد مورد اسمه بدوع شويبر كان الجبابة السعوديون يزورونه كل عام تقريباً منذ عدة سنوات ، ويعد من الأماكن الرئيسية التي يجتمع فيها المناصر .

المغرب

٣٥ - تسمى المنطقة الجنوبية الغربية من الظفرة بالمغرب . وهي تقع بين سبخة مطى إلى الغرب وبينونة والقفا إلى الشمال والبطانة إلى الشرق . أما في

الجنوب فإنها تفقد ذاتيتها في كتل الرمال العظيمة الواقعة في الربع الخالي .
ويمكن القول بوجه عام بأن المغرب تحتل بقعة أرضية مستطيلة الشكل يحدها
خطا العرض الشماليان ٢٣ درجة، و٢٣ درجة و٣٠ دقيقة، وخطا الطول الشرقيان
٥٢ درجة و ٥٣ درجة .

٣٦ - وتنقلب رمال المغرب إلى مراعى ممتازة بعد هطول المطر ، إلا أن المياه
في جميع آبارها مالحة . ومع ذلك ، فإن عائلات البدو تحط عند هذه الآبار
لمدد طويلة ، فتشبع إبلها بالماء هناك ، أما اصحاب الإبل فهم أشد ما يكونون
قناعة بالحليب الذى تدره إبلهم .

٣٧ - خلال قيام الجيولوجيين التابعين للشركة التى تسمى الآن شركة
الزيت العربية الأمريكية ، بأعمال التنقيب العادية ، أتموا التنقيب في قسم كبير
من المغرب في عام ١٣٥٧ هـ الموافق ١٩٣٨ م . وكما هو متبع كان برنامج
التنقيب ينفذ بموافقة الحكومة العربية السعودية . غير أن عدم وجود السيارات
المجهزة خصيصاً لهذه الأعمال ، كتلك الموجودة حالياً ، قد حال بين الجيولوجيين
وبين خوض رمال البطانة الأكثر كثافة إلى الشرق .

القفا

٣٨ - بين الطف إلى الشمال والبطانة إلى الجنوب تقع رمال القفا المتموجة
المتراصة . وتحتوى هذه المنطقة على عدد من الآبار ذات الماء العذب ، غير
أنها لا تهبى أفضل المراعى في الظفرة . ويسهل السفر على الإبل وبالسيارات
نتيجة لسهولة مسلك التكوينات الأرضية .

٣٩ - وسميت القفا بهذا الاسم لأنه إذا ما سار المرء إلى الشمال ترك رمال
الجنوب الكثيفة قفاه (أى خلفه) في هذه المنطقة . وتسمى المنطقة أيضاً

بالساروق ، وهي كلمة يستعملها البدو للدلالة على منخفض طويل يقع بين مرتفعين . والمرتفعان هنا هما أراضي الطف العالية ورمال البطانة العالية . وقد أخطأ الرحالة الإنكليزي ولفرد ثسيجر عندما وصف القفا والساروق بأنهما مكانان مختلفان^(٤) . ثم إنه يتضح من الطريق الذي اتبعه من الجواء إلى أبو ظبي ومن وصفه للتكوينات الأرضية ، أن ما وصفه بالقفا إنما هو حقيقة البطانة وما وصفه بالساروق إنما هو حقيقة الطرف الغربي للحمرة .

الحمرة

٤٠ - الحمرة هي المنطقة التي تقع في أقصى الشرق من الظفرة . وتقع بعدها إلى الشرق منطقة المنادر ، حيث تمتد سلاسل الرمال الجبلية الطويلة فوق أرضية من السبخ حتى تصل إلى طرف الرمال الشرقي . وإذا سرنا من المنادر في اتجاه مخالف لاتجاه دوران عقارب الساعة وجدنا أن الحمرة محاطة بالمناطق التالية : الختم (وراء الظفرة) إلى الشمال الشرقي ، والطف إلى الشمال ، والقفا إلى الغرب ، والبطانة إلى الجنوب الغربي ، ورباض قصيرة (وراء الظفرة) إلى الجنوب . ويؤلف رباض قصيرة جيداً من الرمل الناعم لا يحتوى على نقيان ينفر منه البدو لأن السفر عبره يتعب إبلهم .

٤١ - ومن مميزات الحمرة الطبيعية حقول النقيان ذات الرمل الأحمر التي يتخللها عدد من الشقق^(٥) المتجهة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي . ولا تتألف أراضي هذه الشقق من الحصى أو السبخ كما هو الحال غالباً

(٤) ولفرد ثسيجر «سفرة أخرى عبر الربع الخالي» المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١١٣ (١٩٤٩) ص ٤٠ .

(٥) الشقق جمع «شقة» ويراد بها انخفاض بين سلسلتين طويلتين من كسبان الرمال .

في الربع الخالي، بل تتألف من رمال مرصوفة رصاً قوياً بعض الشيء يسهل السفر فوقها على ظهور الإبل. وقد اشتهرت رمال الحمرة بمراعيتها الخصبية ومياهها العذبة التي توجد في آبارها العديدة. وهناك أكبات صغيرة من النخيل موزعة في أنحاء الحمرة تعرف بالغيوط. ويتألف الغيط الواحد من عدة نخلات قد يبلغ عددها الخمسين نخلة ويمتلكه أحد أفراد المناصير هو وأولاده.

٤٢- وتوجد في الجزء الشمالي من منطقة الحمرة بقعة تعرف بالسهل أو بسهل الحمرة. والأرض هنا بوجه عام سهلة المسلك أكثر مما هي عليه في الجنوب.

البطانة

٤٣- البطانة منطقة تتألف من نقيان لونها أصفر باهت متقاربة في بعض الأماكن بحيث أنها تشكل سلاسل طويلة متجهة من الشرق إلى الغرب. ويحد هذه المنطقة من الغرب المغرب، ومن الشمال القفا، ومن الشرق الحمرة، ومن الجنوب نقيان البطين الجبلية التي هي أيضاً أكثر وعورة، والتي تضم في تجاويرها الواقعة في أقصى الشمال منها واحات الجواء الصغيرة. ولعدم وجود أية شقق بين نقيان البطانة فإن السفر عسير هناك حتى على الإبل. إلا أن البطانة تصبح بعد هطول المطر بمثابة جنة على الأرض في نظر البدو. فإبلهم ترعى وتشبع ومياههم تصبح عذبة وتراهم يجنون الثمر في الفصل المناسب من نخيل الغيوط العديدة التي يمتلكها أفراد المناصير. وأفضل بئر في البطانة هي حوايا التي كتب عنها ثسيجر وأخطأ في قوله بأنها تقع في القفا^(٦).

(٦) ثسيجر «سفرة أخرى عبر الربع الخالي» ص ٤٠.

البطين

٤٤ - إلى جنوب البطانة تقع كتل رمال البطين الضخمة . وكما هو الحال في البطانة فإن نقيان البطين يتصل بعضها ببعض في عدة أماكن لتشكيل سلاسل طويلة متجهة من الشرق إلى الغرب . إلا أن هذه النقيان ، على خلاف نقيان البطانة ، تكون فيما بينها ودياناً كبيرة تقع واحات الجواء في أقصى الطرف الشمالي منها . وترتفع رمال البطين في بعض الأماكن إلى أكثر من ٢٠٠ متر فوق أرضية السباخ . وهناك آبار عديدة فيها ماء مالح وكثير من « أشجار الهرم » ترعى بها إبل المناصير في سنى الجفاف .

الكدن

٤٥ - إلى جنوب البطين تقع الكدن ، وهي أبعد مناطق الظفرة إلى الجنوب . ونقيان الكدن لا تبلغ نفس الارتفاع الذي تبلغه نقيان البطين ، مع أنها ترتفع إلى علو يذكر . وفي الكدن مراعي خصبة تنمو بعد هطول المطر ، كما أن فيها موارد مياه هامة وتشكل القرينى ، وهي مورد مياه جاء اسمها من نقا عال يقع في جواره ، نقطة تحول على خط الحدود الذي تطالب به أبو ظبي . وتقع القرينى في الجزء الجنوبي من الكدن على بعد نحو ٢٢٥ كيلو متراً من الخليج الفارسي .

الجواء

٤٦ - تسمى هذه المنطقة بكلا الاسمين « الجواء » « وليوا » وتمثل هاتان الكلمتان لفظين مختلفين لاسم واحد يستعملهما السكان المحليون . وحيث أنه

يبدو أن « ليوا » هي لفظة محرفة وغير صحيحة لكلمة « الجواء » فقد اخترنا استعمال هذه اللفظة الأخيرة في هذا العرض .

٤٧ - تتألف منطقة الجواء الواقعة في الرمال الكثيفة في الظفرة الوسطى الجنوبية من بقعة من الأرض طويلة وضيقة ، فيها واحات صغيرة تكمن في التجاويف والشقوق التي تقع بين جبال البطين الرملية في أقصى الشمال . وتقع أكثر واحات الجواء بين خطي العرض الشماليين ٢٣ درجة و ٢٣ درجة و ١٥ دقيقة في المنطقة التي لا يسمح فيها بإجراء عمليات للزيت والتي تم تحديدها بموجب المذكرتين المتبادلتين المرفقتين باتفاقية التحكيم المؤرخة ٢٩ ذى القعدة ١٣٧٣ الموافق ٣٠ يوليو ١٩٥٤ . وتقع بعض الواحات الغربية جنوبي المنطقة التي لا يسمح فيها بإجراء عمليات للزيت ، كما ينحدر الثلث الشرقي من الجواء نحو الجنوب الشرقي خارج تلك المنطقة .

٤٨ - وتحتوى الجواء على موارد عديدة من الماء العذب توجد على عمق أقدام قليلة فقط تحت سطح الأرض وتستعمل لرى عدد كبير من بساتين النخيل الصغيرة . وينمو النخيل على الجوانب المستوية من النقيان الكبيرة ، وفي عدة أماكن يسكن أصحاب النخيل في أماكن مرتفعة عن بساتينهم على النقيان ذاتها حيث الرطوبة أقل وحيث ينعمون بالنسيم العليل .

٤٩ - وإذا كانت توجد قصور قديما في أماكن كأم حصن والطرق وقطوف والجبانة ونميل فإن الأنقاض التي تحل محلها تدل على أن الحاجة إلى مثل هذه الأبنية قد زالت منذ زمن بعيد وذلك بفضل الأمن الذي هياه الحكم السعودي . ويسكن أهل الجواء اليوم في أكواخ من جريد النخيل . ويوجد عادة حاجر من الجريد يحيط بكل كوخ أو كوخين ، كما توجد حواجز مماثلة مقامة حول بساتين النخيل لتدراً عنها الرمال المتحركة .

٥٠ - وفي كل عام يرحل بعض شبان الجواء شمالاً إلى الخليج الفارسي حيث يلتقون بمراكب اللؤلؤ ويعملون فيها إبان الصيف . وفي الأزمان الغابرة كان عدد هؤلاء الرجال أكثر مما هو عليه الآن ، ذلك لأن الأعمال الجارية في حقول الزيت اجتذبت في المدة الأخيرة الكثيرين ممن كانوا يسعون في طلب الرزق في مغاصات اللؤلؤ . وقد فرق الولع بالتجوال الذي يمتاز به العرب الكثيرين من أهل الجواء وبعث بهم على طول الشواطئ العربية من الخليج الفارسي . ومع ذلك فإن الغائبين عن الجواء يحنون إليها دائماً ويسعدون كلما تراءى لهم أمل العودة إليها .

٥١ - وبقيت الجواء مجهولة تماماً للعالم الغربي حتى أوائل القرن الحالى عندما علم القائم بأعمال المعتمد السياسى البريطانى فى الخليج الفارسي الكابتن پرسى كوكس بوجودها عن طريق استجواب أحد سكانها السابقين .

٥٢ - وينتمى سكان الجواء إلى قبيلتين هما المناصير وبنى ياس . ويملك المناصير كافة بساتين النخيل فى ربيع الجواء الغربى الممتد من قرية العد إلى الغرب . والمناصير كذلك يكونون أكثر السكان فى الثلث الشرقى ابتداء من قريتي الوهيدة وصریط . وبساتين النخيل كلها تقريباً الممتدة من ثروانية إلى الشرق هى ملك أفراد من آل بلشعر وهم من المناصير . ويملك المناصير الجزء الأكبر من بساتين النخيل الواقعة فى منطقة الجواء . ويأتى المزاريع من بنى ياس بعد المناصير فى كثرة عدد بساتين النخيل التى يملكونها فى الجواء . وهناك جماعات صغيرة أخرى من بنى ياس فى الجواء هى القبيسات والهوامل والمخاربة وآل بومهير . ويملك أفراد من العوامر وآل راشد أيضاً نخيلاً فى جهات متفرقة فى المنطقة آلت إليهم ، إما عن طريق الشراء وإما عن العطاء وذلك فى أزمنة ليست ببعيدة .

الرمال الواقعة إلى الجنوب الغربي من البريمي

٥٣- يقع الختم ، وهو إقليم رملي تتناثر فيه موارد المياه وينتشر فيه النخيل ، إلى جنوب الطريق المؤدى إلى البريمي من ناحية الغرب . ويحدها من الغرب الطف والحمة أقصى أطراف الظفرة إلى الشرق ، ومن الجنوب العروق الرملية الكثيفة المعروفة بالمنادر ، ومن الشرق هضاب الظاهرة .

٥٤- إن نخيل الختم يملكه آل بوشامس وهم فخذ من قبيلة نعيم ، باستثناء قليل منه يقع في الطرف الشمالى الغربى من الإقليم ويعود للمناصير . ومع أن الختم تعتبر بصفة عامة واقعة ضمن ديار آل بوشامس ، إلا أن رجال العوامر هم أكثر الأهالى ارتياداً للإقليم . ويقضى أفراد آل بوشامس أكثر الوقت في قراهم بالظاهرة أو بجوارها ، حيث يزورون الغيوط في الختم لحنى ثمارها في حين أن كثيراً من العوامر يبقون في الختم طوال العام .

٥٥- ويتألف إقليم المنادر من عروق رملية كبيرة تجرى من الشرق إلى الغرب على سباح . وكلمة « منادر » هى جمع « مندر » وهو تعبير يستعمل للدلالة على واد يقع بين عروق رملية . ومنطقة المنادر هى عبارة عن منخفض تصب فيه أودية كثيرة المياه الآتية من جبال الحجر والهضاب الداخلية . ومن بين هذه الأودية وادى الصفا ، وهو مجرى متوسط الحجم في الظاهرة يفصل على وجه التقريب بين الحدود الجنوبية لديار آل بو شامس من نعيم ، وبين الحدود الشمالية لديار الدروع . وبالرغم من فيضان الأودية الموسمى إلى المنادر ، فإن المياه الوحيدة الصالحة للشرب والموجودة هناك دائماً هى مياه أم الزمول التى تقع في نقطة الانتهاء الشرقية لخط الحدود الذى قدم نيابة عن أبو ظبي في مؤتمر

الدمام في يناير عام ١٩٥٢ . ويتجنب البدو المنادر عادة نظراً لندرة مياهها ،
 مع أن بعضهم قد يختصر الطريق فيحترقها ، وفي خلال الشتاء يغتم أفراد
 القبائل فرصة وجود المراعى هناك بعض الأحيان فيرتادونها لرعى إبلهم بعد
 اروائها في المناطق المجاورة .

٢ - منطقة البريمي

٥٦ - إن منطقة البريمي كما تصفها اتفاقية التحكيم هي دائرة تشمل حوالي ١٩٨٥ كيلو متراً مربعاً . وتقع في منتصف الطريق تقريباً عبر قاعدة التواء الأسفيني الكبير في الجنوب الشرقى لجزيرة العرب الذي يفصل الخليج الفارسي عن خليج عمان . ويقع مركز هذه الدائرة في بلدة البريمي على خط العرض الشمالي ٢٤ درجة و ١٤ دقيقة وخط الطول الشرقى ٥٣ درجة و ٤٦ دقيقة ، ويبلغ نصف قطر الدائرة حوالي ٢٥ كيلو متراً . وفي هذه الدائرة تلتقي أطراف الطمي المتناثرة والمكونة على شكل مراوح بفعل عدة أودية متجهة غرباً من سلسلة جبال الحجر ، تلتقي بالرمال الممتدة شمالاً على شكل لسان من أطراف الربع الخالي إلى رأس الخيمة على الخليج الفارسي . وتقع واحة البريمي في أطراف هذه الرمال ، وهناك كثبان رملية مرتفعة بعض الارتفاع ومبعثرة فيما بين القرى التي تشكل هذه الواحة .

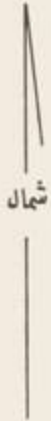
٥٧ - إن كون « منطقة البريمي » منطقة مصطنعة تماماً ، يظهر بوضوح تام من شكله الهندسي البحت (انظر الخريطة الثالثة) ومن الواضح أنه لا علاقة هناك إطلاقاً بين مثل هذه الدائرة الكاملة وبين الحقائق الجغرافية والسياسية وتلك التي تتعلق بتسلسل أجناس البشر . ويجب أن نذكر هذه الحقيقة لدى القيام بأية دراسة عن المنطقة التي تدخل في الدائرة .

٥٨ - وأول ظاهرة جغرافية بارزة في دائرة البريمي ، بعد الواحة نفسها ، هي الطرف الشمالي لمرتفعات جبل حفيت الصخرية المتشعبة التي تبلغ في علوها أكثر من ١٥٠٠ متر عن سطح البحر . ويقع جبل حفيت هذا خارج سلسلة جبال الحجر التي ترتفع منحدراتها من الهضاب الواقعة ضمن محيط دائرة البريمي

قرى البرسي



٢
كيلومترات



عميدان شاصين

ند الغربات

المويقي

المعترض

الجاهلي

العين

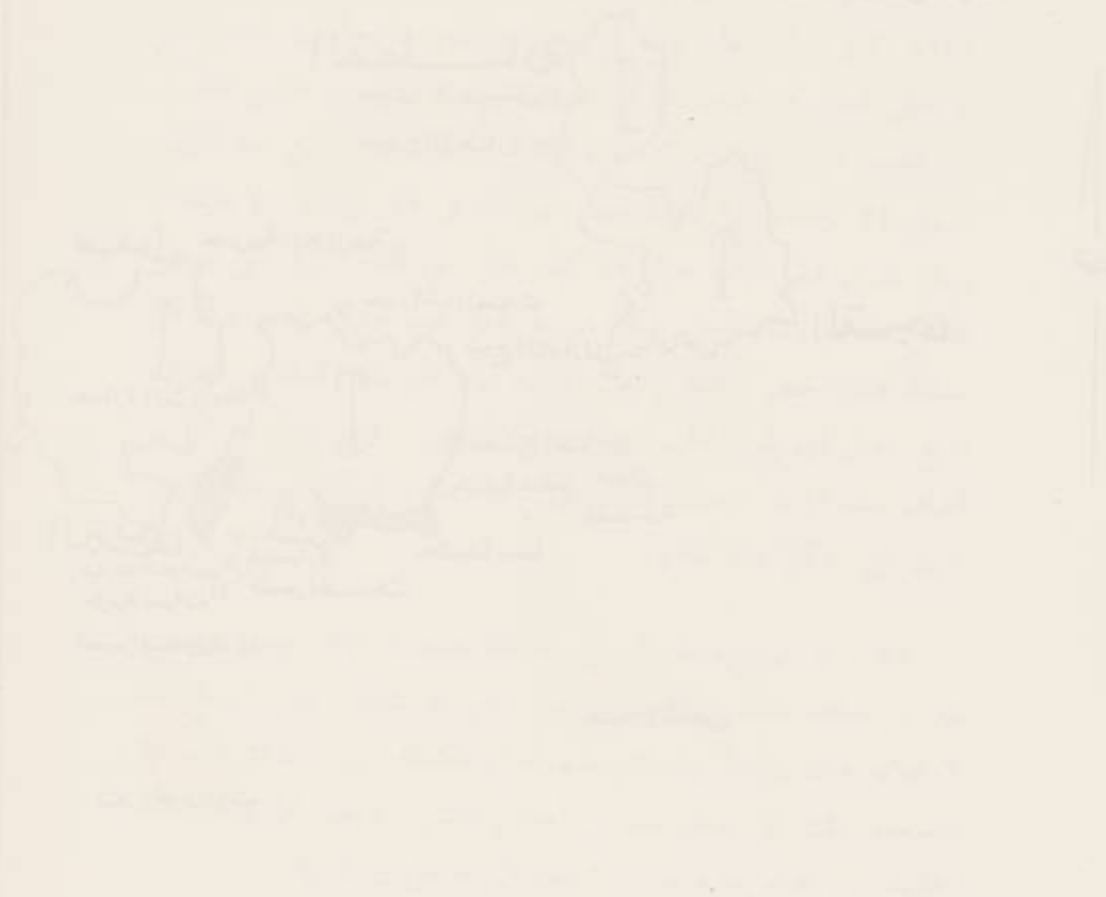
مربعة العين

جبل حفيت

البحر

مخيم الرحمة

مخيم الرحمة



مخيم

مخيم

مخيم



مخيم

من الناحية الشرقية . وتقع البريمي عند السفح الشمالى لجبل حفيت الذى تمتد مرتفعاته جنوباً إلى ما وراء محيط الدائرة ، فى حين تقع قرينا حفيت والقابل عند سفحه الجنوبى . ولا تقسم هذه الدائرة جبل حفيت قسمة غير منطقية فحسب بل إنها كذلك تفصل قرينى حفيت والقابل عن البريمي التى ترتبطان بها ارتباطاً وثيقاً .

٥٩ - ويتألف حوالى ثلث المساحة الواقعة داخل دائرة البريمي من رمال كثيفة نوعاً ما ويقع معظمها إلى الغرب والشمال من البريمي ، أما بقية المنطقة فجزء من هضاب الظاهرة . وفى الربع الشمالى الشرقى الواقع وراء دائرة البريمي توجد قرى قبيلة بنى كعب وأهمها واحة محضة . ويقع مدخل وادى الجزى المهم إلى الشرق من الدائرة ، وترتبط قراه العليا بالبريمي بروابط وثيقة . وإلى الجنوب الشرقى من الدائرة تقع مجموعة أخرى من القرى مبعثرة فى أراضي وادى أجران تعتمد بدورها على البريمي . وكما سيتضح بعد وصف البريمي ، فإن قطاع الظاهرة فى دائرة البريمي لا يمكن اعتباره فراغاً ، وأن القرى الواقعة إلى ما وراء حافة الدائرة سيجرى وصفها بأسهاب فيما بعد .

واحة البريمي

٦٠ - إن اسم البريمي مأخوذ من أكبر قرى الواحة وأهمها كما هو الحال عادة فيما يتعلق بأسماء الواحات فى جزيرة العرب . وتحتوى واحة البريمي على ثمانى قرى وبعض البساتين هنا وهناك متجمعة على شكل مثلث يبلغ طوله تسعة كيلو مترات وعرضه عند القاعدة ستة كيلو مترات . وتقع أكبر مجموعة من بساتين النخيل والقرى فى الوسط وتضم بلدة البريمي وحامسا ، فى حين تقع صعرا قريباً منها إلى الشرق . وأقصى قرى البريمي الواقعة إلى الشمال هى قرية

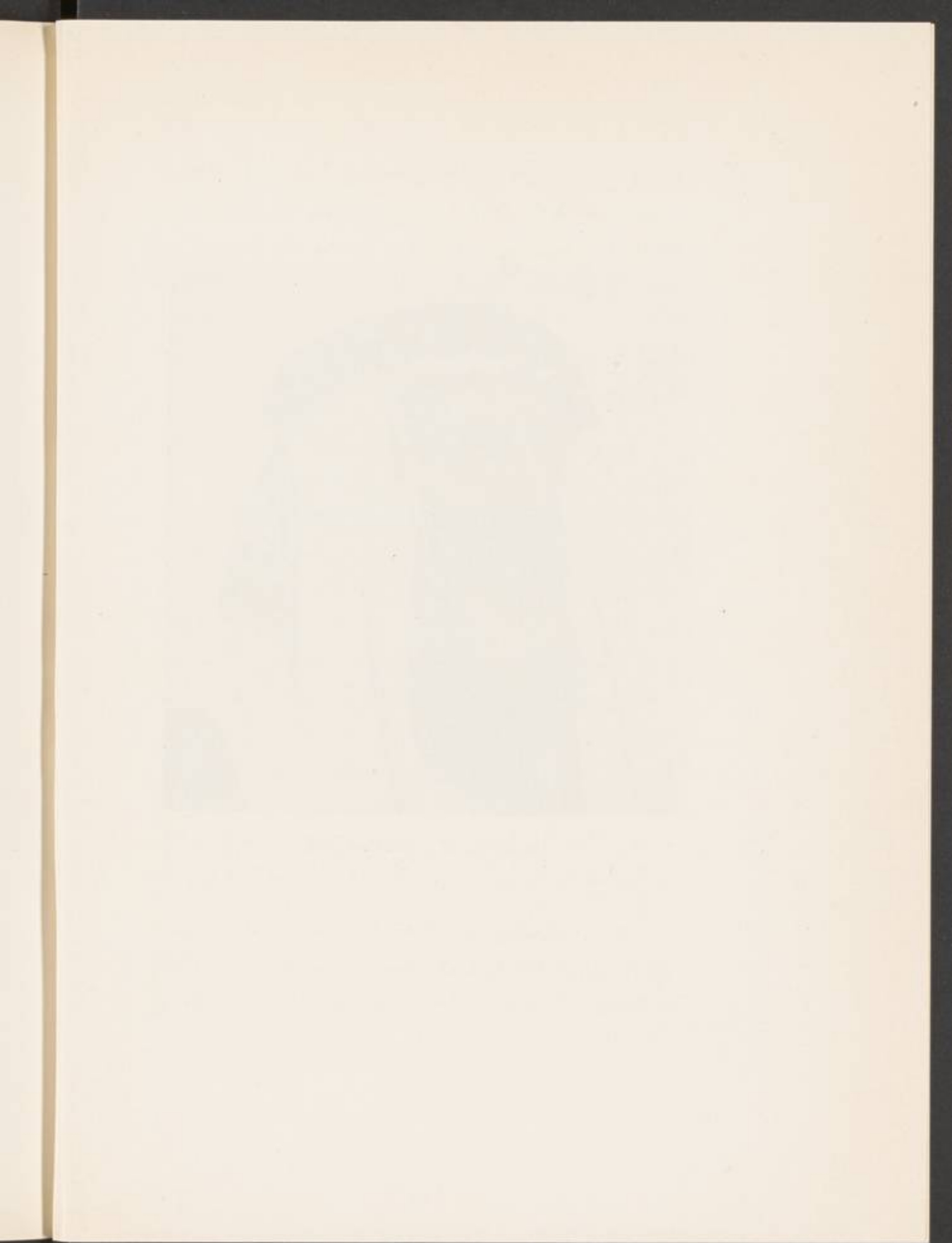
هيلى بينما تقع القرىتان المتلاصقتان القيمى والقطارة إلى الشمال الغربى من المجموعة الموجودة فى وسط الواحة . وتقع قرية العين على بعد كيلو مترين ونصف جنوب بلدة البريمى عبر أراض خالية . وإلى الغرب من العين وراء بساتين الجاهلى التى تكاد تكون مهجورة توجد قرية المعترض . تبلغ مساحة المثلث الآنف الذكر ٣٧ كيلو متراً مربعاً تقريباً ، وتجرى زراعة حوالى خمسها . والمفهوم أن مسقط تطالب بقريتين منها بينما تطالب أبو ظبى بالباقى . إلا أنه لا توجد معلومات رسمية لدى الحكومة العربية السعودية بخصوص هذا الأمر .

٦١ - وتناثر فى واحة البريمى عدة قصور . ولثلاثة منها - وجميعها فى قلب الواحة - صفة تاريخية عظيمة ، تجعل منها رمزاً بالغ الأهمية . والأطلال المنخفضة العريضة التى تحدد موقع قصر الصبارة الذى بناه أول أمير سعودى للبريمى قبيل نهاية القرن الثامن عشر (الفقرة ٢٠ من الفصل الرابع فيما بعد) ، هذه الأطلال تقع فى منعطف بسيط على طرف المنطقة المزروعة الواقعة بين بلدة البريمى وحماسا . أما قصر الخندق الذى يستمد اسمه من الخندق الذى لا يزال يحيط بالموقع الذى أقام الأمير السعودى مطلق المطيرى القصر عليه (الفقرة ٤٩ من الفصل الرابع فيما بعد) ، فيقع فى السهل المنبسط على مسافة قريبة إلى الجنوب الغربى من بلدة البريمى . وقد جرى إصلاح هذا القصر وتوسيعه على مراحل خلال السنين ، وما زال يستخدم كحصن منيع . والقصر الثالث وهو قصر السديرى يقع على بعد نصف كيلو متر تقريباً إلى الجنوب من قصر الخندق . وإن أسواره المتداعية وأبراجه المستديرة تخلد اسم منشئه الذى كان من أعظم أمراء البريمى السعوديين (الفقرة ١٩١ من الفصل الرابع فيما بعد) .

٦٢ - وكان لقصرين آخرين أهمية تذكر فى تاريخ البريمى الحديث . وأحدهما يقع فى بلدة البريمى ويعرف بقصر الحلة وهو معقل صقر بن سلطان - الذى هو من آل بو خريبان أحد القسمين الرئيسيين لقبيلة نعيم - وهو من



راشد بن محمد التجادي من أهل العين في البريمي



أبرز الشخصيات في الواحة . والقصر الآخر هو مربعة العين وقد جرى بناؤه عام ١٩٥٢ على السهل المنبسط شمال العين ، واستخدم حتى عام ١٩٥٤ قصرأ لقيادة قائد القوات البريطانية التي حاصرت تركي آل عتيشان أمير البريمي السعودي (الفقرتان ٨٩ و ١٠٣ من الفصل الخامس فيما بعد) .

٦٣ - وتعتمد قرى البريمي وبساتين النخيل الواسعة في مياهها على جريان الأمطار التي تسقط على جبال الحجر الواقعة إلى الغرب . وتأتي المياه إلى البريمي من خزانات جوفية طبيعية في سفوح الجبال بواسطة عدد من المجارى والقنوات الواقعة تحت الأرض . وتسمى مثل هذه المجارى - المزودة بثقوب للتنظيف والإصلاح - تسمى في الجنوب الشرقى بلجزيرة العرب بالفلج (وجمعها الأفلاج) . وان اعتماد القرى على هذه المجارى يتضح بشكل ظاهر من حالة بساتين الجاهلي التي كانت يوماً زاهرة مزهرة ثم أصبحت اليوم تكاد تكون خاوية على عروشها بسبب خراب مجرى قنواتها الوحيدة . وتعتمد كل من قرى البريمي الثماني على واحدة من هذه القنوات ، ما عدا بلدتي البريمي وحامسا اللتين تشتركان في واحدة ، ثم بلدة العين التي تمتد بها قناتان لا واحدة . أما القناتان اللتان تمدان القيمي والقطارة المتلاصقتين فتمران تحت أجزاء من بلدتي البريمي وحامسا . وتلك حقيقة تفسر اعتماد الأجزاء المختلفة من الواحة كل منها على الآخر .

٦٤ - أما أسواق البريمي فتوجد في بلدة البريمي وحامسا والعين . على أن سوق العين صغيرة ، ويذهب أهلها غالباً إلى السوقين الآخرين لشراء حاجاتهم ولوازمهم . ويأتي عدد كبير من تجار حماسا من نجد ، وهي المنطقة الوسطى في المملكة العربية السعودية ، وقد استقر بعضهم في المنطقة منذ زمن بينما يعتبر البعض الآخر حديثي عهد نسبياً . وهناك كذلك عدد قليل من التجار من أصل فارسي في أسواق بلدة البريمي وحامسا . وتتاجر الأسواق بصفة أساسية في المواد الغذائية والأقمشة والمواد الضرورية الأخرى ، وأهمها في المنطقة التمر

والأغنام والجمال التي تباع في الأسواق عن طريق الدلالين المحترفين . وتعتبر البريمي بالنسبة للبدو المقيمين في الرمال الواقعة إلى الغرب منها مكاناً ملائماً كثيراً ما يرتادونه لشراء لوازمهم .

هيلي

٦٥ - ينتسب معظم سكان قرية هيلي الشمالية إلى قبيلة الظواهر ، ولكن عناصر منهم تأتي من قبائل بني كعب وبني قتب وآل بوحمير وآل بوفلاسا . وللقرية علاقات جد وثيقة بالقطارة إلى الجنوب الغربي كما أنها مصيف محبوب من جانب بدو المنطقة .

القطارة

٦٦ - وتناخم بساتين نخيل القطارة بساتين القيمي إلى الجنوب . وتستمد القرية مياهها من مجرى تحت الأرض ينساب تحت قصر الخندق وتحت جزء من المنطقة المزروعة التابعة لحماسا . ومعظم أهالي القطارة هم من الظواهر . أما رؤسائهم فهم سعيد بن سلطان الدرمكنى ومحمد بن سلطان الدرمكنى وراشد ابن سعيد الدرمكنى . وهناك كذلك بعض السكان من آل بوحمير ومن المشاغبين وهم فخذ من بني قتب .

القيمي

٦٧ - وللقيمي (وتلفظ محلياً الجيمي) مظاهر عديدة شبيهة بمظاهر شقيقتها القطارة إلى الشمال . فكلتا القريتين تعتمدان على مجارى مياه أرضية تمر

تحت قرى البريمي وحامسا . ولا توجد أسواق في أية من القريتين مما أدى إلى أن يتعامل سكانهما بصفة رئيسية في أسواق حامسا وبلدة البريمي . وكذلك فإن القريتين مأهولتان بأفراد من الظواهر ، والشخصيات الرئيسية في القرية هم على بن غانم آل حمودة وشبيب بن محمد بن هلال وعبد الله بن أحمد بن محمد الظاهري .

المعترض

٦٨ - أما أصغر قرى البريمي فهي المعترض . وتقع في الجزء الجنوبي من الواحة بين بساتين المويقي إلى الغرب وحقول الجاهلي المهجورة تقريباً إلى الشرق . ومعظم سكان هذه القرية من الظواهر . وأبرز زعمائهم سلطان بن سرور ابن سلطان ومانع بن محمد .

العين

٦٩ - تقع بلدة العين - أقصى قرية إلى الجنوب الشرقي من قرى البريمي - عند الطرف الشمالي الطويل لجبل حفيت . وتزود قناتا العين والداودي بساتين النخيل بمياه غزيرة ، مما جعل العين من أكثر بلدان الواحة ازدهاراً . أما سوقها فصغيرة ، ولذلك فإن الأهالي يرتادون أسواق بلدتي البريمي وحامسا لقضاء حاجاتهم . ونصف سكان العين تقريباً من النجادات وهي جماعة يعود أصلها إلى نجد ، ولكنها تعتبر الآن تابعة لآل بوخريبان من نعيم . ويعيش أكثر النجادات في القسم الشرقي من العين . وهناك جماعتان أخريان تعيشان في أماكنهما الواقعة في القسم الغربي ، وهما النواصر والمطاوعة من آل بوشامس . وفي الطرف الشمالي من العين يقع حي الكويتات وهم يعودون في الأصل إلى جماعة

هاجرت من الكويت ، وزعيمهم هو محمد بن سعود آل عرار أبرز شخصيات العين ، وينحدر من عائلة مارست السلطة المحلية خلال سنوات عديدة .

صعرا

٧٠ - تقع بساتين النخيل الشاسعة في صعرا إلى الشرق مباشرة من البساتين التابعة لبلدة البريمي والتي يفصلها عنها لسان ضيق من الأرض التي لا تزرع معظم أيام السنة . وتخضع صعرا لسلطة صقر بن سلطان من آل بوخريبان الذي يقيم في بلدة البريمي . ويتألف السكان في أكثرهم من آل بوخريبان ، مع وجود بعض العناصر من بني كعب وبني قتب وآل بو فلاسا .

حماسا

٧١ - يجب تناول هذه القرية التي تعتبر أحياناً حياً من أحياء بلدة البريمي ، على أساس أن لها كياناً مستقلاً . إذ لها سوقها الخاصة التي تعتبر من أكبر الأسواق في الواحة ، كما أنها تدار بشكل مستقل عن بلدة البريمي . وتؤلف بساتين النخيل في حماسا وبلدة البريمي وحدة من الحضرة ، تقع حماسا على طول طرفها الجنوبي وعلى مسافة قصيرة إلى الغرب من بلدة البريمي . وتعود حماسا إلى آل بوشامس من نعيم ، وتقع تحت سلطة راشد بن حمد بن شامس ، كما أنها مقر إقامة أبرز شخصيتين قضائيتين في واحة البريمي هما الشيخ عبد الله بن عبد العزيز آل سليمان قاضي البريمي السعودي ، والشيخ مبارك بن علي بن سالم ابن بشيت من آل بوشامس الذي كان يقطن سابقاً السنية الواقعة إلى الجنوب وهو يعمل قاضياً وخطيباً في آن واحد . وتعيش في حماسا أيضاً جماعة صغيرة من أهل نجد لها نفوذها ومعظم أفرادها من التجار ، كما توجد هناك بضع عائلات من البلوش ومن أهل فارس الذين يتبعون المذهب السني .

بلدة البريمي

٧٢- إن بلدة البريمي التي تقع في وسط الواحة والتي يعرف بالتواتر أنها أول مكان سكن فيه ، هي تابعة لآل بوخريبان من نعيم ، ويمكن اعتبارها المقر الرئيسي للقبيلة ويطلق عليها سكانها عادة اسم الحلة . وأما سوقها فترتادها أهالي قرى أخرى كذلك ، ويشكل قصر الحلة في البلدة وقصر الخندق الواقع على مسافة قصيرة من جنوب البلدة المركزين المنيعين الرئيسيين في الواحة . والسلطة المحلية في يد صقر بن سلطان من آل بوخريبان وهو يقيم في قصر الحلة .

أماكن أخرى في واحة البريمي

٧٣- وفي الجزء الجنوبي من الواحة ، بين المعترض والعين ، تقع بساتين الجاهلي التي تكاد تكون مهجورة . وهناك قصر اتخذ في بعض الأحيان مركزاً رئيسياً لفرق مكافحة الجراد الدولية التي كانت تعمل في تلك المنطقة . وتقع أملاك آل بوفلاح المعروفة بالمواقع إلى الغرب من المعترض ، وتتكون من بضعة مبان حديثة البناء نسبياً وحفنة من الأكواخ المتناثرة التي يسكنها الأتباع والخادم الذين يعنون بالنخيل .

منطقة البريمي

٧٤- أن طابع دائرة منطقة البريمي - كما أشير إلى ذلك في السابق - هو طابع اصطناعي بحت . وكما يمكن التوصل إلى فهم كامل لحقيقة الوضع هناك ، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار المناطق التي ترتبط بهذه الدائرة بصلة

وطيدة رغم وقوعها خارجها . ويشار في هذا العرض إلى هذه البقاع بما فيها منطقة البريمي ، باسم « إقليم البريمي » ، وهو الإقليم الواقع بأسره في شرق جزيرة العرب الخاضع عادة للحكم السعودي والذي تعتبر بلدة البريمي عاصمة له . ويشمل الإقليم شمال بلدة البريمي ديار بني كعب وبني قتب ومضاربهم . ويمتد إلى الشرق حتى يبلغ جبال الحجر فيشمل القرى التابعة لنعيم وبني غيث في وادي الجزى ووادي أجران . وفي الجنوب يصبح الإقليم إلى حد بعيد مرادفاً لمنطقة الظاهرة الجغرافية ، إلا أنهما ليسا شيئاً واحداً . ويضم الإقليم إلى الغرب المناطق الرملية حيث تقوم بوجه خاص ديار آل بوشامس من نعيم . وستوصف أقسام إقليم البريمي المتعددة ببعض التفصيل في الفقرات اللاحقة .

٧٥ - أما اعتبار إقليم البريمي جزءاً من عمان ، فهذه مسألة تعود إلى تعريف عمان . ويطلق اسم عمان عادة خارج شرق جزيرة العرب على تنوع شبه الجزيرة بأسره الذي يقع شرق خط وهمي يمر بجوار أبو ظبي على الخليج الفارسي حتى يبلغ جوار جزيرة مصيرة في بحر العرب . وينعكس هذا الاستعمال في إطلاق الغربيين اسم « خليج عمان » على ذلك القسم من بحر العرب الذي تقع عليه مدينة مسقط ، كما يظهر في عبارة « ساحل عمان » التي تتردد مراراً كمرادفة لساحل الصلح . وتميل غالبية الناس على كل حال في شرق جزيرة العرب نفسها إلى إطلاق اسم « عمان » على منطقة المضاب والجبال الواقعة في الداخل ، حيث تمتد سلسلة جبال الحجر الرعة على شكل قوس مواز تقريباً لحافة خليج عمان الغربية ، وتبلغ في ارتفاعها أكثر من ثلاثة آلاف متر عند مرتفعات الجبل الأخضر . وعند ما يقول المرء في ساحل الصلح إنه « ذاهب إلى عمان » فإنه يفهم من ذلك أنه ذاهب إلى البريمي أقرب جزء من عمان ، وهو كذلك الجزء الذي يمر منه عادة في طريقه إلى أية ناحية أبعد في عمان .

بلاد بنى قتب

٧٦ - إن قبيلة بنى قتب هي القبيلة السائدة في المنطقة الواقعة بين جبال الحجر والساحل الجنوبي الشرقي للخليج الفارسي في مواجهة المدخل الغربي لوادي القور وحول واحة الذيد . فهنا يعيش أفراد هذه القبيلة البدو في حين يقطن عدد مماثل تقريباً من الحضرة في القرى المعروفة بأفلاج بنى قتب في الجزء الجنوبي من الظاهرة . وشيخ الجماعة الشمالية لبنى قتب هو محمد بن علي بن هويدن ومركزه في الذيد . وقد كانت هذه الواحة الصغيرة أكثر ازدهاراً مما هي عليه الآن ، ففي خلال الحرب العالمية الثانية ازدادت الحاجة إلى الفحم في الخليج الفارسي مما أدى إلى اقتلاع عدد كبير من أشجارها وحرقتها .

٧٧ - وتروى المياه التي تنحدر من المرتفعات ، الرمال والسهل الضيق الذي يقع في الجانب الغربي من جبال الحجر حيث تمتع بنى قتب بحقوق الأولوية هناك . وبالتالي يندر أن تجف الآبار هناك وتتجدد المراعى بانتظام . وقد جعلت هذه القبيلة قيمة كبيرة للصدقة معها إذ أنها تتحكم بفضل عددها ونشاطها ومركزها الاستراتيجي في مدخل وادي القور وهو طريق السيارات الوحيدة عبر جبال الحجر . فقد حاول حاكم الشارقة مراراً في السنوات الأخيرة أن يحمل محمد بن علي بن هويدن على قبول مساعدة مالية سنوية ، ولكنه كان يرفض هذا العرض في كل مرة ويقول إن هذه القبيلة تابعة للمملكة العربية السعودية .

بلاد بنى كعب

٧٨ - تقع واحة محضة وهي أهم قرية من قرى بنى كعب إلى الشمال الشرقي من البريمي وخارج حافة دائرة البريمي على مسافة قريبة جداً . وكانت مقراً لشيخ

هذه القبيلة عبيد بن جمعة المزاحمي ، إلى أن اضطر إلى هجرها في يونيه ١٩٥٣ بسبب الإجراءات العسكرية البريطانية ، فانتقل عبيد إلى الجبال في الداخل وأقام في قرية الخطوة ، ثم استقر فيما بعد في حماسا إحدى قرى البريمي .

٧٩ - وعلى مسافة قريبة إلى الشمال من محضة تقع القريتان المتجاورتان شرم والنويجي التابعتان لبني كعب أيضاً والواقعتان مثل محضة داخل النطاق الصخري للحجر . وتقع سلسلة هامة من قرى بني كعب في سهل ضيق مرتفع بالقرب من أواسط تلك الجبال ، أهمها ابتداء من الشمال إلى الجنوب الخضرا والرمثة وعبول والخبيب وبوقلعة وعسيلة وحيوان ومصح والخطوة والخبين والظاهر .

٨٠ - إن بني كعب هم حلفاء نعيم القريبين منهم في البريمي . وكثيراً ما يترددون باستمرار على أسواق حماسا وبلدة البريمي الزاخرة بالبضائع ، كما يقيمون مع جماعات من نعيم في الحوض الرملي للوديان (أو الويدية) على مسافة قريبة إلى الشمال من البريمي .

قرى وادي الجزى

٨١ - تقع الطريق الهامة عبر جبال الحجر في اتجاه شرقي مستقيم من البريمي التي تتكون في معظمها من وادي الجزى المنحدر شرقاً . وتصل هذه الطريق بين البريمي وبلدة صحار الواقعة على خليج عمان ولكن السيارات لم تطرقها سوى مرة واحدة فقط عقب نهاية الحرب العالمية الثانية بمدة وجيزة عند ما بعث سلطان مسقط بقوة مسلحة عبر هذا الممر لحراسة جماعة من شركة استيراد البترول (ساحل الصلح) المحدودة التي كانت تنقب عن الزيت . وقد احتج رجال القبائل في وادي الجزى على هذا التعدي لدرجة أنهم دمروا الطريق فحالوا من ذلك الحين

دون مرور أية سيارات . على أن هذه الطريق على كل حال لا تزال تستخدم لمرور قوافل الإبل .

٨٢ - يصل المرء إلى رأس وادى الجزى عقب ارتقاء غير صعب من البريمي وتقع هناك ثلاث قرى تربطها بالبريمي علاقات وطيدة . فى الجانب الشمالى للوادى تقع الرابى وتواجهها فى الجانب الجنوبى الحيل وكلتاها تابعتان لبنى غيث المتصلين منذ زمن طويل بآل بوخريبان من نعيم رغم عدم انحذارهم من أصل واحد . أما واسط ، القرية الثالثة ، فتقع على مسافة غير بعيدة إلى الجنوب من الحيل وهى تابعة لآل بوشامس من نعيم . وفى فرع لوادى الجزى جنوب غرب هذه القرى تقع كتننا وهى قرية أخرى تابعة لآل بوشامس .

٨٣ - إن قبيلة المقابيل هى القبيلة السائدة فى أواسط وادى الجزى ، وقريتها الرئيسية هى الخان . وتقوم فى أسفل الخان مباشرة أبراج المراقبة المسماة بروج الشجيري التى يعتبرها أهالى الوادى معالم تحدد مدى سلطة سلطان مسقط فى هذا الاتجاه .

قرى وادى أجران

٨٤ - يضم مضيق وادى أجران الصخرى الواقع على بعد خمسين كيلو متراً جنوب شرق البريمي مجموعة من القرى . وينحدر هذا الوادى غرباً غامراً بسيوله الموسمية السهل الواقع شرق جبل حفيت . وتقوم على مدخل الوادى قريتا أجران والفياض التابعتان لآل بوشامس من نعيم . وأما فى الأطراف العليا فإن القبيلة السائدة هى بنى غيث المتصلة بآل بوخريبان من نعيم ، وأكبر قراها هما الحریم والسودى .

الظاهرة

٨٥ - تقع الظاهرة ما بين الرمال والجانب الغربي لسلسلة جبال الحجر ، تقابله اسماً وحقيقة الباطنة الواقعة في الجانب الآخر من الجبال . والظاهرة هي هضاب تشتمل على سهول عديدة مكسوة بالطمي المتناثر وكذلك على جبال صخرية منفردة من أمثال جبل حفيت ، إذ أنه يقع بعيداً عن سلسلة الجبال الرئيسية . وعادة تعتبر ملة كحل (خط العرض الشمالى ٢٤ درجة و ٣٠ دقيقة) حدها الشمالى ، وتمتد جنوباً إلى جوار عبرى (خط العرض الشمالى ٢٣ درجة و ١٥ دقيقة) . والبريمى هي المركز الرئيسى في البقاع الشمالية للظاهرة ، ولحفيت والقابل الواقعتين قرب هذا المركز أهميتهما . وإلى الجنوب تقع السنينة ، ثم صنك وعبرى وهما بلدتان كبيرتان ، ثم الواحات التي يمتلكها بنى قتب والبلوش . أما قرى بنى كعب وتلك الواقعة في وادى الجزى ووادى أجران فتقع داخل جبال الحجر وليس داخل الظاهرة بالمعنى الصحيح . ولكنها على كل حال مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بأراضى الهضاب لدرجة أن السكان المحليين يعتبرون بعضاً منها على الأقل ، كمحضة مثلاً ، تابعة للظاهرة .

قرى نعيم جنوبي البريمى

٨٦ - في الناحية الجنوبية لحافة جبل حفيت الطويلة وخارج نطاق دائرة منطقة البريمى على مسافة قصيرة جداً ، تقوم واحتا حفيت والقابل التابعتان كلتاها لقبيلة نعيم ، حيث يقطن أفراد من التسمين الرئيسيين لهذه القبيلة ، آل بوشامس وآل بوخريبان ، في حفيت بينما يقطن في القابل أفراد من آل بوشامس وحدهم .

٨٧ - تزود حفيت بالمياه بواسطة فلجين أحدهما يجري من طرف جبل حفيت القريب والآخر من التلال البعيدة القائمة عند قاعدة سمنح الحجر . ويتفرع الفلجان لرى الأجزاء الأربعة الرئيسية لهذه الواحة وهى بوبقرة والغربي وحارة العواودة وحارة الكلابنة . وتتركز السلطة المحلية فى يد أحمد الصلف الذى يعمل تحت سلطة صقر بن سلطان آل حمود فى بلدة البريمى . أما القابل التى تزود بالمياه بواسطة قناة تمر تحت الأرض وتمتد من جبل حفيت فيشرف على إدارتها محلياً محمد بن سالمين بن رحمة من أهل السنينة الواقعة إلى الجنوب على مسافة غير بعيدة .

٨٨ - وتقوم مجموعة أخرى من القرى التابعة لآل بوشامس من نعيم فى سهل الظاهرة المنبسط على بعد أربعين كيلو متراً جنوبي جبل حفيت . وأكبر قرى هذه المجموعة هى السنينة بلدة محمد بن سالمين بن رحمة من آل على وهو أكثر رؤساء نعيم نفوذاً فى المنطقة الواقعة بين جبل حفيت ووادى الصفا جنوبي السنينة . وتقع على جوانب السنينة قريتا المرموزى والريحانى ، كما تقع بالقرب منها المشروح والراكى وهى أماكن كثيراً ما يجرى ضرب الخيام فيها .

٨٩ - إن ضنك هى أكبر القرى التابعة لنعيم وحدهم جنوب البريمى ، وهى واحة خصبة تقع فى الثغرة الضيقة جداً فى السفح الغربى للحجر حيث يظهر وادى ضنك ممتداً إلى رمال الربع الخالى . وتؤفى مزارع النخيل فى ضنك وبساتينها ثماراً لها شهرتها الواسعة . وتنقسم القرية إلى سبعة أحياء رئيسية يسيطر على كل منها بطن من نعيم ، وتكاد تنقسم بالتساوى بين قسمى نعيم ، آل بوشامس وآل بوخريبان .

أفلاج بني قتب

٩٠ - إلى الجنوب من ضنك وفي سهول الظاهرة تقوم سلسلة من القرى معروفة بمجموعها بأفلاج بني قتب . وكلمة أفلاج ، كما ذكر آنفاً ، هي جمع كلمة فلج التي تطلق على قنوات المياه التي تمر تحت الأرض والتي تعتمد عليها معظم القرى . وقرى أفلاج بني قتب التسع ابتداء من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي هي الختم والخفيف وأبو خاني (فلج عامر) والافرنجى والشيبينى وبوسيله (فلج الشكيلى) والحين والقابدى والمعمور . وتتبع قرية الافرنجى آل عزيز من نعيم ، الذين يقطن رئيسهم ، مطر بن سالم ، في ضنك . أما بقية هذه القرى فتابعة لبني قتب . ويتزعم هذه الجماعة من حضر بني قتب الذين يختلفون عن أبناء عموماتها من البدوشمالى البريمى ، ذبيان بن محمد بن على بن ربيع وابن أخيه على بن محمد بن على بن ربيع ومركزهما في المعمور .

قرى البلوش

٩١ - هنالك ثلاث قرى في الظاهره تابعة للبلوش تقع في منتصف المسافة تقريباً بين أفلاج بني قتب وبلدة عبرى ، وهذه القرى هي المازم والصبيخى ومشارب . إن المازم هي العاصمة القبلية للبلوش الحضر في ذلك الجوار بالرغم من أن زعيمهم الأكبر راشد بن سعيد آل إسماعيل كان يعيش منذ سنين في بلدة العراق الواقعة في وادى الكبير وراء عبرى . ويمتلك البلوش جزءاً كبيراً من بلدة العراق .

الحدود الجنوبية لإقليم البريمي

٩٢ - إن عبري ، البلدة الهامة (خط العرض الشمالى ٢٣ درجة و ١٤ دقيقة وخط الطول الشرقى ٥٦ درجة و ٣٤ دقيقة) هى المدخل لامامة عمان الدولة المستقلة التى تضم معظم القسم الأوسط من سلسلة جبال الحجر ، وكذلك منطقة الهضاب الواقعة بينها وبين رمال الربع الخالى . وينتمى أهالى الامامة إلى فرقة الاباضية فى الإسلام ويتنخب الإمام الذى هو مرجعهم الأعلى ليشغل منصباً مزدوجاً ، دينياً ومدنياً (الفقرة ٦ من الفصل الرابع فيما بعد) . والإمام الخالى الذى انتخب عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٤ م) هو غالب بن على من بنى هناء وعاصمته نزوى .

٩٣ - إن الأراضى الواقعة فى قلب عمان التى يطلق عليها أحياناً عمان الداخلية تضم البلدان القديمة المشهورة التالية : نزوى وأزكى وبهلا ويبرين . وإلى الشمال من عمان الداخلية يقع إقليم الجبل الأخضر الذى يحكمه سليمان بن حمير وهو من أكبر أنصار الأمام . وتمتد أراضى الامامة إلى الغرب والجنوب الغربى حتى تبلغ سهول قبيلة الدروع المليئة بالأودية ، ورمال الربع الخالى حيث تتاخم الإمامة المملكة العربية السعودية ، ولكن الحدود المشتركة لهاتين الدولتين الصديقتين لم ترسم بعد .

٣ - أبو ظبي ومسقط

٩٤ - ليس من الضروري في هذا العرض إعطاء أى وصف تفصيلي لأبو ظبي ومسقط . وعلى كل حال فإننا نسترعى الانتباه هنا إلى صغر مساحة أبو ظبي وضآلة أهميتها بالنسبة للمنطقة التي تطالب بها ، وكذلك إلى انعدام وجود أية صلة جغرافية بين مسقط والمنطقة التي تدعى بها .

٩٥ - وتضم أبو ظبي بلدة واحدة فقط وهي لا تتعدى كونها قرية لصيد السمك ولا تزيد في سكانها على بضعة آلاف ، ومن هذه القرية تستمد أبو ظبي اسمها . وهناك على الأقل اثنتان من مشيخات ساحل الصلح تفوقان أبو ظبي في المساحة والأهمية التجارية وهما دبي والشارقة . وموقع أبو ظبي غير ملائم اللهم إلا لأغراض بحرية ، فهي تقع على الطرف الذي يواجه البحر من جزيرة تفصلها عن البرمخاضة لا يمكن عبورها إلا عند الجزر (قارن بالفقرة ٧ من الفصل الرابع فيما بعد) . ولقد اعترفت المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٩ بطابع أبو ظبي البحري في جوهرة ، وذلك عند ما اقترحت خطأً للحدود بين الدولتين يعطى أبو ظبي جزءاً له قيمته من الساحل . ولذلك فن الجلي أن مطالبة أبو ظبي بعدة قرى تفوق عاصمتها حجماً ، هي في الواقع مطالبة شاذة .

٩٦ - إن ممتلكات سلطان مسقط في جزيرة العرب تقع في الركن الجنوبي الشرق لساحل الجزيرة ، وتجري المواصلات بين مختلف أجزاء السلطنة على الأغلب عن طريق البحر . وجميع المناطق التي يسلم بسلطة السلطان فيها كالباطنة وإقليم مسقط ومطرح وكذلك البقاع التي تحيط بسلالة في ظفار ، تقع في السواحل المنخفضة وهي تختلف جغرافياً عن الجبال والأقاليم الواقعة عبر الجبال . وقد قام سكان وادي الجزى ، وهو الطريق المباشر عبر جبال الحجر الذي يصل بين

البريمي والباطنة ، بسده للحيلولة دون استعماله من قبل الأهالي التابعين للسلطان (الفقرة ٨١ السابقة) . أضيف إلى ذلك أن الأهالي من وادي الجزى غرباً لم يظهر وا أية رغبة في قبول حكومة السلطان طوعاً واختياراً ، وكما سيجرى تبين ذلك في الفصل الثالث ، فأنهم من حيث الشعور قد أجمعوا على كونهم سعوديين من صميم قلوبهم .

Faint header text at the top of the page, possibly a title or address.

First main paragraph of faint text, starting with a capital letter.

Second main paragraph of faint text, continuing the narrative or list.

Third main paragraph of faint text, appearing to be a separate section.

Fourth main paragraph of faint text, possibly a concluding statement.

Fifth main paragraph of faint text, located near the bottom of the page.

Faint text at the very bottom of the page, possibly a signature or date.

الفصل الثالث

السكان والقبائل

آراء عامة

١ - إن على الهيئة بموجب المادة الرابعة من اتفاقية التحكيم أن تأخذ بعين الاعتبار « التنظيم القبائلي ، وطرق حياة القبائل الساكنة في المنطقة ذات الشأن » . ولهذا الغرض فإن هذا الفصل من العرض يقدم سرداً مفصلاً عن القبائل وطرق معيشتهم وولائهم . وإن البحث التاريخي الذي يشكل الفصل الرابع من هذا العرض ، يتناول معلومات أخرى عن « الولاء التقليدي » للسكان الذي تطالب المادة الرابعة أيضاً بالنظر فيه . وقبل أن نبدأ في وصف القبائل المعنية في المناطق المتنازع عليها سنتناول بالبحث بعض الآراء العامة المتعلقة بالحياة القبلية . وإنه لما هو جدير بالاعتناء أن هذا الموضوع هو موضوع معقد ، وأن أفضل وسيلة لتفهم النواحي العديدة للحياة القبلية ، هي القيام بزيارة لتلك المناطق والتحدث إلى السكان أنفسهم .

٢ - إن الظاهرة البارزة في المجتمع العربي هي أهمية العائلة وبالتالي أهمية القبيلة التي هي العائلة الكبيرة . ففي الجماعات الصغيرة يتكلم رب العائلة باسم جميع أبنائه وأقاربه ، وفي الجماعات الكبيرة التي قد تكون منحدره من أصل واحد ، فإن الشيخ أو الأمير يتكلم باسم جميع الرؤساء الذين هم دونه والذين يعززون سلطته بتأييدهم له . وفوق الرئيس القبلي تأتي الحكومة المركزية التي تؤيد سلطته وتعمل في جميع المجالات الأوسع نطاقاً من القبيلة . وثمة خطأ شائع بأن

البدو الرحل فقط هم الذين ينتمون إلى القبائل ، إذ أن معظم حضر جزيرة العرب وكذلك جميع السكان في المناطق المأخوذة هنا بعين الاعتبار ، يشتركون في نظام اجتماعي قبلي صحيح . ولهذا السبب فإن من الممكن تقديم وصف لأهالي المناطق المتنازع عليها قبيلة " قبيلة " .

٣ - كان سكان جزيرة العرب منذ ما قبل تاريخهم المدون يعالجون حقائق الطبيعة بطريقتين منطقتين بسيطتين ، فحيثما تتوفر المياه الكافية ينووا بيوتهم ويستقروا لفلاحة الأراضي وبيع منتجاتهم ، وصناعة أدواتهم ولوازمهم الأخرى وتصليحها ، وفي المناطق الشاسعة حيث تتوقف مقادير المياه على الأمطار المتقطعة فهم يعيشون حياة البدو الرحل ولكنهم لا يهيمون على وجوههم بل ينتقلون في البلاد طبقاً لنظام معين كما يفيدوا من الآبار المملوءة بمياه الأمطار ولرعى قطعان إبلهم وحيواناتهم الأخرى . وعلى وجه العموم لا يتبع البدو أو الحضر في المناطق موضع البحث أية من هاتين الطريقتين للمعيشة دون الأخرى ، ذلك أن كثيراً من البدو الرحل يقيمون مدداً طويلة داخل الواحات أو بالقرب منها ، بينما يملك كثير من الحضر مواشى وأغناماً يأخذونها للرعى في الصحراء مدداً معينة من الزمن . وفي الحقيقة إن جميع القبائل الموجودة في هذه المناطق تتألف على السواء من بدو وحضر .

٤ - إن حياة الأفراد الرحل في أكثر أوقاتهم من القبائل التي هي موضع البحث تختلف بطبيعة الأمر عن حياة إخوانهم الذين هم أكثر استقراراً ، وإن عملهم كزراعة يستلزم بالضرورة أن ينتقلوا ذهاباً وإياباً في الصحراء . على أن هؤلاء البدو ليسوا قومياً بلا موطن ، ولا هم من الثورة الهائمين بل إنهم يوجدون في الظروف العادية في ديارهم القبلية التي وصفها بكل دقة الكولونيل دكسون ، أحد الثقات البريطانيين :

لكل قبيلة من البدو في الجزيرة العربية ديرتها أو بلادها القبلية التي تجول فيها مع إبلها في الحريف والشتاء والربيع ، والتي توجد فيها آبارها الدائمة وهي المستلكات التي يعتز بها أقسام القبيلة المختلفة التي تخيم عليها أثناء الصيف (١) .

فالقبيلة لا تبقى دائماً داخل ديرتها في حين أن أفراداً من القبائل الأخرى تضرب خيامها بين حين وآخر مع أصحاب الديرة . غير أن هذا لا يحدث إلا بعد موافقة أصحاب الديرة وصدور إذن من الحكومة المركزية ولا يكون ذلك إلا لغرض المرعى . ويحق للقبيلة أن تترك ديرتها إذا كانت المراعى مجدبة غير أن ذلك لا يعنى بأنها تنازل عن حقوقها فيها . فعلى العكس من ذلك فإن القبيلة تعرف دائماً بديرتها ، وعند ما تنتقل إلى ديرة أخرى فإنها تغتم بلهفة الفرصة الأولى للعودة إلى ديرتها . وهناك أمثلة هامة حديثة العهد على معالجة الحكومة العربية السعودية لهذه الأمور ، وقعت في عام ١٣٧٣ هـ (صيف ١٩٥٤ م) عند ما عملت الحكومة على السماح لقبيلة شمر في شمال الجزيرة بالانتقال إلى ديار مطير والعوازم في أواسط الجزيرة كيما تنفيذ من المراعى والمياه هناك .

٥ - والبدو يقدمون مساهمة ملموسة للمصلحة الاقتصادية العامة في جزيرة العرب إذ أنهم يعينون أنفسهم ويقدمون فائضاً من المنتجات الحيوانية لاستعمال الحضر ، وإن أهالي جزيرة العرب لا يطعنون في أسلوب حياة البدو الرحل أو يقللون من قيمة مساهمتهم في مضمار ثقافة الجزيرة ، فقد أشاد بها شعر العرب ونثرهم ، بأنها تنطوي على كل معاني النبل والشرف ويفخر العرب بأنهم يعودون في أنسابهم إلى أجداد من البدو الرحل . إن البدو هم جزء لا يتجزأ من حياة أي بلد صحراوي من الوجهة الثقافية والاقتصادية وأمر السيطرة عليهم ليس مشكلة بالنسبة للحكومة لها خبرتها في معالجة

(١) الكولونيل دكسون « عرب الصحراء » (١٩٤٩) ص ٤٦ . كان الكولونيل دكسون ضابطاً سيامياً بريطانياً في منطقة الخليج الفارسي مدة سنوات طويلة .

أمورهم . ويجوز في هذا الصدد مقارنة الأحوال في المناطق الشرقية والغربية من محميات عدن مع الأحوال في المملكة العربية السعودية .

٦ - ويشير البدو إلى أنفسهم في بعض الأحيان بأنهم « أهل البعير » ، وذلك بسبب اعتمادهم في الغالب على هذا الحيوان للمواصلات ، والغذاء ، وغير ذلك من ضرورات الحياة . وهذا التعريف ينطبق على بدو المناطق المتنازع عليها بشكل أكثر إقناعاً من انطباقه على جيرانهم في الشمال . فبدون الجمال تستحيل المعيشة في كثير من الأجزاء الرملية ، إذ أن لبن النياق هو الغذاء الرئيسي للبدو لعدة شهور من السنة . والمياه في كثير من الآبار ملحة جداً لاستهلاك بني الإنسان ، إلا أن الجمال لا تجد صعوبة في شربها . ويتيح ذبح بعير إقامة حفل من وقت لآخر ، وذلك أن البدو في المناطق المتنازع عليها لا يملكون إلا القليل من الأغنام ، حيث أنها تعرقل تنقلات مثل أولئك القوم السريعي الحركة .

٢ - آل مرة

٧- إن قبيلة آل مرة هي من أكبر القبائل وأقواها في جنوب جزيرة العرب . وأفرادها الأشداء هم في الأغلب من البدو الرحل وهم مغرمون بوجه خاص بالتجول في الصحارى الرملية الواسعة في جنوب الجزيرة وشرقها .

٨- وهناك قليل من القبائل العربية الكبيرة قد أسىء فهمها وطعن فيها بشكل لا يقل عما رميت به قبيلة آل مرة . فمثلا ، تصف الأميرالية البريطانية في كتاب « دليل جزيرة العرب »^(١) القبيلة بأنها « متوحشة » وكذلك بأنها « تعيش على السلب والنهب من دون خجل » كما تقول بأن أفراد القبيلة « أقرب ما يكونون لعبدة أوثان » ولهم من « المميزات الحسبانية واللغوية ما يؤهلهم لأن يكونوا بقايا السكان الذين استوطنوا جزيرة العرب قبل سكانها العرب الحاليين » وعلى كل حال ، فإن الوصف يضيف في نوبة من نوبات الاستعراض الصحيح بأن « سوء سمعتهم قد يكون مرجعه أيضاً لقله ما يعلمه العالم الخارجى عنهم » . والبيانات المدرجة هنا تبين أن هذه التقديرات غير المرضية عن القبيلة ليس لها في الواقع أى أساس .

٩- إن رمال الربع الخالى التى قاسمت قاطنيتها سمعتهم المريعة مدة طويلة من الزمن ، هى من المناطق التى يفضلها البدو . فعند ما تقل المراعى فى السهول ، وتجف الآبار ، فإنك قد تجد آل مرة فى أراضيهم ، التى يقال إنها قاحلة ، يعنون بأمور قطعان سمينه من الإبل ويعيشون فى راحة إلى حد ما . وتتطلب هذه المناطق الشاسعة من الرمال من سكانها معرفة دقيقة بأمور الطبيعة ،

(١) بريطانيا العظمى ، الاميرالية ، هيئة الأركان البحرية ، إدارة المخابرات البحرية ، القسم الجغرافى « دليل الجزيرة العربية » مجلد ١ (١٩١٦) ص ٨٨ .

ولمأماً يكاد يكون تاماً في اتجاهات السير . والفرد العادى من هذه القبيلة هو أستاذ في فنون الصحراء ، ومعروف بمقدرته على الصيد وعلى تدريب كلابه لهذا الغرض .

١٠ - إن مهارة آل مرة في كونهم قصاصى أثر الرجال والصيد ، قد بلغت من الشهرة بحيث أن كل فصيلة تقريباً من الشرطة في شرق المملكة العربية السعودية تضم فرداً من هذه القبيلة . فإن بوسعهم أن يقصوا أقل الآثار وضوحاً عبر أكثر الأسواق ارتياداً وفي الأراضى الأخرى التى تبدو بلا أثر حتى بعد مرور مدة طويلة على انطباع تلك الآثار . وفي المحاكم العربية السعودية فإن لشهادة أولئك القصاصين أهمية تعادل تقريباً أهمية خبراء البصمات .

١١ - لا يقل إخلاص آل مرة عن إخلاص أية قبيلة أخرى في جزيرة العرب في مراعاة أمور دينهم ، فقد قبلوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وعند ما بدأ الملك عبد العزيز في بداية القرن الحالى يوطن القبائل في هجر حيث يتلقون التعليمات الدينية الصحيحة ، أنشئ عدد من هذه القرى لآل مرة . وقد اختير أمراء هذه القرى من بين كبار الرؤساء المحترمين من آل مرة الذين لا يزالون هم وأبناؤهم يحتفظون بمراكز الرئاسة في القبيلة . وتقع قرىتان من هذه القرى وهى السكك ونباك قريباً جداً من نقطة الانتهاء الغربية لحط الحدود الذى طالبت به أبو ظبي عام ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) .

١٢ - إن إحدى الحجج القديمة التى تظهر بين الفينة والأخرى للطعن في نقاء عنصر آل مرة هى الزعم بأن لهجتهم غير مفهومة وهذا مثال على خطأ المراقبين بسبب عدم كفايتهم . إذ أن من يعرف اللغة جيداً يجد أن هذه القبيلة تتكلم لغة عربية فصيحة فريدة في نوعها إذا ما قيست باللغة العربية القديمة كما سجلها الأدب العربى . والذين يجدون لغة آل مرة صعبة الفهم فذلك موده إلى

تعودهم على لهجات أخرى أكثر بعداً عن اللغة العربية الفصحى . وإن لغة آل مرة من حيث اللفظ والمادة والنحو لتشابه إلى حد بعيد لغة أجدادهم الأولين . ومما لا شك فيه أن عزلة هذه القبيلة النسبية في الرمال قد ساعدت على تناقل اللغة المتداولة من جيل لآخر دون أن يطرأ عليها أى تغير يذكر .

١٣ - وكان آل مرة من بين المؤيدين الأوفياء للعائلة الحاكمة في المملكة العربية السعودية . فعند ما كان الملك عبد العزيز قتي صغيراً التجأت جماعته التي هاجرت من الرياض إلى آل شريم وهم الرؤساء الكبار لهذه القبيلة . ولدة من الزمن أخذ ملك المستقبل يروح ويغدو مع البدو من آل مرة (الفقرة ٢٧٥ من الفصل الرابع فيما بعد) وأن المعرفة الشاملة الدقيقة لحياة البدو التي كان يتمتع بها الملك الراحل إنما يعود الفضل فيها إلى خبرته هذه .

١٤ - عند ما قدم السر أندروريان الاقتراح البريطاني للحدود في سنة ١٩٣٥ م (الفقرتان ٣٧ و ٣٨ من الفصل الخامس فيما بعد) زعم أن هذا الاقتراح كان مبنياً على أساس حدود آل مرة (الملحق ١٧) . وقد جرى تصديق هذا الاعتراف البريطاني بالطابع السعودي الذي يتسم به آل مرة في الكتابين المتبادلين (الملحق ٢٣) اللذين ارفقا باتفاقية الصداقة وحسن الجوار المعتمدة في ربيع الثاني ١٣٦١ هـ (٢٠ إبريل ١٩٤٢ م) بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتحدة نيابة عن الكويت . إن القبيلة بأسرها تدفع الضرائب سنوياً إلى الحكومة العربية السعودية (انظر المجلد الثالث) ، وكذلك يتضح من الوصف التالي لديرة آل مرة أنه لا يمكن للمرء مهما تمادى في خياله أن يتصور أن هذه القبيلة ليست سعودية .

١٥ - إن القليل من القبائل العربية تمتلك ديرة أكبر من ديرة آل مرة . وهذه القبيلة سائدة في معظم أنحاء الربع الخالي وتمتد ديرتها إلى رمال الدهناء

غرباً ، والهفوف شمالاً ، وديار المناصير على طول الساحل الجنوبي للخليج الفارسي شرقاً . وآل مرة يرعون إبلهم حتى نجران غربى الربع الخالى وحتى الكدن والظفرة إلى الشمال الشرقى ، ولكن مراعيهم المفضلة تقع فى الربع الخالى بين خط الطول الشرقى ٤٨ درجة وخط الطول الشرقى ٥٤ درجة وكثيراً ما يوجدون فى هذه المنطقة بالقرب من موارد المياه المتناثرة بين خط الطول الشرقى ٥٠ درجة وخط الطول الشرقى ٥٢ درجة ويشكل خط هذه الموارد الممر الصحراوى الرئيسى من الشمال إلى الجنوب . وفيما بين الآبار الصالحة للشرب فى هذا الممر وبين إقليم الظفرة تقع عدة موارد للمياه الملحة داخل ديار آل مرة فى المنطقة المعروفة بالخيران أو المحراض . وكلا هذين الاسمين يشيران إلى ملوحة هذه الآبار ولو أن بعضها صالح لإرواء الإبل .

١٦ - وتتصل ديرة آل مرة بديرة المناصير فى المنطقة الممتدة من قاعدة شبه جزيرة قطر إلى سبخة مطى . والمناصير هم القبيلة السائدة فى إقليم العقل والجزء الشمالى للمجن (الفقرات ١٣ - ٢٠ من الفصل الثانى فيما سبق) وان قرى السكك ونباك (الفقرة ١٠ من الفصل الثانى) تابعتان لآل مرة ، وشيخ الأولى هو حمد أبو برجس بن حنزاب من آل عذبة ، ورئيس الثانية هو فيصل بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن نقادان رئيس آل عذبة . وتضرب بمئات آل مرة خيامها بين الفينة والأخرى بجوار آبار العقل وخصوصاً تلك الآبار الواقعة فى الرمال مثل عقلة الرمث ورغوان وجليوين .

١٧ - ويعود القسم الجنوبى من هضاب أراضى المجن إلى آل بحيج من آل مرة ، وكذلك الحال بالنسبة إلى الأراضى الواقعة غربى الصفاق مباشرة . ويملك آل بحيج مورد محدود الذى هو على ما يظهر نقطة التحول جنوب سبخة مطى مباشرة التى تقع على خط الحدود الذى اقترحه أبو ظبى عام ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) . وان آبار الطرفاء الواقعة داخل المنطقة التى طالبت بها أبو ظبى عام

١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) هي ملك خاص يعود لأحد أفراد آل بجيح المدعو طالب ابن حمد المحنى . وتبين هذه الأمثلة مدى سيطرة آل مرة في تلك المنطقة ، وبالتالي عدم وجاهة مطالب أبو ظبي هناك . ويطلب آل بجيح من آل مرة بموارد المياه في عقلة حائز والصفق والحشم ، ولكن ديارهم هناك تتشابه مع ديار المناصير الذين يطالبون أيضاً بتلك الأماكن . وعلى كل حال ، فإن أفراد القبيلتين يشتركون ودياً في ظل الحكم السعودي بالإفادة من موارد المياه الثلاثة هذه ، كما ينتفعون في أبعاد من ذلك إلى الشمال في السلع وبعجاء والمنبعج حيث يمارس المناصير بشكل قاطع حقوق الأفضلية .

١٨ - إن آل مرة لا يعتبرون أنفسهم مقيدين بديرتهم ، شأنهم في ذلك شأن القبائل الأخرى ، لذلك فإنهم يستفيدون من المراعى الحصبة الواقعة في قطر ويستفيدون كذلك من المراعى الواقعة في المناطق الغربية للظفرة داخل ديرة المناصير .

١٩ - إن آل مرة هي أكبر قبيلة في شرق الجزيرة العربية وهي تضم أحد عشر قسماً رئيسياً يتألف كل منها من فرعين إلى تسعة فروع وهي بدورها تنقسم إلى عدة جماعات عائلية كبيرة . وفيما يلي أقسام آل مرة التي تظهر الهيكل الرئيسى لهذه القبيلة .

١ - آل فهيدة (رئيسهم طالب بن محمد بن لاهوم بن شريم وهو زعيم آل مرة الكبير) .

٢ - الغيائين

٣ - الجرايمة

٤ - الغفران

٥ - آل جابر

٦ - آل عذبة (هجرهم في السكك ونباك)

٧ - آل بريد

٨ - آل زبدان

٩ - آل دمنان

١٠ - آل هتيلة

١١ - آل بجيح

٢٠- إن آل بجيح من أكبر أقسام القبيلة يعيشون بالفعل في المناطق المتنازع عليها وبالقرب منها ، فلهذا السبب ، وكما نبين شيئاً من التركيب الطبيعي لأقسام القبيلة ، نذكر فيما يلي فروع آل بجيح .

- ١- آل سمرة (رئيسهم حمد بن متعب الصعاق وهو أهم زعيم في هذا الفرع) .
- ٢- آل سنيد
- ٣- آل حسنا
- ٤- آل سعيد بن ضرفاس
- ٥- آل صالح بن ضرفاس (رئيسهم طالب بن حمد المحني ، ويمتلك آبار الطرفاء)
- ٦- آل حنيم
- ٧- آل جحيش
- ٨- آل ثابت
- ٩- آل مريزوق

٣ - المناصير

٢١ - أخذ المناصير اسمهم من منصور بن قيس، الجلد الأكبر للجماعة الأصلية التي تكونت حولها القبيلة. ومنصور هذا يعتبر أيضاً جداً لقبيلة بني هاجر في إقليم الحسا، والقبيلتان تعرفان معاً باسم « عيال منصور » وبعض البطون الحالية انضمت إلى المناصير بعد أن انشقت عن قبائل في أواسط جزيرة العرب مثل العجمان والسهول والدواسر وآل مرة. وهذه القبيلة اتخذت شكلها الحالي منذ سنوات كثيرة ماضية، ويجمع بين أفرادها اليوم شعور قوى بالوحدة والتضامن.

٢٢ - وإذا كان عدد الجمال يصح مقياساً للثروة بين بدو جزيرة العرب، فإن المناصير يعتبرون من أثراها. وبالإضافة إلى ذلك، فإن كل فرد من القبيلة على الأغلب يملك نخيلاً، في حين أن بعضهم يملك بساتين كبيرة في الجواء بينما يملك البعض الآخر مجموعات صغيرة من غيوط النخيل في رمال البطانة والحمره، وليست هناك ملكيات مشتركة للنخيل على الرغم من بيانات المصادر البريطانية، مثل « دليل لوريمر للخليج الفارسي »^(١) و« دليل الأميرالية لجزيرة العرب »^(٢) التي تقول إن المناصير في الظفرة يملكون النخيل بشكل « ملكيات قبلية مشتركة ». ويجيا معظم أفراد القبيلة حياة بدوية متنقلة جزءاً من السنة على الأقل، مع أن أكثرهم يقضون فصل الصيف بجانب نخيلهم.

(١) جوردن لوريمر « دليل الخليج الفارسي وعمان وأواسط جزيرة العرب » مجلد ٢،

جغرافى وإحصائى (١٩٠٨) ص ٤١٥ .

(٢) « دليل الأميرالية البريطانية » مجلد ١، ص ٥٧٦ .

٢٣ - إن الدورة السنوية لمعظم بدو المناصير تدور حول قطبين ، وهما المرعى الشتوى فى جوار قطر ، ثم الآبار وبساتين النخيل فى الظفرة حيث يقضى رجال القبيلة فصل الصيف . ولا تقع قطر نفسها داخل ديرة المناصير ، على أن لهم فى إقليم الساحل بين الظفرة و قطر حقوقاً سابقة يعترف بها كل جيرانهم . ومنذ أن قام الملك عبد العزيز آل سعود بإعادة توطيد أسس السلام العام فى هذا الجزء من جزيرة العرب ، أخذ المناصير يرتادون أيضاً ما وراء قطر كثيراً خلال تنقلاتهم الشتوية ، فهم يجوبون الشمال متوغلين لرعى إبلهم ، ضاربين خيامهم أحياناً بالقرب من الحسا والقطيف ، بل إنهم يصلون فى بعض الأحيان إلى الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية .

٢٤ - أما موارد المياه التى يستمد إقليم العقيل اسمه منها ، فإنها تتبع المناصير (الفقرة ١٢ من الفصل الثانى فيما سبق) ، فواحد منها ، وهو عقلة المناصير ، يستمد اسمه من القبيلة ، وآخر ، وهو مشاش المطاوعة ، يستمد اسمه من أحد بطونها . ومع أن بئر العديد لا تقع من الناحية الفنية داخل العقيل إلا أنها قريبة منها لدرجة تستحق النظر فى هذه المناسبة . إن المناصير يملكون هذه البئر ، إذ قام أفراد القبيلة يجعلها صالحة للاستعمال بعد أن كان طمرها آخر من نزل بالعديد عام ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) (الفقرة ٢٥١ من الفصل الرابع فيما بعد) . ولم تكن هذه المهمة سهلة ، إذ أن من بين الأشياء التى سد بها عنق البئر كان مدفعاً قديماً ثقيلًا . فقام أفراد من جماعة مبارك بن عفاد من المراشيد من آل بو منذر الذين ترعرع أحفادهم وأصبحوا الآن رجالاً ، قاموا بسحب المدفع بعد أن ربطوه بالجمال التى كانت تحنّها النساء بينما قام الرجال بدفع المدفع من أسفل .

٢٥ - ويقع الجزء الشمالى من هضبة المحجن الحصانية داخل ديرة المناصير ، وإليهم تعود موارد المياه المسماة نكوت ودويهن والمنبعج مع نخيلها ، ثم بعجاء

والسلع وغيرها . إن تداخل ديار المناصير وآل مرة قرب الصفاق على حافة سبخة مطى قد أشير إليه آنفاً (الفقرة ١٧ السابقة) ، إلا أن هذه الحالة لا تسبب مشكلة حيث أن كلتا القبيلتين هما سعوديتان وتعيشان الآن في علاقات سلمية بعضهما مع بعض تحت لواء السلطة السعودية .

٢٦ - إن سبخة مطى ، بالطبقة الملحية التي تغطيها وانعدام مياه الشرب فيها ، ليست مكاناً يقيم فيه الأهلون مدة طويلة . ولكن على الرغم من ذلك فإن المناصير ، التي تشكل سبخة مطى جزءاً من ديرتهم ، يكون لها عاطفة من الحب ويسمونها « أم المناصير » ، ويقولون إنه إذا مات أحد أفراد القبيلة هناك فكأنه قد مات في الفردوس !!! وللمناصير موارد مياه في الجزء الشمالى من الحافة الغربية ، فهم يحتلون جميع الأراضى الواقعة إلى الشرق من السبخة ، وإن عدد الرحلات التي يقومون بها عبر هذه المنطقة يفوق بكثير عدد الرحلات التي تقوم بها أية قبيلة أو جماعة أخرى . ووجود فرد من القبيلة كان قد قطع سبخة مطى خمسين مرة أو مائة مرة لا يعتبر أمراً مستغرباً بين أقرانه . ومن الطريف أن نلاحظ بهذه المناسبة فكرة لوريمر المغلوطة عندما يقول :

ان المسافرين العاديين يفضلون أن يبروا بها (سبخة مطى) عن طريق البحر ، وقطعها صعب وخطير لدرجة أن يدو المناصير يتجنبونها خلال تنقلاتهم الدورية بين الظفرة وقطر بالانحراف إلى صحراء الجافورة في الجنوب . (٣)

وليس لوريمر مخطئاً تماماً بصدد المناصير وسبخة مطى فحسب ، بل إنه جدير بالملاحظة أن الجافورة تقع إلى الشمال الغربى من السبخة لا إلى الجنوب منها . وحتى عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) وقد مضى على ارتباط البريطانيين بأبو ظبي ما يزيد على القرن ، لم يكن الموظفون البريطانيون يعرفون إلا النذر اليسير عن المنطقة التي يطالب بها أبو ظبي الآن بمساندة منهم .

(٣) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ١٢٠١ .

٢٧ - ومع أن ديرة المناصير تمتد إلى ما وراء شمال شرق الظفرة وشمال غربها ، إلا أن الظفرة هي موطن القبيلة . ففيها يتوفر الكثير للمناصير ، وهم يتمتعون هناك بمركز الأكثرية . إن أهم ما يعنى البدوى في حياته هو الماء لنفسه ولابله ، والظفرة تحتوى على عدد كبير نسبياً من الآبار ، ومياهها في معظم الأحيان أجود من مياه الخيران الملحية التي يرتادها آل مرة في الجنوب . وكذلك يحتاج البدوى إلى مراعى لمواشيه ، وهناك مناطق معينة في الظفرة - من بينها إقليما بينونة والحمره - تتوفر فيها خلال أوقات معينة من السنة أنواع النباتات المطاوبة . ويرغب البدوى كذلك في أن تكون له واحة يسهل الوصول إليها للحصول على التمر الذي يشكل نوعاً من غذائه الرئيسي . ولا يملك أفراد الحضر من المناصير بساتين كبيرة في الجواء فحسب ، بل إن أكثر أفراد البدو من القبيلة يملكون على الأقل نخيلات قليلة في غيوط بينونة والحمره .

٢٨ - ودفاتر الزكاة للمناصير التي تحتفظ بها الحكومة العربية السعودية (المجلد الثالث من هذا العرض) تبين أسماء بعض الأماكن التي تضرب فيها المناصير خيامهم . وقد توغل جباة الزكاة في طول ديرة المناصير وعرضها ، دون أن يهتموا في الغالب بتحديد أسماء الأماكن التي تجب منها الزكاة إلا تحت اسم « الظفرة » أو « جهة الجنوب » على أن بعض الدفاتر توسعت أكثر من ذلك فعينت أماكن في الظفرة من بينها الأمثلة التالية :

بدع الغينة -	المجلد الثالث ،	صفحة ٧٧
بدع نخيرة -	المجلد الثالث ،	صفحة ٣٩٨-٣٩٩
بدع طرجم -	المجلد الثالث ،	صفحة ٤٠١-٣٩٩
الجاهلية -	المجلد الثالث ،	صفحة ٢٤١-٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٣، ٢٤٤-٣٤٤
الجواء -	المجلد الثالث ،	صفحة ١٣٣ و ١١٧ و ٧٧
المرخية -	المجلد الثالث ،	صفحة ٣٩٨
العقيلة -	المجلد الثالث ،	صفحة ٢٥-٢٦، ٧٦ و ٣٤٤-٣٤٥

٢٩ - إن آل بومنذر ، وهم أحد الأقسام الثلاثة من القبيلة ، يقطنون الناحية الغربية ، ويترددون كثيراً على بينونة والمغرب والقرى الغربية في الجواء والمراعى الواقعة غربى سبخة مطى . ويتخذ صالح بن عزيز مثلاً ، وهو أحد زعماء آل بومنذر ومن رفقاء سن جون فلبى خلال زيارته للربيع الخالى ، يتخذ مقره الرئيسى فى قرية العد فى الجواء الغربية ، وهو مغرم بصفة خاصة بمراعى المغرب وبمياه الصويتية هناك . والقسمان الآخران ، وهما آل بورحمة وآل بلشعر ، يقيمان إلى الشرق ، وهما يتنقلان فى الغالب فى الطف والحمره والقرى الشرقية فى الجواء . ومن بين جميع أقاليم الظفرة قد تكون الحمره هى أقرب من غيرها إلى قلب موطن المناصير . وهناك مثل قبلى يقول « يحربون ويموتون فى الحمره » .

٣٠ - ومعظم المعلومات الموجودة عن الجواء والمنشورة بلغات غربية واردة فى مؤلفات رحالة انكليزى اسمه ولفرد ثسيجر . وقد دلت مقالاته الأخيرة على اتجاهات أكثر من الأولى لمطابقة وجهات النظر البريطانية الرسمية . ومن سوء الحظ أن المعلومات الواسعة عن رحلاته الأولى تجرحها الحقيقة الماثلة فى أن اتصالاته بالجواء كانت قاصرة فى ذلك الوقت على الجزء الأوسط الغربى منها ، وهو الجزء الذى يسكنه أهالى بنى ياس وإن كانوا لا يستقلون به . ويذكر ثسيجر أن معظم قرى الجواء « يسكنها بنى ياس ، ولكن المناصير يملكون البساتين الواقعة شرقى ثروانية ، وأن كانت أصغر وأقل أهمية من تلك الموجودة إلى الغرب » (٤) . والحقيقة هى أن المناصير يملكون أكبر عدد من بساتين النخيل فى الجواء ، كما أنهم سائدون فى الربع الغربى والثلث الشرقى من ذلك النطاق الزراعى الضيق المستطيل . وقد ذكرت من قبل ممتلكات صالح بن عزيز فى العد فى الجواء الغربية ، وهناك زعيم آخر من زعماء القبيلة ، وهو قران بن مانع (الملحق رقم ٩٨) وهو يملك بساتين عامة فى صريط إلى الغرب من ثروانية فى الجزء

(٤) ثسيجر « رحلة أخرى عبر الربع الخالى » ص ٣٩ .

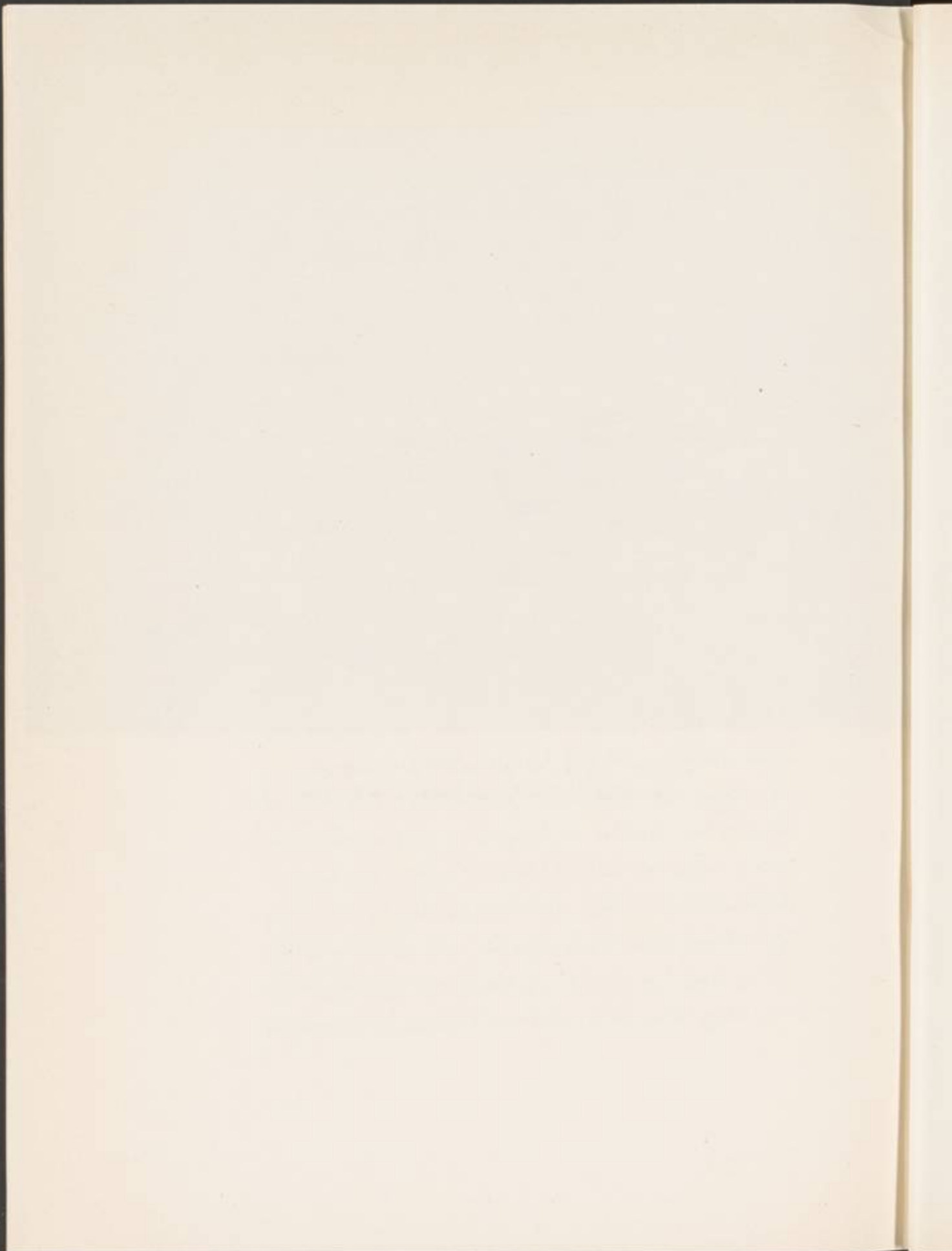
الغربي الأوسط من الواحة . وليست هذه الممتلكات من مجموعات النخيل المهجورة التي لا تزار إلا وقت الحصاد لجمع ما تجود به الطبيعة في كل عام ، وإنما هي نخيل يزرع ويعيش حوله أفراد القبيلة طوال العام في قرى الجواء لرعايته والعناية بأمره . وكذلك فإن هذه القرى والمراكز تهيء مواطن للمرضى والمعمرين والأطفال من أفراد القبيلة . وهم يتخلفون فيها عندما يذهب الأشداء بقطعاتهم إلى أطراف ديارهم وأراضيها .

٣١ - وكان أهم خطأ وقع فيه تسيجر هو قوله إن عرب الجواء « يدينون بالولاء لأبي فلاح (آل بو فلاح) مشايخ أبو ظبي » .^(٥) وهو قول غريب في مجموعته نظراً لما فعله تسيجر خلال زيارته الأولى للجواء . فبعد أن علم أن جباة الزكاة السعوديين يعملون هناك ، بقي في أطراف الإقليم وأرسل بعض رجاله إلى القرى لطلب الأطفمة . وكان التفسير الذي أعطاه هو أنه « لو تقابلنا مع أحد من جباة الزكاة ، لكان من الممكن أن يأخذنا معه إلى الهفوف لتبرير موقفنا حيث أننا جئنا هنا دون الحصول على إذن ابن سعود . . . » .^(٦)

٣٢ - وانضم المناصير إلى صف آل سعود في السنوات الأولى من القرن الثالث عشر الهجري ، عندما وصلت القوات السعودية أولاً إلى إقليم البريمي . وتبين السجلات البريطانية أن المناصير كانوا عام ١٢٨١ هـ (١٨٦٥ م) يؤدون الزكاة إلى الدولة السعودية وقد بلغ مقدارها ألفي ريال سنوياً (الفقرة ٢١١ من الفصل الرابع فيما بعد) ، وكانوا يدفعونها عينا في أغلب الأحيان . وبعد أن استعاد الملك عبد العزيز إقليم الحسا في عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) ، تجمع المناصير على الفور تحت لواء آل سعود ، وأدوا لهم الزكاة بانتظام . وتؤكد

(٥) تسيجر « رحلة أخرى عبر الربع الخالي » ص ٤٠ .

(٦) ولفرد تسيجر « عبر الربع الخالي » المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١١١ (١٩٤٩)





بساتين النخيل في الجواء تكتنفها كثبان الرمال في الجزء الجنوبي من
الظفرة . والأمطار الساقطة بعيداً تحجب واحات كبيرة أخرى تابعة للإقليم .

دفاتر الزكاة الرسمية الخاصة بالقبيلة ، وكذلك بيانات زعماء القبيلة (الملاحق ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠) ، ولاء أفراد هذه القبيلة للمملكة العربية السعودية . كذلك فإن بيانات أمير المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية ورؤساء جباة الزكاة الذين يعملون تحت سلطته (الملاحق ٩٥ و ٩٦ و ٩٧) تشهد جميعها بانتظام الشكل الذي تجبى فيه تلك الزكاة من المناصير . ويمكن أيضاً لفت الانتباه إلى اعتراف الحكومة البريطانية الصريح بالطابع السعودي لهذه القبيلة في الكتابين المتبادلين (الملحق ٢٣) الملحقين باتفاقية الصداقة وحسن الجوار المبرمة في ٤ ربيع الثاني ١٣٦١ هـ (٢٠ أبريل ١٩٤٢ م) بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتحدة نيابة عن الكويت .

٣٣- إن المناصير ، بصفتهم قوم يحبون الشجاعة والحروب ويرحبون بالفرصة التي تتيح لهم استعمال السلاح ، قد برزوا في عدة معارك واشتباكات في شرق جزيرة العرب . وبسبب سمعتهم في هذا الصدد فإن أفراد هذه القبيلة كثيراً ما يُسعى لاستخدامهم أتباعاً ، وإن المرء ليجدهم بهذه الصفة في خدمة عدة حكام ساحليين بما في ذلك قطر وأبو ظبي والبحرين ودبي ، وإن المناصير كقبيلة لم يكونوا خاضعين قط لأية من هذه المشيخات . وقد كانوا في بعض المناسبات مع آل بو فلاح البيت الحاكم في أبو ظبي في خلافاته مع المشايخ المجاورين ولكن علاقتهم كانت علاقة الند للند ، وكانت صادرة في معظمها عن رغبة المناصير في العمل القوي المثمر . إن أبو ظبي في عام ١٢٧٠ هـ (١٨٥٤ م) قد تبرأت من مسؤوليتها تجاه تلك القبيلة (الفقرة ١٩٨ من الفصل الرابع فيما بعد) . وقد اعترف الموظفون البريطانيون عام ١٣٠٤ هـ (١٨٨٧ م) في مجال تعليقهم على حادثة تتصل بالمناصير بأن أبو ظبي لم تكن مسئولة عن تلك القبيلة (الفقرة ٢٦٢ من الفصل الرابع فيما بعد) . ومن المعروف جيداً على الساحل الجنوبي الشرقي للخليج الفارسي أنه في نهاية الحرب الأخيرة بين أبو ظبي ودبي عام

١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) رفض شيخ أبو ظبي تحمل مسئولية عن مسلك المناصير كما رفض أن يدخلهم في الهدنة التي وضعها الضابط السياسي البريطاني في ساحل الصلح .

٣٤ - إن نفس الروح التي جعلت المناصير قوماً لهم احترامهم في الحرب قد تمثلت في ميلهم القبلي للغزو على إبل جيرانهم ، على أن غارات النهب الفردية هذه كانت قليلة نسبياً ومتباعدة في القرن الثالث عشر الهجري عندما كان آل سعود يبادرون فيعاقبون على مثل هذا المسلك . وقد ازدادت غارات المناصير في فترة الضعف الموقت للدولة السعودية ولكنها خفت بشكل ملحوظ في هذا القرن الذي أعيدت فيه سلطة سعودية حازمة على هذه القبيلة وديارها . وفي الملحق ١٠٩ تدون الحوادث التي كان أمير المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية يسارع فيها إلى معاقبة أفراد المناصير المتهمين بسرقة الإبل وبيعها إلى أصحابها الشرعيين . ويدون سرد مفصل لحالة من هذه في الملحق ١١٦ ، والسرد عبارة عن بيان رسمي أدلى به اثنان من الأشخاص الذين أقاموا في ساحل الصلح مدة طويلة . ولا يخلو من المغزى أن حاكم أبو ظبي قد اشتكى إلى أمير المنطقة الشرقية من حركات هذه القبيلة . وقبيلة ذات روح عالية مثل هذه لا يمكن إخضاعها للنظام إلا باليد القوية الطائلة للمملكة العربية السعودية . وقد استفادت هذه المملكة استفادة طيبة من شدة بأس المناصير . وكثير من أفرادها عرفوا أتباعاً بالغى الإخلاص لصاحب السمر الأمير سعود بن عبد الله بن جلوي أمير المنطقة الشرقية ، ومن قبله لوالده .

٣٥ - ويشكل المناصير قبيلة متوسطة في حجمها ، وهي أصغر من آل مرة ونعيم ، ولكنها أكبر من فروع القبائل التي تعيش في المناطق المتنازع عليها مثل العوامر والمناهيل ، وأقسام المناصير هي مدرجة فيما يلي مع أسماء كبار شيوخها الوارد بيان مبايعاتهم في المجلد الثاني من هذا العرض :

١ - آل بوشندر

قران بن مانع (الملحق ٩٨)

صالح بن عزيز من المطاوعة (الملحق ١١٠)

٢ - آل بو رحمة

سعيد بن مبارك الرحمي (الملحق ٩٩)

ناصر بن سعيد بن سويد (الملحق ١٠٠)

٣ - آل بلشعر

غانم بن جريو (يسكن دبي الآن)

٤ - بنى ياس

٣٦ - إن قبيلة بنى ياس ما هي إلا محض خيال ، ولكن سوء فهم طبيعتها قد أصبح شائعاً لدرجة أننا لو تجنبنا استعمال الاسم بالمرّة كان ذلك من باب التحذلق . وإنه لمن المناسب أن نبحث في هذا القسم ثلاث عشرة جماعة أو وحدات صغيرة تذكر مراراً بأنها تابعة لبنى ياس ، بالرغم من الطابع الاصطناعى الظاهر لمثل هذا الترتيب^(١) . وإن جماعتين من هذه الجماعات يرأسهما حاكم دنى وحاكم أبو ظبي ، وواحدة منها تشكل جماعة سعودية هي المزاريع . ثم إن ثلاثاً منها ، رغم الفهم بأن حاكم أبو ظبي قد يطالب بها ، هي في الواقع قبائل مستقلة . واثنان فقط من جميع هذه الجماعات تدعى بأنها تنحدر من جد واحد اسمه ياس . وبالاختصار فإن اسم بنى ياس يطلق بشكل غير ثابت وبمظهر زائف من الدقة على جماعات قبلية لا ترتبط بروابط الدم ولا أذى رابطة من روابط الوحدة .

٣٧ - وإذا كان هناك تأييد لحاكم أبو ظبي فإنه من قبل جماعات مقرونة أحياناً ببنى ياس . وعلى كل حال فيجب ألا يفترض بأن حاكم أبو ظبي هو زعيم قبيلة تدعى بنى ياس ، أو أن معظم الناس الملقبين ببنى ياس يعيشون داخل ممتلكاته الحقيقية أو الوهمية . وكما سيتضح من الوصف التالى للجماعات المقترنة ببنى ياس فإن أولئك القوم مبعثرون في طول الخليج الفارسي وعرضه وأبعد من ذلك على طول ساحل إفريقيا الشرقى ، مع وجود جماعات منهم في المملكة العربية

(١) ان لفظة « بنى ياس » ، التي تستعمل بين الفينة والأخرى في أقسام أخرى من هذا العرض ، يجب تفسيرها بأنها تشير إلى أفراد ينتمون إلى جماعة أو أكثر من هذه الجماعات ، ولم تميز هذه عادة في المصادر .

السعودية والبحرين وقطر ومشيعات الساحل الأخرى ، أكثر عدداً من تلك الموجودة في أبو ظبي .

٣٨ - وهناك عدد كبير من هؤلاء الأهالي ممن يعملون في البحر إما بحارة أو صيادين أو غواصي لؤلؤ أو تجاراً يقومون بتزويد عابري البحر بما يحتاجونه . وهناك غيرهم ممن يعنون ببساتين النخيل ، كما أن هناك عدداً ضئيلاً منهم يعيشون حياة البدو الرحل ويقومون بتربية الإبل . وهؤلاء يرعون إبلهم في الرمال الواقعة وراء قرى ساحل الصلح وفي الظفرة ، ولكن ليس بالإمكان القول إنه لأية من هذه الجماعات الثلاث عشرة ديرة خاصة بها . وفي الظفرة فإن الجماعات التي هي تقترن بنبي ياس ترعى إبلها مع المناصير الذين هم على علاقات طيبة معهم ، ولكن تلك العناصر تعترف اعترافاً صريحاً بأنها في ديرة المناصير . ويلقب هؤلاء البدو المناصير « بحجاب الظفرة » ، وقبيل نشر لواء الأمن العام على يد الملك عبد العزيز آل سعود ، كانت الظفرة تعتبر « خالية » كلما تغيبت عنها قوة المناصير الرئيسية . ففي مثل هذه الأوقات تمكث هذه الجماعات بالقرب من قراها ، ولا تغامر في الخروج إلى الأراضى غير المحروسة إلا في وقت الحاجة الماسة . ولا تعتبر هذه الجماعات الظفرة ديرة المناصير القبيلة السعودية فحسب ، ولكنهم يؤدون الزكاة عن إبلهم في الظفرة كلما قام جباتها بزياراتهم السنوية .

٣٩ - إن الوصف التالي يتناول الجماعات الثلاث عشرة الواحدة تلو الأخرى ، وسيتضح أن لكل منها على الأقل بعض الشيء من الوحدة الداخلية وهو الأمر الذي تفتقر إليه المجموعة بشكل بارز .

آل بو فلاح

٤٠ - تتألف آل بو فلاح من أربع عائلات ، إحداها آل نهبان وهي العائلة الحاكمة في أبو ظبي ، وقد حاول حاكم أبو ظبي أن يعود بنسب أجداده

إلى عنزة القبيلة العظيمة ، ولكن يبدو أكثر احتمالاً أن الصحيح هو أن نسبه ينحدر من الدواسر ، وهم قبيلة قائمة في وسط جزيرة العرب . وهناك أقل من عشرين شخصاً من ذكور العائلة الحاكمة في أبو ظبي ، وهناك خمسة منهم يعيشون في دبي وغيرهم في الشارقة . أما الفروع الثلاثة الباقية من آل بو فلاح فإنها تتألف من آل سعدون الذين هم عبارة عن عائلتين في أبو ظبي ، وآل سلطان وهم عبارة عن عائلتين في دبي ، وآل محمد وهم عائلة تعيش مع المناصير في الجواء . وسيوضح في الفصل الرابع كيف قام أفراد آل بو فلاح بمقاتلة بعضهم بعضاً بمرارة طويلة التاريخ المدون لساحل الصلح .

الرواشد

٤١ - إن آل بو فلاسا العائلة الحاكمة في دبي تتبع الرواشد ، وهي إحدى جماعتين يعود نسبهما إلى رجل يدعى ياس . وهناك اتجاه لاعتبار الرواشد (وعلى وجه خاص آل بوفلاسا) جماعة منفصلة انشقت عن الكتلة الرئيسية لبني ياس وبذلك يجب اعتبارها بطناً مستقلاً بعض الشيء . أما السبب الذي يكمن وراء ذلك فليس مفهوماً ، طالما أن هذه الجماعة هي أكبر الجماعات الثلاث عشرة المقرونة ببني ياس وهناك أفراد منها في بلدة دبي يفوق عددهم أفراد كل الجماعات المقرونة ببعض الأحيان ببني ياس في أبو ظبي . وهناك أيضاً عدد كبير من الرواشد في المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية والبحرين وقطر ، يناهز الموجود منهم في دبي نفسها .

المزاريع

٤٢ - والمزاريع جماعة منتشرة على نطاق واسع يقيم كثير من أفرادها في رأس الخيمة ودبي وأبو ظبي وجبال الحجر وعلى ساحل الباطنة وعلى ساحل إفريقيا

الشرقى. ويملك المزارع فى المناطق المتنازع عليها بساتين نخيل فى الجواء ، وهم يرعون إبلهم مع المناصير فى إقليم الظفرة . وأولئك الذين فى الظفرة منهم يعتبرون أنفسهم رعايا للمملكة العربية السعودية . ونظراً لأهمية المزارع فى تفهم المناطق المتنازع عليها فإن القسم الخامس من هذا الفصل قد خصص لتناول هذه الجماعة بتفصيل أوفى .

القييسات

٤٣ - والقييسات هم جماعة بحرية فى الدرجة الأولى تتراد الجزائر الكثيرة الواقعة بين أبو ظبى وقطر ، وتملك عائلات قليلة منهم بساتين نخيل فى الجواء . ولكن لا يكاد أحد منهم يملك شيئاً من الإبل . والعداوة بين القبيسات ورؤساء أبو ظبى كانت من أبرز المظاهر فى شرق جزيرة العرب خلال القرنين الماضيين كما أن محاولاتهم العديدة للعيش منفصلين عن أبو ظبى قد سردت فى القسم التاريخى من هذا العرض (الفصل الرابع) . ونفس هذه الروح الانفصالية التى أدت بالقييسات إلى تثبيت أنفسهم فى العديد لا تزال متجلية اليوم حيث يقيم أغلب الجماعة الآن فى قطر ويمارسون صيد الأسماك والغوص على اللآلىء بعيدين عن مضايقات حاكم أبو ظبى . وقد تحرك مؤخراً حامد بن بطى بن خادم رئيس القبيسات من أبو ظبى واتجه إلى قطر لينضم إلى أغلبية جماعته .

الهوامل

٤٤ - يشتغل الهوامل بالأعمال البحرية وزراعة النخيل ، بينما تعيش قلة منهم بدوا رحلاً . ويقوم أفراد الجماعة فى دبنى وبلدة أبو ظبى وفى الجواء .

المخاربة

٤٥ - يعود نسب المخاربة إلى قبيلة حرب في أواسط جزيرة العرب . وهم كالهوامل يقصدون البحر ويعملون في زراعة النخيل بينما قلة منهم من البدو الرحل الذين يمتلكون الإبل . ومعظم أفراد الجماعة يعيشون في جميرا وهي بلدة ساحلية صغيرة تتبع دبي ، في حين أن الباقي يقطنون في الجواء وقطر .

الرميثات

٤٦ - والرميثات هم إحدى جماعتين تنحدران من جد واحد يسمى ياس . والجماعات الأخرى هي الرواشد ومنهم العائلة الحاكمة في دبي (الفقرة ٤١ السابقة) . ويزاول أغلب الرميثات الأعمال البحرية إلا أن بعضاً منهم يعيشون أيضاً بدواً رحلاً في المنطقة الواقعة قرب بلدة أبو ظبي .

القمزان

٤٧ - يعيش أفراد متناثرون من القمزان في أبو ظبي والجواء والبريمي ودبي . إلا أن العدد الأكبر منهم يسكن قطر . وخلال الحرب التي قامت بين دبي وأبو ظبي وانتهت سنة ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) قاتل القمزان ضمن قوات دبي بقيادة رئيسهم خليفة بن عبد الله الصيرى .

السابيس

٤٨ - ترتبط جماعة البدو الصغيرة من السبابيس بعض الأحيان ببني ياس ، إلا أن أقوالهم تبين أن أصلها يعود إلى طنج ، وهي قبيلة صغيرة تعيش في الأراضي

الداخلية التابعة لرأس الخيمة . أما الأفراد القلائل من الجماعة الذين عاشوا مرة في أبو ظبي فقد هاجروا إلى دبي خلال السنوات الأولى لحكم شخبوط بن سلطان .

آل بوحمير

٤٩ - إن آل بوحمير هم الجماعة التي لها أقل اتصال بالبحر ، من بين الثلاث عشرة جماعة . وقد كان لآل بوحمير في وقت ما حارتهم الخاصة بهم في وسط بلدة أبو ظبي ، إلا أن هذه الحارة قد هجرت منذ وقت طويل ، وأصبحت الآن أطلالا . ويتجول معظم آل بوحمير مع البدو في الظاهرة خلال فصل الشتاء ، بينما يقومون خلال فصل الصيف بفلاحة بساتين النخيل التي يملكونها في البريمي .

السودان

٥٠ - يعتبر بعض الناس خطأ أن أفراد قبيلة السودان الذين يعيشون في أبو ظبي هم من بني ياس ، إلا أن « دليل جزيرة العرب » الذي أعدته الأيرالية البريطانية يتناول الجماعة كلها على الوجه الصحيح باعتبار أنها مستقلة . فيقول عنها :

انها من قبائل عمان المتصالحة وقطر والبحرين . وهم على صلة وثيقة بالكند ، ويعترف عموماً بأنهم من سلالة أسود الكندي ، الذي من المفروض أنه هاجر من اليمن في عصر (النبي) محمد (صلى الله عليه وسلم)^(٢) .

وتقول ثقات المنطقة إن السودان كانوا الزعماء الأصليين للأهالي الذين استقروا في أبو ظبي ، أما الآن فإنهم على الأغلب يقطنون في قرية صغيرة تتألف من

(٢) « دليل الأيرالية » مجلد ١ ، ص ٥٩٦ .

أكواخ مقامة من سعف النخيل وتسمى البطين ، وهى ضاحية فقيرة من ضواحي بلدة أبو ظبي . والسودان هم صائدو أسماك وغواصو لآلىء ، إلا أن قلة منهم يملكون بساتين نخيل فى الجواء والبريمى .

المرر

٥١ - إن المرر جماعة صغيرة مستقلة تدعى أنها تنحدر من قبيلة آل مرة السعودية . ويوجد أفراد الجماعة فى جميع قرى ساحل الصلح الكبير ، إلا أن مركزهم الرئيسى هو الخان واللية بجوار الشارقة . وتزاول الجماعة فى الأصل الأعمال البحرية ، ولكن قلة من أفرادها يملكون بساتين نخيل فى الجواء ويجول قسم من هذه الجماعة مع بنى قتب فى الرمال القريبة من الذيد .

آل بومهير

٥٢ - آل بو مهير قبيلة مستقلة ذات حجم كبير ويوجد أفرادها فى جميع قرى ساحل الصلح . ويقال إنهم ينحدرون من قبيلة المهرة فى حضرموت . وكانوا قوة يحسب لها حساب فى أبو شهر على الجانب الفارسى من الخليج خلال قرون عديدة .

٥٣ - إن كتاب لوريمر « دليل الخليج الفارسى » ، هو المرجع الأخير لأغلب المعلومات الموجودة باللغات الغربية عن الناس الذين هم قيد البحث . ويحتوى كتاب الأميرالية البريطانية « دليل جزيرة العرب » ، على مختصر لنفس المعلومات التى فى كثير من الأحيان لم يتم المحررون بإعادة كتابتها . وقد اعتمد كتاب آخرون كثيراً على هذين الكتابين الرسميين إلى حد أن الأخطاء الواردة

فيهما قد نشرت على نطاق واسع . إلا أن إعادة المعلومات الخاطئة فقط لا يجعل منها حقائق .

٥٤ - إن المقارنة بين ما ورد عن بنى ياس في المراجع البريطانية والحقائق الواردة في الفقرات السابقة هي في الواقع مقارنة قوية . فمثلا في عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٨ م) لخص لوريمر كل شيء عن بنى ياس في كلمات ردها « دليل الأميرالية » عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) ، فوصفهم بما يلي :

إنها من أكثر القبائل تماسكا وقوة في عمان المتصالحة ، وإن ديارهم من حيث اتساعها ماثلة لأراضي شيخ أبو ظبي كما أنهم مصدر سلطته . (٢)

إن هذا الوصف لا ينطبق البتة على أقسام بنى ياس المنتشرة المتنازعة كما لا ينطبق عليها الوصف التالي الذي يشير على الأقل إلى أن بعض بنى ياس لا يقطنون أبو ظبي :

فعل الرغم من أن أقساما من القبيلة قد أظهرت في بعض الأوقات ميلا نحو الخروج إلى أماكن أخرى (كما فعل آل بوفلاسا الذين يقيمون الآن في دبي) فإن القبيلة في مجموعها مرتاحة ومخلصة للشيخ (شيخ أبو ظبي) . . . (٤)

٥٥ - إن أي تمحيص دقيق للمنطقة المعنية أو رجوع إلى المقيمين المطلعين في الخليج الفارسي سيثبت في الحال (١) أن بنى ياس ليسوا قبيلة « متماسكة قوية » ولم يحدث أن كانوا كذلك و (٢) أن بنى ياس مهما كانوا ، فإنهم ليسوا قبيلة « مرتاحة ومخلصة » لحاكم أبو ظبي و (٣) أن « ديار بنى ياس » ليست من حيث الاتساع ماثلة لأراضي حاكم أبو ظبي . أما فيما يختص بالأقوال الخاطئة في كتاب لوريمر وفي « دليل الأميرالية » ، فيمكن استلفات النظر إلى بحث النقص الوارد في معالجة لوريمر لهذا الإقليم ، في الفقرة ٣٠٧ من الفصل

(٣) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ١٩٣٢ و « دليل الأميرالية » مجلد ١ ، ص ٦٠٠ .

(٤) « دليل الأميرالية » مجلد ٢ ، ص ٦٠٠ .

الرابع فيما بعد . وإنه لمن الواضح أيضاً أن في هذه الحالة قد صاغ لوريمر المعلومات المحدودة الشائعة التي تحت تصرفه في شكل أكثر تنسيقاً مما تستدعيه الحقائق ، وإن هذا التصرف مألوف بين الغربيين الذين يعالجون مثل تلك الأوضاع في الشرق دون أن يستوعبوا تماماً . ويبدو أن لا ضرورة هناك لأن نضيف إلى ذلك أن تفسير لوريمر يساهم في زيادة أهمية تلك المشيخة التي لولا ذلك لما كان لها هذا الوقع .

٥ - المزاريع

٥٦ - إن المزاريع ، كما ذكر في الفقرة ٤٢ السابقة ، جماعة واسعة الانتشار . فأفرادها يوجدون في جميع قرى ساحل الصلح ، وفي وادي حام الواقع في القسم الغربي من الحجر ، وبالقرب من الرستاق في القسم الأوسط من الحجر ، وفي عدة أماكن أخرى على ساحل الباطنة ، وعلى بعد آلاف من الأميال على ساحل إفريقيا الشرقى . لقد استولى أفراد المزاريع الشجعان على ممباسا من البرتغاليين وذلك خلال السنوات الأخيرة للقرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) ثم قاتلوا حكام مسقط خلال القرنين التاليين وذلك في محاولة للاحتفاظ باستقلالهم . وفي عام ١٢٤٠ هـ (١٨٢٤ م) قد ذهبوا إلى حد أنهم طالبوا بالحماية البريطانية على ممباسا وعلى امتداد طويل من الساحل الإفريقى وذلك بدلا من الخضوع لحاكم مسقط (١) .

٥٧ - ويعرف « دليل الأميرالية » قبيلة المزاريع تعريفاً صحيحاً بأنها قبيلة كبيرة منتشرة كما هو الواقع ، ثم يضيف أنها « تعتبر في أراضي أبو ظبى بطناً من بطون بنى ياس » (٢) . وفي الحقيقة أن المزاريع الذين يعيشون في المناطق المتنازع عليها يمكن اعتبارهم جماعة مستقلة عن إخوانهم في بقية أجزاء جزيرة العرب وإفريقيا ، إلا أن محاولة تعريفهم بأنهم بطن من بطون بنى ياس ليس لها مبرر قانونى ولا سياسى .

(١) رجنالد كوبلاند « شرق إفريقيا وغزاتها منذ العصور الأولى حتى وفاة السيد سعيد عام ١٨٥٦ » (١٩٣٨) ص ٢٣٥ . ويطلق كوبلاند لفظ « مزروعى » اسماً للجماعة . واستعمال مزوعى الصحيح هو الاشارة إلى فرد من القبيلة .

وقد كان الكابتن وليم فتروليم أوين الضابط بالبحرية البريطانية الذى عمل على تأسيس محمية ممباسا البريطانية القصيرة الأجل هو نفس الضابط الذى ظهر في الحركات التى أدت إلى التحكيم في قضية خليج دبلاجوا الموصوف في الفقرة ١٦ من الفصل السادس فيما بعد .

(٢) « دليل الأميرالية » مجلد ١ ، ص ٥٧٩ .

٥٨ - والمزارع الذين يقطنون في المناطق المتنازع عليها يعيشون نفس المعيشة التي يجيها جيرانهم المناصير ، فهم يرعون عدداً كبيراً من إبلهم في إقليم الظفرة ويسافرون في كثير من الأحيان مع جماعات من المناصير ، كما يملكون أكبر عدد من بساتين النخيل في الجواء بعد المناصير . ومن أهم القرى التابعة للمزارع حمار ، والمارية ، وخنور ، والحمرور ، والطرق ، وبو صدين ، وموقب ، ولطير ، والحويتين ، وشدق الكلب ، وحفيت .

٥٩ - وفي السنوات الأخيرة فقد أثير الادعاء بأن الجواء تابعة لأبو ظبي لأن بنى ياس ، الذين يميل حاكم أبو ظبي إلى المطالبة بهم جميعاً ، يملكون أكبر عدد من بساتين النخيل والقرى هناك ، والحقيقة هي أن المناصير يملكون أكبر عدد من بساتين النخيل ، وحتى لو برهن على أن بنى ياس يملكون القسم الأكبر فإن هذا الادعاء يؤدي إلى لا شيء لأن المزارع الذين يملكون النصيب الأوفى من ممتلكات بنى ياس ، هم جماعة عربية سعودية .

٦٠ - إن المزارع يؤدون بانتظام الزكاة للعمال الذين يرسلهم أمير المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية ووالده من قبله . وقد أدرجت بعض هذه الدفعات إلى جانب تلك الواردة من المناصير في الدفاتر التي تحتفظ بها السلطات الإقليمية وتوجد بعض أمثلة عنها في المجلد الثالث من هذا العرض في الصفحات ١٧ و ٧٦ و ١١٠-١١١ ، وتشهد بيانات أمير المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية (الملحق ٩٤) وبيانات كبار جباة الزكاة الملاحق (٩٥ و ٩٦ و ٩٧) على انتظام جمعها من المزارع .

٦١ - وفي الملحق ١١٨ لهذا العرض كتاب مبايعة من فارس بن غانم زعيم المزارع مرسل إلى الملك الراحل عبد العزيز آل سعود . وأن كتاباً آخر من فارس بن غانم (الملحق ١١٩) لا يؤيد ولاءه وولاء جماعته فحسب ، بل إن له أهمية خاصة لأنه يضم قائمة لإحدى عشرة قرية في الجواء خاضعة لسلطته المحلية .

٦ - العوامر

٦٢ - إن قبيلة العوامر تتألف من ثلاث جماعات منفصلة تقيم في أجزاء مختلفة من جنوب جزيرة العرب وشرقها ، وكل من هذه الجماعات مستقلة تماماً ومنعزلة عن الآخرين . والجماعة الوسطى ، التي تنتقل أفرادها في ربوع المناطق المتنازع عليها ، هي الوحيدة التي يتناولها البحث بالتفصيل في هذا العرض . والعوامر من الجماعة الوسطى ، هم قبل كل شيء أهالي صحراء . وهم يعترفون صراحة بأنه ليس لهم ديرة تخصهم هم ، لذلك فهم ينتقلون على نطاق أوسع من آل مرة والناصر ، وهم يفضلون الختم على وجه العموم أكثر من أية بقعة أخرى كما أنهم يقضون فيها مدة أطول مما يقضونها في غيرها ، على أنهم يقولون بأنفسهم إن الختم تقع داخل ديرة أصدقائهم آل بوشامس من نعيم . ولا تعرف قبيلة أخرى ، أحسن من العوامر ، تلك المناطق العديمة المياه المسماة المنادر والواقعة جنوب الختم . ثم إن للعوامر تعلقاً قوياً بكثبان الكدن والبطين . وهم يرعون جمالهم في الظفرة ، والقليل منهم يملكون نخيلاً في الجواء في قرى ظفير وقطوف ومزبرة وحفيف وحمار والعد .

٦٣ - وقد قاتل في الواقع أفراد من القبيلة ماجورون من الطرفين في الحرب التي وقعت بين أبو ظبي ودبي وانتهت عام ١٩٤٧ م . وتبين سجلات الأعمال البوليسية التي قامت بها سلطات المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية (الملحق ١٠٩) أن اهتماماً كبيراً قد وجه للسيطرة على بعض المخالفين للنظام من أفراد القبيلة . وإنه بلخدير بالذكر في نفس الوقت أن واحداً من زعماء الجماعة الوسطى وهو على أبا الروس كان من بين الموفدين من قبل الحكومة الإقليمية للقيام بالأعمال البوليسية وجمع الزكاة (الملحق ١٠٨) . وهذه السجلات تبين مقدرة

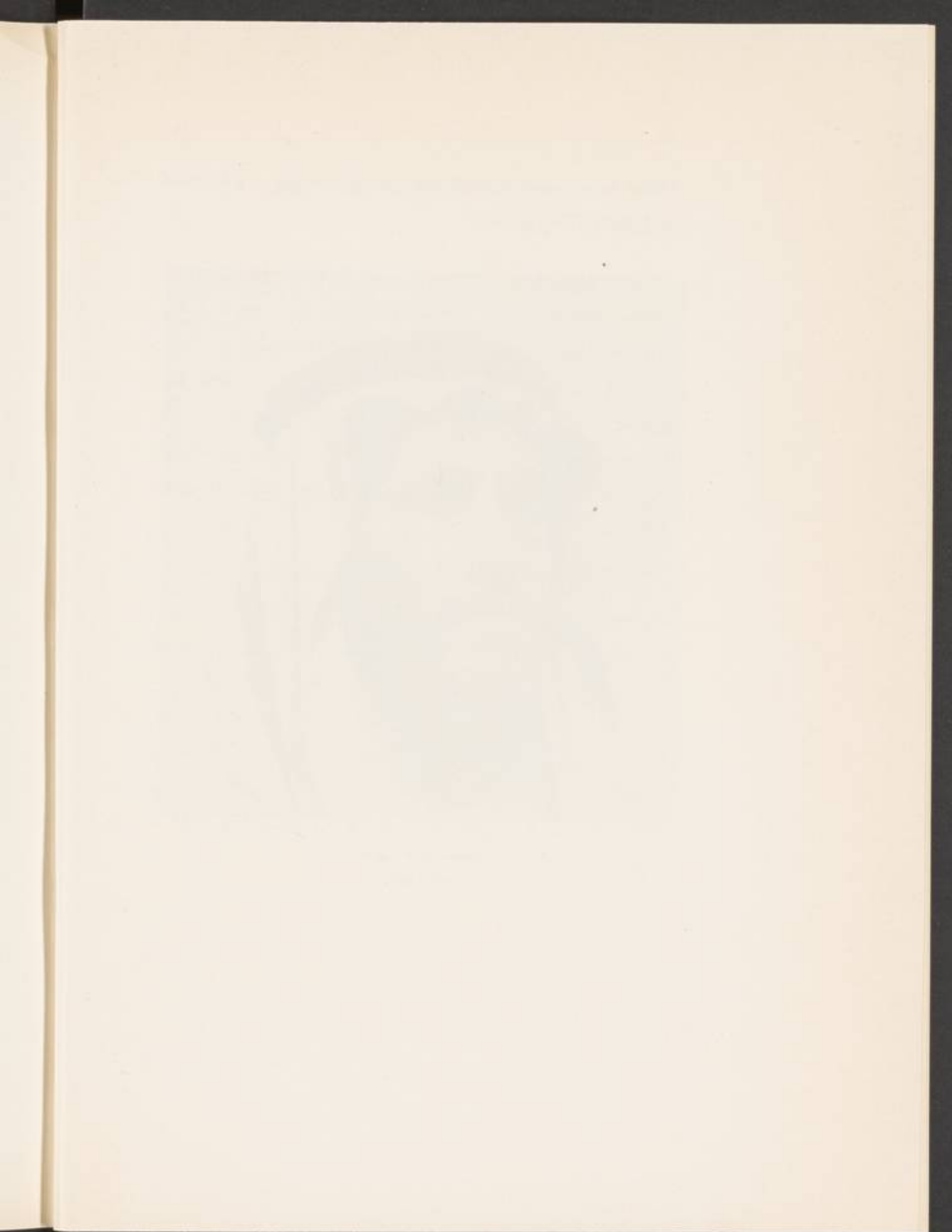
الحكومة العربية السعودية في معاملة أفراد قبيلة العوامر العنيدين ، وذلك بصدد تطبيق النظام والإدارة في أراضيها .

٦٤ - ويؤدى العوامر الزكاة بصورة مستمرة إلى العمال الموفدين لجبايتها . وبما أنهم جماعة صغيرة تعيش في أرض واسعة ، فإن الزكاة تجبى منهم حيثما يكونوا . ولهذا السبب لا توجد دفاتر مستقلة باسم هذه الجماعة ، وإنما تتناثر أسماء أفرادها في الدفاتر المحفوظة عن القبائل الكبيرة في شرق جزيرة العرب . ومثال على ذلك ما ورد في دفتر الزكاة الخاص بآل مرة والمناصير لعام ١٣٦١ هـ والمدرج في المجلد الثالث من هذا العرض . وأفراد العوامر معروفون بهذه الصورة (مع إضافة لفظ «العامرى» أحياناً إلى الاسم) وذلك في صفحات ١٣١ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٧ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٦ .

٦٥ - إن كافة جماعة العوامر الوسطى هم من رعايا المملكة العربية السعودية . وتشهد بيانات كل من سالم بن أحمد بن ركاض وعلى أبا الروس الضعيف (الملاحق ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٨) وهما زعيما الجماعة ، بانتظام تأديتهم وعشيرتهم للزكاة إلى الحكومة السعودية ، كما تشهد بولائهم لآل سعود . وكذلك فإن بيانات أمير المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية (الملحق ٩٤) ورؤساء عمال الزكاة لديه (الملاحق ٩٥ و ٩٦ و ٩٧) تشهد بالأسلوب المنتظم الذى تجمع به هذه الضريبة من العوامر . وسالم بن حمد بن ركاض هو أحد موقعى إعلان الولاء الذى قدمه وجهاء إقليم البريمي في ١٥ سبتمبر عام ١٩٥٢ م (الملحق ٥٩) .



عبيد بن ماجد بن الضحاك
من قبيلة المناصير



٧ - المناهيل

٦٦ - إن المناهيل هم قبيلة كبيرة الحجم نوعاً ما في جيوب جزيرة العرب . واعتاد عدد قليل من بطون القبيلة على المعيشة في رمال الربع الخالي ، فانفصلوا عن مجموع القبيلة الرئيسي الذي يعيش في أراضي المضاب الواقعة بين وادي حضرموت والرمال . وهذه البطون الصغيرة من المناهيل ، التي كثيراً ما تنتقل مع أصدقائها من العوامر وآل راشد ، كانت تعتبر نفسها منذ أمد طويل رعاباً للمملكة العربية السعودية ، كما كانت تعامل من قبل الحكومة السعودية على هذا الأساس . وهي كثيراً ما تضرب خيامها في الظفرة والختم وفي إقليم البريمي ، مفضلة بوجه خاص المناطق المجاورة لوادي الصفا في الجزء الجنوبي من الظاهرة .

٦٧ - وبدأ المناهيل في المملكة العربية السعودية بتأدية الزكاة إلى الحكومة العربية السعودية بعد استرداد آل سعود الحسا بقليل . ويذكر أفراد أحد بطون المناهيل وهو بيت سبولة ، أن سعيد آل فيصل هو أول من جبي منهم الزكاة منذ سنوات طوال في هجرة نباك بجوار بئر تسمى منذ ذلك الحين بئر سعيد . ويمكن العثور على أمثلة عن الزكاة المدفوعة من قبل أفراد المناهيل في المجلد الثالث على الصفحات ٢٧ و ١٨٤ و ٢٨٢ . وتشهد بيانات رؤساء العمال الذين أرسلهم أمير المنطقة الشرقية (الملاحق ٩٥ و ٩٦ و ٩٧) بانتظام الطريقة التي جبيت بها هذه الضريبة من المناهيل . وهناك شهادة بليغة عن ثبات هذه الجماعة على ولائها في الاقرار الذي قدمه سالم بن ناصر وسعيد بن ناصر وبخيت بن أحمد (الملحق ١٠٣) .

٨ - آل راشد

٦٨ - إن آل راشد هم مثل العوامر والمناهيل كثيراً ما يتنقلون في المناطق المتنازع عليها. ومما تجدر ملاحظته أن تسيجر قد اعتمد إلى حد بعيد على أفراد من آل راشد أدلاء ومرافقين حين سفره خلال المناطق المتنازع عليها وإن مدة ارتباطه الطويلة بالقبيلة يضمنى قيمة كبيرة على ملاحظته بأن آل راشد «قد ألقوا بمصيرهم اليوم بين يدي ابن سعود»^(١). ويؤدى آل راشد الزكاة للحكومة العربية السعودية بانتظام كما تشير إلى ذلك بيانات أمير المنطقة الشرقية (الملحق ٩٤) ورؤساء عماله (الملاحق ٩٥ و ٩٦ و ٩٧).

(١) ولفرد تسيجر «رحلة جديدة في جنوب جزيرة العرب» المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١٠٨ (١٩٤٦) ص ١٣١ .

٩ - العفار

٦٩ - إن العفار هم قبيلة تقيم معظم الوقت في ديرة آل بوشامس من نعيم وفي ديرة الدروع . وزعيم العفار هو طويرش بن حمودة الذي يكون إعلان ولائه جزءاً من الملحق ١١٥ . وما هو جدير بالذكر أيضاً أنه عندما رغب حميد بن علي أحد زعماء قبيلة الدروع الكبيرة أن يضع نفسه وجماعته تحت حماية آل سعود ، قصد طويرش لإعطاء هذا الوجيه السعودي عهداً يعبر عن ولائه (الملحق ١٠٤) . وإعلان الولاء ، الذي قدمه ثمانية من زعماء العفار وشهد عليه زعيماً نعيم في البريمي وهما صقر بن سلطان وراشد بن حمد ، هو الملحق ١٠٥ من هذا العرض .

١٠ - نعيم

٧٠ - إن قبيلة نعيم هي أكبر القبائل وأقواها في إقليم البريمي . وفي الواقع أن كلا من قسمي القبيلة الرئيسيين ، وهما آل بوشامس وآل بوخريبان ، هو أكبر وأهم من أية قبيلة أو جماعة أخرى في إقليم البريمي . وتتمتع نعيم بمكان الصدارة في واحة البريمي حيث تملك القرى الرئيسية ، حماسا وبلدة البريمي ، ومعاقلهما . وليس هناك جدال في تفوق المكانة التي تحتلها بين القرى المجاورة في وادي الجزى ووادي أجران . وتسيطر القبيلة سيطرة كاملة على كل من ضنك وحفيت والقابل والسنيينة بما في ذلك قراها المجاورة . وليست قوة نعيم محصورة في إقليم البريمي ، فإن العناصر البدوية من آل بوشامس ترعى قطعانها وتجنى ثمر النخيل في رمال الختم ، وهو إقليم معترف له بأنه يؤلف جزءاً من ديرتها .

٧١ - إن صقر بن سلطان هو أكبر زعماء آل بوخريبان وامتلاكه لقصر الحلة وقصر الخندق يجعله أقوى فرد في الواحة . وإن معظم بطون آل بوخريبان تعترف به أعلى سلطة محلية لهم ، وهناك إشارات معينة تدل على زعامته ، تتضمنها بيانات رؤساء الحميريات والمزارقة وبنى ساعدة (الملاحق ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥) . وإعلان الولاء الذي قدمه صقر بن سلطان هو الملحق ١٠٧ من هذا العرض ، كما أن هناك بياناً آخر ينم عن الولاء تضمنه كتاب بعث به إلى جلالة الملك سعود عندما غادر تركي بن عبد الله بن عطيشان البريمي في شهر ذي الحجة عام ١٣٧٣ هـ (أغسطس عام ١٩٥٤ م) :

... بمناسبة سفر الأمير تركي بن عبد الله من هذه الأطراف أحببنا رفع السلام والأعلام بأفئتنا ما زلنا ولم نزل على ما كان عليه آبائنا من سابق من الولاء والاخلاص مع آل سعود دربنا دربكم وديارنا دياركم والمحبة الأمير تركي والشيخ عبد الله ابن عبد العزيز اطلعوا على اخلاصنا معكم وهو واصلا إليكم والحقيقة تجدونها من لسانه شفاهياً هذا وعليكم السلام والبارى يحفظكم ...

٧٢ - إن راشد بن حمد الشامسي هو أكبر زعماء آل بو شامس في واحة البريمي . ومقره في حماسا التي كانت أيضاً مقر إقامة أمير البريمي السعودي من عام ١٣٧١ هـ إلى عام ١٣٧٣ (١٩٥٢ م إلى ١٩٥٤) . وقد أعلن راشد ولاءه لآل سعود في وثيقة تظهر في الملحق ٤٨ ، كما أن اسمه يبرز بين أسماء وجهاء البريمي الذين وقعوا الإعلان المدرج في الملحق ٥٩ . وهناك بيان شخصي أوفى يعرب عن ولائه وولاء جماعته ، وهو الملحق ١٠٦ . وانا لإشارات الدالة على زعامة راشد على بطون من نعيم تتضمنها البيانات التي قدمها رؤساء الكلابنة وحمدان بن خلفان الذي هو من أبرز الشخصيات في قرى وادي الجزى (الملحقان ١٢١ و ١٣٤) .

٧٣ - إن أبرز شخصيات آل بو شامس في الجزء الجنوبي من الظاهرة هو محمد بن سالمين بن رحمة وأولاده حمد وفاضل وسليمان ، ومقر العائلة في السنية حيث تباشر سلطتها على القرى المجاورة وهي الريحاني والهرموزي ، وكذلك القابل التي تبعد نحو ٤٠ كيلو متراً إلى الشمال . وللعائلة أيضاً نفوذ كبير على أفراد القبيلة من البدو الذين تضم ديارهم الحتم وجزءاً من الظاهرة يقع بين البريمي ووادي الصفا . وتدل البيانات التي قدمها محمد بن سالمين (الملحقان ٥٣ و ١٢٣) على ولائه لآل سعود وكذلك فإنه مع أبنائه وبعض أقاربه كانوا من بين وجهاء قبيلة نعيم الذين وقعوا البيان الذي يؤلف الملحق ٥٩ من هذا العرض .

٧٤ - وتنقسم قبيلة نعيم إلى قسمين رئيسيين ، هما آل بو خريبان وآل بو شامس ، وكلاهما ممثلان بالتساوي تقريباً في إقليم البريمي . وفيما يلي البطون الرئيسية للقسمين في إقليم البريمي ، مع أسماء زعمائهم ومواقع إقامتهم وكذلك الإشارات الدالة على وثائق الولاء الملحقة بهذا العرض والتي تظهر فيها أسماءهم :

أولا : آل بوخريبان - أكبر زعمائهم صقر بن سلطان آل حمد في بلدة البريمي (الملحق ١٠٧)

١ - العوادة - محمد بن علي بن عواد في حفيت (الملاحق ٥٩ و ٦٢ و ١٢٠)

سيف بن حمد في حفيت (الملحق ١٢٠)

- ٢ - العزازفة - سيف بن عبيد العزافي في البريمي .
 ٣ - الفساسنة - عبيد بن حمد في ضنك (الملحق ١٢٦)
 ٤ - الحديرات - خادم بن حمد ومحمد بن علي وسالم بن حمد في ضنك (الملحق ١٢٣)
 ٥ - الجوارحة - سالم بن عبد الله الجراحي في البريمي
 ٦ - بني جابر - محمد بن سيف في صعرا
 ٧ - الخواطر - أحمد بن محمد الصلف وسلطان بن علي الصلف في حفيت (الملحق ٥٩)
 ٨ - المحاسنة - حميد بن عبد الله المحسني في صعرا
 ٩ - المزابيع - محمد بن طالب المربوعي في ضنك
 ١٠ - المزاحية - سيف بن خميس المزاحي في صعرا
 ١١ - المزارقة - راشد بن عبد الله بن زريق المزيرقي في ضنك (الملحقان ٥٩ و ١٢٥)
 سالم بن سلومة بن زريق وحمد بن عبد الله بن حثبور في ضنك (الملحق ١٢٤)
 ١٢ - القرطاسة - صقر بن سلطان القرطاسي في بلدة البريمي (الملحق ١٠٧)
 حميد بن راشد وحمدان بن راشد في حفيت (الملحق ٥٩)
 ١٣ - القواولة - علي بن أحمد بن قوال في البريمي
 ١٤ - الشكور - عبيد بن أحمد في ضنك (الملحق ١٢٦)
 ١٥ - الصيرة - سالم بن محمد (المدعو ابن حمودة) الصيري في البريمي .
- ثانياً - آل بو شامس - أكبر زعمائهم راشد بن حمد في حماسا (الملاحق ٤٨ و ٥٩ و ١٠٦) .
- ١ - آل علي - مشاري بن محمد في حماسا
 ٢ - العرجان - علي بن حمد بن عابد العرجاني وسيف بن محمد بن سلطان ومبارك ابن عبد الله وعبد الله بن حمد بن عابد في القابل (الملحق ١٣٨)
 ٣ - العوايد - مبارك بن خلفان العايد في السنينة (الملحق ٥٩)
 ٤ - آل عزيز - مطر بن سالم في ضنك (الملحق ٥٩)
 ٥ - آل حيا - محمد بن حمد اليحيائي في ضنك
 ٦ - الهوادنة - راشد بن هويدن في الهرموزي
 ٧ - الهواشل - علي بن عبد الله الهاشلي في حماسا وسالم بن محمد في السنينة .
 ٨ - الكلابنة - حمد بن عبد الله الكلبي ومحمد بن سالمين وسعيد بن حمد ومحمد ابن مبارك وسعيد بن عبد الله وسيف بن مبارك في حفيت (الملحق ١٢١)
 ٩ - الكلبيات - حمدان بن خلفان الكلبي في واسط (الملحقان ٥٩ و ١٣٤)
 ١٠ - المحاسنة - محمد بن عبد الله المحسني في حماسا
 ١١ - المسالمة - حمد بن مسلم في الهرموزي .
 ١٢ - المسامير - حمد بن سالم المسامري في حماسا .
 ١٣ - التوايل - فالح بن سيف التايل وحمد بن سليمان في السنينة (الملحق ٥٩)
 ذابيل بن محمد في حماسا .

- ١٤ - بيت رحمة - محمد بن سالمين بن رحمة في السنينة (الملاحق ٥٣ و ٥٩ و ١٢٢).
 حمد بن محمد بن سالمين وفاضل بن محمد بن سالمين وسلطان بن محمد بن سالمين
 في السنينة (الملاحق ٥٩)
- ١٥ - آل شامس - راشد بن حمد بن شامس في حماسا (الملاحق ٤٨ و ٥٩ و ١٠٦)
 محمد بن حمد وعبد العزيز بن سلطان في حماسا (الملاحق ٥٩)
- ١٦ - الرحاشا - حمد بن سالم الوحشي في ضنك .

• • •

- بنى غيث - سعيد بن سليمان (الملاحق ٦٠)
 قبيلة صغيرة مستقلة على ارتباط وثيق بنعيم

١١ - الظواهر

٧٥ - إن الظواهر في البريمي يؤلفون قبيلة إذا جاز لنا أن نتوسع في استعمال هذه الكلمة ، ذلك أنها تتألف من بطن كبير واحد ومن عدد من الجماعات الصغيرة ، وهي بذلك تتركز برمتها في مساحة صغيرة حيث لا يوجد أى قسم من القبيلة في أى مكان آخر خارج الواحة . وإن الأكثرية الغالبة من الظواهر هم حضر في الدرجة الأولى ، إلا أن معظمهم يقضون شهور الشتاء في التجوال بطريقة بدوية في الصحارى المحيطة بالواحة .

٧٦ - إن القرى الأربع التي يعيش فيها كل الظواهر تقريباً هي هيلي والقطارة والقيمي والمعرض . وعلى الرغم من أن قرية العين تسمى أحياناً « عين الظواهر » إلا أنه لا يوجد هناك أفراد من القبيلة كما سيتضح ذلك فيما بعد . وتقول المصادر البريطانية إن الظواهر هم أكثر عدداً من بقية القبائل في الواحة ، غير أن بياناتهم هذه تركز على معلومات مبتورة جمعت خلال زيارات قصيرة قام بها قلة من الموظفين البريطانيين على أنه قد فاتهم تقدير الوضع الصحيح في العين ، كما فاتتهم الحقيقة الواضحة أن عدداً كثيراً من سكان القرى الأربع الأخرى هم عمال زراعيون لا يتبعون الظواهر أو أية قبيلة عربية أخرى .

٧٧ - ويعود ولاء الظواهر لآل سعود إلى مائة وخمسين سنة مضت (الفقرتان ٢٧ و ٣٨ من الفصل الرابع فيما بعد) . لقد سبق للأمراء السعوديين في البريمي أن ندبوا زعماء القبيلة لجمع الزكاة ، باسم الحكومة ، من أتباعهم . وإن رفض الظواهر قبول سلطة زايد بن خليفة ، أقوى حكام أبو ظبي على الإطلاق ، في وقت كانت فيه الدولة السعودية في الحضيض ، لمبين في الفقرة ٢٦٣ من الفصل الرابع فيما بعد . ونتيجة لهذا الولاء التقليدي فإن البريطانيين وأبو ظبي الذين كانوا قد أجهدوا أنفسهم خلال السنوات الست الماضية ، أو ما يقاربها ،

لإقامة أسس لادعاءاتهم في المناطق المتنازع عليها (الفقرة ٣٦٢ من الفصل الرابع فيما بعد) ذهبوا إلى حد بعيد في ضغطهم على الظواهر (الفقرات ٧٩ و ٨٠ و ٨١ اللاحقة) .

٧٨ - وتتضمن قبيلة الظواهر بطناً واحداً كبيراً فقط وهو بطن الدرامكة . ولذلك فإنه من المستحسن تناول الجماعات المختلفة بنسبتها إلى القرى بدلا من نسبتها للبطون . وبعد الأخذ بعين الاعتبار القرى الأربع التي يسكنها مجموع الظواهر ، فمتعطى تفصيلات عن الجماعات الخمس الرئيسية للأهالي الذين يقطنون في العين وهم الذين كثيراً ما يدرجون خطأ على اعتبار أنهم يتبعون الظواهر ، خاصة في المصادر البريطانية .

الظواهر في القطارة وهيلي

٧٩ - والمقر الرئيسي للدرامكة الذين هم أكبر بطن من بطون الظواهر ، هو في القطارة . ويقطن عدد منهم أيضاً في قرية هيلي المجاورة التي تخضع لسلطة الزعماء المحلية في القطارة ، ويمكن اعتبارها ملحقة بتلك القرية . والزعماء الرئيسيون للدرامكة هم سعيد ومحمد ولدا سلطان بن محمد ، وقد تجلى ولاؤهما للمملكة العربية السعودية في الوثيقة التي تؤلف الملاحق ١٢٩ . ونتيجة للإرهاب الذي قام به ممثلو أبو ظبي بمساندة البريطانيين ، فقد اضطر هذان الزعمان إلى ترك القطارة والمجوء إلى حماسا حيث يقمان الآن . وقد استولى آل بو فلاح ، وهم العائلة الحاكمة في أبو ظبي ، على بيت الزعيمين المسمى بيت الدرمكنى والمبين على الرسم الموجود في صفحة سابقة من هذا الفصل ، وما زال يحتل البيت أحد أتباع آل بو فلاح ، هذا إلى جانب ما قام به آل بو فلاح من الاستيلاء على ممتلكات زعيمى . الدرامكة في القطارة بما في ذلك عدد كبير من النخيل . أما الزعيم البارز الثالث

بين الدرامكة فهو راشد بن سعيد ابن عم أبناء سلطان. وقد وضح ولاءه للمملكة العربية السعودية في الوثيقة التي تؤلف الملحق ١١٤ ، حيث يتحدث عن كيفية إرغامه على توقيع إعلان ولاء لأبو ظبي .

الظواهر في القيمي

٨٠ - لا توجد بطون كبيرة للظواهر في القيمي. وأفراد القبيلة الساكنون هناك يقعون تحت السلطة المحلية لزعماء ثلاث من العائلات هم آل خمودة وآل هلال وآل سرور. ورئيس آل خمودة التي يقال إنها عائلة منحدره من المرر (الفقرة ٥١ السابقة) هو علي بن غانم. أما آل هلال فقد تأسس بيتهم في القيمي منذ عدة سنوات على يد فرد من قبيلة بني سعد ، وقد هاجر من الباطنة وانضم إلى الظواهر . ورؤساء ذلك البيت في الوقت الحاضر هم شبيب وسعيد ولدا محمد بن هلال ، وقد أعلنوا ولاءهما للمملكة العربية السعودية في الوثيقتين اللتين تؤلفان الملحقين ١٢٨ و ١٣٢ . وهذان الزعميان يملكان البرج المبين في الرسم الموجود في صفحة سابقة من هذا الفصل ، والمسماى برج ابن هلال وهو أقوى معقل في القرية . وبسبب ولاءهما للمملكة العربية السعودية فقد أرغم شبيب وسعيد على اللجوء إلى حماسا ، ووضع آل بوفلاح يدهم على البرج وعلى منزلهما الكبير وعلى جميع ممتلكاتهما بما في ذلك النخيل . وأما زعماء آل سرور فهم عبد الله بن أحمد وسلطان بن أحمد اللذان ينحدران من أحمد بن محمد الذي كان رفيقاً وثيقاً لتركي السديري في الإدارة السعودية للواحة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر (الفقرة ٢٠٤ من الفصل الرابع فيما بعد) .

الظواهر في المعترض

٨١- وكما هو الحال في القيمي ، فإنه لا توجد بطون كبيرة للظواهر في المعترض . ورؤساء أفراد القبيلة الذين يعيشون هناك هم سلطان بن سرور ومنايع ابن محمد من آل سرور (الفقرة ٩٣ السابقة) . وبسبب قرب القرية من الممتلكات التابعة للعائلة الحاكمة في أبو ظبي . ، فإن سكانها قد تعرضوا للضغط الثقيل بصفة خاصة ، وذلك لحملهم على التخلي عن ولائهم للحكومة العربية السعودية . وفي عام ١٩٥٥ أرغم زايد أخو حاكم أبو ظبي زعماء آل سرور مع آخرين من وجهاء الظواهر على التوجه إلى الشارقة حيث جرى بذل المحاولات للحصول منهم على إعلانات ولاء لأبو ظبي .

أهالى العين

٨٢- إن عدم إمكان الاعتماد على المعلومات الواردة في أهم المصادر البريطانية يتجلى في بيان لوريمر القائل إن الظواهر يشتملون على ثلاثة بطون رئيسية ، أحدها محصور في العين وهم الجواير .^(١) وليس هناك بطن يسمى الجواير يتبع أية قبيلة في العين ، كما أنه ليس هناك أى بطن من الظواهر . وإن أهالى العين يعودون إلى خمس جماعات رئيسية ليس لأية منها أى اتصال بالظواهر .

٨٣- إن أكبر جماعة في العين هي النجادات الذين يستدل من اسمهم على أنهم هاجروا في الأصل من نجد ، وتؤيد هذا الرأي أقوال أفراد الجماعة

(١) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤٣٩ .

ذاتهم على أنهم يعتبرون أنفسهم الآن منضمين إلى آل بو خريبان من نعيم. أما الجماعتان اللتان تليان النجادات في العدد فهما النواصر والكويتات الذين يقال إنهم ينحدرون من مهاجرين أتوا من الكويت. أما النواصر فإنهم مثل الجماعة الرابعة، وهم المطاوعة، انحدروا من آل بوشامس من نعيم، وما زالت الجماعتان تحتفظان بعلاقات قوية مع أفراد قبيلتهم الأصلية. أما الجماعة الخامسة، آل بروك، فهي جماعة صغيرة جداً تتبع قبيلة آل بوحمير (الفقرة ٤٩ السابقة).

٨٤ - إن الزعيم الرئيسي في العين هو محمد بن سعود آل عرار، الذي يعود بنسبه إلى بني هاجر، القبيلة السعودية. لقد قاوم أفراد هذه العائلة سنين طويلة ضد توسع أي نفوذ من جهة أبو ظبي في اتجاه الطرف الذي يخصهم من الواحة. وإن الوثيقة التي تشكل الملحق ١٣٠ تشمل على تكذيب من محمد بن سعود بقيام آل بو فلاح بجمع الضرائب الإسلامية في العين في أي وقت من الأوقات.

٨٥ - إن زعماء النجادات هم محمد بن عبد الله النجادي وأولاده الخمسة وأكبرهم هو راشد، ومحمد النجادي الذي قد تجاوزت سنه الآن مائة عام (وترفق بهذا العرض صورة له) ما زال يتذكر بجلاء تركي السديري الأمير السعودي في البريمي. وقد أرغم محمد وجميع أولاده، بسبب ولائهم للمملكة العربية السعودية على التخلي عن بيوتهم واللجوء إلى حماسا. أما ممتلكاتهم في العين فقد استولى عليها آل بو فلاح.

٨٦ - إن زعماء الكويتات هم هلال بن حمد بن ثابت وهلال بن سعيد وسلطان بن أحمد بن سلطان وعلى بن سلطان الخنتير. أما زعماء النواصر فهم أحمد بن مفتاح بن علي وسعيد بن عبد الرحمن بن ناصر وسيف بن عبد الرحمن. وزعيم المطاوعة هو صالح بن أحمد بن صالح، وزعيم آل بروك من آل بوحمير هو عبد الله بن محمد بن بروك.

١٢ - بني قتب

٨٧ - إن قبيلة بني قتب الكبيرة تشتمل على جماعتين رئيسيتين إحداهما في شمال البريمي والأخرى في جنوبها. وتفصل بعضها عن بعض مسافة طويلة وأسلوب حياتهم ، إلا أنهما تشتركان في الولاء للمملكة العربية السعودية. وتتألف إحدى هاتين الجماعتين من البدو بشكل رئيسي وهم يعيشون بين جبال الحجر وساحل الصلح ، في حين أن الجماعة الأخرى تعيش في الجزء الجنوبي من الظاهرة في القرى المسماة أفلاج بني قتب .

٨٨ - إن الجماعة التي تقطن الشمال هي تحت زعامة محمد بن علي بن هويدن الذي مقره الرئيسي في واحة الذيد (الفقرتان ٧٦ و ٧٧ من الفصل الثاني فيما سبق) . وتمتد ديرة هذه الجماعة جنوباً بغرب نحو أراضي أبو ظبي ، وصوب الحدود الشمالية لديار آل بوشامس من نعيم . أما في الجنوب فيفصل بينها وبين البريمي ديار بني كعب . وتحتل القبيلة مركزاً مسيطراً في المدخل المؤدى إلى وادي القور وذلك هو طريق السيارات الوحيد عبر جبال الحجر . هذا وقد أيد محمد ابن علي بن هويدن وكثير غيره من وجهاء الجماعة الشمالية لبني قتب ، أيدوا ولاءهم للمملكة العربية السعودية في الوثيقة التي تشكل الملحق ٦٣ من هذا العرض .

٨٩ - أما الجماعة الجنوبية لبني قتب ، وهي التي وصفت قراها في فقره ٩٠ من الفصل الثاني فيما سبق ، فرعيمهم ذيبان بن علي بن ربيع وابن أخيه علي بن محمد بن ربيع ، وكلاهما يعيشان في المعمور . ويتألف الملحق ١٣٥ في هذا العرض من إعلان ولاء من جانب أولهما ، كما أن الملحق ١٤٠ هو عبارة عن كتاب حديث أرسله الأخير إلى جلالة الملك سعود ، ويحتوي الكتاب ، بالإضافة إلى الولاء تأكيداً ، على شكوى من تدخل البريطانيين في إقليم أفلاج بني قتب .

١٣ - البلوش

٩٠ - إن أفراد البلوش المقيمين في الجزء الجنوبي الشرقي من الظاهرة قد استقروا هناك منذ مدة طويلة واقتبسوا تماماً أساليب حياة الأهالي هناك ، بحيث يستحيل التمييز عملياً بينهم وبين العرب المجاورين . وهم أنفسهم يقولون إنهم ينحدرون من أصل عربي وإن أسلافهم كانوا ممن ترك جزيرة العرب إلى بلوشستان منذ قرون مضت . وهناك كثير من العرب في الظاهرة الذين يقرون أن هؤلاء البلوش يجب اعتبارهم عرباً .

٩١ - يملك البلوش جزءاً من بلدة العراق في وادي الكبير وكذلك ثلاث قرى تقع نحو الشمال الغربي من عبري ، وهي المازم والصبيخي ومشارب . ومع أن المازم تعتبر البلدة الرئيسية في هذه الأراضي البلوشية ، إلا أن زعيمهم الأكبر راشد بن سعيد آل اسماعيل كان يقيم في العراق ، إلى أن أرغم على الهروب من هناك عندما استولت جنود سلطان مسقط بقيادة ضباط بريطانيين على البلدة وذلك خلال العمليات التي يجري وصفها في الفقرتين ٣٧٥ و ٣٧٦ من الفصل الرابع فيما بعد. وإن سعيداً أكبر أبناء راشد يقوم مقام والده في جميع قرى البلوش في الظاهرة ، وإعلان ولائه يشكل الملحق ١٣٦ من هذا العرض . والفصل الرابع من هذا العرض يقدم الكثير من البيانات التاريخية التي تدل على الولاء القديم الذي يكنه هؤلاء البلوش لآل سعود ، وكذلك فإن هذه البيانات تصف الطريقة التي لعب بها هؤلاء القوم دوراً هاماً في الإدارة السعودية بإقليم البريمي .

١٤ - بنى كعب

٩٢ - إن قبيلة بنى كعب هي أكبر القبائل التي تعيش في جبال الحجر إلى الشمال من البريمي ، ويسكن أغلب أفراد القبيلة في قرى بالأودية الواقعة على الجانب الغربي لسلسلة الجبال وبين الممرين الرئيسيين اللذين يخترقان الجبال ، وهما وادي الجزى إلى الجنوب ووادي القور إلى الشمال . ويعيش بعض رجال القبيلة بدوا رحلا في الرمال الواقعة شمالي البريمي .

٩٣ - وقد سبقت الإشارة إلى بعض قرى بنى كعب الكثيرة في الفقرة ٧٩ من الفصل الثاني فيما سبق . ومحصنة أكثرها سكاناً وأوسعها من حيث بساتين النخيل ، وهي تقع على مسافة قصيرة جداً خارج الربع الشمالي الشرقي لدائرة البريمي وعلى طريق السيارات الرئيسي شمالي البريمي . وكانت محصنة موطن عبيد ابن جمعة المزاحمي أكبر شيوخ بنى كعب ، إلى أن أرغم على الفرار منها بسبب الإجراءات العسكرية البريطانية . وفي هذا العرض تقرير تقدم به عبيد بن جمعة عن هذه الإجراءات في الملحق ١١٣ .

٩٤ - وبنى كعب ، مثل أصدقائهم من نعيم ، لهم تاريخ طويل يدل على تعاونهم مع العائلة الحاكمة في المملكة العربية السعودية ، كما يدل على العداوة تجاه آلا بو فلاح في أبو ظبي . وكان عبيد بن جمعة أكبر الزعماء ، وكذلك سعيد بن محمد بن ديين وهو شخصية بارزة أخرى في القبيلة ، من بين الذين وقعوا الوثيقة التي في الملحق ٥٩ من هذا العرض . وكذلك قام عبد الله بن سالم بن ديين ، وهو زعيم أفراد القبيلة اللذين يعيشون في قرية شرم ، بإعلان ولائه للمملكة العربية السعودية في كتاب يشكل الملحق ٦٤ من هذا العرض بالإضافة إلى إعلانين آخرين تقدم بهما عبيد بن جمعة يتضمنهما الملحقان ٦٤ و ١٣٣ .

Faint, illegible text, possibly bleed-through from the reverse side of the page.

الفصل الرابع

الأساس التاريخي المتعلق بالمناطق المتنازع عليها

١١٧٩ - ١٣٧٤ هـ (١٧٦٥ - ١٩٥٥ م)

١ - جزيرة العرب قبل القرن الثاني عشر الهجرى (القرن الثامن عشر الميلادى)

١ - إن الحافظ على الوحدة الذى ازداد قوة مطردة فى جزيرة العرب فى غضون القرنين الماضيين ، هو ظاهرة جديدة تكاد تكون فريدة فى تاريخ الجزيرة . وفى جميع العصور السابقة ، باستثناء فترة وجيزة ، كانت الحالة السائدة هناك حالة تفكك وكثيراً ما تفاقمت بسبب الحروب بين الدويلات الكثيرة والقرى والقبائل المستقلة . ولم تكف وحدة الجنس واللغة والثقافة فى جمع شمل السكان . وقد تحققت الوحدة مرة واحدة فقط وذلك فى القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) عندما أدخل النبي محمد صلى الله عليه وسلم رابطة جديدة هى رابطة الدين الواحد ، وتعهدوا هو وخلفاؤه من بعده . وضم الإسلام فى أيام مجده الأولى جميع سكان الجزيرة تحت حماية دولة واحدة تستوحى مبادئ هذا الدين . وفى أثناء فترة المجد الحافظة هذه ، أظهر العرب نبوغهم فى جزيرتهم ، وحملوا عقيدتهم إلى أقصى أركان العالم المعروف وأرسوا دعائم حضارة من أكثر الحضارات إشراقاً وإيناعاً . غير أنه لما اتسعت رقعة الممالك الإسلامية وتفرق الناس مذاهب شتى ، نسي كثير منهم تعاليم الإسلام الصحيحة أو شوهوها ، وعادت الجزيرة إلى حال التفكك التى كانت قد بليت بها فى

قرون سابقة . وفي تفككهم فقد العرب القدرة على إحراز جزء صغير مما كانوا كسبوه عندما وقفوا إخوة متساندين . ولدة تزيد على ألف سنة ، كانت الأقسام السياسية في جزيرة العرب في حالة ضعف ولم تسد فائدة تذكر للعالم أو حتى للأفراد الذين كانوا يعيشون حياة الفاقة من أبنائها .

٢ - في النصف الأول من القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) مدت الامبراطورية العثمانية سلطانها على البلاد العربية في سوريا والعراق ومصر ، فبقيت خاضعة لها حتى الحرب العالمية الأولى . وتقدم الترك أيضاً في داخل جزيرة العرب ، غير أن سيطرتهم هناك لم تتجاوز قط الحجاز واليمن وبعض المناطق في شرق جزيرة العرب على ساحل الخليج الفارسي . ولم يحدث قط أن سقطت نجد ، وهي المنطقة الرئيسية في الداخل ، تحت السيطرة القوية للحازمة للعثمانيين . وقد جاء الترك بقدر من الوحدة لأراض عربية أخرى ، لكنهم لم يحققوا ذلك لجزيرة العرب بوجه عام ، وكان عرب الجزيرة يعدون الترك دخلاء أجنب ، كما أن المسلمين المخلصين هناك لم يستطيعوا أن يغفروا لهم سماحهم بإقامة شعائر دينية فاسدة تناقض روح الإسلام الأصلية ، أو تشجيعهم مثل هذه الشعائر في بعض الأحيان .

٣ - إن مراجعة المعلومات التاريخية الكثيرة باللغات العربية والتركية والفارسية واللغات الغربية المختلفة تدل على أن تاريخ المنطقة التي تعنى بها هيئة التحكيم كان أقرب ما يكون إلى صفحة بيضاء في الفترة السابقة لأواسط القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) . ومن غير المحتمل أن تكون أية مصادر هامة قد غابت عن النظر ، أما السجل الكامل لماضي المنطقة البعيد فإن لنا أن نعهده مفقوداً ولا سبيل إلى استرداده .^(١) وإن المعلومات المشتتة التي لدينا تدل

(١) هناك موضعان في المنطقة معروفان من زمن قديم وهما البريمي وبينونة . وقد ورد ذكر البريمي باسمها القديم توام (أو توأم) في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) بينما =

على أن المنطقة استمتعت عادة بتحرر من سيطرة أية قوة أجنبية ، سواء أكانت في منطقة أخرى من مناطق جزيرة العرب أو فيما وراء حدود الجزيرة ، إذ أن بعد المنطقة وافتقارها إلى موارد هامة لم يشجعها على فرض أى حكم أجنبي .

ورد اسم بينونة في معجم البلدان لياقوت في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) (الفقرة ٢٦ من الفصل الثاني فيما سبق). والاسم القديم لمنطقة البريمي هو الجو (أو الجوف).

٢ - جزيرة العرب في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)

٤- في سنة ١١٥٤ هـ (١٧٤١ م) بدأ عصر جديد في كل شيء في تاريخ جزيرة العرب عندما بدأ عالم ديني شاب من أهل نجد ، هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، دعوته إلى الإصلاح الحاسم لحياة العرب الدينية والسياسية والاجتماعية . وأكد الشيخ محمد أن العقيدة الأساسية للإسلام هي التوحيد ، وهكذا دعا إلى العودة إلى الدين ، كما كان في أيام النبي (ص) والسلف الصالح قبل أن يصيب المسلمين تدهور عام . وسعى الشيخ محمد إلى إعادة تقرير مبدأ ديني هام هو أن جميع المسلمين إخوة وأنهم بناء على ذلك ينبغي أن يتآلفوا في جماعة واحدة . وكثيراً ما تسمى الحركة التي بدأها هذا المصلح النجدي بالحركة الوهابية ، وهو تعبير غير دقيق لا يلقى تأييداً من أتباعها . وللمسؤولية سيشار إلى الحركة في هذا العرض باسم « الدعوة إلى التوحيد »^(١).

٥ - تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عام ١١٥٧ هـ (١٧٧٤ م) مع محمد بن سعود الذي حكمت أسرته مدة نحو ثلاثة قرون بلدة الدرعية المستقلة في قلب نجد . وتعهد هذا الزعيم أن يقف حياته للدعوة ، وأكد له الشيخ : « هذه كلمة (لا إله إلا الله) من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد »^(٢) . وبابرام هذا التعاقد بين محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب ، بدأت جزيرة العرب تخطو صوب وحدة لم تعرفها منذ فجر الإسلام . ومنذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا ، لم يضمن آل سعود بثروة ولا عزت عليهم أرواح أبنائهم ،

(١) سوف ترد عبارتا الوهابية والوهابي بكثرة في المقطعات ولا سيما تلك التي تنقل من كتب المؤلفين الغربيين .

(٢) عثمان بن بشر « عنوان المجد في تاريخ نجد » (١٣٤٩ هـ) مجلد ١ ، ص ١٢ .

في سبيل خدمة القضية السامية التي أعلنها الشيخ ، وهي قضية الإسلام القوي النقي .

٦ - في الوقت الذي كان فيه المسرح يهياً لتغييرات كبيرة في نجد كان تغيير آخر يجري في شرق جزيرة العرب . فقد مات آخر أئمة عمان اليعربيين سنة ١١٥٦ هـ (١٧٤٣ م) بعد أن حكموا أكثر من قرن . ولإمامة عمان ، التي تكاد تكون غير معروفة للعالم الخارجي ، تاريخ أطول من تاريخ أي دولة إسلامية أخرى قائمة اليوم ، فتاريخ أسلافها يرجع إلى أيام قيام الخوارج في القرن الهجري الأول (السابع الميلادي) ، وهي أول حركة انفصالية في الإسلام . وفي القرن التالي ، انتخبت جماعة من الخوارج ، صارت تعرف باسم الأباضية ، إمامهم الأول (٣) في عمان ، كما انتخب أئمة كثيرون هناك منذ ذلك الوقت . ويرى الأباضيون أنه لا داعي لانتخاب إمام حين يتعذر وجود رجال صالحين ، فخلو مقعد الإمام لا يضير بقاء الجماعة . ومن ثم فإن جماعة الأباضيين ، على الرغم من فترات انقطاع سلسلة الأئمة حافظت على استقرارها في عمان على مر العصور ، وانضم إلى أنصارها قسم كبير من السكان . وبعد موت آخر يعربي ، خلا مقعد الإمام لفترة وجيزة ، ثم استطاع رجل اسمه أحمد بن سعيد ينتمي إلى قبيلة آل بو سعيد التي لم يكن لها شأن في ذلك الوقت ، أن يبرز كفاءته بقيادته حملة طرد فيها الفرس الذين كانوا قد ظفروا مؤقتاً بموطئ قدم على ساحل الباطنة على خليج عمان . وحوالي عام ١١٥٧ هـ (١٧٤٤ م) كان أحمد قد أصبح سيداً على الساحل ، فهبت جماعة الأباضيين تنتخبه (٤) إماماً

(٣) يطلق لقب امام على رؤساء الدول الإسلامية المختلفة التي تحكم بالشريعة الإسلامية . وقد أطلق هذا اللقب على الحكام من آل سعود دلالة على مكانتهم الدينية التي يتمتعون بها بوصفهم أصحاب الدعوة إلى التوحيد .

(٤) تاريخ الانتخاب غير معروف بالضبط .

جديداً لها . ومع أن أحمد كان يمتاز بقسط كبير من المواهب ، فقد كانت أمامه مشاكل خطيرة يتعين عليه مجابتها . ويقول الكوماندر هوجارث مدير المكتب العربي للحكومة البريطانية في القاهرة في أثناء الحرب العالمية الأولى :

إن آل بو سعيد ، الذين لم يكنوا من ذوى الدم الأزرق . . . ولكنهم كانوا ينتمون إلى تجار وصلوا إلى الحكم في موجة عابرة من الغضب الشعبى ، ألفوا أنفسهم مكرهين على الاعتماد على المرتزقة وعلى البحث عن أساليب جديدة لدفع المال إليهم .^(٥)

أدت مثل هذه الصعوبات إلى أن تنقل الأسرة الحاكمة الجديدة عاصمتها من داخل عمان إلى مسقط نحو نهاية القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) ، وبعد ذلك أنشأت الأسرة هذه العلاقة مع البريطانيين التى مكنتها من أن تعيش إلى هذا اليوم .

٧- وفى قسم آخر من شرق جزيرة العرب ، تقع بلدة أبو ظبى التى تأسست نحو عام ١١٧٤ هـ (١٧٦١ م) كما جاء فى دراسة أعدها موظف بريطانى فى الخليج الفارسى فى سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م)^(٦) . ولم تول التقارير البريطانية السابقة أبو ظبى أو سكانها المنتمين إلى ما يسمى بقبيلة بنى ياس اهتماماً كبيراً . وكان هؤلاء الناس ، وهم مجموعة عناصر من أصول غير متجانسة ، قد قرروا أن يستقروا على الساحل عندما وجدوا ماء فى جزيرة أبو ظبى ، وكان المتحضرون الأوائل قد احتلوا المناطق التى تفضلها فى ذلك الجزء من بلاد العرب . وربما كان من العسير الاهتداء إلى بقعة أقل ملاءمة من هذه التى وقع الاختيار عليها وتصف السجلات البريطانية المرسمى بأنه

(٥) هو جارث ، « جزيرة العرب » (١٩٢٢ م) ص ١١٠ .

(٦) مختارات من سجلات حكومة بمباى ، سلسلة جديدة ، مجلد ٢٤ (١٨٥٦ م) ص ٤٦٣ .

غير آمن ، والترربة بأنها جافة ، والماء بأنه مائل إلى الملوحة ،^(٧) ولكنها تميزت على الأقل بمزية عدم سهولة الوصول إليها نسبياً ، وحتى اليوم يتحتم على المرء أن ينتظر الجزر في الحور المفضى إلى الجزيرة . وفي نحو هذا الوقت ، سقطت رئاسة ببي ياس ، التي كانت ذات يوم في أيدي السودان^(٨) ، في أيدي آل بوفلاح وهم حكام البلدة اليوم . وآل بوفلاح ، وإن كانوا كبعض عظماء حكام جزيرة العرب يزعمون الانتماء إلى قبيلة عنزة ، فإن المعروف بالتواتر أنهم تحدروا من صلب رجل يدعى فلاح من قبيلة الدواسر هاجر من نجد إلى قرب الساحل الجنوبي الشرقي للخليج الفارسي .^(٩) وقد فرض أحد المنحدرين من صلبه سلطانه على أهالي بني ياس بعد قتله عمه . وبعد بضعة أعوام ، في عام ١٢٠٧ هـ (١٧٩٣ م) ، تقابل هذا الرئيس مع أحد أبناء عمومته الذي « استل سيفه فقتله في الحال » .^(١٠) وكان التقدم عن طريق الاغتيال ، ولا سيما قتل قريب بيد قريب له ، من الوسائل التي لجأ إليها آل بوفلاح منذ ذلك الوقت ، ففاقوا أى بيت حاكم آخر في جزيرة العرب في هذا المضمار ، وأعجب سلسلة من حوادث اغتيال الإخوة بعضهم بعضاً التي حدثت أخيراً كانت من ثلاثين سنة أو نحوها .

(٧) مختارات بمبای ، ص ٤٦٢ .

(٨) ليس لهذه القبيلة صلة ببلاد السودان في أفريقيا ويسمى الرجل منها « سويدى » .

(٩) « عقود الجمان في أيام آل سمود في عمان » (مخطوط ، ١٣٧٤ هـ) ص ١٩٠ .

(١٠) مختارات بمبای ، ص ٤٦٤ .

٣ - حكم الإمام عبد العزيز آل سعود ١١٧٩ - ١٢١٧ هـ
(١٧٦٥ - ١٨٠٣ م)

٨ - مات محمد بن سعود ، أول حاكم من آل سعود نشط لنشر الدعوة إلى التوحيد ، في سنة ١١٧٩ هـ (١٧٦٥ م) في وقت كان فيه نفوذ الحركة ينتشر تدريجاً ، وإن فتوحاته في ذلك الوقت اقتصرت على بعض المناطق في نجد . وأصبح ابنه عبد العزيز الإمام الجديد في الدرعية ، مؤسس الدولة السعودية الأولى التي دان لها بالطاعة والولاء القسم الأكبر من جزيرة العرب في أثناء حكمه الطويل . وتم ذلك في أول الأمر تحت رعاية الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٩ - في السنة التي تبوأ فيها عبد العزيز العرش ، زار مسقط الرحالة كارستن نيبور وهو أول غربي يزود الغرب بوصف مفصل يمكن الاعتماد عليه بصورة عامة عن جزيرة العرب إجمالاً .^(١) وأكد نيبور مرتين أن الجو ، وهي منطقة البريمي ، منطقة مستقلة^(٢) . أما فيما يتعلق بسكان الساحل الجنوبي الشرقي للخليج الفارسي فقد وصفهم نيبور بأنهم كانوا « كلهم تقريباً من الحنابلة »^(٣) . وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه حنبلياً ، وكانت الدعوة إلى التوحيد قبل كل شيء حنبلية في طابعها . وتركز قوة المذهب الحنبلي الرئيسية في نجد إذ يتبع معظم بقية جزيرة العرب مذاهب أخرى . ويدل وجود نواة للحنابلة على

(١) لتقدير أعمال نيبور راجع هوجارث « التوغل في جزيرة العرب » (١٩٠٤ م) ص ٣٩ - ٦٢ .

(٢) نيبور « وصف جزيرة العرب » (١٧٧٤ م) ص ٢٥٥ و ٢٦٦ .

(٣) نيبور ، ص ٢٦٧ .

الساحل الجنوبي الشرقي قبل مجيء المصلحين من نجد على أنه كان هناك مجال خصب لغرس تعاليمهم .

١٠ - كان نيبور أيضاً أول من وجه نظر الغرب إلى دعوة الشيخ محمد إلى التوحيد . وحيث أنه لم تتح له فرصة الاجتماع بأى من أنصار هذه الحركة ، فإن معلوماته عنها تميل إلى أن تكون أقل وثوقاً من المعلومات التي وقف عليها مباشرة . ومع ذلك ، فإنه حتى في هذا استطاع أن يبدى عدداً من الملاحظات الصائبة :

... وقد تدخل (الدعوة) مع الوقت تعديلات ذات شأن على كل من عقائد العرب ونظام حكمهم .^(٤)
 ... إن بعض الشيوخ الذين كانوا قبلاً قادرين على مقاومة جيرانهم ، لم يعودوا في موقف يمكنهم من أن يصمدوا أمام عدد كبير من هؤلاء الشيوخ المتحدين ...^(٥)
 يأخذ (محمد بن عبد الوهاب) الزكاة من جميع رعاياه ... حتى يهين للفقير حاجته وحتى ينصر دينه على أولئك الذين يسميهم كافرين .^(٦)

١١ - زاد انتشار الدعوة إلى التوحيد بخطوات واسعة تحت حكم الإمام عبد العزيز ، فلما حل عام ١١٩٩ هـ (١٧٨٥ م) كانت نجد بأسرها قد دانت بالطاعة والولاء . ويصف بعض المصادر الغربية توسع هذه الحركة بأنه قد تم على وجه خاص بالقوة العسكرية ، وهو تحليل شبيه بتعليل كان سائداً في الغرب من زمن طويل إزاء توسع الإسلام المبكر في أيام الخلفاء الأولين . غير أن المستشرقين الغربيين ، مثل السر توماس أرنولد^(٧) الذين درسوا تاريخ الإسلام بروح العطف ونظروا إليه من جانب المسلمين لا من الجانب الآخر ، قد

(٤) نيبور ، ص ٢٩٨ .

(٥) نيبور ، ص ٢٩٩ .

(٦) نيبور ، ص ٣٠١ .

(٧) مؤلف كتاب « دعوة الإسلام » (الطبعة الثانية المنقحة ، ١٩١٣ م) .

اكتشفوا أن الإسلام قد اعتمد على الإقناع برسائله أكثر من اعتماده على قوة السيف . وكان علماء الدين والمبعوثون وحتى المسلمون العاديون أقدر على إقناع غير المسلمين باعتراف الدين من جميع جيوش الإسلام المدرعة . وهذا يصدق على الدعوة إلى التوحيد منذ بدايتها ، فقد قبل سكان جزيرة العرب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأنهم وجدوها تقوم قبل كل شيء على الحق ولأنها صالحة صلاحاً عجبياً نجابهة حاجاتهم وحاجات بيئتهم . وإن للإشارة التي سلفت عن النواة القديمة للحنابلة على الساحل الجنوبي الشرقي للخليج الفارسي (الفقرة ٩ السابقة) علاقة وثيقة بهذا الكلام .

١٢ - حتى بعض الترك ، الذين كانوا يميلون إلى معاداة أية حركة منبعثة من نجد كدعوة الشيخ محمد ، اعترفوا بسلامة تعاليمه كما يتضح من تقرير المستر هارفورد جونز (الذي أصبح السرهارفورد جونز برجز فيما بعد) :

... عند ما وصلت إلى البصرة في سنة ١١٩٨ هـ (١٧٨٤ م) كان أحسن الترك اطلاعاً ... يدركون أن تعاليمه (الشيخ محمد) عند ما فحصت بالنص المجرد للقرآن الكريم ، وجدت صحيحة تماماً ومتفقة مع أئمة تفسير لذلك الكتاب . (٨)

١٣ - مع أن تقدم الدعوة في وسط جزيرة العرب كان يسترعى التفات كثيرين من الناس خارج الجزيرة ، غير أنه يظهر أن الحكومة البريطانية في الهند لم تلتفت إليه إلا في عام ١٢٠١ هـ (١٧٨٧ م) (٩) أي بعد أن انتشر في أوروبا تقرير نيبور عن رحلاته نحو عشرين سنة . ويبدو أن هذا مثال آخر على ميل الحكومة البريطانية في بعض الأحيان إلى إهمال تطورات تلك الأجزاء من جزيرة العرب التي تقع بعيداً عن الساحل .

(٨) برجز « تقرير عن أعمال بعثة صاحب الجلالة إلى بلاط الفرس » (١٨٣٤ م)

مجلد ٢ ، ص ٩ .

(٩) مختارات بمبای ، ص ٥٧ و ٤٢٨ .

١٤ - مات أحمد بن سعيد أول إمام من آل بو سعيد بعد حكم ثلاثين سنة أو أكثر . وكانت السنوات الأخيرة من حكم أحمد من الغموض بحيث لا يعرف بالتأكيد هل مات في سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٥ م) ^(١١٠) أو في سنة ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م) ^(١١١) أو في سنة أخرى . وبعد وفاته بوقت غير طويل ، يبدو أن ابنه سعيد انتخب إماماً خلفاً له ، وإن كان السالمى المؤرخ الأباضى يخامره شيء من الشك في صحة هذا الانتخاب وفي كفاءة سعيد لشغل المنصب . ^(١١٢) وعلى أى حال ، فإن الحقيقة الهامة هي أنه لم يحدث قط بعد هذه المرة أن انتخب أحد من أفراد آل بوسعيد إماماً لعمان ، باستثناء رجل واحد هو عزان ابن قيس الذى انتخب إماماً في سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) ^(١١٣) .

١٥ - ضعفت سلطة سعيد الحاكم الجديد من آل بو سعيد ضعفاً شديداً بسبب إقطاع أراض لأفراد آخرين من الأسرة الحاكمة . وكما يقول باجر « إن تاريخ الأحداث التى وقعت فيما بعد في عمان ذاخر بأبناء مشاحنات متكررة بين الحاكم وقت ذاك وبين السادة المنافسين الذين ظهروا بوجه خاص بسبب هذا الوضع » . ^(١١٤) وكان سعيد رجلاً ضعيفاً سرعان ما اختفى من وسط المسرح ، تاركاً إدارة الدولة لابنه حمد الذى تقلد الحكم حتى وفاته في عام ١٢٠٧ هـ (١٧٩٢ م) . ولعل « أهم إجراء اتخذ في حكم حمد » ^(١١٥) هو نقله عاصمة آل بو سعيد نحو عام ١١٩٨ هـ (١٧٨٤ م) من الداخلى إلى ميناء مسقط . ورواية لوريمر عن عواقب هذه الخطوة تستحق أن تسجل :

(١٠) حميد بن رزيق « الفتح المبين المبرهن سيرة السادة البوسعيديين . (مخطوط ، ١٢٧٤ هـ) .
وجه ورقة ١٧٣ .

(١١) مايلز « بلدان الخليج الفارسي وقبائله » (١٩١٩ م) مجلد ٢ ، ص ٢٨٠ .

(١٢) عبد الله السالمى « تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان » مجلد ٢ (١٣٤٧ هـ) ص ١٦٦ .

(١٣) لم تعترف الحكومة البريطانية قط بعزان الذى حكم مدة تزيد على السنة قليلاً (الفقرة ٢٢٢ اللاحقة) .

(١٤) باجر في مقدمته إلى ترجمة كتاب ابن رزيق ، ص ٥١ .

(١٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤١٩ .

أخرجت حكام عمان من موقف كانوا يستطعمون فيه أن يحتفظوا بمنزلتهم
بوسائل القدرة العسكرية والسياسية فقط ، ووضعت في متناولهم دخلاً مضموناً
سهلاً من الرسوم الجمركية ، ومكنتهم من أن يحتفظوا بسلطة شكلية بالرشوة
وحدها ، وعرضتهم بعد ذلك لتأثير حضارة أجنبية أهدتهم عن قبائل الداخل
وقللت من شعبيتهم بين رعاياهم . ولو بقيت العاصمة في الرستاق ، لكان من
الممكن أن تتمتع عمان في القرن التالي بمزايا حكومة أكثر استقامة ونشاطاً ،
وكان يمكن أن يكون الفساد الخلق للأمة الحاكمة أقل سرعة . (١٦)

١٦ - مع أنه كان مقدراً لمسقط تحت حكم آل بوسعيد أن ترتبط آخر
الأمر بعلاقات وثيقة مع بريطانيا العظمى فإن الفرنسيين استمتعوا بنفوذ هناك
أكبر من نفوذ البريطانيين حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجري (أواخر القرن
الثامن عشر الميلادي) . ومنذ عام ١١٧٢ هـ (١٧٥٩ م) كتب أحد أبناء
الإمام أحمد بن سعيد إلى البحار الفرنسي المشهور دستان الذي كان يجول في
الخليج الفارسي يقول « إنني صديق للفرنسيين إنني أعد نفسي ابناً
للفرنسيين إنني أعرض عليك مينائي وكل ما أملك من ماء وماشية . . . » . (١٧)
وفي أثناء حرب الاستقلال الأمريكية « زدنا (الفرنسيين) أهل مسقط
بمساعدات قيمة ، فقد كانوا يحقدون على الإنكليز . . . » (١٨) . وعندما زار
الفرنسي روزيلي مسقط للقيام بمسح للجغرافية المائية في عام ١١٩٩ هـ (١٧٨٥ م)
كتب إليه الحاكم :

. . . إن بلادي هي بلادكم ، وصداقتنا باقية كما كانت عليه قبلاً ، بل إنها
أقوى مما كانت عليه في أي وقت . . . (١٩)

(١٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤١٩ .

(١٧) أوردها أوزو في مجلة التاريخ الدبلوماسي الفرنسية ، مجلد ٢٣ (١٩٠٩ م) ص

٥٢٣ - ٥٢٤ .

(١٨) أوزو ، ص ٥٢٥ .

(١٩) أوزو ، ص ٥٤١ .

وقال روزيلي نفسه إن أهل مسقط ، فيما يبدو له ، « يحبون الفرنسيين ، ويكرهون كبرياء الإنكليز وتحكمهم » .^(٢٠) وفي نفس الوقت تقريباً ، كتب محافظ مسقط التابع لآل بو سعيد إلى المسيو روسو القنصل الفرنسي في بغداد يقول :

لنا بالفرنسين صلوات أوثق من صلواتنا بأى دولة أخرى ، وبضائننا وبضائنهم كلها واحدة ، وموانينا مشتركة والريح والحسرة مشتركة بيننا ، ولا حاجة إلى الدخول فى أى تفصيلات لأن قلوبنا قد تعاهدت على ذلك .^(٢١)

وفى سنة ١٢٠٤ هـ (١٧٩٠ م) كتب حاكم مسقط إلى المسيو روسو يقول :

لست تجهل الأوامر التى تصدرها إلى موظفينا فى ميناء مسقط والطريقة التى بها يعاملون مواطنيكم الذين ينزلون فى بلادنا فيزناهم على جميع الشعوب الأوربية الأخرى .^(٢٢)

١٧ - فى عام ١٢٠٢ هـ (١٧٨٨ م) وصل السعوديون ، الذين كانوا قد بدأوا نشر الدعوة فيما وراء حدود نجد ، إلى سواحل الخليج الفارسى للمرة الأولى . وفى صيف ١٢٠٦ هـ (١٧٩٢ م) مات الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة بالغا من العمر أكثر من تسعين عاماً ، ومع أن وفاته كانت خسارة جسيمة ، فإنها لم تعرقل التقدم الناجح لتلاميذه الذى دفعه دفعة قوية فى أيام عنفوانه . وبعد وفاته بوقت قليل ، انضمت الحسا والقطيف ، وهما المركزان الرئيسيان بين نجد والخليج الفارسى ، إلى الحركة .

١٨ - مات حمد بن سعيد الذى كان على رأس حكومة مسقط لبضع سنين ، فى سنة ١٢٠٧ هـ (١٧٩٢ م) . ولم ينتقض على ذلك وقت طويل حتى

(٢٠) أوزو ، ص ٥٣٣ .

(٢١) اقتبسها سلفستر دى ساسى « كتاب الأنيس المغيد للطالب المستفيد » (١٨٠٦ م)

مجلد ٣ ، ص ٢٧٢ .

(٢٢) سلفستر دى ساسى ، مجلد ٣ ، ص ٢٨٥ .

اغتنصب عمه سلطان بن أحمد ، وهو ابن الإمام الأول من آل بوسعيد ، منصب رئيس الدولة . وفي هذا الصدد ينبغي قول شئء عن لقب حاكم مسقط : لقد وضع بجلاء أنه بعد الحاكمين الأولين من آل بوسعيد ، تخلت هذه الأسرة عن إجراءات الأباضيين القديمة للانتخاب وعن لقب الإمام . غير أن الغربيين استمروا في استخدام هذا اللقب سنوات طويلة بعد أن أصبح ذلك من الخطأ^(٢٣) . واللقب الذي يمنحه سكان جزيرة العرب عادة للحكام المتأخرين من آل بوسعيد هو « السيد » ، وإن كان مضللاً قطعاً ، لأنه قد يوحي الانتساب إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو ما لم يدع به قط هذا البيت . وعلى مر الزمن ، لجأ الغربيون أيضاً إلى إطلاق لقب « سلطان » على حاكم مسقط ، وفي عام ١٢٧٧ هـ (١٨٦١ م) اعترفت الحكومة البريطانية رسمياً بهذا اللقب . ولكن إطلاق اسم سلطان كثيراً على الرجال في شرق جزيرة العرب قد يؤدي إلى لبس بين وقت وآخر .

١٩ - احتفظ سلطان بن أحمد في الفترة الأولى من حكمه بالعلاقات الودية التي كان أسلافه قد أقاموها مع الفرنسيين . ويقول مايلز :

عل أثر اغتناب السيد سلطان للحكم ، واصل هذه العلاقات الودية ، ويبدو أنه لوضع سبب كان يسترشد في الشؤون السياسية بطيبيه الفرنسي .^(٢٤)

٢٠ - في عام ١٢٠٨ هـ و ١٢٠٩ هـ (١٧٩٣ م و ١٧٩٤ م) كان إبراهيم بن سليمان بن عفيصان ، وهو من كبار موظفي الدولة السعودية ، نشطاً في شبه جزيرة قطر .^(٢٥) وقد طلب حينذاك أهل عمان من الإمام عبد العزيز

(٢٣) في موضوع خطأ إطلاق لقب « امام » على حكام مسقط المتأخرين ، راجع باجر ، ملحق (أ) ص ٣٧٨ - ٣٨١ ، وسعيد - روته ، « سعيد بن سلطان » (١٩٢٩ م) ملحق (ب) ص ١٧٣ - ١٨١ .

(٢٤) التثقيف الإداري لمكتب المعتمد السياسي في الخليج الفارسي (١٨٨٧ - ١٨٨٨ م) ص ٢٤ .
(٢٥) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

أن يضم بلادهم إلى حركة الدعوة الجديدة ، وردا على ذلك ، أرسلت الحكومة السعودية ابن عفيصان ليكون ممثلاً لها في عمان ومقره في البريمي . فتسلم مهامه كأول أمير سعودي هناك في سنة ١٢١٠ هـ (١٧٩٥ م) . وقد خلدت رحلته البرية عبر الظفرة إلى مقر منصبه الجديد باسم جزاير ابن عفيصان الذي يطلق على موضع في سبخة مطى على الطريق . وفي أثناء إقامته في البريمي ، أنشأ قصرأ أسماه قصر الصبارة في منتصف الطريق بين بلدة البريمي وحامسا . (٢٦)

٢١- قام الترك بأول مسعى لهم لوقف انتشار الدعوة إلى التوحيد في عام ١٢١٣ و ١٢١٤ هـ (١٧٩٨ - ١٧٩٩ م) فأرسل الباشا العثماني في بغداد حملة وصلت إلى الحسا ولكنها أخفقت في إقصاء الحامية السعودية التي كانت مسيطرة هناك .

٢٢- في سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) خطا البريطانيون في سبيل إحلال نفوذهم محل النفوذ الفرنسي في مسقط خطيرة ، وذلك بعقد اتفاق مع الحاكم ، فكان هذا الاتفاق أول معاهدة رسمية في الأزمنة الحديثة بين حاكم عربي ودولة غربية (٢٧) وكان يراد بهذا الاتفاق إقصاء النفوذ الفرنسي المجحف عن مسقط . (٢٨) وقد أنجزه المقيم البريطاني في أبو شهر وهو رجل إيراني اسمه مهدي علي خان ، وذلك « في مقابل إنفاق مبلغ ٢٨٢٠ روبية فقط » . (٢٩) ويقول هوجارث إن

(٢٦) « عقود الجمان » ص ٢٥ و ٤٩ - ٥١ و ١٤٩ .

(٢٧) النص الإنكليزي في كتاب ايتشيون « مجموعة المعاهدات والارتباطات والسندات المتعلقة بالهند والبلاد المجاورة » (الطبعة الخامسة المنقحة ، ١٩٣٣ م) مجلد ١١ ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٢٨) ايتشيون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٢٦٩ .

(٢٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٢٦ .

هذا الاتفاق «قد ألزم بريطانيا العظمى منذ ذلك الوقت بأن تؤيد حكام مسقط ضد شعب عمان» (٣٠).

٢٣ - وبعد أن تمكن الفرنسيون في مصر كتب نابليون من القاهرة سنة ١٢١٣ هـ (٢٥ يناير ١٧٩٩ م) إلى حاكم مسقط :

أكتب إليكم هذا الكتاب لأبلغكم ما لا شك في أنكم قد علمتموه فعلاً ، وهو وصول الجيش الفرنسي إلى مصر .

ولما كنتم دائماً أصدقاء لنا ، عليكم أن تقتنعوا برغبتي في حماية جميع سفن دواتكم وعلينكم أن تقوموا بإرسالها إلى السويس حيث تجد حماية لتجارها . (٣١)

وقد اعترض البريطانيون سبيل هذا الكتاب قبل أن يصل إلى مقصده .

٢٤ - في سنة ١٢١٤ هـ (١٧٩٩ م) عقدت الحكومة السعودية مع القواسم وهم زعماء كانوا إذ ذاك يتمتعون بأقوى نفوذ على الساحل الجنوبي الشرقي للخليج الفارسي . (٣٢) وقد استمرت الصداقة التي كانت هذه بدايتها مع القواسم إلى يومنا هذا ، والقواسم هم الآن حكام الشارقة ولا يزال لهم نفوذ قوى جداً على الساحل . ونتيجة لهذه المعاهدة كسبت الدعوة إلى التوحيد كما كسب آل سعود أنصاراً جدداً كثيرين على الساحل وفي الداخل .

٢٥ - كانت لحاكم مسقط سلطان بن أحمد ، كبعض خلفائه ، آمال عراض في أن يحكم أراضى ليس له حق فيها . ويصف المؤرخ الرسمي البريطاني لوريمر مطامعه لضم البحرين في سنة ١٢١٤ هـ (١٧٩٩ م) فيقول «إنه لا ظل لها من الحق» (٣٣).

٢٦ - في سنة ١٢١٤ هـ (شهر يناير سنة ١٨٠٠ م) بينا كان الكابتن جون مالكوم في طريقه إلى بلاد فارس مبعوثاً خاصاً من الحكومة البريطانية في

(٣٠) هوجارث «جزيرة العرب» ص ١١٠ .

(٣١) «مكتبات نابليون الأول» مجلد ٥ ، ص ٣٦١ .

(٣٢) «عقود الجمان» ص ٣٢ و ٣٥ و ٥١ .

(٣٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٨٤١ .

الهند إلى بلاط الشاه ، اجتمع بحاكم مسقط في مياه الخليج الفارسي وأقنعه بتوقيع اتفاق جديد يسمح بتعيين وكيل بريطاني في مسقط . وكان مالكم قبل ذلك قد قال لمحافظة بلدة مسقط إن الفرنسيين :

تلك الأمة الخارجة على القانون ، قد تحددت جميع المعاهدات واستولت على مصر ، وأخذت تفرض سيادتها على الطرق المفضية إلى الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وإنه لولا أن الله أراد النصر للأسلحة البريطانية في هذا الركن لاستولوا عليهما . (٣٤)

واستمر مالكم يقول :

فإذا إذن كان يصبح مصير تجارة مسقط المشهورة لو أن مراقبه شبه الجزيرة الهندية أفضلت أمام سفن مسقط التجارية بأمر القرة المسطرة ؟ لا يمكن الإجابة عن هذا السؤال إلا بالاعتراف بالحقيقة وهي أن رخاء مسقط يعتمد على رضا الإنكليز . (٣٥)

وكان الرجل الذي جاء به مالكم معه ليكون أول وكيل بريطاني في مسقط جراحاً اسمه بوجل . وقد عقب كاتب سيرة مالكم على ذلك قائلاً :

هناك بابان جانيان في الشرق لبستان الدبلوماسية الإنكليزية العظيم . أولهما هو التجارة وثانيهما هو الطب . ونحن مدينون بامبراطوريتنا الهندية لهما بالتأكد . وكان على المستر بوجل أن يدخل جزيرة العرب طبيياً وأن يبق هناك وكيلاً سياسياً . (٣٦)

ومع أن مالكم نشط لربط مسقط بالقضية البريطانية ، فإنه شخصياً لم يكن يرمق الحليف الجديد بنظرة إكبار ، وقد سجل في يومياته التعليل التالي « للانحلال الظاهر » لهذه الدولة :

(٣٤) جون كاي « حياة الميجر جنرال الفرعون مالكم ومكاتباته » (١٨٥٦ م) مجلد ١ ،

ص ١٠٧ .

(٣٥) كاي ، مجلد ١ ، ص ١٠٨ .

(٣٦) كاي ، مجلد ١ ، ص ١٠٦ .

لعلها ما كانت لتسقط إلا بنفوذ دين مناقض لجميع تحسينات العلوم وانتشارها
دين مهما قد يرفع أنصاره وهم في حاسة الدعوة ، فإنه تركهم عند ما زالت
الحسنى وهم واهنون مقيدون بسلاسل التعصب الأعمى والخرافات والتحيز . فأى
شئ غير البربرية يمكن أن يكون نتيجة مثل هذه التعاليم ؟ كان هذا ، بعد
فترة قصيرة من المجد ، مصير كل بلد اعتنق دين محمد ، وفي جزيرة العرب
حيث كان الدين أعم ، كانت نتائج أثره أفظع . (٣٧)

توضح هذه الملاحظات كيف أن الرجال الرسميين الغربيين قد أظهروا
في بعض الأحيان قصوراً يؤسف له في فهم جزيرة العرب وحضارتها ، أملاه
عليهم الجهل بالواقع والتعصب الاستعماري المقرون بالتعصب الديني .

٢٧ - في هذا الوقت ، بعثت الحكومة السعودية بسالم بن بلال الحرق إلى
البريمي أميراً لها . (٣٨) فجددت قبائل نعيم والظواهر وبنى قتب وبنى ياس وغيرها
في الظاهرة مبايعتها للدولة السعودية ، وجمع الأمير الحديد الزكاة منها . (٣٩) وإن
هذه الإشارة المعينة إلى جمع الزكاة الواردة في مصدر ممالي لآل بو سعيد ومعاد
للدعوة إلى التوحيد ، تدل على أن الحكومة السعودية من أول فترة لسيادتها في
إقليم البريمي ، قد اتبعت الإجراء الإداري المعتاد وهو جباية هذه الضريبة من
السكان ومنحهم حماية كاملة مقابل ذلك . والصيغة المعتادة للمبايعة لأنصار
الدعوة الجدد هي أن يطلبوا من إمام الدولة السعودية أن يسمح لهم « بالمبايعة على
دين الله ورسوله والسمع والطاعة وإيتاء الزكاة » . (٤٠)

٢٨ - إن اعتماد الحكومة السعودية على اشتراك رعاياها في العقائد قد شجع
علماء الدعوة إلى التوحيد على نسخ عدد كبير من الكتب الدينية وإرسالها إلى

(٣٧) كافي ، مجلد ١ ، ص ١١٠ هامش .

(٣٨) « عقود الجمان » ص ١٤٩ .

(٣٩) ابن رزيق ، ظهر ورقة ١٩٤ .

(٤٠) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١١١ .

أقصى أطراف الجزيرة . ومن أشهرها كتاب عنوانه « كشف الشبهات » شرح فيه مؤسس الحركة بنفسه المبادئ التي يدين بها . وهناك إشارة خاصة إلى تداول هذا الكتاب في عمان في ذلك الوقت^(٤١) .

٢٩ - وقد رغب حاكم مسقط في زحزحة السعوديين عن مكانهم في البريمي ، فقاد جيشه ضدهم ، ولكنه تبين أن قوتهم كانت من الشدة بحيث أكره على أن يعقد معهم هدنة وأن ينسحب إلى ناحيته من الجبال^(٤٢) .

٣٠ - مع أن اتفاق مالكم لسنة ١٢١٤ هـ (١٨٠٠ م) جعل للبريطانيين ، فيما يبدو ، تفوقاً على الفرنسيين في مسقط ، فإن سلطان بن أحمد لم يتردد في أن يستقبل مبعوث الحكومة الفرنسية أرمان بوشيه دي شاتوفيل في سنة ١٢١٥ هـ (١٨٠١ م) ، وأن يبقيه إلى جواره باعتباره الرفيق الملازم مدة خمسة عشر شهراً . وقد روى شاتوفيل بنفسه :

عولت في أثناء إقامتي في مسقط معاملة ممتازة ودفعت عن جميع نفقاتي .^(٤٣)

وأرسلت الحكومة الفرنسية كذلك قوات إلى مسقط وقد كتب عنها الحاكم إلى محافظ ليل دي فرانس (موريتيوس) :

... من المتعذر علينا أن نعرب لكم عن اغتباطنا بوصول القوات التي كان من فضلكم إرسالها إلينا ، وقد استقبلناها بذراعيين مفتوحتين وسنحرص دائماً على أن نعدكم اخوة لنا وأصدقاء ، ونحن ونخلفائنا مدينون لكم بها إلى أبعد حد مستطاع .^(٤٤)

(٤١) ابن رزيق ، ظهر ورقة ١٩٤ .

(٤٢) مايلز في التقرير الإداري (١٨٨٧ - ١٨٨٨ م) ص ٢٦ . لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٢٤ .

(٤٣) أوردها أوزو في مجلة التاريخ الدبلوماسي الفرنسية ، مجلد ٢٤ (١٩١٠ م) ص ٢٤١ .

(٤٤) أوزو ، ص ٢٤٠ .

٣١- فرع البريطانيون من « المعاملات المريبة » لحاكم مسقط مع الفرنسيين ، ونصحته المعتمد مهدي على خان بأن « ينظر إلى صداقة الحكومة الإنكليزية وتقديرها باعتبارها الروح التي بها تتنفس مسقط وتعيش » وأن « يهرب من استمرار الصداقة الفرنسية كما يهرب من الوباء » . وفي الوقت عينه اقترح المعتمد على محافظ بمباى مهاجمة حاكم مسقط بسبب « صلته المريبة » واستئجار مسقط من شاه إيران . (٤٥)

٣٢- جاء في سجلات الحكومة البريطانية في بمباى أن النفوذ السعودى في هذه الفترة كان « سائداً في جميع ربوع الساحل من نهر البصرة إلى دبا ، وهي الحد الفاصل بين أراضى مسقط وأراضى القواسم » . (٤٦)

٣٣- يبدو أن حاكم مسقط لم يول تحذيرات المعتمد البريطانى مهدي على خان الكثير من العناية (الفقرة ٣١ السابقة) ، وفي سنة ١٢١٧ هـ (أوائل ١٨٠٣ م) زار ليل دى فرانس مبعوث من الحاكم . وفيما يتعلق بهذه الزيارة ، قال ماجلون المحافظ لوزير البحرية الفرنسية :

أيها المواطن الوزير، أفيدكم أن الحاكم المسمى امام مسقط قد أرسل سفيراً إلى،
... والغرض السياسى . . . هو الظفر بصداقة الجمهورية الفرنسية وحمايتها
الخاصة . ويبدو أن عند هذا الأمير أسباباً كثيرة للشكوى من مضايقات الحكومة
الإنكليزية . . . (٤٧)

وبعد شهر ، أبلغ ماجلون الوزير :

جاء في مذكرة خاصة سلمت حالاً إلى من السفير المذكور ما معناه أن امام

(٤٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٢٩ .

(٤٦) مختارات بمباى ، ص ١٥٢ .

(٤٧) أوزو ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

مسقط يسره أن يرسل إليه وكيل من الحكومة الفرنسية وانه سيعد أعداء الجمهورية الفرنسية أعداءه. (٤٨)

في سنة ١٢١٨ هـ (مايو ١٨٠٣ م) نشبت حرب بين الإنكليز والفرنسيين. وكانت حكومة مسقط واقعية في تقدير قوة الإنكليز في الشرق وإدراك تفوقها على قوة الفرنسيين. وعندما وصل كافينياك مبعوث نابليون الحاصل إلى مسقط في شهر أكتوبر أبلغه مندوب الحاكم ما يأتي :

كان (الحاكم) يتمنى أن تصل في فترة سلام ، حتى يستقبلك السلطان بشوق ، غير أن الإنكليز ، ولا شك ، يفضون على سيدي لو سمح لك أن تجيء بعد إعلان الحرب بينكم . لدينا عشرون سفينة كبيرة في مواينهم ، في البنغال أو على ساحل ماليبار ، وليس ثمة ريب في أنه سيتم الاستيلاء عليها حالما يتلقون التعليمات . هل لديكم موان قرب بلدان السلطان حيث يحتمل أن تطلب السفن ملجأ أو ترميها مثلما تستطيع في بمباي ؟ ماذا يريد بونابرت ؟ . . . (٤٩)

٣٤ - ألح كل من الحكومتين العثمانية والفارسية على حاكم مسقط في مهاجمة السعوديين. (٥٠) وقبل اتخاذ أى إجراء ، غادر الحاكم مسقط في سنة ١٢١٧ هـ (أوائل ١٨٠٣ م) ليحج إلى مكة المكرمة . وفي ذلك الوقت كان السعوديون يزحفون غرباً عبر جزيرة العرب ، لقتال شريف مكة ، غالب بن مساعد ، وكان من أكبر أعداء الدعوة . وبحث حاكم مسقط مع الشريف في إمكان حشد قواهم ضد السعوديين ، غير أنه لم يستطع أن يعرض مساعدة كافية لمنعهم من احتلال مكة المكرمة عقب انتهاء موسم الحج مباشرة . وقد أدت هذه التجربة بحاكم مسقط إلى تقدير بأس الدولة السعودية ، فتعهد بعد عودته إلى بلاده بأن يدفع أتاوة سنوية إلى الحكومة السعودية مقابل وقاية أراضيه . وقد تداعى هذا الترتيب الموقت في وجه الشعور العدائي بين الجانبين المتقابلين

(٤٨) أوزو ، ص ٢٤٣ .

(٤٩) أوزو ، ص ٢٥٢ .

(٥٠) مختارات بمباي ، ص ١٧٤ .

ونشبت الحرب بينهما بعد ذلك بوقت قصير . وزحف سالم الحرق ، أمير البريمي السعودي إلى الباطنة ، وكان بلاشك يحتل المنطقة بأسرها لو لم تثته عن ذلك وفاة الإمام عبد العزيز في شهر رجب ١٢١٨ هـ (نوفمبر سنة ١٨٠٣ م) .

٣٥ - فيما يتعلق بحكم عبد العزيز قال عالم ديني معاصر ذو سمعة عالية في اليمن وهو الشوكاني : « ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام » .^(٥١) وقد اعترف العالم نفسه بأن مصلحي نجد كانوا مسلمين بحق وينتمون إلى المذهب الحنبلي وأنهم مؤسسون حركتهم على أسس الإسلام الوطيدة المبينة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية . ويقول المؤرخ العربي للبريمي إنه عندما احتل السعوديون بإمرة عبد العزيز شرق جزيرة العرب ، حكموا بالعدل طبقاً لمبادئ الشريعة وأزالوا جميع آثار تعدد الآلهة وعبادة الأوثان . وساد الأمن الداخلي وتمتع الناس بكثير من أطيب الحياة . وكان الناس قبل ذلك يخطفون من دورهم ، وكان قطاع الطرق يهددون جميع طرق التجارة والسفر . وفي ظل الأمن العربي ، سارت القوافل الموسوقة عبر الأراضي السعودية دون أن يصحبها حراس ودون حاجة إلى شراء حقوق المرور من القبائل البدوية المنتشرة على الطريق .^(٥٢) وقد قال شاعر عربي في القرن التاسع عشر :

فلو ضاع فلس في الفلا من ملازم بلحى به من وسط وادي الضراغم^(٥٣)

وقد وصف أحد علماء العراق ، حكم عبد العزيز بالعبارة التالية :

وزالت به الحروب التي كانت تقع بين قبائل نجد ، وحصل الأمن والأمان في البادية والحضر ، وكانت الإبل والحمل والأنعام ترعى في الصحارى وتلد ، وليس

(٥١) محمد الشوكاني « البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع » (١٣٤٨ هـ) مجلد

٢ ، ص ٥٠ .

(٥٢) « عقود الجمان » ص ٤٦ - ٤٧ .

(٥٣) عبد الجليل بن ياسين في « عقود الجمان » ص ٤٧ .

عندها سوى رجل واحد ، ولا يستطيع أحد من قبائل العرب أن يأخذ منها شيئاً . (٥٤)

ويقول هوجارث إن عبد العزيز « حصل بواسطة قوات مسلحة أو مبعوثين على ولاء كل شبه الجزيرة باستثناء القسم الجنوبي الغربي » (٥٥) ولكنه يعترف بعد فترة قصيرة أن قوة الدولة السعودية « كانت تعتمد على الإكراه الحربي أقل مما كانت تعتمد على النفوذ الروحي » (٥٦) .

(٥٤) إبراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري « عنوان المجد في بيان أحوال بغداد وبصرة ونجد »

(مخطوط ١٢٨٦ هـ) ظهر ورقة ١١٢ .

(٥٥) هوجارث « جزيرة العرب » ص ١٠٣ .

(٥٦) هوجارث « جزيرة العرب » ص ١٠٤ .

٤ - حكم الإمام سعود بن عبد العزيز ١٢١٨ - ١٢٢٩ هـ
(١٨٠٣ - ١٨١٤ م)

٣٦ - خلف عبد العزيز في منصب الإمام السعودي ابنه سعود الذي كان ساعده الأيمن في الحكم سنوات طويلة . وفي أثناء حكم سعود الذي دام أكثر من عشر سنوات ، وصلت الدولة السعودية إلى ذروة مجدها الأول ، وكادت جزيرة العرب كلها تصبح تحت سلطتها . وفي التاريخ العربي يذكر هذا الحاكم بحق باسم سعود الكبير . وبعد انقضاء وقت ليس بطويل على اعتلائه العرش كتب باراندييه السفير الفرنسي في اسطنبول إلى تاليران يقول :

إنه في ذلك الوقت أصبح للمرء أن يتوقع رؤية قيام مملكة عربية جديدة ليست من القوة كذلك التي كانت للخلفاء ، ولكنها قادرة على أن تظهر بمضى الوقت بدرجة من العظمة تضعها في مستوى واحد مع السلطات الأخرى في آسيا .^(١)

٣٧ - قتل في سنة ١٢١٩ هـ (١٨٠٤ م) سلطان بن أحمد حاكم مسقط الذي كان قد عقد أول اتفاق مع البريطانيين . ويقول مايلز :

إلى أن مات سلطان قبل الأوان . . . يبدو أنه ظل مشغولاً بحروب تكاد تكون مستمرة مع قوات سعود ، ومع أنه استطاع أن يمنع تقدمهم إلى العاصمة ، إلا أنه لم يستطع أبداً أن يزحزحهم عن مركزهم الرئيسي في البريمي ، أو أن يقصيم عن البلاد .^(٢)

وبعيد وفاة سلطان جمع بدر بن سيف من آل بو سعيد السلطة العليا للدولة في مسقط في يديه ، وظل محتفظاً بها إلى اغتياله بعد سنتين . وكان بدر لاجئاً سياسياً في الدرعية العاصمة السعودية حيث اعتنق مبادئ الدعوة إلى التوحيد ،

(١) اقتباس دوان « محمد علي باشا القاهرة » (١٩٢٦ م) ص ٥١ .

(٢) التقرير الإداري (١٨٨٧ - ١٨٨٨ م) ص ٣٠ .

وفي أثناء حكمه كانت علاقات مسقط بالدولة السعودية ودية على وجه خاص .
وخافت الحكومة البريطانية في الهند من احتمال سقوط مسقط تحت حكومة
« أقل انقياداً » . . . لأهداف السياسة البريطانية في الخليج » (٣) فأرسلت الكابتن
دافيد سيتون إلى مسقط مقياً لها . ومع أن سيتون وجد بدران مستعداً لتوكيد
الاتفاقات السابقة التي عقدها مسقط مع البريطانيين ، فقد منح داراً لسكناه
لا تزيد على كونها عشة حقيرة لم يسمح له أن يرفع عليها راية بلاده .

٣٨ - كان محمد بن عبدان من أهل الحسا الممثل السعودي في البريمي
في ذلك الوقت . وقد ذكر أن من بين مؤيديه قبيلة الظواهر في البريمي وقبيلة
المناصير ، وهذه الحقيقة تؤكد ولاءهما المبكر إلى الدولة السعودية. (٤) وفي أثناء
معركة من المعارك الداخلية في دولة مسقط ، اعتمد الحاكم بدر الموالى
للسعوديين على المساعدة التي أسداها راشد بن حميد من قبيلة نعيم وكذلك كبير
سعودى اسمه ابن معيقل. (٥)

٣٩ - لقيت حركة الدعوة إلى التوحيد من القبول في عمان ما جعل قوات
تلك المنطقة تندمج في الجيوش السعودية ، وتشارك في الحملات التي وصلت
في بعدها إلى مشارف العراق. (٦) وكان بعض أهل عمان يشتركون مع جمهرة
المؤمنين الأتقياء الذين كانوا يصحبون الإمام السعودي عند ذهابه لتأدية فريضة
الحج سنوياً في مكة المكرمة. (٧)

(٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٣٨ .

(٤) ابن رزيق ، وجه ورقة ٢١٤ - ظهر ورقة ٢١٧ .

(٥) ابن رزيق ، ظهر ورقة ٢١٨ - ظهر ورقة ٢٢٠ .

(٦) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٣١ .

(٧) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٤١ و ١٥٧ و ١٥٩ .

٤٠ - انتهى حكم بدر بن سيف في مسقط انتهاء مفاجئاً عندما اغتيل في سنة ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ م) بيد ابن عمه سعيد بن سلطان فيما وصفه لوريمر بأنه « ظروف خيانة لا مثيل لها »^(٨) . وباستبعاد هذا الحاكم الموالي للسعوديين تزعزع موقف السعوديين إلى حد ما في مسقط نفسها ، وانسحبت القوات السعودية المركزة على ساحل الباطنة إلى قاعدتها في البريمي ،^(٩) التي كانت إذ ذاك - كما كانت دائماً - قلعهم الرئيسية في شرق جزيرة العرب .

٤١ - لم يضيع سعيد بن سلطان وقتاً في الكتابة إلى سعود الحاكم السعودي متهماً محمد بن ناصر الجبري ، وهو واحد من المقرين إليه جداً ، اتهاماً كاذباً بتهمة الاغتيال التي كان هو نفسه قد اقترفه ، وواعدا بأن يستمر في دفع الأتاوة المعتادة إلى السعوديين وأن يسمح بإعادة وضع القوات السعودية في الباطنة.^(١٠)

٤٢ - في سنة ١٢٢١ هـ (سبتمبر سنة ١٨٠٦ م) كتب سعيد بن سلطان إلى ديكان القائد العام للممتلكات الفرنسية في المحيط الهندي يبلغه نبأ ارتقائه أريكة الحكم ويبدى الملاحظة التالية :

مؤكد أن سعادتكم لا تجهلون سلطة الأمة الانكليزية وكبريائها وكذلك قوتها في الهند.^(١١)

(٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٤٠ . يقول لوريمر إن سنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) كانت تاريخ الاغتيال ، غير أن السجلات الفرنسية والبريطانية المعاصرة تدل على أنها كانت سنة ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ م) - انظر أوزو في مجلة التاريخ الدبلوماسي ، مجلد ٢٤ (سنة ١٩١٠ م) ص ٢٥٦ - ٢٥٨ و كورلاند « شرق أفريقيا وغزاقه » (١٩٣٨ م) ص ١٠٨ ، هامش ١ و ص ٣ ، هامش ٤ .

(٩) ابن رزيق ، ظهر ورقة ٣٢٢ .

(١٠) سعيد - روته « سعيد بن سلطان » ص ٢٠ .

(١١) أوزو في مجلة التاريخ الدبلوماسي ، مجلد ٢٤ (١٩١٠ م) ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

وفي نفس الكتاب أعرب سعيد لديكان عن أمله في أن يعتبر مسقط « تابعة لفرنسا وأن تعتمد على استعدادى لإطاعة أى أوامر قد تشرفنى بها فرنسا »^(١٢) وفي نحو ذلك الوقت كان سعيد يطلب من الحاكم البريطانى فى بمباى أن يصون عادات الصداقة والتحالف «^(١٣) القديمة ، وفى سنة ١٢٢١ هـ (ديسمبر سنة ١٨٠٦ م) تلقى الحاكم رسالة شفوية من سعيد « يطلب فيها صراحة الحماية البريطانية ضد الفرنسيين »^(١٤).

٤٣ - مع أن سعيداً كان مقدراً لقوة البريطانيين فى الهند ، فقد عقد اتفاقاً مع الفرنسيين فى سنة ١٢٢٢ هـ (يونيو سنة ١٨٠٧) ، وبعد وقت استقبل وكيلا قنصلياً فرنسياً ، المسيو دالون ، فى مسقط . وبقى دالون هناك « إلى سنة ١٢٢٥ هـ (سنة ١٨١٠ م) على الأقل وأصبح النفوذ الفرنسى متفوقاً لفترة قصيرة »^(١٥) فى مجالس حاكم مسقط . وكان الفرنسيون يستطيعون أن يحتفظوا بمنزلتهم لولم يدمر محور قوتهم فى الشرق أثناء نزاعهم مع البريطانيين الذى امتد إلى مختلف أنحاء العالم ، واضطر ديكان إلى الاستسلام فى إيل دى فرانس فى سنة ١٢٢٥ هـ (شهر ديسمبر ١٨١٠ م) وأنهت هذه الهزيمة تحدى الفرنسيين للتفوق البريطانى فى المحيط الهندى . ولما علم سعيد بن سلطان بسقوط ديكان كتب إلى صديقه دنكن حاكم بمباى يقول :

الحمد لله ، فقد تخلصت الإنسانية بذلك من النيات السيئة لأولئك الطغاة
(الفرنسيين) .^(١٦)

(١٢) كويلاند « شرق أفريقيا وغزاته » ص ١١١ ، هامش ٢ .

(١٣) كويلاند ، ص ١١١ .

(١٤) كويلاند ، ص ١١٢ .

(١٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٦٢ .

(١٦) اقتباس كويلاند من مجلات وزارة الهند ، ص ١٤٧ .

٤٤ - في سنة ١٢٢٢ هـ (يناير سنة ١٨٠٨ م) وصف الكابتن سيتون الذي عمل مقيماً بريطانياً في مسقط ، حكومة سعيد بن سلطان الجديدة بأنها تفتقر إلى الاستقرار والتأييد الشعبي افتقاراً شديداً :

كانت إيرادات الجزء الأعلى من عمان (الظاهرة) تدفع إلى سعود (الحاكم السعودي) ولم يحل دون وصولهم إلى مناطق عمان السفلى (الباطنة) سوى تذلل الإمام (سعيد بن سلطان) وخضوعه المهين . (١٧)

٤٥ - في سنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) أرسل الإمام سعود مرة أخرى علماء دينيين من نجد ليعلموا أهل عمان فرائض الإسلام . (١٨) ووصل هؤلاء العلماء ليجدوا سعيد بن سلطان حاكم مسقط يجند جيشاً ليزحف به على السعوديين . وتقدمت القوات السعودية من قاعدة البريمي يؤيدهم القواسم ، فقابلوا جيش مسقط في « خور فكان » على ساحل خليج عمان وأنزلوا بهم هزيمة منكرة . ووضع القسم الأكبر من الأسلاب التي أخذها الظافرون في أيدي العمال السعوديين لإرساله إلى العاصمة الدرعية . (١٩) وقد أكدت سجلات حكومة بمباي الطابع المدهش لهذا النجاح السعودي ، فذكرت أن تفوق السعوديين قد « استقر استقراراً كاملاً في عمان » (٢٠) وأكدته أيضاً المؤرخ العربي ابن بشر الذي يقول « وصار جميع عمان تحت ولاية سعود » . (٢١)

٤٦ - وفي الوقت عينه ، كانت قوة السعوديين قد بلغت ذروتها في الشمال ، حيث دنوا من دمشق من ناحية وتوغلوا في الأراضي المأهولة في العراق من ناحية أخرى . وفي الغرب ، كان السعوديون قد احتلوا الحرمين الشريفين قبل ذلك ببضع سنين . وفي الجنوب امتدت السطة السعودية إلى وادي حضرموت

(١٧) منتخبات بمباي ، ص ٤٣١ .

(١٨) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٤١ .

(١٩) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٤٢ .

(٢٠) منتخبات بمباي ، ص ١٥٣ .

(٢١) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٤٢ .

قرب الطرف الجنوبي لجزيرة العرب . وقد اضطرت الحكومة العثمانية اضطراباً شديداً لتوحيد جزيرة العرب تحت لواء هذه الدعوة الحازمة ، بسبب ادعائها السلطة في الجزيرة . وقد شعرت هذه الحكومة بخوف لا على مقامها في جزيرة العرب وحده ، بل كذلك على السيادة التي كانت تتمسك بها تمسكاً واهناً في أراض أغنى منها هي مصر وسوريا والعراق . أما وقد انتهت الحكومة العثمانية إلى ضرورة القضاء على الدولة السعودية ، فقد أخذت تضعف جهودها في هذا الاتجاه .

٤٧ - في سنة ١٢٢٤ هـ (١٨٠٩ م) أعد البريطانيون بمعونة حاكم مسقط حملة ضد عرب الساحل الجنوبي الشرقي للخليج الفارسي الذين كانوا متخالفين مع الدولة السعودية والذين كانوا قد استجابوا إلى دعوة التوحيد . وكان أولئك العرب قد درجوا من زمن على شن إغارات على الملاحه في الخليج الفارسي . وحيث أن وثائق معاصرة شتى ودراسات تالية لها مجردة من الطابع التقدي قد ألفت معظم اللوم أو كل اللوم في هذه الإغارات على ما يسمى عادة « التعصب الوهابي » ، فإنه يحسن اقتباس الرأي الممحص للمؤرخ البريطاني الرسمي لوريمر :

عقب استقرار الوهابيين في البريمي ، زادت القرصنة وأعمال العصيان في البحر ، وقد عزی ذلك في الهند بصفة رئيسية إلى نفوذهم ، غير أن الدراسة المجردة من العاطفة للحقائق بعد انقضاء أكثر من مائة سنة لا تؤكد بأي حال الرأي المعاصر المتطرف القائل إن القواسم كانوا في الحوادث التي وقعت الآن مجرد آلات لا إرادة لها في أيدي الوهابيين . فإن الصفات التي فطر عليها القواسم ، كما ظهرت في مسلكهم في سنوات ١١٩٢ - ١١٩٣ و ١٢١١ هـ (١٧٧٨ - ١٧٧٩ و ١٧٩٧ م) وأن سياسة حكومية بمنهاى التي ستبدو في الملحق حالا ، تغنى عن البحث عن أى شرح آخر متعلق بالنفوذ الوهابي للأحداث التي كانت تعمل ، وينبغي تذكر أن الجبر من قبل الوهابيين قد هياً عذراً طيباً لا يمكن التحقق منه لأعمال لا يمكن تبريرها بحال . (٢٢)

ولم يكن القضاء على القرصنة هدف البريطانيين الأوحيد عند تجريدهم هذه الحملة ، وهذا يتضح من الفقرة التالية المقتبسة من سجلات حكومة بمباي :

أقر الجنرال ماكمكم الرأي الذي أعرب عنه الكابتن سيتون في هذه المناسبة ، وهو أنه لا يمكن لشيء ، باستثناء التدخل المبكر من جانب الحكومة البريطانية ، أن يحول دون تدمير ميناء مسقط تدميراً تاماً باعتباره ميناء تجارياً ودون وقوع سكانه وملاحته في أيدي القراصنة ، وهذه اعتبارات حدت بالحكومة العليا إلى اعداد حملة لحماية مسقط من الوهابيين حتى لا يتحول حليف مطلقاً إليه جداً إلى عدو خطر ، وكذلك لقمع قرصنة القواسم . (٢٣)

وكتب جوناثان دنكن حاكم بمباي إلى حاكم مسقط في سنة ١٢٢٤ هـ (٧ سبتمبر ١٨٠٩ م) يقول :

إنني أعتد مطمئناً على عظمتكم لتقدموا كل مساعدة ممكنة لتحقيق أهداف هذه الحملة التي تم القيام بها أولاً وبالتأكيد بناء على إشارة عظمتكم . . . (٢٤)

وأعطيت تعليمات إلى الكابتن سيتون الضابط السياسي الذي كلف بالسير مع الحملة بأن

. . . يتجنب جميع العمليات البرية إلا إذا دعت إلى ذلك الضرورة في وقت ما للقضاء بصورة أكثر فعالية على سفن القراصنة في موانئهم ، وعلى أي حال ينبغي على الكابتن سيتون أن يعنى بإطلاع الوهابي ورجال حكومته اطلاعاً كاملاً في الوقت المناسب على أننا كنا نود باخلاص الإبقاء في جميع الأوقات على علاقات المودة معه ومع الدول الأخرى في جزيرة العرب (التي كانت كلها خاضعة للوهابي) واننا لم نكن نرغب إلا في حفظ سلامة التجارة في البحار عامة وفي الخليج الفارسي على وجه خاص . . . (٢٥)

وإن الإشارة إلى « الدول الأخرى في جزيرة العرب » التي كانت كلها خاضعة للوهابي » التي وردت في هذه التعليمات البريطانية التي يفترض أنها سرية ينبغي ألا تمر دون أن تستوقف النظر .

(٢٣) مختارات بمباي ، مجلد ٢٤ ، ص ١٨٠ .

(٢٤) اقتباس كويبلاند من سجلات وزارة الهند ، ص ١٤٣ .

(٢٥) واردة في مختارات بمباي ، ص ٤٣٣ .

٤٨ - في سنة ١٢٢٤ هـ (نوفمبر سنة ١٨٠٩ م) استولت الحملة البريطانية على رأس الخيمة عاصمة القواسم . ومع أن تقريراً بريطانياً رسمياً أطلق على السكان اسم «المشردين» فإن البريطانيين أنفسهم وباعترافهم لم يتنزهوا عن قليل من السلب ، فقد عاد نفر منهم وهو أغنى مما كان بثلاثمائة جنية .^(٢٦) ومكثت القوات البريطانية في البلدة يوماً واحداً فقط . ولما جاء نبأ زحف السعوديين من البريمي لمساعدة حلفائهم ، بادر الغزاة «بالإقلاع مسرعين» .^(٢٧)

٤٩ - كانت القوة السعودية التي بادرت إلى إغاثة رأس الخيمة برياسة مطلق بن محمد المطيري الذي كان قد وصل قبل ذلك بوقت قصير أميراً جديداً للبريمي . وكان مقدراً لمطلق ، وهو رجل ذو بأس شديد ومقدرة عظيمة ، أن يصبح أبرز شخصية في عمان في وقته . وفي أثناء عهده الزاهر الذي دام نحو خمسة أعوام ، كسب أتباعاً كثيرين للدولة السعودية من كل ناحية . وكان أول عمل أقدم عليه لدى وصوله إلى البريمي هو جمع عرب المنطقة وإعدادهم لمقاومة الهجوم الذي يهدد حلفاءهم على الساحل.^(٢٨) وقد كسبت القضية السعودية عوناً آخر عندما تخلى الزعيم القوي محمد بن ناصر الجبري عن حاكم مسقط مؤثراً عليه آل سعود ، وسافر إلى الدرعية ليبايعهم . ومحمد هو الرجل الذي اتهمه سعيد بن سلطان حاكم مسقط كذباً بقتل بدر بن سيف (الفقرة ٤١ السابقة) .

٥٠ - بناء على إلحاح حاكم مسقط ، نزلت الحملة العسكرية البريطانية في ميناء شناص على خليج عمان في سنة ١٢٢٤ هـ (أوائل يناير سنة ١٨١٠ م)

(٢٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٤٧ .

(٢٧) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٤٧ .

(٢٨) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٤٦ . وإبراهيم بن عيسى «تاريخ نجد» (مخطوط

١٣٢٠ هـ) ص ٣٢ . وابن رزيق وجه ورقة ٢٢٦ .

واستولت عليه من الحامية السعودية . وعقب المؤرخ الرسمي البريطاني لوريمر قائلا « أما كيف استطاع الكولونيل سميث أن يبرر هذا العمل المباشر ضد الوهابيين في هذه الفرصة ، وهو ما يتعارض مع تعليماته العامة ، فأمر غير واضح . . . » (٢٩) . وجاء مطلق مرة أخرى من البريمي عقب إقلاع البريطانيين بسفهم مباشرة . وفي هذه المرة وجد قوات مسقط باقية بالقرب من البلد فأُنزل بها هزيمة نكراء وإن كان الحاكم نفسه ، الذي كان قد رحل مع أصدقائه البريطانيين ، قد نجا . (٣٠)

٥١ - يوضح كتاب بتاريخ سنة ١٢٢٤ هـ (٣٠ يناير سنة ١٨١٠ م) مرسل من حاكم مسقط إلى دنكن حاكم بمباي المسلك العدائي الذي أكره السعوديين على القيام بإجراءات عسكرية ضد حاكم مسقط ، إذ كتب يقول :

أتوقع بإذنه تعالى وصول سفنك وقواتك المظفرة . . . وهدفها إبادة قبيلة الوهابيين المارقة ، وهي عدونا كلينا .
لقد حاولوا مرتين أو ثلاث مرات طلب إعادة السلام والوثام ، ولكن بسبب علاقاتنا بالحكومة البريطانية ان أذعن لرغباتهم . (٣١)

وللزحف على الباطنة انضم إلى مطلق المطيري الأمير السعودي للبريمي قبائل نعيم والظواهر وبني قتب وعرب « ساير أعمال البريمي » وكذلك محمد بن ناصر الجبري وغيره من الزعماء . (٣٢) ويقال إن الجيش كله كان قوامه ٣٠,٠٠٠ رجل (٣٣) وهذا جيش كبير لجزيرة العرب ، ويدل حجمه على اتساع التأييد

(٢٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١٨٤ .

(٣٠) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٤٣ .

(٣١) اقتباس كويلاند من سجلات وزارة الهند ، ص ١٤٥ .

(٣٢) ابن رزيق ، وجه ورقة ٢٢٦ .

(٣٣) أخطأ باجر في ترجمة هذا الرقم فجعله « ثلاثة آلاف » .

الشعبي الذي كان مطلق وآل سعود يستطيعون الاعتماد عليه . وبعد اجتياز مطلق للباطنة ، حاصر مسقط بعض الوقت ، ثم عاد إلى البريمي .

٥٢ - إزاء الموقف السائد في الجزء الجنوبي للخليج الفارسي ، وجهت الحكومة البريطانية رسالة إلى الامام السعودي . ويلقى الرد الذي بعث به هذا الإمام ضوءاً على أهداف السعوديين حين أكرهوا على الاشتراك في عمليات عسكرية ، كما أنه يوضح رد الفعل لديه إزاء حرق البريطانيين للسفن التابعة للقواسم ، أثناء حملتهم على رأس الخيمة :

... ان سبب الحصومات المستمرة بيني وبين من يسمون أنفسهم مسلمين هو انحرافهم عن كتاب الخالق ورفضهم الامتثال لتبنيهم محمد . فلست إذن أشن حرباً على من ينتسبون إلى فرقة أخرى ، ولست أتدخل في عملياتهم المعادية ، ولست أساعدهم ضد أحد ، فادمت تحت سلطة العلي القدير فقد سموت على جميع أعدائي . . . وفي هذه الظروف رأيت من الضروري أن أبلغكم أنني ان أدنو من شواطئكم وأنتى منعت أتباع عقيدة محمد وسفهم من أن يقوموا بأى تشكيل بسفنتكم ، فإذا ما ظهر أحد من تجاركم في موافى أو رغب في الهجاء إليها فيسكرون أمنياً . . . فلا يزيدكم إذن احتراق عدد من السفن لأنه ليس لها قيمة في رأيي ولا في رأي أصحابها أو أهل بلادها . والحقيقة إذن هي أن الحرب مرة ولا يخوضها إلا أحمق كما قال أحد الشعراء . (٣٤)

٥٣ - في سنة ١٢٢٥ هـ (صيف ١٨١٠ م) بحثت الحكومة البريطانية السنية في الهند طلب سعيد بن سلطان الخاص بالظفر بمساعدة عسكرية ضد الدولة السعودية ، وانتهت إلى أن سعيداً كان يحاول أن يوقع بين البريطانيين والسعوديين . وأوصت الحكومة السنية بأن يبلغ سعيد بأنه « ليس من الضروري أن يشير إلى صلته بالحكومة البريطانية عند كتابة رده على أية عروض يتلقاها من عدوه » وأنه ينبغي عليه أن « يمنح شروط المسالمة التي يطلبها الوهابيون إذا كانت متفقة مع شرف دولة مسقط وأمنها . . . » (٣٥) .

(٣٤) مقتبسة من جيمس مورير « رحلة في فارس » (١٨١٢ م) ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .
(٣٥) اقتباس كويلاند من مجلات وزارة الهند ، ص ١٤٦ .

٥٤ - في سنة ١٢٢٥ هـ (١٨١١ م) زار البريمي ثلاثة أبناء للحاكم السعودي - هم تركي وناصر وسعد - وكان مطلق المطيري لا يزال الأمير السعودي هناك . وعقب وصولهم ، بايعهم آل بو شامس وأفراد آخرون من قبيلة نعيم كما بايعهم بني كعب^(٣٦) . وعندما اشتبكت القوات السعودية المقيمة في البريمي مع جيش مسقط ، لقي أبناء سعود ومطلق تأييداً من القبائل التي سبقت الإشارة إليها حالاً ، وكذلك من الظواهر وبني قتب والجنبة والدروع^(٣٧) . فأصبح السعوديون بقوة صفوفهم لا يستطيع أي عدو أن يقهرهم . وساروا في عمان دون أن يعترض سبيلهم شيء حتى وصلوا إلى بلدة الحد في الطرف الشرقى النائي لجزيرة العرب . وبينما كان السعوديون في شرق جزيرة العرب في هذه الحملة ، اعتنقت قبيلتا بني بو علي وبني راسب مبادئ الدعوة إلى التوحيد وظلوا على ولائهم لها إلى يومنا هذا .

٥٥ - في أثناء غياب مطلق المطيري في الشرق حل عبد الله بن مزروع محله في إمارة البريمي^(٣٨) وهو بوصفه سيد بلدة منفوحة قرب الرياض ، من كبار رجال نجد ، كما أنه كان في وقت ما قائداً للقوات العسكرية السعودية في المدينة المنورة .

٥٦ - عقب انتهاء هذه الحملة مباشرة ، عاد أبناء سعود ومطلق المطيري غرباً من البريمي إلى الحسا . وعين عبد العزيز بن غردقة ، وهو من كبار رجال الحسا ، أميراً للبريمي خلفاً لمطلق . ثم حدثت اضطرابات بسبب سوء تصرف الإدارة في جمع الزكاة أدت إلى عصيان قام به بعض أهالي بني ياس ضد الحكومة السعودية . وهاجم العصاة ابن غردقة وقتلوه وهو في طريقه إلى

(٣٦) ابن رزيق ، ظهر ورقة ٢٣٤ .

(٣٧) ابن رزيق ، وجه ورقة ٢٣٥ .

(٣٨) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٥٣ .

البريمي ، وفي أثناء هذه الأحداث وقفت قبيلتا نعيم والظواهر موقف الولاء للسعوديين ، ومكنتهم من أن يحتفظوا بمركزهم في البريمي على الرغم من الحظ العاثر الذي أصاب قضيتهم مؤقتاً . (٣٩)

٥٧ - لما أخفق حاكم مسقط في الظفر بمساعدة أخرى من البريطانيين ضد السعوديين تحول إلى الفرس الذين زودوه بعدد من الجند ترافقهم مدفعية خفيفة قوامها رجال من الروس الفارين . ولمواجهة هذا التحدي جمع مطلق المطيري قبائل نعيم والظواهر وبنى قتب والخبنة والدروع ، (٤٠) بعد عودته إلى البريمي عقب وفاة ابن غردقة . وتغلب السعوديون على جيش مسقط وحلفائه الفرس ، ثم شتتوا قواهم تشتيتاً كاملاً ، وعلى أثر ذلك عاد مطلق إلى البريمي . أما الأسلاب التي كسبت في ميدان القتال فقد جمعها العمال السعوديون وأرسلوها إلى الدرعية . (٤١) وكما هو الحال عادة ، حاول سعيد بن سلطان أن يلقى اللوم في هذه الهزيمة على حلفائه ، وقال وكيله لحاكم بمباي إن الفرس «داروا بخيولهم وتمهقروا دون قتال» . (٤٢)

٥٨ - بلغ مطلق المطيري ذروة قوته عندما سعى حاكم مسقط لمقابلته على ساحل الباطنة ودفع له مبلغ ٤٠,٠٠٠ ريال (٤٣) أتاوة . (٤٤) وكان يصحب مطلق جيش قبل إن قوامه ٤٠,٠٠٠ رجل يتألف من فصائل من قبائل نعيم والظواهر

(٣٩) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٥٤ . « عقود الجمان » ص ٧٤ - ٧٥ .

(٤٠) ابن رزيق ، وجه ورقة ٢٣٤ .

(٤١) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٥٤ .

(٤٢) اقتباس كوبلانده من سجلات وزارة الهند ، ص ١٤٦ . لم يسع كوبلانده إلا أن يقول « ومن ثم يجب الاستنتاج أن المانيين حذوا حذوهم » .

(٤٣) كان الريال المتداول في ذلك الحين في شرق جزيرة العرب هو ريال ماري تريفز (« ريال فرنسي ») ويسمى في بعض الأحيان الريال الألماني . ولا تزال هذه العملة

تداول ولا سيما في عمان الداخلية .

(٤٤) ابن رزيق ، ظهر ورقة ٢٣٧ .

و بنى قتب و بنى كعب و بنى ياس^(٤٥) وهى القبائل التى كان قد جمعها عقب اعتداء حاكم مسقط على القواسم . وكان اللفتنت بروس المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى مع الحاكم فى أثناء هذا الاعتداء الذى انتهى بفشل ذريع ، سببه الرئيسى أن شخبوط حاكم أبو ظبى لم يقدم مساعدة فعالة إلى القوة المهاجمة^(٤٦) .

٥٩ - لى مطلق المطيرى حتفه فى سنة ١٢٢٨ هـ (نوفبر سنة ١٨١٣ م) عندما نجحت قبيلة الحجرين فى عزله عن قواته الرئيسية ودحره بالتفوق العدى . وما كانت قبيلة الحجرين لتقف فى وجه الجيش السعودى نفسه ، لأن مطلق كان مصحوباً فى ذلك الوقت بجميع قبائل الظاهرة ما عدا بنى كلبان^(٤٧) . وقد تحدث الضابط الفرنسى جيان عن حاكم مسقط فقال :

... بفضل حادثة غير متوقمة استطاعت قبيلة بدوية أن تنفذه من مطلق ، ذلك الخضم الذى ما كان يخفق فى أن ينزل به الدمار فى فترة قصيرة . . . (٤٨)

ويتكلم موريتسى الإيطالى الذى عمل فى خدمة حاكم مسقط سنوات والذى يقال أنه هو نفسه قد قابل مطلق ، فيقول عنه ما يلى :

وهكذا هلك . . . ذلك العدو الذى ظل اسمه طويلاً كافيًا وحده لأن يملأ أهل مسقط رعباً ، وراح ضحية الثور الذى دفعته إليه انتصاراته الكثيرة المتوالية . وكان ذا شخصية مهذبة ميالا إلى الحرب ، وكان إلى ذلك بادرى الرقة مما ضمن له على الفور احترام أتباعه ومحبتهم . . . وأستطيع أن أقول بلا مبالغة إنه كان أقدر سياسى وأكثرها قائد ظهر فى خلال مدة طويلة فى الشرق . (٤٩)

(٤٥) ابن رزىق ، وجه ورقة ٢٣٧ .

(٤٦) مختارات بمباى ، ص ١٨٣ و ١٨٤ . ولوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٥٠ - ٦٥١ .

(٤٧) ابن رزىق ، وجه ورقة ٢٣٨ .

(٤٨) جيان « وثائق عن تاريخ افريقيا الشرقية وجغرافيتها وتجاريتها » (١٨٥٦ م) مجلد ٢ ،

ص ١٧٥ .

(٤٩) موريتسى « تاريخ السيد سعيد » (١٨١٩ م) ص ٨٧ - ٨٨ .

٦٠ - حل محل مطلق المطيرى فى منصب أمير البريمى أخوه بتال الذى كان قد نجا من المعركة التى كانت مع الحجرين. وبعد ذلك بقليل، حل عبد الله ابن مزروع الذى كان قد شغل هذا المنصب فى مرة سابقة (الفقرة ٥٥ السابقة) محل بتال .

٦١ - لما عجزت الحكومة العثمانية بنفسها عن أن تحصر الدعوة إلى التوحيد ، عهدت إلى محمد على باشا والى العثماني الطموح النشاط فى مصر أن يهاجم الدولة السعودية . فاعتبط حاكم مسقط وكتب إلى صديقه دنكن فى بمباى يقول « بفضل الله أخذت شئون هذا الجنس البغيض تتدهور »^(٥٠) . ولم يكن هذا التدهور بالسرعة التى توقعها سعيد بن سلطان . وقد نزلت أول قوات أرسلها إلى مصر على الساحل الغربى لجزيرة العرب فى سنة ١٢٢٦ هـ (١٨١١ م) ومع أن محمد على كان يمتاز بالمعرفة الوثيقة بأساليب القتال الغربية وكان ينتفع بنصيحة الخبراء العسكريين ومن بينهم الضباط الفرنسيون ، فقد وجد مهمة القضاء على بسالة المصلحين وحماسهم الدينية مهمة غير يسيرة . وقد انقضت سبع سنين فى حملات مفضية قبل أن تحقق قواته نجاحها النهائى . وفى أثناء هذه الفترة وجهت الحكومة السعودية بالضرورة جانباً كبيراً من اهتمامها إلى ميادين القتال فى الغرب ، غير أن الدولة كانت من السلامة والمنعة بحيث استطاعت أن تصون مركزها فى البريمى دون تغيير حتى نهاية الفترة .

٦٢ - توفى سعود الكبير فى فراشه فى سنة ١٢٢٩ هـ (أوائل شهر مايو سنة ١٨١٤ م) .^(٥١) وتصف الوثائق البريطانية الرسمية نفوذه الواسع قبيل وفاته بالكلمات التالية .

(٥٠) اقتباس كويلاند من سجلات وزارة الهند ، ص ١٤٧ .

(٥١) التاريخ المصنوع حسب التقويم الهجرى هو مساء يوم الاثنين ١١ جمادى الأولى

سنة ١٢٢٩ . ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٧٦ .

. . . كان الساحل كله على الجانب العربي خاضعاً له باستثناء جزيرة البحرين . . .
وميناء القرين (الكويت) . ونحو الجنوب امتد نفوذه إلى رأس مستدم على الساحل
وفى الداخل إلى أراضي مسقط حيث اعترف أيضاً بساطرته جنوبي رأس الحد . (٥٢)

٦٣ - ومع أن لوريمر لم يتوخ الدقة في بعض التفصيلات التي يرويها
عن حكم سعود ، إلا أن النتيجة العامة التي يصل إليها صحيحة :

ان اتجاه الحكومة الوهابية في نجد . . . كان في جوهره اتجاه تمدن وحضارة .
وكان من بين أهدافهم الرئيسية التي وضعوها نصب أعينهم إقامة الأمن والنظام ،
وإخاد الحروب المحلية والمنازعات الشخصية وإحلال عقوبات تفرضها الدولة
وتعويضات تمنحها بدلاً من تلك الحروب والمنازعات . (٥٣)

٦٤ - يقول المؤرخ العربي ابن بشر ، إنه في أيام سعود كان الراكب
والراكبان والثلاثة يسرون بالأموال العظيمة من الدرعية أو غيرها في وسط
جزيرة العرب إلى أقصى أطراف اليمن أو إلى ينبع على البحر الأحمر أو إلى عمان
أو في أي اتجاه آخر لا يخشون أحداً إلا الله . (٥٤)

٦٥ - تنضح سيطرة سعود على القبائل من قصة رواها ابن بشر تبين أيضاً
كيف كانت هذه السيطرة مستندة إلى مقام سعود بوصفه زعيماً إسلامياً كبيراً .
ففي سنة ١٢٢٨ هـ (١٨١٣ م) أي في السنة السابقة لوفاة سعود ، اجتمع
في حضرته رئيسا قبيلتي مطير وعنزة القويتين - وكان بين القبيلتين سابقا
عداء شديد - وقال رئيس لآخر : احمد الله على نعمة الإسلام وسلامة هذا
الإمام الذي أطال الله عمره بسببه وكسك الشيب بعد أن كان آباءكم لا يشيرون
ولا ينتهون إلى حده . فرد عليه الآخر قائلاً : أحمد الله على نعمة الإسلام وسلامة
هذا الإمام الذي كثر الله بسببه مالك وسلم عيالك ولولا ذلك لم تملك ما هنالك ،

(٥٢) مختارات إمبای ، ص ٤٣٥ .

(٥٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١٠٦٤ .

(٥٤) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٧٢ .

ولا نزلت في تلك الديار ولا استقر بك فيها قرار . فانتفض سعود وزجرهم وذكركم ما أنعم الله عليهم به من الإسلام والجهاد والجماعة والاجتماع على الصلوات والدروس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما أعطاهم الله في ضمن ذلك من الأموال وكثرة الرجال وأمان السبل ، وإن الرجل من البوادي وغيرهم يترك خيله وإبله في أى موضع شاء لا يخشى عليها إلا الله تعالى . فكف الزبائسان عن التحدث بالطريقة التي بدأ بها واستأنفا الحديث بشكر الله على ما أعطاهم وأولاهم من النعم وأزال عنهم من الظلم والجور والقتال والعدوان والإثم^(٥٥) . إن هذه القصة تتفق تماماً وقول لوريمر إنه قد اعترف بأن سلطة سعود « يتمثل فيها المبدأ الوهابي بصورة واضحة ، ولهذا السبب فقد أذعن الناس لإرشاداته بمحض اختيارهم »^(٥٦) .

٦٦ - يورد ابن بشر تفصيلات عن جباية الزكاة على يد الحكومة السعودية في أيام حكم سعود ، ولغذه أهمية خاصة من حيث أنها توضح أن أسلوب الجباية من قرن ونصف قرن هو نفس الأسلوب الذي تتبعه الحكومة السعودية في الوقت الحالى . وليس هذا عجيباً إذ أن الطريقة التي كانت متبعة والتي تتبع الآن مستمدة من سنن الدين الإسلامى في أيامه المبكرة . ومما يذكر أن جوهر الدعوة إلى التوحيد هو الرجوع إلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح . ومما يشهد على صدق البيانات التي أوردها ابن بشر أن مصدره في هذه الحالة بعض خواص سعود ممن قد صار كاتباً عنده . وقد اعتادت الحكومة أن ترسل أكثر من سبعين جماعة لجباية الزكاة على الإبل والغنم من بدو جزيرة العرب . ويقول ابن بشر بالتحديد إن الزكاة كانت تجبي من منطقة عمان ، حيث كانت البريمي مركزاً لهذا النشاط وغير ذلك من الأعمال الحكومية . وكانت

(٥٥) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٧٢ .

(٥٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١٠٦٣ .

كل جماعة لحباية الزكاة تتألف من سبعة رجال هم أمير وكاتب وحافظ دفتر (ولابد أن الدفتر يشبه إلى حد كبير الدفاتر المصورة في المجلد الثالث من هذا العرض) وقابض للدراهم (مسئول عن الأموال التي تباع بها الإبل والغنم التي تسلم زكاة عينية) وثلاثة رجال خدام . والجماعات السبعون التي تعمل بين البدو هي بالإضافة إلى الحباية الذين يرسلون إلى المدن والقرى لجمع الزكاة المستحقة على غلة الزراعة وكذلك الحباية المسئولون عن الزكاة على العروض التجارية . . . إلخ . ويقول ابن بشر إن حصيلة الضرائب التي كانت تسلم إلى العاصمة في الدرعية من عمان ومن جهات الدولة الأخرى قد بلغت مقادير لا يستطيع أحد عدها . فقد جمعت جماعة واحدة ٤٠,٠٠٠ ريال وثمانى أفراس من الخيل الجياد فضلاً عن نفقات الحباية ، وقد دفع كل هذا بحرية وعن طيب خاطر من قسم واحد من قبيلة واحدة . ومن الأغراض التي كانت الحصيلة تستخدم فيها ، دفع نفقات مخافر الدولة وقواتها العسكرية المرابطة فيها ، مما يدل على أن مبدأ « لا حباية إلا بحماية » كان يراعى بأمانة^(٥٧) .

٦٧ - كان بين الموظفين الآخرين الذين استقروا في البريمي أيام حكم سعود قضاة شرعيون لعبوا دوراً هاماً في الإدارة السعودية . وكان المتبع أن يعمل القاضى نحو سنة يحل محله بعدها قاض آخر^(٥٨) . وكان الشيخ عثمان بن عبد الخبار آل شبانة من القضاة الذين أرسلهم سعود ، وكان رجلاً تقياً وعالمًا له منزلة عالية من التقدير، وقد سبق له أن عمل قاضياً لمقاطعة عسير الواقعة على البحر الأحمر أيام حكم كل من عبد العزيز وسعود^(٥٩) . وهناك قاض آخر أرسله سعود هو الشيخ محمد بن مقرن آل فطاي الدوسرى ، وقد عمل قاضياً لعسير أيضاً^(٦٠) .

(٥٧) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٧٣ .

(٥٨) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٧٦ .

(٥٩) يقدم ابن بشر مجلداً لسيرة الشيخ عثمان ، مجلد ٢ ، ص ٢٩ - ٣٠ .

(٦٠) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

٦٨ - مما يدل على التقدير الرفيع الذي كان أهل البريمي يضمرونه لسعود ، القصيدة التالية التي نظمها شاعر في المنطقة مشيداً بشمائله :

إذا جزت باب السيف تلقاه فارسا وإن جزت باب العلم تلقاه عالما
وإن جزت باب الخوف تلقى مخافة وإن جزت باب السلم تلقى مسالما
وإن جزت باب الدين تلقى ديانة وإن جزت باب الحكم تلقاه حاكماً (٦١)

٦٩ - إن ولاء الداخلين في الدعوة إلى التوحيد في شرق جزيرة العرب يتضح من تاريخ قبيلة بني بو علي التي تقع منازلها أبعد عن وسط الدولة من أى قبيلة أخرى . فقد سافر رئيس القبيلة نفسه ، سالم بن علي آل حمودة ، إلى الدرعية لكي يتشرب تعاليم حركة الإصلاح من منبعها . وبعد عودته إلى موطنه الأصلي ، جاهد طويلاً بإخلاص ليغرس هذه التعاليم في عقول أتباعه وقلوبهم . وقد وجه الإمام سعود في أثناء حكمه عناية خاصة إلى القبيلة كما فعل خلفاؤه من بعده . كذلك حرص الأمراء السعوديون في البريمي من أيام مطلق المطيري وما بعدها على أن يعاملوا أفراد هذه القبيلة إخوة أشقاء في الأيمان. (٦٢) وقد تحمل رجال القبائل نصيبهم من العبء عندما قاوموا مقاومة عنيفة بعد بضع سنين أمام الاعتداءات التي شنّها عليهم البريطانيون وحاكم مسقط .

(٦١) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٧٤ .

(٦٢) « عقود الجمان » ص ٨٠ - ٨٣ .

٥ - حكم الإمام عبد الله بن سعود ١٢٢٩ - ١٢٣٣ هـ
(١٨١٤ - ١٨١٨ م)

٧٠ - مع أن عبد الله نجل سعود الكبير وخليفته كان مدة حكمه القصيرة دائم القلق ، لاستفحال خطر اعتداء محمد علي باشا في الغرب ، فقد تمكن من الاحتفاظ بالقاعدة السعودية في البريمي . وقد كان تنظيم الدولة السعودية ملائماً لرغبات رعاياها وأسلوب معيشتهم ، بحيث أن جهاز الحكومة كان حسن السير في مناطق كالبريمي لم تتأثر نسبياً بالصراع . فاستمر السكان يتمتعون بالأمن والاطمئنان اللذين تعودوا عليهما تحت الحكم السعودي . وكان ولاؤهم الراسخ عوناً للأمرء السعوديين على إدارة الأمور دون حاجة إلى مساعدة كبيرة من العاصمة . وكان يجري جمع الزكاة سنوياً من العربان ومن سكان القرى . وعين عبد الله بن سعود ، كما كان يفعل أسلافه ، قضاة للبريمي ، وقد كان من بين هؤلاء الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين والشيخ إبراهيم بن سيف .^(١) واستمر وكيل في تمثيل الحكومة السعودية في بلدة مسقط حيث لم يكن الحاكم هناك قوياً بدرجة تمكنه من تحدى السعوديين طيلة مدة بقاء دولتهم متناسكة في الشرق .

٧١ - جمع عبد الله بن مزروع عدداً كبيراً من عربان إقليم البريمي للقيام بحملة تجاه الجنوب الشرقي ، ولما وصل إلى عمان الداخلية توجه حاكم مسقط عابراً الجبال لمقاومته . إلا أن تطورات مفاجئة وقعت في الباطنة وضعت حداً لهذه المقاومة إذ كان حاكم مسقط أكثر اهتماماً بشئون الساحل منه بشئون الداخل .^(٢)

(١) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ٢٠٩ .

(٢) ابن رزيق ، وجه ورقة ٢٣٩ وظهريها .

٧٢- وفي عام ١٢٢٩ هـ (١٨١٤) اشترك حاكم مسقط وزعيم أهالي بني ياس في أبو ظبي بعمليات ضد رأس الخيمة . وكان مسلك بني ياس مدعاة لأن يعلق عليه المعتمد البريطاني اللفتننت بروس بقوله : « إن مخادعة هذه القبائل بمسلكها المزدوج . . . من العسير تفسيرها . . . »^(٣)

٧٣- وقد خلف بتال المطيري عبد الله بن مزروع أميراً على البريمي ، واستمر في منصبه هذا حتى سقوط الدرعية ونهاية حكم عبد الله بن سعود .

٧٤- وإذا اشتدت وطأة الضغط من قبل جيش محمد علي باشا بقيادة ولده إبراهيم باشا ، اضطر عبد الله بن سعود إلى سحب رجال نجد من القاعدة السعودية في البريمي . أما ولاء الأهالي في إقليم البريمي للقضية السعودية فقد تجلى عندما توجهت « فرقة كبيرة من القبائل الغافرية في الظاهرة » إلى نجد لتكون تحت قيادة عبد الله في عاصمته الدرعية .^(٤)

٧٥- إن صلابة العقيدة التي تمسك بها أتباع الدعوة إلى التوحيد في أطراف الدولة السعودية تتمثل في التقرير الذي وضعه الرحالة البريطاني المعروف جيمز سلك بكنجهام عن الحالة في الصحراء الشامية عام ١٢٣٢ هـ (١٨١٦ م) حين تعرض معقل الحركة المركزي لضربات عنيفة وجهتها قوات محمد علي باشا .

. . . كان جزء جزيرة العرب الأعلى بجمعه ، من المدينة والدرعية إلى حدود حوران الشرقية حتى تدمر مغطى بالوهابيين أصحاب الفرقة التي تحول إليها جميع العرب تقريباً في قلب الصحراء حيث كانوا يتزايدون وينثرون في كل اتجاه .^(٥)

(٣) منتخبات مجباى ، ص ١٨٥ .

(٤) مايلز « البلدان والقبائل » مجلد ٢ ، ص ٣٢٣ .

(٥) بكنجهام « رحلات بين القبائل العربية » (١٨٢٥ م) ص ١٠١ - ١٠٢ .

٧٦ - قامت عدة سفن بريطانية بهجوم عقيم على رأس الخيمة في عام ١٢٣٢ هـ (١٨١٦ م) وقد ذكر بكنجهام ، الذي كان يصحب هذه الحملة البحرية بوصفه مترجماً ، عن سكان الداخل ما يلي :

ان جميع هؤلاء الناس من المسلمين الذين يتبعون الفرقة الوهابية قد وقفوا أنفسهم على الإخلاص لديهم ، وهم على استعداد في جميع المناسبات لأن يقدفوا بأنفسهم في غمار المعارك دفاعاً عن عقيدتهم . (٦)

٧٧ - وفي عام ١٢٣١ هـ (١٨١٦ م) قام محمد ، الابن الأكبر لشخبوط ، بخلع والده رئيس أبو ظبي ، ولم يمض وقت طويل حتى واجه محمد معارضة من أخيه الأصغر طحنون الذي تبني قضية والدهما . (٧)

٧٨ - ولما اقترب جيش إبراهيم باشا من الدرعية بذل أهالي شرق جزيرة العرب كل جهد لمساعدة دعاة الدعوة ، فبعث القواسم في الساحل الجنوبي الشرقي بسبعة عشر مركباً بحرياً ، فيها عدد كبير من الرجال ، إلى القطيف معونة عسكرية للدولة السعودية ، إلا أنها وصلت بعد الأوان . (٨)

٧٩ - وفي عام ١٢٣٣ هـ (نوفمبر ١٨١٨ م) استسلمت العاصمة السعودية ونقل عبد الله بن سعود أولاً إلى القاهرة ثم إلى اسطنبول ، حيث أعدمه الأتراك . وبذلك انتهت الفترة الأولى للدولة السعودية بعد ثمانين عاماً تقريباً من تأسيسها في نجد وبعد عشرين عاماً من إقامة العاصمة الإقليمية في البريمي . وكان الفرح يأخذ الموظفين البريطانيين المعاصرين - بعضهم على الأقل - لو كانت هذه النهاية خاتمة المطاف . وكتب المستر فرانسس واردن عضو المجلس في بمباي حينئذ يقول « بذلك قامت وأنهارت الفرقة الوهابية الغربية ويرجى ألا تقوم لها

(٦) بكنجهام « أسفار في آشور وميديا وفارس » (١٨٢٩ م) ص ٤٧٨ .

(٧) منتخبات بمباي ، ص ٤٦٤ .

(٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٥٧ .

قائمة» (٩) . إلا أن هذا الأمل ظهر أنه أمل واه كما سيتضح ذلك في السياق .
وقد كتب الحاكم البريطاني العام في الهند إلى إبراهيم باشا يهنئه قائلاً :

... ان الهزيمة والانهيار الكامل لدولة ما ، بعد ارتفاع سريع غير عادي إلى
درجة من السمو ، مما يدعو إلى السرور أن تتفردوا فخامتكم بإخضاعها . (١٠)

كما أعرب القنصل البريطاني العام في القاهرة هنري سولت بعبارات أقوى عن
سروره لانهيار ما سماه :

... عصابة من اللصوص أثبتت أنها أكثر تعصبا وتزنتاً وأشدّ عداوة لتقدم
الحضارة من أتباع الدين الذين حاولت هذه العصابة أن تحل محلهم . (١١)

وعلى النقيض من هذه الأقوال نجد أن الكلمات التي وجهها عبد الله بن سعود
إلى أسره تفيض بالإباء وبالإيمان ، إذ يقول له :

انك عظيم يا إبراهيم باشا ، والدك أعظم منك ، ثم أن السلطان محمود أعظم
منه ... إلا أن الله أعظم منكم جميعاً (١٢) .

(٩) منتخبات بمباي ، ص ٣٤٦ .

(١٠) سادليير « يوميات رحلة عبر جزيرة العرب » (١٨٦٦ م) ص ١٣٣ .

(١١) اقتباس دودويل من ملفات وزارة الخارجية البريطانية في « مؤسس مصر الحديثة »
(١٩٣١ م) ص ٤٩ .

(١٢) مقتبسة من المحفوظات الفرنسية في أدوار دريو « تأسيس امبراطورية محمد علي » (١٩٢٧ م)
ص ١٣٢ .

٦- فترة خلو العرش ١٢٣٣ - ١٢٣٤ هـ (١٨١٨ - ١٨١٩ م)

٨٠- استمر التأييد للدعوة إلى التوحيد على قوته في البريمي والساحل الجنوبي الشرقي للخليج الفارسي بالرغم من سقوط الدرعية ونفى عبد الله بن سعود وإعدامه . وقد لجأ إلى هذا الإقليم ، هرباً من طغيان الفاتحين ، كثيرون من آل سعود ومن أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأحفاده .^(١) وفي عام ١٢٣٤ هـ (١٨١٩ م) تنهى إلى علم الكابتن سادلير في مسقط أن ثلاثمائة من الجنود فروا من الدرعية إلى الساحل الجنوبي الشرقي وقد ذكر هذا العدد فيما مضى بأنه بلغ خمسة عشر ألفاً .^(٢) وكان من بين هؤلاء الرجال عبد الله بن مزروع أحد أمراء البريمي السابقين .

٨١- وقع بتال المطيري أمير البريمي في ورطة خطيرة بسبب قلب الدولة السعودية . وقرر أن يزور حاكم مسقط . ويذكر الكابتن سادلير الذي كان في مسقط عند وصول بتال أن هذا الأمير في نظره قد « أذعن لسياسة ذلك الوقت وليس لشجاعة قوات صاحب العظمة (حاكم مسقط) » .^(٣) وقد سمع سادلير أن القصر السعودي في البريمي كان « قصراً منيعاً جداً له برجان ومبنى بالحجر يحيط به خندق عميق جداً » .^(٤) ومع أنه لا توجد معلومات مفصلة بصدد الترتيبات التي تمت ، إلا أنه ظاهر من المعلومات التي أعطيت لسادلير ، أن اتصالاً قد تم بين مسقط والبريمي ، ولكن هذه الأوضاع لم تدم إلا فترة وجيزة (الفقرة

(١) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ٢١٣ و ٢٢٣ . « عقود الجمان » ص ٨٤ .

(٢) سادلير « يوميات » ص ١١ ، ص ١٤٥ .

(٣) سادلير « يوميات » ص ٨ .

(٤) سادلير « يوميات » ص ٨ .

١٠١ (اللاحقة) . ويجب أن يؤكد فضلا عن ذلك أن هذا الاتصال القصير لم ينتج عن الفتح أو عن أى تعبير عن رغبات السكان بل كان مجرد عمل سياسى من جانب أمير البريمي السعودى الذى وجد نفسه بلا معين بسبب ذلك الأقول الموقت الذى طرأ على حكومته المركزية .

٨٢ - كرس البريطانيون فى الهند الكثير من التفكير والبحث لوضع سياسة جديدة للخليج الفارسى على أثر الانتصار الذى أحرزته قوات محمد على باشا على الدولة السعودية .

إن حكومة بمباى التى لم تنظر بعين الرضاء إلى احتمال تدخل المصريين فى شؤون الخليج ، وافقت على ما يظهر على خطة يكون بموجبها سيد عمان (حاكم مسقط) مستولا عن مستقبل ساحل القرصنة وجزائر البحرين كما أن عليه مقابل ذلك أن يسمح بإقامة مقر بريطانى فى جزيرة القسم يدفع هو نفقات صيانه . (٥)

وإنه لما يلفت النظر بشكل خاص ما أثير من الاهتمام لاحتمال وضع البحرين تحت سلطة حاكم مسقط وذلك على ضوء البيانات البريطانية التى صدرت قبل هذا الوقت وبعده مشيرة إلى أن هذا الحاكم لا حق له إطلاقاً فى هذه الجزائر (الفقرة ٢٥ السابقة والفقرة ٨٧ اللاحقة) . ولم يوافق الموظفون البريطانيون كلهم فى الهند على الخطة الموضوعة المتقدم ذكرها ، وإن السكرتير الرئيسى المستر فرانسس واردن ، وهو الذى قد قام بدراسة خاصة للحالة فى الخليج الفارسى ، بسط آراءه عام ١٢٣٤ هـ (١٢ أغسطس سنة ١٨١٩ م) :

يرى المستر واردن ، بعد أن تناول بأسهاب ضعف سيد عمان (حاكم مسقط) وعدم استقراره ، أنه أقل الزعماء جدارة بأن يمنح أى نوع من أنواع السيادة فى الخليج ، وما من شك فى أنه كان محقاً عند ما أصر على أنه ليس للسيد ادعاء مشروع بالسيادة على ساحل القرصنة . (٦)

(٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٥٩ .

(٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٥٩ ، هامش (على ص ٦٦٠) .

٨٣ - أصدر إبراهيم باشا أمره في أوائل صيف ١٢٣٤ هـ (١٨١٩ م) بهدم الدرعية العاصمة السعودية . ويشير ابن بشر إلى أن الدرعية في أيام عظمتها كثيراً ما كانت مقصداً لأهالي عمان ومن بينهم بلا شك سكان البريمي^(٧) .

(٧) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ٢١٤ .

٧ - البعث الأول للدولة السعودية ١٢٣٤ - ١٢٣٥ هـ
(١٨١٩ - ١٨٢٠ م)

٨٤ - دام احتلال قوات محمد علي باشا الفعلي لنجد مدة سنتين فقط وأجلى معظم هذه القوات عام ١٢٣٤ هـ (١٨١٩ م) ونجح أحد زعماء نجد المدعو محمد بن مشارى بن معمر ، من أتباع الدعوة إلى التوحيد ، في إعادة تأسيس نوع من الحكم الوطنى .

٨٥ - وانتصار قوات محمد علي باشا في أواسط جزيرة العرب قد شجع البريطانيين وحاكم مسقط على القيام بأعمال عسكرية أكثر اتساعاً من أية عمليات سبق لهم أن قاموا بها في أيام الدولة السعودية القوية . فقامت قوة برية بحرية بريطانية بمهاجمة رأس الخيمة الواقعة على الساحل الجنوبي الشرقى ، وأرسل حاكم مسقط جنوداً لم يصلوا إلا عقب الاستيلاء على البلد « وبناء على طلب الجنرال البريطانى فقد أعيدوا في الحال إلى ديارهم خشية أن يؤدى وجودهم إلى مصاعب ، وأيضاً نظراً لندرة المون » (١) .

٨٦ - وقد استدعى البريطانيون عقب انتصارهم في رأس الخيمة الزعماء العرب على الساحل الجنوبي الشرقى لتوقيع اتفاقية صلح عامة عام ١٢٣٥ هـ (١٨٢٠ م) . (٢) ولم تكن الحكومة البريطانية في ممباى تنظر إلى شروط هذه المعاهدة بارتياح . ويقول لوريمر « لقد كان واجباً في رأيها عزل أكبر الشيوخ

(١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٦٧ .

(٢) النص الانكليزى في معاهدات ايتشيون ، مجلد ١١ ، ص ٢٤٥ - ٢٤٩ . النصان العربى والانكليزى في « المعاهدات الجارية فيما بين دولة الهمية البريطانية ومشايع المتصالحين » (١٩٠٦ م) ص ٥ - ٨ (انكليزى) ص ٥ - ٨ (عربى) .

ذنباً من مراكز السلطة التي يتمتعون بها ، وإحلال زعماء محلين آخرين في
مكاتبهم أو إحالة ممتلكاتهم إلى سيد مسقط . . . « (٣) .

٨٧- واستغل حاكم مسقط مسألة تعاونه مع البريطانيين في حملة عام
١٢٣٤ هـ (١٨١٩ م) للتقدم بادعاء آخر للسيطرة على البحرين ، غير أن لوريمر
يقول « كانت السلطات البريطانية حريصة على تجنب ما من شأنه تأييد
ادعاءات السيد سعيد ، وحتى التظاهر بذلك » (٤) .

٨٨- وفي نجد قام بتولى السلطة عام ١٢٣٥ هـ (١٨٢٠ م) زعيم آخر ،
هو مشاري ، الأخ الأصغر لعبد الله بن سعود المتوفى . وقد اعترف به ابن معمر
حاكماً ، ولكن الحالة ظلت مضطربة لدرجة أن الزعيمين كليهما لقيتا حتفهما
قبل انتهاء السنة ، وبذلك بدأت فترة أخرى قصيرة كان العرش فيها خالياً .

(٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٧٣ .

(٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١٩٩ .

٨ - فترة خلو العرش ١٢٣٥ - ١٢٤٠ هـ (١٨٢٠ - ١٨٢٤ م)

٨٩ - قرر محمد علي باشا إرسال قوات كافية إلى نجد لإعادة احتلال البلاد بشكل فعال . ولقد كان مسلك حامية الباشا جائراً ، وحن الوقت قبل مضي سنوات قليلة لبعث الحكم السعودي على نطاق واسع . وقد كان يمكن أن يحدث هذا قبل ذلك لو أن الغزاة لم يعتمدوا على اتخاذ إجراءات صارمة لتقهر سلطة آل سعود بقتل بعض أبنائه البارزين وإرسال آخرين منهم إلى المنفى .

٩٠ - وانضم البريطانيون في عام ١٢٣٥ هـ (نوفمبر ١٨٢٠ م) إلى حاكم مسقط في عملية عسكرية أخرى . وكانت هذه المرة عن طريق البر موجهة إلى قبيلة بنى بو على الموالية لآل سعود والمقيمة في شرق عمان . ويشير ضابط بريطاني ، اللفتننت هنرى أورمزبي من البحرية الهندية ، زار القبيلة عام ١٢٤٥ هـ (١٨٣٠ م) ، إلى « اعتدائنا الذي لا مبرر له » بالقيام « بحملة أقل ما يقال فيها إنها كانت مؤسفة وغير موفقة » .^(١) وكانت هذه القبيلة من أكثر القبائل بسالة في جميع أرجاء البلاد ، فصمدت في أماكنها ، وألحقت بالمهاجرين هزيمة منكرة . وإن مؤرخ البيت الحاكم في مسقط لا يطرى الخصائص العسكرية التي كان يتمتع بها حلفاء مسقط ، فهو يقول :

فلما رأى السيد (حاكم مسقط) انفلال شركة الانجرز (الانكليز) ورقة عزائمهم وقلة من ثبت معه من قومه أمر بالمسير إلى مسقط .^(٢)

(١) ولستد « رحلات إلى مدينة الخلفاء » (١٨٤٠ م) مجلد ١ ، ص ٢٩ و ٣١ .

(٢) ابن رزيق ، وجه ورقة ٢٤٤ وظهرها .

ويقول اللفتنت أورمزي عن رد فعل أنباء النتيجة لدى الحكومة البريطانية في الهند :

أبدت دهشة غير ضئيلة في الهند لدى وصول معلومات عن حدوث هذه الكارثة .
ان أحداث حروبنا الهندية ليس فيها مثل هذه الكارثة . كلا ، فلو راجعنا تاريخ
الحملات الهندية لوجدنا أن البريطانيين انتصروا في غالب الأحيان على قوات
تفوقهم عدداً ، أما هنا فقواتنا التي أحضرت للعمل كانت تقريباً تتساوى في العدد
مع القبيلة المعادية ، بالإضافة إلى مساعدة قوات الإمام . (٣)

٩١ - وإذ رأيت حكومة بمباي « من الضروري استعادة سمعة بريطانيا
العسكرية في عمان » (٤) بعثت بجيش أكثر قوة إلى مكان الصدام الأول ،
يصحبه مرة أخرى حاكم مسقط . وكان الحاكم يشك كثيراً في شجاعة
البريطانيين ، كما خامرت البريطانيين الشكوك في قيمة مؤازرته لهم حتى قالوا
له « امكث أنت وقومك في معسكرك ونحن نمضي إلى بني أبي على ولا نريد
أن يصبحنا أحد من العرب إلا دليلاً يدلنا على الطريق المنقضى إلى بلدهم » . (٥)
وعاد أنصار الدعوة إلى التوحيد مرة أخرى للقتال ببسالة ، إلا أن سيوفهم هذه
المرّة لم تكن متكافئة مع أسلحة الغربيين النارية . وهناك ضابط بريطاني واحد
في الحملة ، على الأقل ، شعر بالأسف لهذا الانتصار الذي أحرزه هو
وزملاؤه ، إذ قال :

يفتقر أهل مسقط وكثير من رعايا الامام (حاكم مسقط) من ليسوا بوهابيين ،
مع أنهم في الظاهر متساوون هم والوهابيون في الصفات والعادات ويمشون في مناخ
واحد ويتغذون بغذاء واحد ، يفتخرون إلى الشجاعة المثل التي اتصف بها الوهابيون
أيام تفوقهم وأيام دخول الوهن في مصيرهم أخيراً . وإذا نظرنا إلى ما يحرق بفارس
والبلدان المجاورة لها من الانحلال الخلق المريخ ، لم نستطع إلا أن نأسف أبلغ
الأسف إذ كنا من الأسباب الفعالة في تحطيم أشخاص مصاحين كالوهابيين . (٦)

(٣) ولستد « رحلات إلى مدينة الخلفاء » مجلد ١ ، ص ٣٤ .

(٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٦٤ .

(٥) ابن رزيق ، وجه ورقة ٢٤٥ .

(٦) مقتطفة من جيسس فريزر « سرد لرحلة في خراسان » الملحق (١) ص (١٣) .

وقد أحسن البريطانيون معاملة الأسرى الذين وقعوا في أيديهم ، غير أن الأسرى الثمانين الذين وقعوا في قبضة سلطان مسقط لاقوا في النهاية حتفهم جوعاً وعطشاً^(٧) .

٩٢ - ومن الممكن القول بأن سعيد بن سلطان عقب هذه الانتصارات وصل إلى ذروة قوته في شرق جزيرة العرب ، ولم يسبق له أن تمتع في أية مرحلة من مراحل عهده الذي استمر خمسين عاماً ، بانطلاق يده في العمل كما تمتع في هذا العام . على أنه حتى في هذا الوقت كانت سلطته مقصورة على الساحل فقط ، ولم تتطرق إلى أي مدى في الداخل يستحق الذكر . إن المكائين الوحيدين الواقعين بعيداً عن الساحل واللذين تمكن لوريمر المؤرخ البريطاني الرسمي أن ينسبهما لسلطة سعيد في ١٢٣٦ هـ (١٨٢١ م) هما نخل والرستاق ، وكلاهما يقع على جانب من سلسلة جبال عمان المنحدرة في اتجاه البحر . ثم يقول لوريمر : « ليس في الإمكان التأكد من أن أي من الحصون الأخرى في البلاد كان في حوزته في هذا الوقت أو تحت سلطته المباشرة »^(٨) .

٩٣ - أشار لوريمر إلى قوة الشعور الموالى للسعوديين في الإقليم الذي هو موضوع البحث ، حتى في مثل هذه المرحلة من هبوط أسهم البيت السعودي ، فقال : « إنه على الرغم من ذلك ، كان الواقع أن عدداً كبيراً من الناس عام ١٢٣٨ هـ (١٨٢٣ م) ما زالوا يميلون نحو الوهابية »^(٩) .

٩٤ - وفي أوائل صيف ١٢٣٨ هـ (١٨٢٣ م) استقر تركي بن عبد الله أحد أبناء عمومة سعود الكبير في مكان لا يبعد كثيراً عن العاصمة السعودية

(٧) ابن رزيق ، ظهر ورقة ٢٤٥ .

(٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٥٠ .

(٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٨٧ .

القديمة في نجد ، وقد هرع الناس إلى تأييده ، وأحرز من التقدم ما أدى إلى تكوين نواة قوية لحكومة سعودية جديدة بعد بضعة أشهر .

٩٥ - ومع أن سعيد بن سلطان قد وصف مراراً بأنه من أعظم حكام عصره في جزيرة العرب فإن اللفتنت جون ما كلاود المعتمد البريطاني في الخليج الفارسي قدر في عام ١٢٣٨ هـ (١٨٢٣ م) قوة حاكم الشارقة العسكرية - والشارقة دولة صغيرة جداً - بأنها أكبر من قوة سعيد .^(١٠)

٩٦ - وفي عام ١٢٣٩ هـ (نهاية عام ١٨٢٣ م) نهبت بلدة أبو ظبي على يد أحد الزعماء المخلوعين هناك بمساعدة بعض المتمردين إلى قبيلة المناصير^(١١) .

(١٠) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٨٧ .

(١١) مختارات بمباي ، ص ٤٦٥ .

٩ - حكم الإمام تركي بن عبد الله ١٢٤٠ - ١٢٥٠ هـ (١٨٢٤ - ١٨٣٤ م)

٩٧ - في عام ١٢٤٠ هـ (١٨٢٤ م) قام تركي بن عبد الله بطرد حامية محمد علي باشا من الرياض ، وانقادت لحكمه بلاد نجد ، وبذلك افتتح تركي بداية العهد الثاني العظيم للدولة السعودية . وبدلاً من أن يحتفظ تركي بالدرعية العاصمة القديمة فقد اتخذ الرياض مركزاً له وبقيت منذ ذلك الحين المقر الرئيسي لآل سعود .

٩٨ - ويصف ابن بشر تركي بن عبد الله وآله بأنهم الذين أعاد الله بهم الإسلام بعد غربته . ولم يكن الناس قبل عهد تركي ليستطيعوا أن يناموا داخل بيوتهم لانعدام الطمأنينة في البلاد . غير أن تركي وضع حداً للتفرقة السائدة ، واتحد الناس تحت لوائه بعد أن كانوا شيعاً ، يناذب بعضهم بعضاً .^(١) وتشيد المصادر البريطانية بما امتاز به عهد تركي من فوائد وذلك في مجال وصفها للإدارة السعودية في الحسا عام ١٢٤٥ هـ (١٨٣٠ م) (الفقرة ١٠٧ اللاحقة) .

٩٩ - ويذكر ابن بشر أن تركي كان يبعث بالعمال لجمع الزكاة طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية . وقد تناول الإمام السعودي الأسس الإسلامية للزكاة في رسالة وجهها إلى إخوانه المسلمين ، كما كانت توزع رسائل مماثلة لها كل عام في جميع أرجاء المملكة كيما يتسنى للناس فهم المبادئ التي تسترشد بها الدولة :

إن الله هو الذي ولا في أمركم . . . فالذي أوصيكم به تقوى الله في السر والعلانية . . . وأعظم فرائض الله بعد التوحيد الصلاة . . . وكذلك الزكاة ، بعض الناس يبخل بها أو يستخف بها وأنتم تعلمون أنها من أركان الإسلام . قال الله تعالى « والذين

(١) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٥٤ .

يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحصى عليها في نار جهنم ، فتكوى بها جباههم ، وجنوبهم ، وظهورهم ، هذا ما كنتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكذبون» (٢) . . . ونصاب الزكاة تفهمه ، وعروض التجارة مثل الزرع الذي يدخره صاحبه . . . والله تعالى يتل الغنى بالفقير ، وطلب منكم اليسير فن أداها فارجو أن الله يقبلها منه ، ويخلفها عليه . ومن مكر بها فالله خير الماكرين . (٣)

١٠٠ - ولم تكد الدولة السعودية تستعيد مكانتها في نجد ، حتى قام بعض رؤساء الشاطي الجنوبي الشرقي للخليج الفارسي بإظهار موالاتهم لتركي الذي كانوا على اتصال به . وكان أظهر هؤلاء نشاطاً القواسم في الشارقة ونعيم في عجمان (٤) .

١٠١ - وفي عام ١٢٣٩ هـ (١٨٢٤ م) وقع خلاف بين حاكم مسقط وحاكم الشارقة حول البريمي التي يقول لوريمر إنها « قد أعلنت أراضي محايدة بموجب معاهدة سابقة بينهما » (٥) . ويقول لوريمر إن سبب الخلاف على ما يظهر كان يعود إلى العمل الذي قام به حاكم الشارقة ببناء بعض الأبراج أو الاستيلاء عليها في البريمي ، وهكذا يرينا أن علاقة مسقط بالبريمي التي بدأت في عام ١٢٣٤ هـ (١٨١٩ م) (الفقرة ٨١ السابقة) ، كانت في طبيعتها علاقة مؤقتة جداً . وفي غضون أربع سنوات أو أقل ، عندما لم تكن هناك حكومة سعودية قوية في نجد ، تمكن حاكم الشارقة من تركيز نفسه في البريمي في وضع أقوى من ذلك الذي كان لحاكم مسقط مما حمل الأخير على الاعتراف بحياد الواحة وذلك في وثيقة رسمية ويظهر من هذا عدم وجود أي حق له فيها . وفي ١٢٤٠ هـ (ديسمبر ١٨٢٤ م) تصالح الطرفان على أساس هدم الأبراج

(٢) القرآن الكريم ، سورة التوبة ، الآيتان ٣٤ - ٣٥ .

(٣) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٥٧ - ٥٩ .

(٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٨٧ .

(٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٨٥ . انظر أيضاً مختارات بمباي ، ص ٣١٧ .

التي بناها حاكم الشارقة في البريمي . ومع أن الخطوات قد اتخذت لتنفيذ هذا الشرط إلا أنه يلوح أن الموضوع في النهاية لم ينته إلى نتيجة إيجابية^(٦) . وعلى أى حال فسرعان ما قبض للبريمي أن ترحب بأمر سعودي آخر وبذلك لم يكن لهذه المناورات المتوالية أى تأثير دائم في حياة ذلك المكان .

١٠٢ - وفي عام ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧ م) كان المناصير ذوى نشاط في ما يجاور الحسا من أماكن^(٧) . إن التحركات التقليدية لهذه القبيلة منذ قرن مضى ما زالت هي نفسها اليوم .

١٠٣ - وفي عام ١٢٤٣ هـ (١٨٢٨ م) قام سعيد بن سلطان حاكم مسقط بأولى رحلاته إلى إفريقيا الشرقية^(٨) وأنهمك من هذا الوقت حتى وفاته في عام ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م) بشئون الإمبراطورية التي كان يؤسسها في إفريقيا الشرقية وبعاصمته هناك ، زنجبار . وقضى أكثر من ثلثي أعوام باقى حياته وهو إما على ظهر السفن أو في ممتلكاته الإفريقية^(٩) . وفي السنين الأخيرة من حياته أصبح يعتبر زنجبار - لا مسقط - وطناً له^(١٠) . إن التاريخ المسرود فيما تقدم يوضح أن سعيداً لم يكن إبان الجزء الأول من عهده وخلال إقامته في مسقط قوياً كل القوة في عمان الداخلية كما كان يعتقد في بعض الأحيان . وفي خلال الجزء الثاني من عهده أخذ نفوذه في عمان يزداد ضعفاً عن ذي قبل . ويقول لوريمر : « إن مركزه في عمان بعد أن تخلى عن أمرها وأوكل الإدارة إلى أوصياء

(٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٨٥ - ٦٨٦ .

(٧) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٣١ .

(٨) يدون التاريخ الصحيح لهذه الرحلة ، التي تؤرخ في بعض المصادر عام ١٢٤٤ هـ

(١٨٢٩ م) ، في سعيد - روته « سعيد بن سلطان » ص ٥٢ .

(٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٥٢ .

(١٠) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٥١ .

تعوزهم الكفاءة، أخذ يتدهور بدلا من أن يتقدم «^(١١) وكان ذلك عقب رحلته الأولى إلى شرق إفريقيا . ويقول القس باجر ، الذى اشتهر بأنه أحد الثقات البريطانيين البارزين فى تاريخ مسقط ، إن غياب سعيد فى زنجبار باستمرار قد « ولد سلسلة من الاضطرابات الداخلية فى عمان وأضعف سلطته جداً فى تلك الأنحاء » .^(١٢) ويجب ألا يغرب عن البال فى هذا الصدد أن سعيد بن سلطان كان أعظم حكام آل بو سعيد ، ولم يستطع أحد من خلفائه أن ينافسه فى اتساع الأراضى الواقعة تحت سلطته .

١٠٤ - وفى عام ١٢٤٣ هـ (١٨٢٨ م) تألفت وفود قوامها ممثلون عن أهالى عمان ، وطلبت من الإمام تركى أن يبعث إليهم بأمر وقاض يلقنهم تعاليم الإسلام ، فقام تركى بتعيين عمر بن محمد بن عفيصان أميراً سعودياً جديداً فى البريمى والشيخ محمد بن عبد العزيز العوسجى قاضياً لها . ولما وصل هذان الموظفان هرع إليهما أهالى الإقليم لتحيتهما .^(١٣) ومما هو جدير بالاهتمام أن سلطة الدولة السعودية فى هذه المرحلة قد أعيدت إقامتها فى البريمى نحو عامين قبل إعادة إقامتها فى إقليم الحسا الذى هو أقرب بكثير إلى نجد والذى هو فى العادة مركز فى الوسط يحافظ على المواصلات مع البريمى . ومن هذا الوقت فصاعداً استمر تركى فى التقليد الذى اتبعه أسلافه من الحكام السعوديين فأرسل قضاة إلى عمان فى مهمات دورية تستغرق سنة أو نحوها^(١٤) .

١٠٥ - ولم يتخل حاكم مسقط حتى ذلك الوقت عن رغبته فى ضم البحرين . فى عام ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م) اشتركت قواته مع بنى ياس من

(١١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٤١ .

(١٢) باجر ، ص ٨٣ و ١٠١ من المقدمة .

(١٣) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٣٣ .

(١٤) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٦٣ .

أبو ظبي في هجوم على هذه الجزائر إلا أن النتيجة برهنت على أن ذلك التحالف لم يكن ساراً . وفي هذا يقول لوريمر « إن نزول حلفائه بنى ياس الذي انطوى على التسرع وعلى ما يمكن وصفه بالخيانة ، قد أحبط خطته »^(١٥) وعاد حاكم مسقط إلى بلاده بنحى حزين .

١٠٦ - وفي عام ١٢٤٥ هـ (١٨٢٩ م) عاد عمر بن محمد بن عفيصان إلى نجد تاركاً عبد الله بن سعود أحد أبناء القويعية في نجد ليخلفه أميراً على البريمي.^(١٦)

١٠٧ - أعيد تأسيس السلطنة السعودية في إقليم الحسا عام ١٢٤٥ هـ (١٨٣٠ م) ، وتصف سجلات حكومة بمباى تركى بن عبد الله بأنه كان يحكم في هذا الوقت « بحصافة واعتدال ».^(١٧) ويمدح لوريمر أيضاً الحكم السعودي في إقليم الحسا ، فبعد الإشارة إلى طبيعة « التسامح والتوفيق » التي تتميز بها هذا الحكم ، يقول « إن تغيير الحكام قد عاد بالفائدة على البلاد بنفس القدر الذي تلاشت فيه بسرعة الفوضى والحرب الأهلية التي استمرت أيام شيوخ بنى خالد »^(١٨) ويشير لوريمر أيضاً إلى جمع الزكاة كالعادة من قبل الحكومة السعودية^(١٩) .

١٠٨ - وأقام الإمام تركى بعض الوقت في الحسا خلال عام ١٢٤٥ هـ (١٨٣٠ م) وقصده في أثناء إقامته هناك كثير من زعماء عمان لزيارته^(٢٠) . أما ابن عفيصان الذي كان قد عاد من مهمته في البريمي فإنه عين أميراً للحسا

(١٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٤٨ .

(١٦) « عقود الجمان » ص ٨٩ و ١٥٢ .

(١٧) منتخبات بمباى ، ص ١٥٤ .

(١٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٩٥٤ - ٩٥٥ .

(١٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٩٥٤ .

(٢٠) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٣٨ .

وكان هذا من أعلى المناصب في الدولة . ويقول لوريمر إن عدداً كبيراً من عامة أهل عمان في هذا الوقت « ابتهجوا بكل إخلاص لظهور الوهابيين » .^(٢١)

١٠٩ - إن تضاؤل سلطة سعيد بن سلطان في مسقط أصبح واضحاً ظاهراً عقب مغادرته لها في زيارته الأولى لشرق إفريقيا ، إذ اندلعت الثورة على حكمه واضطرت الحكومة البريطانية أن تصدر تعليماتها إلى المعتمد الذي يمثلها في الخليج الفارسي بأن يكون « مستعداً لتأييد ممثل الحاكم الغائب بجميع الوسائل المتوفرة لديه »^(٢٢) وبالإشارة إلى الحالة السائدة آنئذ فإن سجلات حكومة بمباي تذكر « أن سلامة مسقط مهددة وإخلاص تلك البلدة كان يتدخل الحكومة البريطانية » .^(٢٣)

١١٠ - إن تركي ، كما جرت العادة عند الحكام من آل سعود ، رغب في أن يتمتع بعلاقات مجاملة مع البريطانيين .

جرت اتصالات ودية ، دلت على خلق متواضع قويم أظهره الأمير تركي بن عبد الله تجاه حكومة بمباي عام ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) وعلى الرغم من أنه لم تكن هناك معاهدة موقعة تنشئ مع مقترحاته فإنه تلقى على رسائله جواباً ينظرى على المجاملة .^(٢٤)

ويظهر أنه كان من عادة الحكومة البريطانية أن تفضل إرساء أسس سياستها العربية على اتصالاتها مع زعماء الدويلات الصغيرة الواقعة على أطراف شبه الجزيرة بدلا من أن توثق علاقاتها بحكام الداخل الذين يتمتعون بتأييد شعبي شامل .

(٢١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٨٨ .

(٢٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٥٣ .

(٢٣) مختارات بمباي ، ص ١٢٦ .

(٢٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٢٠٧ .

١١١ - وقد وصفت بلدة أبو ظبي في عام ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) بأنها لا تحتوى على غير أكواخ بدائية ما عدا بيت الرئيس الذى كان عبارة عن حصن صغير . وكانت سياسة الرئيس طحنون « تعارض إقامة بناء بالحجر إذ أنها تتيح لرعاياه فرصة الاستقلال عنه كما أنها فى الوقت ذاته تجعله أكثر تعرضاً لهجوم من ناحية البحر » . (٢٥)

١١٢ - وقد تقدم طحنون زعيم أبو ظبي يعرض أن يزود حاكم مسقط بفرقة عسكرية لمساعدته فى حملة على أحد أقرباء الأخير عام ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) . أما صدى ذلك عند الحاكم فهو مبين فى سجلات حكومة بمبای :

رفض صاحب العظمة (حاكم مسقط) جميع العروض التى تقدم بها الشيخ رفضاً نهائياً
إما لكونه متشككاً فى إخلاصه بسبب ما لاحظته من ملازمة الفشل لجميع الحركات
التي ساءت فيها قبيلة بنى ياس ، أو لسبب آخر . (٢٦)

١١٣ - عاد سلطان مسقط يواصل مساعيه لتحقيق مآربه فى البحرين عام ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) ، فأوفد بعثة إلى الرياض تعرض خضوعه للإمام السعودى وتعهده بدفع أتاوة . إلا أن زعماء البحرين انتهجوا نفس الأسلوب لإحباط هذه المطامع . وتذكر سجلات حكومة بمبای فى هذا الصدد ما يلى :

... وهكذا فإن جميع الساحل العربى من رأس الحد إلى الكويت باستثناء
أبو ظبي أصبح تابعاً للوهابيين . (٢٧)

١١٤ - وقام الإمام تركى عام ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) بتعيين سعد بن محمد بن معقل أميراً جديداً على البريمى وأصدر أمره إلى أمير الحسا عمر بن

(٢٥) مختارات بمبای ، ص ٤٦٢ .

(٢٦) مختارات بمبای ، ص ٤٦٨ .

(٢٧) مختارات بمبای ، ص ١٥٤ .

محمد بن عفيصان الذي كان قد شغل منصباً في البريمي من قبل (الفقرة ١٠٤ السابقة) بأن يذهب إلى عمان في مهمة خاصة. وقد قام الموظفان المذكوران بتوسيع رقعة السلطة السعودية في شرق جزيرة العرب وأدخلت تحت سيطرة الدولة كثيراً من العربان. (٢٨)

١١٥ - وإذ وصلت الأنباء إلى الإمام تركي عن سوء سلوك واحد أو أكثر من موظفيه ، جمع أمراء أقاليمه عام ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) وألقى فيهم خطبة لخص فيها المبادئ الأساسية لحكمه . فبعد أن ذكرهم بنعمة الله عليهم بأن جمع شملهم بعد التفرق وأحل الإخاء بينهم محل العداء ، والحير مكان الفاقة ، أشار بتواضع إلى تقصيره . ثم تحدث بشدة عن جريمة ظلم الرعية وسلب أي شيء دون حق ، وأعلن أن عقوبة مثل هذا العمل الذي قد يقوم به أي أمير ستكون النفي بالإضافة إلى الطرد من العمل . وأبلغ تركي الأمراء بأنهم مخطئون إذا كانوا يعتقدون أنهم فتحوا البلاد بسيوفهم . لقد كانت قوة الإسلام والاعتراف الشامل بالإمام هما السبب في جعل هذه البلاد تحت سيادة الدولة . (٢٩)

١١٦ - وحين توجه سعيد بن سلطان في رحلة أخرى إلى شرق أفريقيا تجددت الاضطرابات مرة ثانية في أراضي مسقط عام ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) . أما إجراء البريطانيين في هذه المناسبة فقد وصف بما يلي :

لقد صممت الحكومة البريطانية على مساندة حكومة الإمام والمحافظة على سلامة ممتلكاته فأرسلت قوة بحرية إلى مسقط لتأييد الحكومة المحلية ووضع حد لمطامع أعدائها ، ووجه المعتمد كتب اعتراض إلى عدد من الزعماء المغيرين . (٣٠)

وعلق اللفتننت كميل حين كان مساعد المعتمد في الخليج الفارسي ، على نتائج هذا الإجراء بالشكل التالي :

(٢٨) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٤٢ .

(٢٩) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٤٤ .

(٣٠) مختارات بمبهي ، ص ١٢٧ .

إن المظاهرة التي جرت لمصلحة الامام بقيام بعض المراكب البريطانية الحربية بزيارة ساحل الباطنة ، وظهورها في مسقط ، كانت بلا شك مصحوبة بنتائج مفيدة لمصلحة عظمته . . . وكان من أثر هذا التأييد الذي أسدته الحكومة البريطانية أن أوقفت دساتر متعددة كانت تحاك لاضعاف سلطة الإمام ، وغلقت في نفوس أتباع عظمته درجة من الثقة لم تكن لتنبعث عن أي مصدر آخر. (٣١)

ولم تكن الحكومة البريطانية على أي حال مسرورة من تكرار نذر الخطر التي انطلقت في هذه المنطقة :

إن استمراراً لحوادث السنوات القليلة الماضية فيما يتعلق بهذا الانزعاج المتكرر ، أدى إلى إيجاد رأي غير مرض تجاه موقف حليفنا الامام في ذلك الوقت . وليس من الممكن على الإطلاق إخفاء أن نفوذنا وحده هو الذي حال دون سقوطه المباشر ولو أن سياسة الوهابيين كانت أقل جنوحاً إلى السلم مما دلت عليه الحوادث كلها ، نظراً إلى انصراف اهتمامهم إلى متاعبهم الخاصة ، لكننا مضطرين على الأرجح إلى الدخول في حرب فعلية للدفاع حتى عن عاصمة الإمام نفسها. (٣٢)

« وقد نصحت الحكومة البريطانية سعيداً بأن « يلزم عمر داره في المستقبل ويحمي ممتلكاته التي آلت إليه بالوراثة ». (٣٣) ولكن سعيداً لم يعر هذه النصيحة أدناً مصغية وانطلق بقية حياته يعتبر نفسه إفريقياً أكثر مما هو عربي .

١١٧ - في عام ١٢٤٨ هـ (١٨٣٣ م) طلب المعتمد البريطاني في الخليج الفارسي من طحنون في أبو ظبي دفع غرامة مقدارها ألف وخمسمائة ريال ، لإيوائه في السنة السابقة ثلاثة أشخاص متهمين بالقيام بأعمال القرصنة. (٣٤) وعقب ذلك الوقت بقليل ذهب طحنون ضحية أخويه خليفة وسلطان « اللذين قتلاه بأيديهما ». (٣٥) إذ أصابه أحدهما بجراح من مسدس أطلقه عليه ، وقتله

(٣١) مختارات جمبای ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٣٢) مختارات جمبای ، ص ٢٠٦ .

(٣٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٥٣ .

(٣٤) مختارات جمبای ، ص ٤٧٠ .

(٣٥) مختارات جمبای ، ص ٤٧٠ .

الآخر بطعنة خنجر . وقد قدم خليفة الذي خلف طحنوناً في الزعامة ، ولاءه للدولة السعودية :

١١٨ - كتب سعيد بن سلطان من مسقط في شهر محرم ١٢٤٩ هـ (٢٣ مايو سنة ١٨٣٣ م) إلى المعتمد البريطاني في الخليج الفارسي يبثه بأنه أبرم اتفاقية مع الإمام السعودي :

... عل أن يدفع أتاوة سنوية للزعيم الوهابي مقدارها خمسة آلاف ريال ألماني وأن يحتفظ كل منهما بساحله الخاص وفقاً للحدود القائمة آنذاك ، وحدود الإمام (السيد) تمتد إلى جعلان ، وحدود الزعيم الوهابي إلى القطيف ، وذهباً أبعد من ذلك بأن دخلاً في ارتباط يلزمهما يتبادل المعونة لتقمع أية فتنة تقع في أراضيهما . (٢٦)

ومن الغرابة بمكان أن تحدد أراضي كل منهما بجعل القطيف ، وهي مكان يقع بعيداً إلى الغرب ، حداً للدولة السعودية ، وجعلان ، وهي مكان يقع بعيداً إلى الشرق حداً للدولة مسقط دون أي ذكر لخط قسمة في الوسط . وإذ لمن المعلوم بشكل مؤكد ، على كل حال ، أن البريمي وأراضي وافرة أخرى تقع وراءها في اتجاه مسقط كانت تشكل في ذلك الحين جزءاً من الممتلكات السعودية . وتذكر سجلات حكومة بمباي فيما يتعلق بسنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣ م) :

لقد تركز نفوذ الحاكم الوهابي على طول الساحل . وشرع في تحصيل الأتاوة ، إلا أنه لم يكن يسمح بأي عمل يخالف القانون كما كان يعارض في تجدد أعمال القرصنة ... (٢٧)

ويقول المؤرخ البريطاني الأستاذ كوبلانند :

وكون الوهابيين قد قبلوا الرشوة (أي الأتاوة) ولم يستغلوا الفرصة للوصول إلى أسوار مسقط ، فذلك بلا شك عائد جزئياً إلى انصراف اهتمامهم إلى أماكن أخرى ،

(٣٦) مختارات من الخلاصة الرسمية البريطانية عن مسقط وعلاقتها مع السلاطة الوهابية ، ص ٩ ،

في كتاب باجر ، ص ٨٦ - ٨٧ .

(٣٧) مختارات بمباي ، ص ١٥٤ .

إلا أنه كان يعود في الدرجة الأولى إلى أن سعيداً إذا كان قد فقد أصدقاءه في جزيرة العرب فما زال له أصدقاء في بمباي . (٣٨)

ويقول كوبلاندي بعد ذلك بقايل « إنه (سعيد بن سلطان) لم يكن له أصدقاء في جزيرة العرب وما يجاورها » . (٣٩)

١١٩ - وفي عام ١٢٤٩ هـ (نهاية عام ١٨٣٣ م) تركت جماعة آل بوفلاسا القوية صاحبة النفوذ ، موطنها القديم في أبو ظبي وهاجرت بحملتها إلى بلدة دبي المجاورة . (٤٠) وجعل آل بوفلاسا من أنفسهم زعماء مستقلين في دبي حيث ظل الأمر في أيديهم منذ ذلك الحين حتى الآن . ومنذ تلك الهجرة لم تكن الصلة ودية بين البلدين .

١٢٠ - بينما كان سعيد بن سلطان حاكم مسقط في شرق إفريقيا في زيارته الأولى ، كان هناك تاجر أمريكي يدعى آدموند روبرتس يحاول القيام بأعمال تجارية .

. . . ونظراً للاجراءات المعقدة وتأخير المعاملات في زنجبار ، وما اعتبره قبيحاً تبعت على السخط بالإضافة إلى المعاملة المحجونة إذا ما قورنت بمعاملة التجار البريطانيين الذين لم يكونوا يرغبوا على بيع جميع بضائهم لوكلاء السلطان أو دفع عمولة باهظة أو رسوم ميناء ، نظراً لهذا كله احتق لدرجة أنه كتب كتاب احتجاج مؤلف من عدة صفحات وجهه إلى سعيد نفسه . . . (٤١)

وذكر سعيد لروبرتس أنه يمكن التغلب على الصعاب بعقد معاهدة بين مسقط والولايات المتحدة . ووصل روبرتس في عام ١٢٤٩ هـ (سبتمبر عام ١٨٣٣ م) إلى مسقط بوصفه « مندوباً لدى كل من حكومات الصين

(٣٨) كوبلاندي « شرق إفريقيا وغزاته » ص ٢٧٨ .

(٣٩) كوبلاندي ، ص ٢٧٩ .

(٤٠) مختارات بمباي ، ص ١٦١ و ٤٧١ .

(٤١) بريدي « التجارة والغزو في شرق إفريقيا » (١٩٥٠ م) ص ٨٩ .

الكوشينية وسيام ومسقط» ، نيابة عن الرئيس أندرو جاكسون ، وأنجز بسرعة المفاوضات الخاصة بمعاهدة صداقة وتجارة مع سعيد. ^(٤٢) ويشرح الأستاذ كوبلاند مشاعر سعيد كما يلي :

لقد أرضى غروره أنه استرضى انتباه دولة العالم الجديد العظمى ، وأن رئيسها قد عامله على قدم المساواة ، وقد فتحت المعاهدة المجال أمام صداقة سياسية جديدة من الممكن أن تكون ، على الرغم من ثقته الكبرى بأصدقائه القدماء البريطانيين ، ذات منفعة في يوم ما ولربما لعبت دوراً خفياً . ^(٤٣)

وكانت هذه أقدم معاهدة عقدها الولايات المتحدة في هذه البقعة من العالم . وبهذا العمل يظهر أن بعض المرظفين الأمريكيين يرون في بعض الأحيان ، بدافع من الميول العاطفية ، أن يقضوا إلى جانب سلطان مسقط وأن ينظروا إليه حاكماً ذا نفوذ كبير أكثر مما يبرره الواقع . وبدأ أثر هذا الميل يظهر منذ وضع روبرتس وصفاً لممتلكات الحاكم ، فقد كتب في واشنطن في شهر محرم ١٢٥٠ هـ (١٤ مايو سنة ١٨٣٤ م) :

ان سلطان مسقط أمير قوي جداً . وهو يملك قوة بحرية أكثر فعالية من التي يملكها سائر الأمراء الرظنين مجتمعين من رأس الرجاء الصالح إلى اليابان ، وأن موارده تزيد عن حاجاته ، وهي مستمدة من التجارة ، والإشراف بنفسه على عدد كبير من المراكب التجارية وبن الرسوم على التجارة الخارجية ، وبن الأموال المتجمعة من الاتاوات والهدايا التي يتلقاها من الأمراء العديدين ، الأمر الذي يجعل من مجموعها مبلغاً كبيراً .

وأما ممتلكاته في أفريقيا ، فإنها تمتد من رأس دلجادو إلى رأس جواردافوي ، وبن رأس عدن في جزيرة العرب إلى رأس الحد ، وبن رأس الحد تمتد على طول الساحل الشمالي لجزيرة العرب (أو ساحل عمان) إلى مدخل الخليج الفارسي ،

(٤٢) النصان العربي والإنكليزي في «كتاب المعاهدات وغيرها من الإجراءات الدولية للولايات المتحدة الأمريكية» وضع هنتر ميلر ، مجلد ٣ (١٩٣٣ م) ص ٧٩٠ - ٧٩٨ .
(٤٣) كوبلاند ، ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

كما يدعى أيضاً بجميع الساحل البحرى ، والجزائر داخل الخليج الفارسى ، بما فى ذلك جزائر البحرين ومفاصات اللؤلؤ المتاحة لها ، وكذلك بالساحل الشمالى للخليج حتى السند . ومع أن الحقيقة هى أن جزءاً صغيراً من هذه الأراضى الواسعة يقع فى حماية قواته ، إلا أنها جميعها تؤدى له الأتاوات .

ويملك فى افريقيا موانى مونغو ، أو مونغالو ، ولندى ، وكلوة ، وملندا ، ولامو ، وبطا ، وبرافا ، ومغادوشا (أو مغادشى) وجزيرة موفيا أو مافيا ، وزنجبار ، ومبيا ، وستطرى ، وجميع هذه الجزائر ذات قيمة . . . إلخ . (٤٤)

ومن الجلى الواضح أن روبرتس كان تاجراً أكثر منه مرجعاً فى الشئون العربية ، ولو أنه لم يكن مقتنعاً تماماً بهذه المطالب المغالى بها . والواقع أنه لم يكن لدى حاكم مسقط فى ذلك الوقت سوى موطئ قدم بسيط على الساحل الجنوبى لجزيرة العرب بين عدن ورأس الحد ، بينما لم تكن له على الساحل الغربى من الخليج الفارسى أية ممتلكات على الإطلاق . أما فيما يتعلق بالأسطول البحرى الذى يملكه سعيد ، فيقول لوريمر « إن قوة أسلحته الضخمة لم تكن تتمشى مع ما هى عليه من مظهر رائع » . (٤٥) ويعترف حفيد سعيد ، رودلف سعيد - روته ، وهو مؤرخ حياته فى نفس الوقت ، يعترف على الرغم من اعتزازه وافتخاره بأعمال جده بأنه « ليس من الممكن على ما يلوح أن ينظر إلى هذا الاسطول نظرة جدية تماماً » . (٤٦) وقد وصف القنصل البريطانى فى زنجبار ، أتكنز هامرتون ، الاسطول الذى كان يعرفه معرفة أى غربى آخر فى رسالة إلى اللورد بالمستون ، قال فيها :

لقد كان لدى عظمته بكل تأكيد ، عدد من السفن الحربية الحالية ، إلا أنه لم يكن لديه أى بحارة لقيادتها ، ولا أى رجل واحد فى خدمته عنده أية فكرة عن استعمال المدافع أو تسيير سفينة حربية (٤٧) .

(٤٤) مقتبسة من سجلات وزارة الخارجية واردة فى كتاب المعاهدات الذى وضعه ميلر ،

مجلد ٣ ، ص ٨٠٢ - ٨٠٣ .

(٤٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٦٩ .

(٤٦) سعيد - روته « سعيد بن سلطان » ص ١٤٤ .

(٤٧) كوبلانده ، ص ٤٧٦ . (٤٧)

١٢١ - سببت بعثة روبرتس بعض القلق للبريطانيين الذين أرسلوا الكابتن هارت من البحرية الملكية إلى زنجبار في عام ١٢٤٩ هـ (يناير ١٨٣٤ م) ليستطلع ما كان يفعله الأمريكيان . واستمر الكابتن هارت يعبر عن إعجابيه الشديد بسفينة سعيد الحربية ذات المدافع الأربعة والسبعين ، المسماة ليفربول ، حتى أن سعيداً اضطر ، حسب تقاليد الكرم العربي ، لتقديمها هدية للإنكليز . ويقول هارت عن سعيد :

إنه يميل كثيراً إلى الإنكليز وكل ما هو إنكليزي ، وكان يفخر بقوله لي إن « جميع ما عنده من سروج هي من صنع إنكليزاً » . لقد جرح منذ عدة أعوام حين كان في حلة مشتركة مع الإنكليز . ويظهر أنه يود أن يعتبر إنكليزياً في كل شيء . ويقول إنه ينظر إلى الإنكليز اخوة له وأنه على استعداد لأن يعطيهم بلاده . (٤٨)

١٢٢ - وفي شهر ذي الحجة عام ١٢٤٩ هـ (مايو عام ١٨٣٤ م) اغتيل الإمام تركي بن عبد الله في الرياض بيد تابع لأحد أقربائه وهو مشاري بن عبد الرحمن الذي كان يطمع في العرش. (٤٩) مات وبكاه رعاياه بكاء مرأ ، وأسرع فيصل أكبر أبنائه ، وكان في القطيف عند وقوع الاغتيال ، إلى الرياض نلجع المعتصب الذي خر صريعاً في القتال بعد أن تمكن من الاحتفاظ بالعرش لنفسه مدة تزيد على الشهر قليلاً . وكانت هذه الفترة من القصر بحيث أنها لم تؤثر بأي شكل من الأشكال في مركز السعوديين في إقليم البريمي وعمان .

(٤٨) مختارات بمبای ، ص ٢٧٧ .

(٤٩) حدث ذلك في آخر يوم جمعة من شهر ذي الحجة عام ١٢٤٩ هـ . ابن بشر ، مجلد ٢ ،

١٠ - العهد الأول لحكم الإمام فيصل بن تركي ١٢٥٠ - ١٢٥٤ هـ (١٨٣٤ - ١٨٣٨ م)

١٢٣ - وعمل مقتضى العادة في آل سعود كان الإمام فيصل قد تلقى المبادئ الأساسية من علوم الدين وحفظ القرآن غيباً عندما كان صبياً^(١) وأول عمل قام به بعد أن تولى الحكم هو دعوة رؤساء القضاة في نجد للحضور إلى العاصمة حيث قضى أكثر من شهر في إجراء المشاورات معهم^(٢) وكما كانت الحالة في عهد أسلاف فيصل فإن العهد الجديد اتجه إلى تنفيذ قواعد الشرع .

١٢٤ - وكان فيصل مثل والده يرسل النشرات الدورية لرعاياه يحثهم فيها على الإخلاص لعقيدتهم . وفيما يلي مقتطفات من إحدى تلك النشرات :

... قال تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان »^(٣) .
وأهم الأمور تعلم ما فرض الله سبحانه من معرفة أصل دين الإسلام وأركانه . . .
. . . ومعرفة ذلك بالكتاب والسنة . . . وقال تعالى « واتكن منكم أمة يدعون إلى الخير »^(٤) . وأنا ملزم كل من يخاف الله سبحانه وتعالى . . . أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . . . وألزم كل أمير أن يكون عوناً لهم وهم خاصته في الحقيقة . . . إذا كانوا معروفين بأداء الزكاة من أموالهم الظاهرة والباطنة وهي راجعة إليهم على الوجه المشروع إنشاء الله ، والمطلوب منكم الإستقامة على هذا الدين والاجتماع عليه ، وقد رأيت ما في الجماعة من المصالح العامة والخاصة وما في التفرقة من الشر...^(٥)

(١) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٦٣ .

(٢) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٦٥ .

(٣) القرآن الكريم ، سورة المائدة ، الآية ٢ .

(٤) القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، الآية ١٠٤ .

(٥) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٦٦ .

١٢٥ - وفي عام ١٢٥٠ هـ (١٢٣٤ م) أخذ بعض أفراد أهالي بني ياس الذين يعيشون في أبو ظبي يقومون بأعمال القرصنة على نطاق واسع ، وأحسن وصف لمسلكهم هذا ما ورد في سجلات بمباي :

إن روح السلب والنهب التي كانت تجلب بين الفينة والأخرى من جانب القبائل العربية المختلفة في سطوهم المتقطع على المراكب الفردية وهو السطو الذي كانوا يدفعون دائماً تعويضات مرضية عنه ، قد استفحل أمرها فاتخذت علانية شكل القرصنة من قبل بني ياس ولم تقتصر على مهاجمة المراكب الوطنية بل تعدتها إلى مهاجمة المراكب التي تحبل العلم البريطاني .

وقد صرحوا للأشرف الذين وقفوا في قبضتهم بأنهم قرروا ترك التجارة بجميع أنواعها والشروع في أعمال القرصنة ، وأن منازلهم المبنية من سعف النخيل والحصير يمكن نقلها إلى الداخل عند الحاجة وبذلك يخرجون بأنفسهم عن نطاق سيطرة الإنكليز .

وكان مدى نجاحهم يتوقف بالطبع على عامل السرعة . لذلك أخذت أساطيلهم تجرّب مياه الجانب الفارسي متبعة الخطوط البحرية العامة للتجارة في الخليج . وكانوا يرتكبون أجراء أنواع السلب بمنتهى الوحشية ، وفي بعض الأحيان يفتكون بجميع بحارة المراكب الذين يظفرون بهم . لذلك كان من الضروري المبادرة إلى معاقبتهم بحزم للحيلولة دون قيام القبائل الأخرى بانتهاج أسلوبهم مما يجعل التجارة بين هذا الخليج والبحار الهندية عرضة للخطر .^(٦)

وعندما قبض البريطانيون على أحد مراكب بني ياس في المياه المواجهة لأبو ظبي « تباهى الملاحون بأنهم كانوا قد أعدوا قديراً كبيراً تحوى زيتاً مغلياً لإغراقنا فيها عند القبض علينا » .^(٧)

١٢٦ - اتخذ الموظفون السعوديون في البريمي في سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) إجراءات خاصة لمنع عربان الداخل من الاشتراك في المشاحنات التافهة التي يشتبك فيها الزعماء على طول الساحل .^(٨)

(٦) مختارات بمباي ، ص ٤٧٣ - ٤٧٤ .

(٧) مختارات بمباي ، ص ٤٧٥ .

(٨) مختارات بمباي ، ص ٣٣٣ .

١٢٧ - واندلعت ثورة ثالثة على سلطة سعيد بن سلطان وهو غائب في إحدى زياراته لشرق إفريقيا ، واضطر الإنكليز مرة أخرى للمبادرة لإنقاذه . على أن الحكومة البريطانية في الهند رأت أنها يجب أن تضع حداً لمدى مساعدتها له ، ففي عام ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) « رفضت قطعياً أن تأخذ على عاتقها مسألة المحافظة على سلامة »^(٩) ممتلكات سعيد البرية في جزيرة العرب من تعرض السعوديين لها ، مشيرة إلى ذلك بما يأتي :

إذا أردنا أن نلزم أنفسنا مرة بإعلان عزمنا على مساعدة ذلك الزعيم يجب أن نمضى قدماً في هذه السياسة بأى ثمن ، مع العلم بأنه ليس من الممكن وضع حد لسفك الدماء وضياع الأموال مما يمكن أن ينجم عن ذلك .^(١٠)

وفي نفس العام قرر مجلس إدارة شركة الهند الشرقية أنه « ليس من الملائم فرض حماية عامة على القبائل العربية ، وهو أمر لا بد منه إذا أردنا أن نمنع الحروب وأن نصبح المحكمين في كل منازعاتهم ».^(١١)

١٢٨ - ووصل في هذا الوقت سعد بن مطلق المطيري المشهور إلى البريمي ليتقلد مهام منصبه أميراً سعودياً جديداً عليها . « واجهته أعراياها وحضرها وأذعنت إليه أهل الظاهرة ».^(١٢) وجمع سعد عام ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦ م) قوة كبيرة من البريمي تشمل كتائب من قبائل نعيم وبني قتب ، وسار إلى عمان الداخلية حيث أخذ قبيلة الحجرين ونكل بها عقاباً لها على قتل والده (الفقرة ٥٩ السابقة) . ولما عاد إلى البريمي قام ببناء قصر سعودى جديد هناك .^(١٣)

(٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٦٦ .

(١٠) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٦٦ .

(١١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٢١١ .

(١٢) ابن رزيق وجه ورقة ٢٤٦ .

(١٣) ابن رزيق وجه ورقة ٢٤٦ وعبد الله السالمى « تحفة الأعيان » مجلد ٢ ، ص ١٨٨ .

ورد تاريخ الحملة خطأ في لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٥٠ وفي كتب أخرى متعددة .

أما عن التاريخ الصحيح فانظر ولستد « أسفار في جزيرة العرب » (١٨٣٨ م)

مجلد ١ ، ص ٩٦ - ٩٧ .

١٢٩ - وبالإضافة إلى المساعدة التي تلقاها سعيد بن سلطان من البريطانيين ، سعى إلى الحصول على مساعدة السعوديين فيما يتعلق بالخلافات الداخلية في دولة مسقط . وبعد الوصول إلى ترتيبات مع سعد بن مطلق الأمير السعودي في البريمي توجهت آلاف من رجال القبائل السعودية من إقليم البريمي لمساعدة سعيد في مهاجمته لبلدة صحار . وكان ذلك الحشد عظيماً إلى درجة جعلت سعيداً يتخوف من أن حلفاءه قد يخرجون من المعركة وهم سادة صحار الحقيقيون . فتخلى عن خطته التي رسمها لمهاجمة البلدة ووزع عطايا سخية على رجال القبائل ثم طلب إليهم العودة إلى ديارهم . وكان في جملة القوات السعودية ، التي انطلت تحت قيادة ثمانين شيخاً ، قبائل نعيم (بما في ذلك آل بوشامس) وبني قتب وبني كعب والبلوش وعدد غيرهم .^(١٤)

١٣٠ - ونتيجة لأعمال القرصنة التي قام بها أهالي بني ياس (الفقرة ١٢٥ السابقة) قام البريطانيون بإجراء صارم في أبو ظبي حيث أصبحت الحالة مضطربة جداً .

للحيلولة دون إخلاء سكان أبو ظبي بلدهم - مما يجعل فرض مطالبنا أمراً مستحيلًا - أصبح من الضروري أن نساير إلى حد ما طلب زعيمهم وأن نثني مشايخ البدو المختلفين عن إيواء رعايا بني ياس وحمايتهم. أما القبيسات الذين يتولى زعامتهم خادم ابن نهيمنان ، فإنهم على الرغم من ذلك انشقوا وشرعوا في تركيز أنفسهم في العديد ، تاركين ديونهم التي بلغت مقداراً وافراً دون تسديد . وقد نهوا قبيل رحيلهم بعض قوارب الصيد التابعة لأبو ظبي . وأخفقت المباحثات والمحاولات التي تولاها المعتمد للتوفيق بينهم ، واضطر المعتمد أن يتخلى عن أية محاولة أخرى للتدخل ، وترك للجناحين التصرف بوسائلهم الخاصة لتسوية مطالبهم .^(١٥)

ولم يكن القبيسات أول من نزل في العديد ، فقبل هذا الوقت كانت قبيلتنا عبيدل وبني حماد من نجد قد احتلوا هذا الموقع .^(١٦) وما زال اسم عبيدل يطلق

(١٤) ابن رزيق ، وجه ورقة ٢٥٠ وظهرها . ومختارات بمباي ، ص ٢٠٨ .

(١٥) مختارات بمباي ، ص ٤٧٨ .

(١٦) تصريح الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني حاكم قطر من ١٣٣١ إلى ١٣٦٨ هـ (١٩١٣ - ١٩٤٩ م) (الملحق ١١٢) .

على مورد المياه الواقع بجوار الطرف الجنوبي لبحر العديد . إن الفقرة المقتطفة سابقاً من سجلات بمباى تدل دلالة واضحة على أن القبيسات قدموا إلى العديد منشقين عن أبو ظبي وهارابين من سلطة زعيم تلك البلدة ولم يكن قدوةهم مستعمرين أرسلوا لتوسيع رقعة نفوذ سلطته .

١٣١ - واستمر المستوطنون الجدد في العديد في مهاجمة الملاحة في الخليج الفارسي ، متخذين بندر « المرفأ » على ساحل الظفرة قاعدة لهم .

واستمر عملهم ، في حالة الاستيلاء على أى قارب ، أن يوجهوه إلى المرفأ ، أو ينقلوه حولته هناك . . . كانوا يحملون ما نهبوه على ظهور الجبال الواقعة بالانتظار وبعد الانتهاء من ابعاد الأسلاب ينطلقون ثانية إلى البحر سعياً وراء سلب جديد . (١٧)

إن اتخاذهم المرفأ قاعدة لهم يدل على أن مكانه يقع خارج نطاق أية سلطة يمارسها زعيم أبو ظبي . وتصف سجلات حكومة بمباى هذا المكان بأنه « يستحيل بلوغه بالوسائل المتوفرة لدى المعتمد » . (١٨)

١٣٢ - وقام ضابط بريطاني في البحرية الهندية يدعى اللفتننت ولستد برحلات شاملة في داخل عمان خلال عام ١٢٥١ هـ (الشهر الأول من ١٨٣٦ م) . وفي أثناء توجهه من القسم الشرقى للبلاد نحو الغرب وصل إلى عبرى ، ويصف استقباله هناك من قبل الرئيس بما يلي :

عند ما قدمت له رسائل الامام (حاكم مسقط) قرأها وانصرف دون أن يدل بأى جواب . وبعد حوالى الساعة بعث إلى برسالة شقوية يطلب منى مغادرة البلدة

(١٧) مختارات بمباى ، ص ٤٧٨ .

(١٨) مختارات بمباى ، ص ٤٧٨ .

على جناح السرعة كما ود إبلاغى أمراً قدر أنى لم أكن على علم به ، وهو أن البلدة كانت غاصة بما يقرب من أنى وهابى . (١٩)

وكان فى نية ولستد أن يواصل رحلته برأ إلى نجد ولكن ذلك تعذر عليه إذ أنه أهمل الحصول على إذن من الحكومة السعودية .

١٣٣ - ومع أن ولستد لم يصل إلى البريمى فقد جمع عنها المعلومات التالية :

يقع هنا قصر فيه بعض المدافع الصغيرة ويعود إلى القبيلة الغافرية التى تعتنق تعاليم الوهابية وترفض الاعتراف بسلطة الامام . ويقدر عدد السكان عادة بألفين ولكن نظراً لتدفق الوهابيين عليها فقد بلغ عدد سكانها فى هذا الموسم ما يقرب من ثلاثة أضعاف ذلك العدد . (٢٠)

ويقول فيما يتعلق بالداخل إن « عددأ كبيراً من البدو والخوارج (الأباضية) الذين يقطنون حول المدن ، أصبحوا أتباعاً للوهابيين » . (٢١)

١٣٤ - وفيما يتعلق بحاكم مسقط وعمان الداخلية يقول ولستد :

إن مسقط هى فى الواقع الجزء الوحيد من عمان الذى يستمد منه دخلاً إذ لا يأتيه ريال واحد من المقاطعات الداخلية ، وعلى العكس فإنه مضطر خلال إقامته فى جزيرة العرب أن ينفق مبالغ كبيرة يقدمها هدايا إلى مشايخ المدن والواحات المختلفة . (٢٢)

ومع أن ولستد كان فى أسفاره معتمداً على المساعدة التى كان يقدمها إليه حاكم مسقط ، فإنه لم يكن يحمل فكرة طيبة عن طبيعة أخلاق رعايا الحاكم الذين يسكنون فى عاصمته ، كما يتضح من المقتطفات التالية :

(١٩) واستد « أسفار فى جزيرة العرب » مجلد ١ ، ص ٢١٩ .

(٢٠) ولستد ، مجلد ١ ، ص ٢٣٨ .

(٢١) ولستد ، مجلد ١ ، ص ٣٢٣ .

(٢٢) ولستد ، مجلد ١ ، ص ٣٧٩ .

وفي هذا الرأي الحسن الذي كونه لا أستطيع على كل حال أن أشمل سكان الساحل ، وخاصة أهالي مسقط ، الذين كثيراً ما تجل جبينهم وفضلتهم حتى أن القبائل الأخرى كانت تعتبر أن لفظي مسقطي وجبان مترادفان . (٢٣)

وعنه وصولي إلى مسقط وجدت سفينة قادمة من انكلترا وراسية هناك ، وكان فوج حولتها يدعو إلى العراية بالنسبة لميناء اسلامي ، إذ أن جزءاً كبيراً منها كان يحتوى على الخمر ولحم الخنزير . ولا أعلم تماماً مدى النجاح الذي لاقته مسألة تصريف لحم الخنزير ، أما الخمر فإنه على الرغم من التحريم الشديد الذي فرضه الإمام قد اتخذ سبيله إلى الشاطئ بكميات كبيرة . أخبرني الإمام نفسه أن ما يقرب من نصف سكان مسقط ثملوا مدة وجود تلك الكمية . (٢٤)

وإن سير الأمور على ما تقدم في الجزء الأخير من هذه المقتطفات ، كان مع مرور السنين من أعظم الأسباب لمواصلة أهل عمان ، وهم من أتقياء المسلمين ، رفض قبول أى امتداد لحكم مسقط على أراضيهم .

١٣٥ - وفي محرم عام ١٢٥٣ هـ (مايو ١٨٣٧ م) ، بعد سنة واحدة فقط من استقرار القبيسات في العديد ، هاجم زعيم أبو ظبي المنشقين . « فأتاهم على حين غرة وفتك بخمسين منهم ، وجعل المكان خاوياً على عروشه بأن دمر جميع البروج والمباني ، وألقى بجثث القتلى في الآبار ، وبالأها حطاماً » . (٢٥)

١٣٦ - بعث الإمام فيصل ، عام ١٢٥٣ هـ (١٢٣٨ م) ، حمد بن يحيى ابن غيبب أميراً على البريمي . (٢٦) وكان حمد هذا أميراً على شقرا البلدة الكبيرة ، ثم أميراً على مقاطعة الوشم ، وهو في الواقع من رجال نجد البارزين الذين كان يعتمد عليهم فيصل في تصريف شئون الدولة .

(٢٣) ولسته ، مجلد ١ ، ص ٣٣٧ .

(٢٤) ولسته ، مجلد ١ ، ص ٣٤٣ .

(٢٥) مختارات بمباي ، ص ٤٨٠ .

(٢٦) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٧٨ .

١٣٧ — وعند ما توغل عالم النبات الفرنسي بيير مارتان ريمى أوشيه — ايلوى
 فى عمان الداخلىة عام ١٢٥٤ هـ (١٨٣٨ م) وجد أن سلطة الدولة السعودية قد
 امتدت شرقاً حتى يبرين^(٢٧) وهى بلدة تقع على مسافة كبيرة فى جنوب شرق عبرى
 ولا تبعد كثيراً فى الغرب عن نزوى عاصمة إمارة عمان الحالية . أما ما يتعلق
 بمسقط والداخل فإن أوشيه — ايلوى يقول :

... إذا كان ذلك العنصر الخليل من أهالى مسقط فيه شيء كثير من الفظاظة ،
 فإن هذه الحال لا تنطبق على الداخل ، حيث لقيت الكثير من الكرم والأمانة
 كما لقيت بعض المجاملة بين حين وآخر . أضف إلى هذا أنه ليست لشيوخ مسقط
 سوى سلطة وأهية جداً على مشايخ الداخل فهم يدينون له ببعض الاحترام ،
 ولكنهم لا يدفعون له مالا ولا يزودونه برجال ، ولو أراد الحصول منهم على مثل
 ذلك فى استطاعتهم ولا ريب أن يتحدوه بالامتناع فى قلاعهم . وأرى أن طيبة
 أهل الداخل ناجمة عن اعتدال أسلوب حكم المشايخ ذى الصبغة الجمهورية إذا
 جاز هذا التعبير . والناس هناك ليسوا بالأغنياء ولكنك لا تجد فيهم فقيراً . (٢٨)

١٣٨ — عاد محمد على باشا الذى كان قد أهمل أمور نجد وشرق جزيرة
 العرب ما يقرب من العشرين عاماً ، عاد ينظر إليها باهتمام جديد . فى عام
 ١٢٥٤ هـ (ديسمبر ١٨٣٨ م) بعث جيشاً تغلب على الإمام فيصل جنوبى
 الرياض وأخذه أسيراً ، فكانت نهاية عهد حكمه الأول . وحمل فيصل إلى
 القاهرة وأعيد فرض الحكم الأجنبى مدة قصيرة .

(٢٧) أوشيه — ايلوى « قصة رحلات فى الشرق » (١٨٤٣ م) مجلد ٢ ، ص ٦٥٤ و ٦٨٤ .

(٢٨) أوشيه — ايلوى ، مجلد ٢ ، ص ٥٧٥ - ٥٧٦ .

١١ - فترة خلو العرش ١٢٥٤ - ١٢٥٦ هـ (١٨٣٨ - ١٨٤٠ م)

١٣٩ - عند ما سلمت الحكومة السعودية للعدو الذي يفوقها قوة ، أشعر زعماء قبيلة نعيم وبينهم حمود بن سرور ومحمد بن عبد الله فتولوا زمام الأمور في منطقة البريمي وهي بلادهم الأصلية ، ولسان حالهم يقول إذا لم يحكمنا آل سعود فنحن نفضل أن نحكم أنفسنا بأنفسنا . وقد أيدت المصادر الرسمية البريطانية مراراً أن نعيم كانت مستقلة في البريمي خلال فترة خلو العرش القصيرة هذه ، وليست هناك أية بادرة أو إشارة تدل على امتداد سلطة مسقط أو أبو ظبي أو أي دولة خارجية أخرى إلى هذا الإقليم .

١٤٠ - أخذت الحكومة البريطانية تنظر بعين غير عين الرضا إلى تقدم محمد علي باشا الجديدي في جزيرة العرب . وفي عام ١٢٥٤ هـ (يناير ١٨٣٩ م) احتلت قوة بريطانية عدن ، وفي فبراير تلقى المعتمد البريطاني في الخليج الفارسي تعليمات « لاستخدام نفوذه في وقف . . . أية تعدييات أخرى »^(١) تقوم بها قوات محمد علي .

١٤١ - وأدرك خورشيد باشا ، الذي جعله محمد علي محافظاً على نجد ، أن أية حركة يراد بها فتح عمان ستكون صعبة جداً ، لذلك أخذ يسعى لتأمين مركز له يجعل سعد بن مطلق ، وهو أمير البريمي السابق في زمن الحكومة السعودية ، مندوباً عنه هناك . ولما كان محمد علي باشا لا يزال يظهر أنه يعمل في نجد باسم خالد ، أحد أبناء سعود الكبير^(٢) فقد وافق سعد بن مطلق بدافع من ولائه لآل سعود على أن يتعاون مع خورشيد باشا في هذا المضمار . ولدى

(١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٠٢ .

(٢) مختارات بمبای ، ص ١٥٦ .

وصول سعد إلى الساحل الجنوبي الشرقي في عام ١٢٥٤ هـ (أوائل ١٨٣٩ م) حاول أن يحمل زعماء نعيم على الاعتراف بالحكم الجديد الذي قام في نجد ولكن هؤلاء الزعماء الذين سبق لهم أن اعترفوا طائعين مختارين بسعد أميراً عليهم عندما قدم موظفاً حقيقياً للدولة السعودية، والذين اعترفوا به بهذه الصفة فيما بعد (الفقرة ١٦٤ فيما بعد) رفضوا الآن قبوله عند ما علموا أن هناك أجناب يستدونه. (٣)

١٤٢ - وكتب سعيد بن سلطان حاكم مسقط في رسالة إلى مشايخ البريمي « يحضهم على بذل جميع المساعي للمحافظة على استقلالهم »^(٤) وهذا دليل لا جدال فيه على أن حاكم مسقط لم يكن يدعى لنفسه بالسلطة على البريمي أو أية ممتلكات هناك، على الرغم من أن هذا حدث بعد مرور أقل من عشرين عاماً على علاقته القصيرة بالبريمي بواسطة الأمير السعودي بتال المطيري (الفقرة ٨١ السابقة).

١٤٣ - تعهد زعماء القرى الساحلية، ومن جملتها أبو ظبي، أمام مساعد المعتمد السياسي البريطاني « تعهداً جدياً ألا تكون بينهم وبين مبعوث المصريين (أى سعد بن مطلق) أية علاقات ودية، بل - على العكس - أن يقوموا بمناوئته »^(٥). وعلى الرغم من هذا التعهد تقبل خليفة بن شخبوط، الذي كان البريطانيون يتوقعون بكل ثقة أن يتعاون معهم في أبو ظبي، محاولات سعد بترحاب وشرع في مراسلات مباشرة معه. ولكي يعيد البريطانيون هذا الزعيم النافر إلى حظيرتهم، بعثوا بالسفينة « هيو لنديز » وهي السفينة البخارية الأولى التي شوهدت في الخليج الفارسي، لتقوم « بحركات عجيبة من نوع جديد »^(٦) تجاه ساحل بلدته.

(٣) مختارات جمبای، ص ٣٣٥ و ٤٤٦.

(٤) مختارات جمبای، ص ٢٠٩ و ١٢٨.

(٥) لوريمر، مجلد ١، ص ٧٠٢.

(٦) لوريمر، مجلد ١، ص ٧٠٣.

١٤٤ - وشجعت الحكومة البريطانية رؤساء قبيلة نعيم في البريمي « على أن يشبتوا في عزمهم على المحافظة على استقلالهم » . (٧) وأخذت تفكر في إرسال وكيل لها يقيم في البريمي ، ولكن هذا لم يتم . كما عقدت النية على تزويد نعيم بالذخائر إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك . وكتب المعتمد في الخليج إلى سعد ابن مطلق مبيناً له أن البريمي قد وضعت تحت الحماية البريطانية ، ولكن الحاكم العام للهند أصدر قراراً ينقض رأى المعتمد عندما تناهى ذلك إلى سمعه . (٨)

١٤٥ - ولم يمض وقت طويل حتى غادر سعد بن مطلق الساحل متوجهاً إلى الحسا . وبعد مغادرته قام خليفة شيخ أبو ظبي « ضارباً عرض الحائط بجميع عهوده ومواثيقه » (٩) بمهاجمة نعيم في البريمي « تنفيذاً ، كما ذكر آنثد ، لاتفاقية بينه وبين سعد بن مطلق تلزمه بمضايقة أهالي ذلك الإقليم بجميع الوسائل المتوفرة لديه ، ريثما يعود المبعوث المصرى بقوة كبيرة كافية » . (١٠) ورد رجال نعيم هذا الهجوم ، وأشعر المعتمد البريطانى شيخ أبو ظبي بأنه « إذا لم يقدم خلال ثلاثة شهور كتاباً مرضياً من رؤساء البريمي يشهدون فيه بأنه أزال جميع بواعث الشكاوى القائمة ضده ، فإنه سيعتبر عدواً للحكومة البريطانية ويرغم على دفع مبلغ ألف ريال ألماني تعويضاً معقولاً عن الأضرار التي ألحقها بمشايع نعيم وآل بوشامس ، وعقاباً له على خرقه مواثيقه وعهوده الجدية التي قطعها للحكومة البريطانية » . (١١) ومن الواضح أن الحكومة البريطانية لم تكن تعتبر البريمي في عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) ملكاً لأبو ظبي .

(٧) مختارات بمباى ، ص ٤٤٧ .

(٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٠٤ .

(٩) مختارات بمباى ، ص ٤٨١ .

(١٠) مختارات بمباى ، ص ٤٨١ .

(١١) مختارات بمباى ، ص ٤٨١ .

١٤٦ - رفض رجال قبيلة نعيم الذين يعيشون في قطر دفع الزكاة حينما طلبها منهم رئيس البحرين ولم يفلح المحافظ الذي عينه محمد على باشا على الحسا في إرغامهم على ذلك عندما أرسل قوات نظامية لتحصيل الزكاة بالقوة^(١٢) وكان أهالي هذه البقعة من جزيرة العرب مستعدين للقيام بما يفرضه عليهم الدين بكل ارتياح ، وذلك بتأدية الزكاة إلى حكومة إسلامية صحيحة كحكومة آل سعود إلا أن الحالة كانت مختلفة تماماً عندما لم تكن الحكومة القائمة حائزة على احترامهم ووثقتهم وولائهم . وكانت الإجراءات التعسفية التي قامت بها قوات الاحتلال سبباً لإثارة حفيظة الأهالي ، وانتهت باغتيال محافظ الحسا في شعبان عام ١٢٥٥ هـ (أكتوبر ١٨٣٩ م) .^(١٣)

١٤٧ - وفي عام ١٢٥٥ هـ (يناير ١٨٤٠ م) عقد المعتمد البريطاني

اجتماعاً في عجمان على الساحل لرؤساء البريمي أبلغهم فيه ما يلي :

... على الرغم من عدم إمكان وضعهم تحت الحماية المباشرة للحكومة البريطانية ، فإنها تنظر إلى جهودهم في صيانة استقلالهم بين الارتياح ، ومن شأن ذلك أن يكفل لهم رضاها وحسن نيتها^(١٤)

ولم يقتصر المعتمد البريطاني على التشجيع الشفوي في حث الرؤساء على التمسك باستقلالهم .

بل زاد على ذلك توزيعه الأرز والأموال والذخيرة عليهم ، إبرازاً لقوائده اتصالحه بالبريطانيين ، ونظم هذا التوزيع بشكل جعل من الواضح أن الحكومة تبذل مساعداتها لمؤازريها المخلصين .^(١٥)

١٤٨ - وأوفدت الحكومة البريطانية في عام ١٢٥٥ هـ (يناير ١٨٤٠ م)

الكابتن أتكنتز هامرتون إلى البريمي لجمع المعلومات عن الإقليم وسكانه . وفيما يلي بعض الفقرات من تقرير هامرتون :

(١٢) مختارات بمباي ، ص ٤٤٨ .

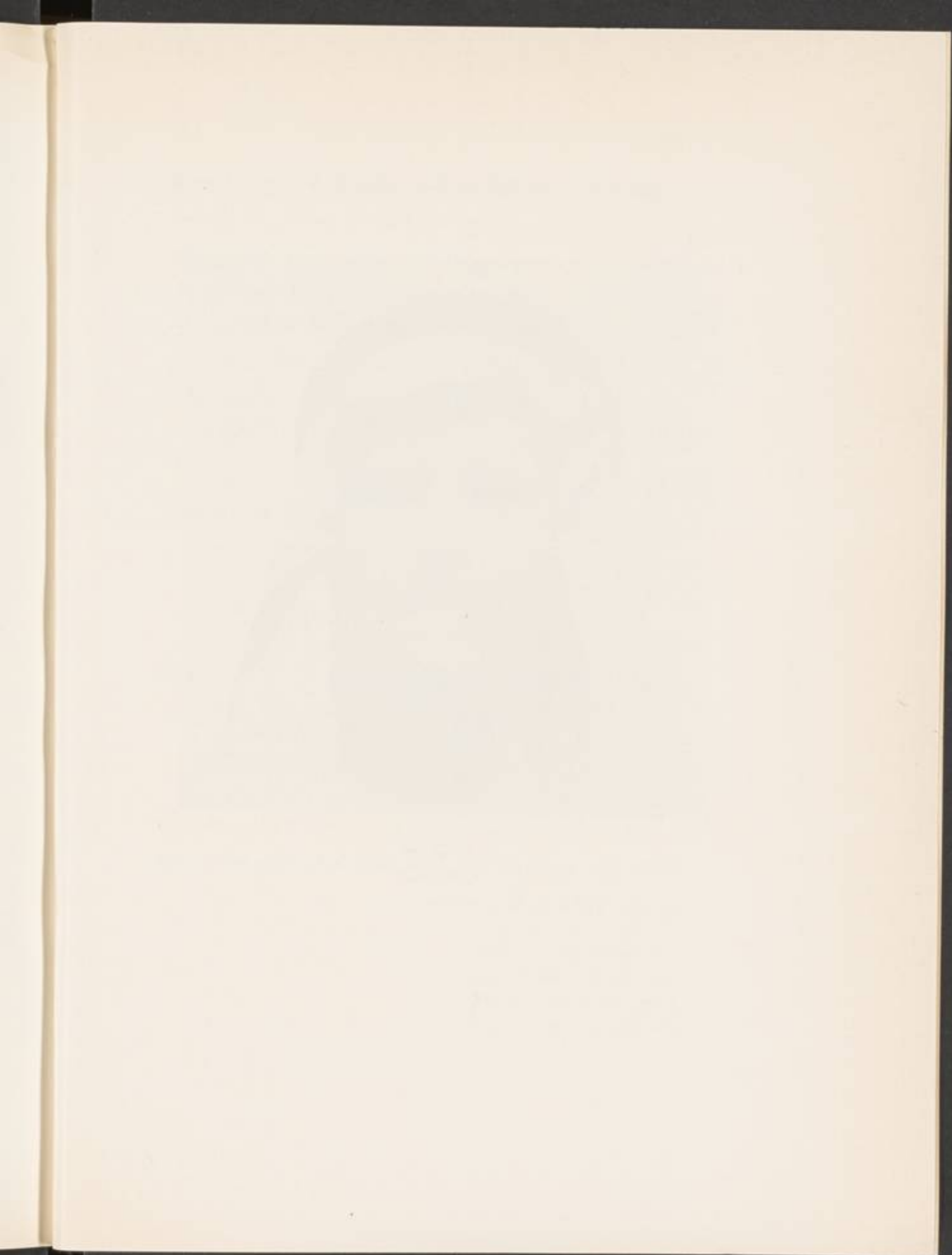
(١٣) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٨٧ .

(١٤) مستحبات بمباي ، ص ٣٣٧ .

(١٥) لوريير ، مجلد ١ ، ص ٧٠٥ .



سعيد بن مبارك
من قبيلة المناصير



البريمي بلدة كبيرة إلى حد ما ، مبنية من قوالب الطوب الخفيفة ، ويحيط بها سور مبنى من نفس الطوب ، غير أن الجزء الأكبر من البلدة يبدو في حالة مهتمة ، كما أن السور مهدم تماماً . ويقع إلى الجانب الجنوبي من البلدة في سهل منبسط ، قصر مربع تقريباً ، يحيط به خندق جاف عرضه حوالي ٢٤ قدماً في داخله سور ارتفاعه ثمانية أقدام لحماية الرماة الذين يدافعون عن الخندق . وعلى مسافة ثلاثين قدماً تقريباً ، ووراء هذا السور ، يقع سور القصر وارتفاعه أربعة عشر قدماً ، وسمك قاعدته خمسة أقدام في حين أن سمك السور في أعلاه يتراوح بين ثمان عشرة بوصة وقدامين . وعلى أركان القصر أبراج مستديرة الشكل غير متقنة البناء ، على أن البناء كله بالطوب الخفيف . . .

والعرب الذين في يدهم قصور البريمي ، هم فرع من قبيلة تسكن المنطقة المتاخمة . ويطلق عليهم في الغالب نعيم البريمي ، والشخص الذي يعتبر الرئيس الأول فيهم يقم في مكان يدعى السنيينة على بعد ثمانية عشر ميلاً تقريباً من البريمي . وإذا اتحد الجميع تحت إمرته فإن عددهم قد يبلغ ألفين وستمائة مقاتل ، غير أن هناك أربعة رؤساء على الأقل ممن يتظاهرون بأن لهم سلطة مستقلة نوعاً ما ، وهم الذين يجب أن يعتبر خضوعهم لرئيس السنيينة ناشئاً إلى حد ما عن اختيارهم كما أن قوتهم المتحدة عرضة في الواقع لأن يصبها الضعف كثيراً بسبب الحسد وسوء التفاهم اللذين قد ينشآن فيما بينهم .

ويبدو أن أهمية البريمي في الدرجة الأولى مستمدة من مزارع النخيل التي تنمو دون عناء كبير ، وتبلغ مرتبة الكمال بفضل المياه الغزيرة التي تغمرها عند ما تندفق إلى السهل الذي تقع فيه البريمي في قنوات تمتد من الجبال المجاورة . ويعتبر تمر البريمي أجود من أي تمر يزرع في مقاطعة عمان . والقمح الذي ينبت في الوادي يعد من أجود الأصناف إلا أنه لا يزرع على نطاق واسع ، أما الفاكهة كالبرتقال والليمون والمانجو والتين والمانجو والزيتون والرمان فتتنمو بنجاح عظيم .

إن قصر البريمي - كما يعتقد - أقامه الوهابيون الذين ما كادوا يقيمون سلطتهم على ساحل جزيرة العرب حتى نشروا مذهبهم وفرضوا دفع الزكاة أو خسن الأموال . . . وتحت إشرافه (مطلق المطيري) اكتسب القصر شكله الحالي وقد حفر حوله خندق يكون الآن حط دفاعه المنيع .

وبقيت البريمي بصورة عامة في قبضة الوهابيين إلى أن تلاشى حكمهم وفنؤذهم فاستقلت قبائل نعيم بجيافة البريمي . وبسبب أهميتها العظيمة ، لما تمتع به من مركز وقواته أخرى ، فإن احتلالها أمر لا بد منه لأية قوة تريد غزو عمان . (١٦)

ولا توجد كلمة واحدة في هذا التقرير الوافي عن أية حقوق لمسقط أو أبو ظبي في البريمي .

١٤٩ - وفي عام ١٢٥٦ هـ (أبريل ١٨٤٠ م) عين الكابتن هامرتن مقياً بريطانياً في مسقط ، ولكنه لحق بسعيد بن سلطان عندما قام برحلته الثانية إلى شرق إفريقيا ، فأسس قنصلية في زنجبار التي أصبحت « منذ ذلك الوقت المركز الرئيسي لإقامة سعيد » .^(١٧) وعندما تضاءل شبح الخوف من توسع محمد علي باشا ، كان اهتمام البريطانيين بشئون سعيد في زنجبار أعظم من اهتمامهم بشئون عاصمته السابقة على ساحل خليج عمان . وعلى الرغم من جميع الأشياء التي فعلها الإنكليز لسعيد ، لم يستطيعوا بعد أن يكسبوه كلية إلى جانبهم ، إلا أنه كان يتقدم نحوهم . وفي يوم وصول هامرتون إلى زنجبار

لاحظ صورتين موضوعتين في إطارين فاحرين مذهبين ومعلقتين على جانبي كرسي الإمام في الغرفة التي كان يعقد فيها مجلسه . وكان موضوع الصورتين عبارة عن اشتباكات بحرية بين السفن الحربية الأمريكية والانكليزية ، ظهرت فيها سفن انكلترا تو استيلاء الأمريكيان عليها ، وعلمية انزال العلم الانكليزي ورفع العلم الأمريكي على الصارية . ولاحظ خلال زيارته الثانية أن هاتين الصورتين قد انزلتا ووضع مكانهما صورتان لموقعة نفارينو .^(١٨)

١٥٠ - وفي عام ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م) أدت مقاومة بريطانيا العظمى ودول أخرى إلى قلب الأوضاع رأساً على عقب ضد محمد علي باشا ، إلا أن هذا لم يكن السبب الوحيد الذي زعزع مركزه في أواسط جزيرة العرب وشرقها .

ويبدو من الملاحظات الرشيدة التي أبدتها المستر فرينل (الوكيل القنصل الفرنسي في جدة) وهي ملاحظات قيمة وصحيحة لأن هذا الوكيل استطاع خلال مدة إقامته الطويلة في جزيرة العرب التي كان يتقن لغتها ، أن يقوم بدراسة عميقة لعادات

(١٧) مختارات بمباي ، ص ٢١١ .

(١٨) كزوفتون « القنصلية القديمة في زنجبار » (١٩٣٥ م) ص ٤ ، مبني على رسالة من هامرتون إلى حكومة بمباي .

البلاد وتاريخها وتقاليدها ، أقول يبدو من هذه الملاحظات أن سلطة محمد علي برمتها ما كانت لتستطيع إخضاع القبائل العربية . وعلى الولى أن يبنى نفسه لأنه استطاع أن يجد ذريعة ملائمة لسحب قواته من داخل البلاد التي ما كانت - بفضل تعلقها القوى بالاستقلال - لتحتدل وجود أية قوات احتلال في أرجائها. (١٩)

وفي عام ١٢٥٦ هـ (أواخر ربيع ١٨٤٠ م) انسحبت قوات محمد علي باشا من الحسا ومن ثم من نجد بعد ذلك بقليل ، وترك خالد بن سعود لتولى زمام الأمور على أن يخضع لإشراف المحافظ الذى نصبه محمد علي باشا في المدينة المنورة .

(١٩) كوشليه ، القنصل الفرنسى العام في مصر ، في رسالته إلى تيير بتاريخ ١٠ يونيو ١٨٤٠ ، في كتاب ادوار دريو « مصر وأوروبا : الأزمة من الى ١٨٣٩ إلى ١٨٤١ م » مجلد ٢ (١٩٣٠ م) ص ٣٠٧ .

١٢ - حكم خالد بن سعود ١٢٥٦ - ١٢٥٧ هـ
(١٨٤٠ - ١٨٤١ م)

١٥١ - وبينما مكن جلاء قوات محمد علي باشا خالد بن سعود من السير نحو الاستقلال في نجد ، كانت افكار خالد تتجه ، شأنه في ذلك شأن بقية أفراد آل سعود ، إلى البريمي وعمان . وقد تحققت السلطات البريطانية المعاصرة من اتجاه شعور الأهالي في المنطقة :

. . . ومع أن الرؤساء البحرين من العرب كانوا يجاهرون بعزمهم على التمسك باستقلالهم ، فقد عرف عنهم أنهم يقومون بالدسائس والمراسلات معه (أي سعد ابن مطلق مثلاً لخالد) .^(١)

١٥٢ - وانتقل خالد بن سعود في عام ١٢٥٧ هـ (أواخر ١٨٤١ م) من نجد إلى الحسا . وظن المعتمد البريطاني في الخليج الفارسي أن خالداً يفكر في إرسال سعد بن مطلق إلى عمان ، فأوفد إليه في نوفمبر اللقنتنت جوب في الحسا لإبلاغه معارضة البريطانيين هذه الخطوة . ولم توافق الحكومة البريطانية في الهند كل الموافقة على ما فعاه المعتمد ، إذ لم تكن راغبة « في تتبع تصرفات الأمير بالدقة التي كانت تتبع بها تصرفات المصريين . كما أنها (أي حكومة الهند) عند ما علمت بتلك المهمة ، كانت تميل إلى الشك في لياقتها . . . »^(٢) ولم ينتج شيء عن الموضوع ، على كل حال ، إذ لم يكن خالداً قوياً بحيث يتمكن من بقاء مركزه رئيساً للدولة عندما ثار عليه شخص آخر من أفراد البيت السعودي هو عبد الله بن ثنيان .^(٣)

(١) مختارات بمباي ، ص ٤٥١ .

(٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٠٦ - ١١٠٧ .

(٣) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٩٥ .

١٣ - عهد عبد الله بن ثنيان ١٢٥٧ - ١٢٥٩ هـ
(١٨٤١ - ١٨٤٣ م)

١٥٣ - وحالما أصبح عبد الله بن ثنيان حاكماً في الرياض ، اتجه بفكره
أيضاً إلى البريمي وعمان . ويقول لوريمر :

ومهما يبلغ أمير الوهابيين من الضعف فإن كرامته كانت تقتضى في هذه الفترة
أن يثبت على مطالبه في السيادة على عمان البعيدة . . . (١)

وكتب عبد الله إلى رؤساء الإقليم يشعروهم بعزمه على إرسال سعد بن مطلق
ليكون ممثلاً سعودياً هناك ، « ويدعوهم بشكل ودى أن يتحدوا ويقدموا إليه
كل معونة ومساعدة » (٢) ونجح المعتمد البريطاني بالوكالة الكولونيل روبرتسون
في الحصول على أصول كتب عبد الله ما عدا الكتاب الموجه إلى خليفة بن شخبوط
في أبو ظبي ، الذي « ادعى لنفسه حق الاحتفاظ بالكتاب وأنكر حق السلطة
البريطانية في أن تطلبه منه » (٣) وقد كتب الكولونيل روبرتسون إلى عبد الله :

يشرح له الأثر السوء الذي نجم عن نشر التعاليم الوهابية بين رؤساء القراصنة والذي
أدى إلى إنزال القصاص بهم من قبل الحكومة البريطانية ، ويستنكر محاولاته
الحالية لوضعهم مرة أخرى تحت سلطة الوهابيين ونقوذهم حيث أن قصده من ذلك
هو أن يعيد إلى أذهانهم أعمالهم الماضية في ذلك المجال عند ما سبق لهم أن استثيروا
بشكل مائل من قبل أسلافه ، وأن يشير الميول الوحشية في هؤلاء الذين استقروا
الآن مواطنين مسلمين فيعرضهم للانتقام الحكومة البريطانية المعادل . (٤)

فبعث عبد الله بن ثنيان برد على هذا الكتاب شرح فيه بصدق واختصار
سياسة الحكومة السعودية وصرح عن

(١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٠٨ .

(٢) مختارات بمباي ، ص ٤٥٢ .

(٣) مختارات بمباي ، ص ٤٥٢ .

(٤) مختارات بمباي ، ص ٤٥٢ - ٤٥٣ .

نيتته في التعاون مع الحكومة البريطانية للقضاء على أعمال القرصنة ، وأنه كان قد أذاع نيتته هذه على أهالي عمان الذين يدعوهم رعاياه ، وكذلك على الأهالي في بلاد أخرى يناشدهم الامتناع عن انزال الأذى بالآخرين ، وأن يسلكوا فيما يتعلق بالبحر السبيل المبين . (٥)

١٥٤ - وشرع عبد الله بن ثنيان أيضاً في القيام بمراسلات مع رؤساء البريمي وقد اعترف الموظفون البريطانيون في ذلك الوقت بأن من بين هؤلاء من « خطب ود الحاكم الوهابي الجديد وصادقته ، ورجعوا في تقديم خضوعهم له . . . » (٦) أما فيما يتعلق بالإقليم بصورة عامة فقد قيل « إن رؤساء العرب يميلون بشكل عام إلى استعادة النفوذ الوهابي » . (٧)

١٥٥ - وفي أوائل عام ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م) فر فيصل بن تركي من القاهرة (٨) ، ووصل إلى نجد ، ولم يكن خالد بن سعود أو عبد الله بن ثنيان قد تمكنوا من اكتساب الصفة الشرعية الكاملة لأن يخلفاه في نظر أهالي نجد الذين استولى عليهم الفرع لعودة زعيمهم السابق .

١٥٦ - وفي ربيع عام ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م) قام أخ لرئيس أبو ظبي على رأس جماعة تقصد النهب ، قوامها مائة وخمسون شخصاً من راكبي الجمال ، فاتجهوا إلى الداخل حيث ابتدأوا بمهاجمة أفراد من قبائل بني قتب ثم بقافلة عائدة من البريمي إلى الشارقة . واشترك الرئيس ذاته في العام نفسه بغارة مماثلة على الكثير من قطعان الغنم والإبل وأموال منقولة أخرى عائدة إلى بني قتب ونعيم وقبائل أخرى. (٩)

(٥) مختارات جمبای ، ص ٤٥٣ .

(٦) مختارات جمبای ، ص ٤٥٣ .

(٧) مختارات جمبای ، ص ١٥٨ .

(٨) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٩٩ .

(٩) مختارات جمبای ، ص ٤٨٤ - ٤٨٥ .

١٤ - العهد الثاني لحكم الإمام فيصل بن تركي ١٢٥٩ - ١٢٨٢ هـ (١٨٤٣ - ١٨٦٥ م)

١٥٧ - افتتح فيصل بن تركي عهده الثاني بأن أقام حكمه في الرياض عام ١٢٥٩ هـ (يونيو ١٨٤٣ م). ^(١) وكانت هذه بداية مدة استغرقت أكثر من عشرين عاماً وثبتت أنها كانت من أفضل العهود في تاريخ جزيرة العرب الحديث ، ومن أعظمها استقراراً . ولم يقتصر الأمر على مسارعة سكان نجد لمبايعته ، بل تطايرت الأنباء مسرعة إلى جميع البلاد التي كانت منضمة للدولة من قبل ، فقبولت بسرور في كل مكان .

١٥٨ - ويصف لوريمر ، المؤرخ البريطاني الرسمي ، فيصلاً بأنه « متميز بالوقار وضبط النفس . . . محترم لعدالة أحكامه . » ^(٢) ويستمر قائلاً :

يبدو أن فيصلاً احتفظ في أراضيه بالنظام الكامل ، ومنذ السنة الأولى من حكمه أظهر نشاطاً عظيماً في حماية قوافل الحجاج السنوية القاصدة إلى البلاد المقدسة من غارات البدو . ^(٣)

١٥٩ - وقد وجه فيصل رسالة عامة إلى رعاياه بمجرد توليه العرش وهي رسالة مشابهة في معانيها لتلك الرسائل التي حررها خلال عهده الأول (الفقرة ١٢٤ السابقة) . فبعد أن حث الناس على أداء فرائضهم مسلمين ومواطنين صالحين أكد أهمية دفع الزكاة . ^(٤) وقد قرئت الرسالة في جميع مساجد الدولة وهي الأمكنة المعتادة لتجتمع الناس ، وتكررت قراءتها بعد ذلك مرة كل شهرين .

(١) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١٠٢ .

(٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٠٩ .

(٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٠٩ .

(٤) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١٠٥ .

١٦٠ - وفي عام ١٢٥٩ هـ (يوليو ١٨٤٣ م) أى بعد شهر من استرداد العرش بعث الإمام فيصل رسلاً إلى رؤساء عمان الساحلية والداخلية ، بما في ذلك البريمي ، يخبرهم بأن سعد بن مطلق سيذهب إليهم بعد انتهاء فصل القيظ لإعادة السلطة السعودية إلى الإقليم . وقد رجع اثنان من الرؤساء في البريمي إلى الحكومة البريطانية في هذا الشأن ، مستعلمين عن موقفها إزاء ذلك .

وكان جوابها لها أن مراسلات الحكومة البريطانية معهم في السابق كانت تشير فقط إلى تقدم القوات المصرية وبصدد العلاقة القائمة بين عظمة محمد علي ونجد . إلا أن هذه الظروف تغيرت تماماً الآن ، وقد أزيل الخطر برحيل تلك القوات التي كانت تحت قيادة خورشيد باشا ، من البلاد . ولهذا فإن نية الحكومة البريطانية هي التخلي عن كل تدخل في الشؤون الداخلية لجزيرة العرب . (٥)

ويمكن استعراض اهتمام خاص إلى سياسة بريطانيا في تحاشي « كل تدخل في الشؤون الداخلية لجزيرة العرب » .

١٦١ - وكان الإمام فيصل - كسائر أسلافه وخلفائه من آل سعود - يرغب في أن يكون على صلوات حسنة مع الحكومة البريطانية . وما دامت الحكومتان تتبعان سياسة سليمة يقصد منها المحافظة على مصالحها المشتركة ، وما دامت الحكومة البريطانية ممتنعة عن « كل تدخل في الشؤون الداخلية لجزيرة العرب » فليس ثمة من عقبة في طريق تقدم العلاقات الودية ، ويبدو ذلك جلياً فيما احتوت عليه سجلات بمباي من المراسلات التي تمت بين الجانبين عام ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م) :

وفي نفس هذا الوقت أيضاً تلقى الممتمد رسالة من الأمير (فيصل) يهبر بها عن رغبته في تجديد العلاقات الودية التي كانت قائمة بين والده تركي والحكومة البريطانية . وقد أجيب على رسالته الطيبة بما ينبغي ، وأكد له أن غرض الحكومة البريطانية الوحيد في هذه الناحية هو قمع السلب والنهب وسجن الدماء في أعالي البحار ، ثم تأمين سلامة السكان ذوي النية الحسنة على شواطئ الخليج لئلا يتسكنوا من القيام

(٥) مختارات بمباي ، ص ٤٥٤ .

بأعمالهم المختلفة . وكانت هذه الآراء - كما صرح الأمير - هي نفس الأفكار التي تجول في خلداه . وكان لا بد من أن يترك العلم بوجود اتصال ودي بين السلطات البريطانية وحكام نجد أثراً طيباً مفيداً في أذهان أهل البحر من العرب . (٦)

١٦٢ - وعند ما غادر الإمام فيصل نجد لزيارة الأراضي السعودية قرب الخليج الفارسي قام باتخاذ اجراءات تأديبيه قرب القطيف في أواخر عام ١٢٥٩ (١٨٤٣ م) على قبائل المناصير وآل مرة وبنى هاجر ، وكانوا جميعهم متهمين بخرق قوانين الإسلام والدولة (٧) .

١٦٣ - وفي أوائل عام ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) قضى الإمام فيصل نحو أربعين يوماً في الحسا حيث زاره عدد كبير من رؤساء قبائل البادية ورؤساء عمان . وعين أحمد بن محمد السديري أميراً جديداً في مقاطعة الحسا . (٨)

١٦٤ - وأرسل الإمام فيصل سعد بن مطلق المطيري أميراً على البريمي في ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) ، وكان يرافقه الشيخ ناصر بن علي العريني ليتولى القضاء باسم الحكومة السعودية . وينتمي الشيخ ناصر إلى العرينات وهم من أشهر فخذ نجد . أما سعد بن مطلق فتصفه السجلات البريطانية بأن له « نفوذاً شخصياً عظيماً بين القبائل العربية ، كما أن له معرفة تامة بمصالحهم المختلفة المتعارضة » . (٩) وفي هذه السجلات وصف لاستقباله في البريمي .

... سارع أصحاب قصور البريمي لتقديم خضوعهم عندما سمعوا بقرب وصوله وتقدم الرؤساء البحرينيون ليخدموه ، كما التحتت به قبائل نعيم والظواهر وآل بوشامس ولسوا له القصور التي أرادها ، وبالاختصار كان الجميع يتنافسون في إظهار الترحيب ، ويتسابقون في الإعراب عن تأييدهم له . (١٠)

(٦) مختارات بمباي ، ص ٤٥٤ .

(٧) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١٠٨ .

(٨) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١١٠ .

(٩) مختارات بمباي ، ص ٤٤٦ .

(١٠) مختارات بمباي ، ص ٤٥٦ .

ومن بين القبائل الأخرى التي جددت ولاءها للحكومة السعودية، خلاف ما ذكر في هذا الاقتباس، البلوش الذين يعيشون في القسم الجنوبي من الظاهرة، وهناك وثيقة مؤرخة ٩ جمادى الأولى عام ١٢٦١ هـ (نحو ١٦ مايو ١٨٤٥ م) وعليها خاتم سعد بن مطلق، وقد حفظها شيوخ البلوش، وتوجد صورة لها مرفقة بهذا العرض. وهذه الوثيقة ذات أهمية بالغة لأسباب ثلاثة، الأول أنها تظهر أن الأمير السعودي كان يدير في أعماله العادية جميع الشؤون المتعلقة بكافة الإقليم الذي تقع البريمي في وسطه، وقد امتد اختصاصه حتى تلك الأماكن البعيدة نسبياً مثل بلدة المازم التابعة للباوش، أما السبب الثاني فلأنها تظهر أن جهاز الإدارة كان على الطراز العادي الذي تسير عليه الدولة السعودية، وكانت تحال إلى السلطات القضائية المسائل التي تدخل ضمن اختصاصها، ولم تكن البريمي مجرد مركز حدود أمانى تحتله حامية دولة أجنبية، وإنما كانت جزءاً لا يتجزأ من الدوامة التي تتبعها كما كانت عاصمة إقليمية بالمعنى الكامل، وأما السبب الثالث فهو أن هذه الوثيقة تعكس تعلق البلوش المتين بالقضية السعودية، إذ احتفظوا في حرص بهذه الوثيقة مدة مائة وعشرة أعوام، وذلك رقم قياسي في إقليم لا نبقى فيه إلا أوراق قليلة أكثر من جيل واحد.

١٦٥ - وعند ما وصل سعد بن مطلق إلى البريمي كان سعيد بن سلطان لا يزال في شرق إفريقيا وقد ترك ولده ثويني نائباً في مسقط. ويصف مساعد المعتمد البريطاني في الخليج الفارسي ثويني المذكور بأنه «رجل ذو مزاج ضعيف ومتقلب بشكل عجيب، كما أنه شخص غير صالح ولا قدرة له على الاحتفاظ بهيبة والده أو فرض الطاعة على رعاياه». (١١) وعندما كان ثويني يواجه بالمصاعب كانت «طريقة تصرفه المعتادة» (١٢) اللجوء إلى طلب النصيح من المعتمد البريطاني وربما كان هذا هو السبب الذي جعل البريطانيين يرضون به ثم يقفون بجانبه

(١١) مختارات بمبائى، ص ٢١٥ - ٢١٦.

(١٢) مختارات بمبائى، ص ٢١٦.

عندما خلف والده في حكم مسقط . ولما جرت المباحثات بين ثويني وسعد بن مطلق بشأن العلاقات بين الدولة السعودية ومسقط ، نصح المعتمد البريطاني ثويني :

بأن ينشئ تفاهماً حسناً مع الأمير الوهابي ، إذا استطاع ، وأن يقبل الشروط التي قد يقدمها إليه ، ما لم يكن فيها ما يزرى بمهابة والده . أما إذا ثبت أن طلبات فيصل تتسم بطابع العنصرية أو المغالاة بحيث تقضى على استقلاله كحاكم ، فإن من الحكمة إذ ذاك أن يذكر للأمير أنه لا يستطيع قط أن يخضع للاحتياجات المطلوبة على يديه ما لم توافق الحكومة البريطانية-التي هي حليفته - على ذلك . (١٣)

١٦٦ - وقد ضعفت سلطة سعيد بن سلطان حاكم مسقط في شاطئ الباطنة ، بله المناطق الداخلية من عمان ، وهي أكثر توغلاً وأصعب اتصالاً . وبلغ فيه الضعف أن اعترف عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) باستقلال قريبه حمود ابن عزان ، ورثاسته على صحار . وكان ذلك بتوسط المعتمد البريطاني في الخليج الفارسي . (١٤) واشترك حمود في المفاوضات التي جرت بين سعد بن مطلق وثويني في عام ١٢٦١ هـ (النصف الأول من ١٨٤٥ م) . واتفق في النهاية على أن يدفع حمود أتاوة سنوية مقدارها ٥٠٠٠ ريال إلى الحكومة السعودية بينما وعد ثويني بالكتابة إلى والده في طلب التعليمات . وقد أمر سعيد بن سلطان ولده بأن يقتصر في حالة حدوث خلاف مع الوهابيين على الدفاع عن الحصون وأن لا يغادر مسقط بأى حال من الأحوال . (١٥) ولا يعقل أن يكون هذا موقف حاكم واثق من عدالة ادعاءاته بممتلكات واسعة في جزيرة العرب .

١٦٧ - وفي أوائل عام ١٢٦١ هـ (١٨٤٥ م) ألقى سعد بن مطلق قواته في الغبي ، وهو مكان يقع على مسافة إلى الجنوب الشرقي من البريمي « ولم تتوان

(١٣) مختارات بمبهي ، ص ٢١٦ .

(١٤) أيتيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٢٨٥ و ٣٢٠ و ٣٢١ .

(١٥) مختارات بمبهي ، ص ٢١٧ .

القبائل عن الطاعة « (١٦) وتبين العبارة التالية في سجلات بمباى تشكيل هذه القوة :

... لقد جمعت قوة كبيرة في سرعة . وقد جمع من بني قتب وحدهم قوات مساعدة وصلت إلى ٣٠٠ فارس وألف من المشاة ، وهرعت أعداد كبيرة من القبائل الأخرى للانضمام تحت لوائه . (١٧)

« ولم يكن من السهل مقاومة مثل ذلك الجيش القوى » (١٨) كما لم تكن مسقط في وضع ملائم للمقاومة :

وكل شيء . . . كان فوضى واضطراباً في مسقط . إما لم يشعر أحد بالخطر المحدق به ، وإما كان مستسلماً للتضام المحتوم ، سواء أكان الصمود أم السقوط . ولم يكن ثمة جنود ، أو على الأقل رجال يستحقون ذلك الاسم . وكانت الحامية قد عززت منذ زمن بمن انضم إليها من القبائل المجاورة ، ولكن هؤلاء تركوا المكان وعادوا إلى ديارهم . وهكذا كانت حالة مسقط العزلاء . وهكذا كان دخول سكانها حين تعرضت بلادهم لتهديد الوهابيين . (١٩)

وفي هذه المرحلة الحرجة تدخل البريطانيون كعادتهم دائماً لصون مسقط من السقوط . وكتب المعتمد إلى الإمام فيصل في عام ١٢٦١ هـ (٢٥ يونيو ١٨٤٥ م) « معترضاً على إجراءاته في عمان ، وراجياً منه إن كان يقدر صداقة الدولة البريطانية ، ألا يسمح بغزو ممتلكات عظمة الإمام (حاكم مسقط) » . (٢٠) وكذلك كتب المعتمد إلى سعد بن مطلق « راغباً إليه أن يقف الحركات الحربية ريثما يتلقى تعليمات أخرى من رئيسه (فيصل) » . (٢١) وتلقى ثويني في ذلك الوقت أوامر جديدة من والده « تخوله - إذا أبلجأته الضرورة القصوى - أن يدفع إلى

(١٦) مختارات بمباى ، ص ٢١٧ .

(١٧) مختارات بمباى ، ص ٢١٧ .

(١٨) مختارات بمباى ، ص ٢١٧ .

(١٩) مختارات بمباى ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٢٠) مختارات بمباى ، ص ٢١٨ .

(٢١) مختارات بمباى ، ص ٢١٨ .

الروهابيين أتاوة سنوية قدرها ٦,٠٠٠ ريال » (٢٢) وقد رد الإمام فيصل على كتاب المعتمد بجواب رقيق عبر به عن الشعور العظيم بالصدقة التي يكنها للحكومة البريطانية (٢٣) ولم ينس أن يتوسع « بعض الشيء » في الكلام عن حقه في ممارسة السلطة على مقاطعة عمان » (٢٤) أما مسقط فقد وقف فيصل فيها موقف المصالحة « وانتهى الأمر بشكل مرض لسلطات مسقط أكثر مما كانوا يستحقونها أو يتوقعون » (٢٥) ووافق ثويني بالنيابة عن والده على دفع أتاوة سنوية مقدارها خمسة آلاف ريال وانسحبت القوات السعودية ، واستقر السلام .

١٦٨ - وكانت سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٥ م) سنة مليئة بحوادث الاغتيال في أبو ظبي ، ففي الصيف وثب مغتصب على خليفة بن شخبوط فقتله وقتل أخاه . واغتيل القاتل بدوره بعد شهرين ولكن نجله عاد فأخذ بثأره ، وانتهت إلى حين « مناظر القتل وإراقة الدماء » (٢٦) وأسرع المعتمد البريطاني « الذي كان يراقب سير الأمور باهتمام . . . فبذل ما في وسعه من تأييد معنوي » (٢٧) لتنصيب سعيد بن طحنون زعيماً جديداً .

١٦٩ - وصفت منزلة سعيد بن سلطان في جزيرة العرب في عام ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) في رسالة من هامرتون القنصل البريطاني في زنجبار إلى حكومة بمباي جاء فيها :

بدا لي دائماً أن الامام (سعيد حاكم مسقط) لا يظهر إلا قليلا من العناية بممتلكاته في جزيرة العرب فيما يتجاوز الموانئ البحرية . وأن نفوذ صاحب العظمة في عمان

- (٢٢) مختارات بمباي ، ص ٢١٨ .
 (٢٣) مختارات بمباي ، ص ٢١٨ .
 (٢٤) مختارات بمباي ، ص ٢١٨ .
 (٢٥) مختارات بمباي ، ص ٢١٨ .
 (٢٦) مختارات بمباي ، ص ٤٨٨ .
 (٢٧) مختارات بمباي ، ص ٤٨٨ .

الداخلية قد ولى دون رجعة بسبب الطابع الواهن لحكومته ، وهو ما يعرفه ويشعر به وأوفد صاحب العظمة في العام الماضي الشيخ علي بن مسعود من زنجبار إلى عمان يحاول الظفر برجال من القبائل المختلفة في عمان ليساعدوا صاحب العظمة في الحرب التي يشنها الآن على سكان سيوى ، غير أن الشيخ عاد دون أن يسكن من الظفر بسيف واحد من قبائل عمان . (٢٨)

ويقول رجبى الذى خلف هامرتون « إن غيابه (سعيد) عن عمان قضى على نفوذه بين القبائل وكاد يتسبب في فقد جميع ممتلكاته في جزيرة العرب » (٢٩) وكانت المحاولة التي جرت عام ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) لإحياء إمامة الأباضيين القديمة ، نتيجة لفقدان الأمل في حاكم مسقط من قبل أهالى عمان وبوجه خاص القاطنين منهم في الداخل . واجتمع في الرستاق العاصمة القديمة كبار الأباضيين قادمين من جهات وبلدان مختلفة ، لانتخاب إمام لعمان بأسرها . وقد توصلوا إلى الاتفاق ثلاث مرات ، ولكن في كل مرة كان الشخص المنتخب يرفض قبول ذلك المنصب . (٣٠) وكان أحد الثلاثة المنتخبين حمود بن عزان ، حاكم صحار ورئيسها منذ عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) (الفقرة ١٦٦ السابقة) وهو أحد أعمام عزان بن قيس ، الذى أصبح في ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) الإمام الوحيد المنتخب في القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى) (الفقرة ٢٢٠ اللاحقة) ومن بين الزعماء الاباضيين الذين اشتركوا في البحث عن إمام جديد في عام ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي ، جد الإمام الثانى في القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى) .

١٧٠ - وتتحدث المصادر البريطانية الرسمية عن تناقض التأييد الشعبي لسعد ابن مطلق عقب نجاحه الأول ، ولكن هناك مبالغاة ظاهرة وتشويهاً للحقائق في الأقوال التي وردت إن الطريقة التي قام بها أهالى المنطقة بتأييد سعد بعد

(٢٨) أوردتها رجبى في أوراق باجر ، وجه ورقة ٢١٩ ظهرها .

(٢٩) أوراق باجر ، وجه ورقة ٢١٩ .

(٣٠) عبد الله السالمى « تحفة الأعيان » مجلد ٢ ، ص ٢٠٩ - ٢١١ .

الاحتلال الموقت للبريمي من قبل زعيم أبو ظبي عام ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) (الفقرة ١٧٣ اللاحقة) تقيم البرهان على أنه إذا كان هنالك شعور بالاستياء من شخص سعد ، فإنه لم يكن يمثل القوة التي ترغب المصادر البريطانية في أن يتصورها الناس . ويتضح من سجلات بمباي أن مركز المعارضة الرئيسي من جانب بعض القبائل كان في الباطنة على الجانب الآخر من الجبال من جهة البريمي . (٣١)

١٧١ - وقد حل عبد الرحمن بن ابراهيم محل سعد بن مطلق المطيري أميراً على البريمي عام ١٢٦٣ هـ (١٨٤٧ م) وهو من أهالي بلدة منبوحة الواقعة في نجد (٣٢) . وقد وصل الأمير الجديد إلى مقر عمله تصحبه حاشية مؤلفة من عشرين شخصاً فقط ، وهو عدد ملائم جداً لمثل هذا المنصب في زمن السلم . ولم يبق عبد الرحمن طويلاً في البريمي ، ولما غادرها أقام مكانه محمد ابن سيف العجاجي . (٣٣)

١٧٢ - وبعد أن عقد سعيد بن سلطان معاهدة مع البريطانيين سرى مفعولها من عام ١٢٦٣ هـ (أول يناير ١٨٤٧ م) لمنع استيراد الرقيق من ممتلكاته الإفريقية ، ارتكب أول مخالفة لهذه المعاهدة « وهي قضية فادحة » (٣٤) من قبل ثويني بن سعيد ، ممثل والده في مسقط ، وكان ذلك في السنة ذاتها . وقد قام الشاب « بتبرئة نفسه من ملامة هذه الصفقة بالقول والإصرار على أنه ليس في المعاهدة ما يحظر شراء الرقيق أو بيعهم من الأحباش وإنما أشارت المعاهدة فقط إلى المتاجرة بالزنج والصوماليين وكذلك ثبت أن فخامته (ثويني) ثار على الوكيل البريطاني لاقدامه على التدخل في هذا الموضوع ، ومع أنه امتنع

(٣١) مختارات بمباي ، ص ٢١٩ .

(٣٢) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١١٧ .

(٣٣) « عقود الجبلان » ص ٩٢ و ١٥٣ .

(٣٤) مختارات بمباي ، ص ٢٢٠ .

عن إظهار غضبه له شخصياً إلا أن العبارات التي استعملها في التكلم عنه مع الآخرين كانت قاسية ومنظرية على الإهانة . (٣٥) وطلب من سعيد أن يفهم ابنه أن الرقيق هو الرقيق سواء كان « زنجياً أو صومالياً أو حبشياً » . (٣٦) واستمرت الحكومة البريطانية في اعترافها بثوبني نائباً عن والده في مسقط .

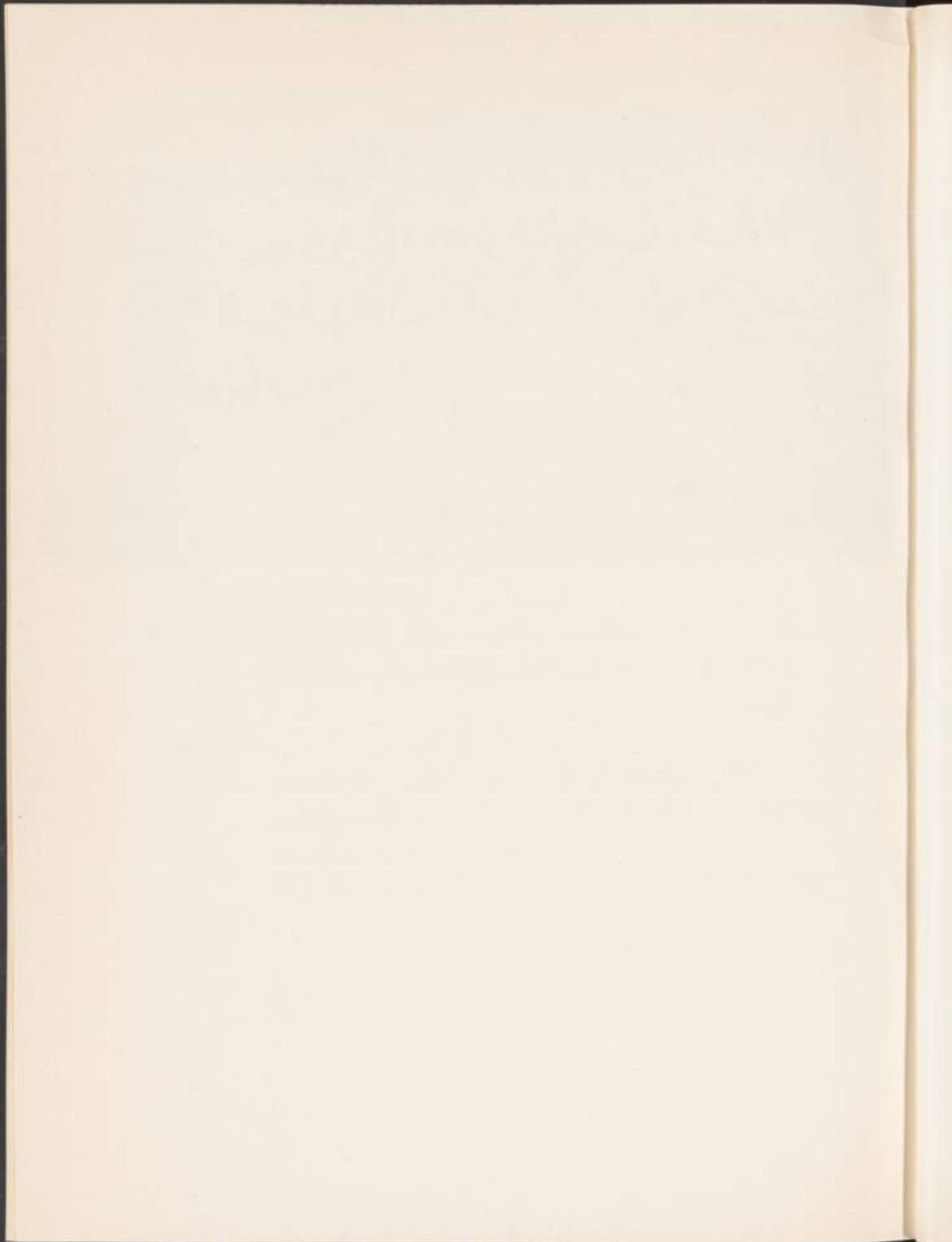
١٧٣ - وفي عام ١٢٦٤هـ (١٨٤٨م) قرر سعيد بن طحنون حاكم أبوظبي أن يتحدى الحكم السعودي فقام بمهاجمة البريمي . وكان سعد بن مطلق ، أكفأ المندوبين السعوديين في ذلك الوقت ، غائباً عن البريمي ، وكانت الحامية الصغيرة بقيادة محمد بن سيف العجاجي تنعم بالاطمئنان والأمن ، الأمر الذي جعلها غير مستعدة لصد ضربة مفاجئة . يضاف إلى ذلك أن قوة أهالي البريمي المعهود فيها المقاومة كانت قد ضعفت بسبب نزاع قام بين آل بوخريبان وآل بوشامس ، الفرعين الرئيسيين لقبيلة نعيم . (٣٧) وفي أول الصيف احتل سعيد بن طحنون قصرًا سعوديًّا في جزء من الواحة تابع للظواهر وبعد شهر استولى على القصرين السعوديين الرئيسيين في وسط الواحة وهما قصر الصبارة وقصر الخندق (٣٨) وفي الحال ، رد فيصل على هذا العدوان الذي لا مبرر له بأن أرسل سعد بن مطلق على رأس قوة تأديبية . ولدى اقتراب سعد من البريمي ، أخفق في حماية فصيلته ، لأنه لم يرسل عيوناً إلى جميع الجهات . وحاول رؤساء دبي والقواسم أن يخذروا سعداً من أن سعيد بن طحنون كان يكمن له في الطريق ، لكن رسلهم لم تلتق بسعد ، ووقعت القوة السعودية في الكمين وهزمت في العائكة الواقعة غربي البريمي . وكان من بين القتلى الشيخ عبد الرحمن بن عزاز القاضي السعودي

(٣٥) مختارات بمبای ، ص ٢٢٠ .

(٣٦) مختارات بمبای ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٣٧) « عقود الجمان » ، ص ٩٣ .

(٣٨) مختارات بمبای ، ص ٤٩٠ .



السنة

من ساداتنا مطلق الا الاخ خلفان ابن بن احمد البدوي
عبد الله ابن لا شدا ابن ابا عبد الله بن علي بن محمد بن طلب فان كنت
مقر فخاصم حقهم والاقدر اجمع عند الفتح العفري لم يكن

معلم ما و اسما

١٤٧١



1209

الذى رافق الحملة . (٣٩) وفر سعد من ميدان هزيمته إلى الساحل حيث قام الرؤساء والأهالى بجمع قواهم لمعاونته على استرداد موقفه المفقود . وكانت القوى المتحالفة على تأييد سعد قوية لدرجة جعلت سعيد بن طحنون يدرك أن بقاءه فى البريمى أمر ميئوس منه . فوافق فى عام ١٢٦٥ هـ (فبراير ١٨٤٩ م) بدون وقوع أية معركة على إبرام صلح نص فيه على أن

تعاد قصور البريمى إلى سعد بن مطلق ، ويطوى كل ما مضى فى صفحة النسيان ، ويعود كل فريق إلى الوضع الذى كان قائماً قبل نشوب القتال . (٤٠)

ويعتبر احتلال البريمى هذا الذى استمر مدة ثمانية أشهر ، المرة الوحيدة فى التاريخ لوقوع الواحة فى يد حاكم أبو ظبى . ومع أن الصلح نص على أن « يطوى كل ما مضى فى صفحة النسيان » إلا أن ضمير سعيد بن طحنون أخذ فى تأنيبه خصوصاً بعد أن عرف تماماً قوة الدولة السعودية وعزمها ، وبعد مرور أقل من عامين جاء إلى الإمام فيصل يلتمس الصفح عما اقترفت يدها (الفقرة ١٧٩ اللاحقة) . وبعد أن استعاد سعد بن مطلق منصبه أميراً على البريمى ، قام بتسوية ما بين فرعى نعيم من الخلاف الذى كان من أسباب هذا التراجع الموقت (٤١) .

١٧٤ - وعلى الرغم من أن سعيد بن طحنون فى أبو ظبى ، جرؤ على احتلال البريمى ، فإنه لم يكن بالمعنى التام سيداً على بلاده . فقد لجأت فى نهاية موسم صيد اللؤلؤ فى صيف عام ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) ، جميع قوارب القبيسات إلى ساحل قطر حيث كان أصحابها يأملون الاستقرار فى العديد بدلا من أن

(٣٩) ابن بشر ، مجلد ٢ ص ١١٧ - ١١٨ .

(٤٠) مختارات بمباى ، ص ٤٩١ .

(٤١) « عقود الجمان » ص ٩٣ .

تعود إلى أبو ظبي وقد أوعز إليهم رؤساء ديني والقواسم باتخاذ هذه الخطوة على أساس أن الإمام فيصلاً آل سعود « سيقوم قريباً بإرسال قوة لإعادة بناء العديد وإحلالهم فيها » . (٤٢) ولجأ سعيد بن طحنون إلى الخداع للحيلولة دون وقوع هذا الانشقاق من قبل عناصر لها شأنها من أبناء شعبه :

إذ قام بإلقاء القبض على رؤساء القبائل الذين بقوا في أبو ظبي وألق بهم في غياهب السجن . ثم أوفد رسولا من قبله لإقناع الزعماء بالعودة إلى ديارهم . واستقبلهم في عودتهم بجميع مظاهر الاحترام والترحاب وأظهر لهم من الأسباب ما حلهم على الاعتقاد بأنه نسي ذنوب الماضي وصفح عنها ، وبأنهم لم يعودوا ليقاسوا بنخط رئيسهم ، وبالاختصار فقد أفلح في تهدئة روعهم ووضعهم في جو من الطمأنينة الراحة . وكما كانت دهشتهم في فجر اليوم الذي تلا وصولهم عند ما أفاقوا فوجدوا مراكزهم قد جردت في الليل من قلعوها ودقاتها وصواريخها ، وبذلك انقطعت بهم سبل الحرب كما جوبهوا بالأوامر الصادرة إلى أهالي أبو ظبي بأن على جميع الأطراف التي لها حقوق على قبيلة القبيسات أن تطالب بدفعها في الحال ، وفرضت عليهم غرامة لا تقل عن ألفي ريال . وقد أدركوا في النهاية أنهم وقعوا فريسة شخص لم يكن يخامرهم الشك في استقامته وقد كان وضعهم في الواقع مؤلماً ودقيقاً جداً إذ أرغموا على دفع الأموال المطلوبة منهم ولم يكن هناك مناص من بيع مراكزهم بما تحمله من كل ما يملكون من بضائع . (٤٣)

١٧٥ - ولما لم يرض الإمام فيصل عن مسلك سعد بن مطلق خلال زحفه شرقاً (الفقرة ١٧٣ السابقة) استبدل به أميراً آخر على البريمي في أوائل عام ١٢٦٦ هـ (أواخر ١٨٤٩ م) . (٤٤)

١٧٦ - في عام ١٢٦٦ هـ (١٨٥٠ م) قام سعيد بن طحنون ، بعد أن أخفق في محاولة احتلال البريمي بصورة دائمة ، بأعمال تخريبية بجوار الواحة

(٤٢) مختارات بمباي ، ص ٤٩٢ .

(٤٣) مختارات بمباي ، ص ٤٩٢ - ٤٩٣ .

(٤٤) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١٢٩ .

« فخر ب مجارى المياه التي تسقى النخيل » .^(٤٥) كما « الحق بالمزروعات والبلاد المتاخمة للبريمي جميع أنواع الضرر » .^(٤٦) وتروى القصص التي يتحدث بها أهل البريمي أن سعيد بن طحنون ردم سبعين من مائتي فتحة أو أكثر كانت تتخلل القناة الرئيسية التي تمر تحت الأرض وتروى حقول البريمي .^(٤٧)

١٧٧ - وفي عام ١٢٦٦ هـ (١٨٥٠ م) قرر ثويني الذي كان لا يزال يمثل والده سعيد بن سلطان في مسقط ، أن ينضم إلى سعيد بن طحنون في أبو ظبي لمهاجمة السعوديين في البريمي . ولأجل هذا أراد أن يحصل على معونة من ابن عمه حمود بن عزان ، زعيم صحار المستقل فرتب اجتماعاً معه .

... أعرب سعاده (ثويني) عن أمله في أن ينضم رئيس صحار إلى الشيخ سعيد ابن طحنون وإليه في الحملة المنوية على البريمي . إلا أن السيد حمود لم يتأثر بهذا . فلم تقنعه الكلمات ولا الحجج بالترحيل عن موقفه وكان جزابه واحداً - أنه لا يستطيع أن ينضم وإن ينضم إلى سعاده ، فبيته وبين آل بوخريبان (من قبيلة نعم) حلف وثيق ، وهم معارضون للشروع ، فهو لم يكن يستطيع مساعدة الحملة ولم يكن يريد أن يساعدها .

أثار عناد الضيف غير المتوقع حفيظة سعاده ، مما جعله يقدم على خيانة الأمانة ونقض أصول الضيافة ، بشكل يندر أن تجد له - فيما أعتقد - نظيراً في التاريخ العربي ، إذ قرر أن يأسر ضيفه ، فقبض عليه في شناصر وقيده ثم نقله إلى البارجة مقيداً بالسلاسل .^(٤٨)

تقدم ثويني بعد القبض على حمود ولكن « كعهده واجه فشلاً وتقهقراً » .^(٤٩)

(٤٥) مختارات بمباي ، ٤٩٣ .

(٤٦) مختارات بمباي ، ٤٩٤ .

(٤٧) تصريح قاضي البريمي الشيخ عبد الله بن عبد العزيز آل سليمان .

(٤٨) مختارات بمباي ، ص ٢٢٩ .

(٤٩) مختارات بمباي ، ص ٢٢٩ .

فاضطر إلى العودة إلى مسقط . وعانى السجين حمود المعاملة التالية على يدي ثويني بسبب رفضه مجاربة الدولة السعودية :

... لقد رسف بالسلاسل وحجز في مكان حار لا يطاق حيث لم يمنح حرية ولا راحة ولا خلاص من الجهد فتدهورت صحته وانحطت من جراء هذه المعاملة القاسية . (٥٠)

وانزعجت الحكومة البريطانية من تصرفات ثويني فكتب مساعد المعتمد في الخليج الفارسي :

وهكذا كانت المشاهد الدموية والاغتيالات التي شابت أحداث تاريخ مسقط - وهكذا كانت النتائج المرة لسياسة السيد ثويني ولم يكن هناك أى أمل في أن تأتي أيام أفضل .

واستنفذ المعتد كل حجة ، وفعل كل ما في وسعه ، كي يتوسط بين الخصوم الثائرين - إلى حد أنه ذهب شخصياً إلى مسقط وجاهد ليوفق بينهم . إلا أن أمثال هؤلاء الخصوم لم يمكن التوفيق بينهم . إذن ماذا يصنع ؟ أيسمح للمتنازعين بأن ينفسوا ثانية في فظائع حرب دموية عنيفة ؟ أستمّر الحكومة البريطانية في مراقبة ما ينزل من الأذى بحليفها القديم الوثيق الامام (حاكم مسقط) مراقبة سلبية في الوقت الذي كان فيه بعيداً أيضاً ؟ أجل إلى حد ما . فالحكومة البريطانية من عاداتها الامتناع عن التدخل الإيجابي في شئون القبائل العربية الداخلية . وبالرغم من حزن مثلها لإراقة الدماء الحالية راقبوا بمرارة شديدة بغنى السيد ثويني وظلمه دون أن يفكروا في معاضدة قضيته . إلا أنهم لم يخذلوا عظمته (سعيد بن سلطان) في ساعة الشدة . وأشاروا بأن يعود سريعاً إلى ممتلكاته المضطربة ، كما انتقدوا في منتهى الكياسة تصرفات ابنه ومثله فأوضحوا لعظمته المنهاج الملامم لسيره . لقد قدموا في الواقع كل عون معنوي يستطيعونه . (٥١)

وقد « استنكرت » الحكومة البريطانية في الهند « بشدة تصرف السيد ثويني

(٥٠) مختارات بمبای ، ص ٢٣٠ .

(٥١) مختارات بمبای ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

المذبذب « . (٥٢) ولكن والد ثويني ، سعيد بن سلطان ، « وافق على تصرفاته إذ أنه كان على الأرجح يطيع تعليمات والده . . . » . (٥٣) ويقول باجر إن الموت « من التعذيب والجوع » هو « المعاملة الطبيعية التي كان المسجونون السياسيون المعروفون عرضة لها من قبل السلطات العمانية (أي سلطات مسقط) » . (٥٤)

١٧٨ — خالف مواطنو رئيس أبو ظبي في خريف عام ١٢٦٦ هـ (١٨٥٠ م الهدنة البحرية المفروضة من قبل البريطانيين « مخالفة عظيمة » . (٥٥) وفي سجلات بمباي وصف الإجراءات التي اتخذها البريطانيون ضد أبو ظبي ، كما يلي :

ان الشجاعة التي أظهرها اللفتنت ما فرز في قيادة المركب البحري « دجلة » ، وكذلك اللفتنت ترونسون في قيادة « الفرات » ، وفي التقدم بمركبهما في الحور الضيق الذي يمتد ثلاثة أميال إلى المرسى الداخلى لميناء أبو ظبي مما جعل القرية والمراكب الوطنية على الشاطئ ، في مرمى مدافعهم ، هذه الشجاعة أثارت دهشة الشيخ سعيد بن طحنون الذي لم ير من قبل سفينة حربية بريطانية قريبة من وطنه هذا مما جعله يذعن للمطالب الموجهة إليه بلا تردد أو ماطلة . (٥٦)

وقد قال مساعد المعتمد البريطاني في الخليج الفارسي إن تصرف سعيد بن طحنون بعد فترة قليلة كان ينطوي « على الأنانية والرياء وليس على الأمانة والإخلاص » . (٥٧)

١٧٩ — في أوائل عام ١٢٦٧ هـ (نوفمبر ١٨٥٠ م) غادر الإمام فيصل

(٥٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٥٥ .

(٥٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٥٥ .

(٥٤) باجر ، ص ٤٠ .

(٥٥) مختارات بمباي ، ص ٤٩٤ .

(٥٦) مختارات بمباي ، ص ٤٩٤ .

(٥٧) مختارات بمباي ، ص ٤٩٥ .

ومعه جمع كبير مدينة الرياض وتقدم شرقاً في رحلة تفتيشية لبعض المناطق السعودية المتاخمة للخليج الفارسي . فعسكر مدة شهر عند آبار حليوين التي لا تبعد كثيراً إلى الجنوب عن خور العديد . وخلال إقامته في حليوين انضم إليه أحمد السديري ، أمير الحسا ، كما أتى عدد كبير من رؤساء القبائل ليجددوا عهود ولائهم . ومن حليوين اتجه الإمام إلى رمال العريق شرقي سلوة ، ومن هناك أرسل ابنه عبد الله إلى شبه جزيرة قطر ثم لحق به بعد مدة قصيرة . (٥٨) وفي الصيف توجه سعيد بن طحنون من أبو ظبي لزيارة فيصل في قطر، وبعد أن بهره عزم الأمام فيصل وقوته ، عبر عن ندمه لاعتدائه على البريمي ، وطلب الصفح ، فتلطف فيصل ومنحه إياه . (٥٩)

١٨٠ - ينهى ابن بشر تاريخه عن الدعوة إلى التوحيد وعن آل سعود بعودة الإمام فيصل من قطر إلى الحسا والرياض عام ١٢٦٧ هـ (١٨٥١ م) وكان فيصل قد أمر الأمير أحمد السديري خلال إقامته في الحسا التي استغرقت عشرين يوماً

أن ينظر في المصالحة الخاصة والعامة ، من اصلاح الثغور (كالبريمي) وفي الحياث والشور ، وحض الناس على الاجتماع للصلوات في المساجد . . . (٦٠)

وأذن الإمام بعد وصوله إلى الرياض لمن رافقه من الجند بالعودة إلى ديارهم وأرسل عماله على عادته لحرص الثمار وقبض الزكاة من البلدان والعربان . (٦١) وتوافدت عليه الوفود من كل صوب وحذب ، وكانت الأرض سليمة مصونة .

(٥٨) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٥٩) « عقود الجاهن » ص ٩٦ . ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١٣٢ .

(٦٠) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١٣٢ .

(٦١) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١٣٣ .

١٨١ - وصل سعيد بن سلطان حاكم مسقط إلى تفاهم مع رئيس القواسم في عام ١٢٦٨ هـ (مايو ١٨٥٢ م) ، فأرسل إليه الوثيقة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم من يقف على كتابي هذا ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، بأني قد اعطيت الشيخ سلطان بن صقر عهد الله وأمانه على يد أخيه الشيخ صالح بن صقر بأن لا أتعرض لجأته ولا أمد يدي على بلدانه وطوارفه من الخطم ومغرب مشمل إلى أطراف الظاهرة ولا أعين عليه خصم يخاصمه والحال بيننا واحد باتصال حبل الصداقة ما دام هو ثابت بمنع يده عن طوارف ومن تعلق بي حتى لا يخفى والله شاهد ورفيق ، حرر في ٢٧ من شهر رجب المرجب ١٢٦٨ هـ (نحو ١٧ مايو ١٨٥٢ م)

صحيح

سعيد بن سلطان

بيده

(ختم) (٦٢)

إن المكان المسمى الخطم^(٦٣) (خطم ملاحه أو خطمة ملاحه) لا يزال حتى الآن الحد الفاصل بين أراضي سلطان مسقط على ساحل خليج عمان ، وأراضي القواسم . وإن اعتراف سعيد بأن أراضيه لا تتعدى « أطراف الظاهرة » ذو أهمية خاصة . أما تعهد مسقط هذا فإن له تاريخاً سيذكر فيما بعد (الفقرة ٢٣٤ اللاحقة) .

١٨٢ - في عام ١٢٦٩ هـ (نوفمبر ١٨٥٢ م) ترك سعيد بن سلطان مسقط في رحلة أخرى إلى زنجبار .

(٦٢) « عقود الجمال » ص ٩٧ .

(٦٣) يجب تفادي الالتباس بين هذا وبين منطقة الحُم الواقعة بين البريمي والظفرة .

وكان سفره إشارة بدء الثورة فظهرت اضطرابات جديدة كما أظهرت قبائل الباطنة
صحتها بكل صراحة . لقد كانت دولة عظمته شعلة من الفتنة . (٦٤)

تلك هي الحالة المعتادة عند ما كان سعيد غائبا ، وهكذا كانت الحالة عندما
وصل عبد الله بن فيصل إلى البريمي موفداً من والده الحاكم السعودي .

١٨٣ - لقد أظهر الإمام فيصل اهتمامه برفاهية الممتلكات السعودية في
شرق الجزيرة العربية بتعيين ابنه الأكبر عبد الله مبعوثاً في البريمي وتوقف عبد الله
في طريقه عند سلوة ليعاقب بعض أبناء المناصير ونعيم وبني هاجر الذين أحلوا
بالسلم وبأمن الدولة . (٦٥)

١٨٤ - وصل عبد الله بن فيصل ، مصحوباً بأحمد السديري أمير الحسا
السعودي ، إلى البريمي في عام ١٢٦٩ هـ (مارس ١٨٥٣ م) ، وتقول السجلات
البريطانية :

لقد جاءهم منصفاً ومصالحاً للأخطاء التي حلت بأبنائه (الشيخ) في عمان . (٦٦)

يصف المؤرخ العربي ابن عيسى استقباله في البريمي بالكلمات التالية :

فلما قرب من البلاد تلقاه الرؤساء والأكابر والأعيان للسلام ، وقابلوه بالسمع
والطاعة والانقياد . وكان عاقلاً حليماً عادلاً شهياً حازماً حسن التدبير فعاملهم
بالرفق والإحسان فاطمأن الناس واستبشروا بقدومه . وأنهالت عليه الهدايا والتحف ،
وقبض خراج البلاد . (٦٧)

(٦٤) مختارات بمبای ، ص ٢٣٢ .

(٦٥) إبراهيم بن عيسى « عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث

عشر وأول الرابع عشر » (مخطوط ، ١٣٠٢ هـ) ص ١٠ .

(٦٦) مختارات بمبای ، ص ٢٣٢ .

(٦٧) ابن عيسى « عقد الدرر » ص ١٠ .

وترسم السجلات البريطانية صورة مشابهة :

... لقد هرولت جميع القبائل المرتعبة لمقابلة قائدها (عبد الله بن فيصل) ،
وبدت تتنافس في تقديم الولاء والطاعة إليه . وبادر الرؤساء البحريون بالرد
به وتقديم التماساتهم ورواية قصص رعبهم . (٦٨)

ولا يزال قصر الخندق الذي نزل فيه عبد الله فترة وجوده في البريمي يسمى
في بعض الأحيان بقصر عبد الله بن فيصل . وقد تقاطر الناس من جميع أنحاء
الإقليم ، خلال إقامته التي امتدت إلى أوائل ١٢٧٠ هـ (ديسمبر ١٨٥٣ م) ،
ليقدموا الولاء ، فاستقبلهم عبد الله بكرم عربي أصيل ، وأقام لهم الولائم وخلع
عليهم الهدايا من كسي ومنح . فكان لهذه الزيارة أثر عميق في نفوس أهالي إقليم
البريمي وقوة شعورهم بالولاء لآل سعود . (٦٩)

١٨٥ - كانت قضية العلاقات مع مسقط إحدى القضايا الرئيسية التي
جابهت عبد الله بن فيصل في البريمي . لقد ذكرت عدة أمثلة عن استعداد
سعيد بن سلطان وابنه ثويني لمهاجمة السعوديين كلما وجدوا الفرصة مناسبة لذلك ،
وكان هناك أيضاً موضوع العقوبة التي يجب أن تنزل بثويني جزاء غدره الفظ
برئيس صحار عندما رفض الانضمام إلى الأعمال العدوانية ضد البريمي (الفقرة
١٧٧ السابقة) . وكان في استطاعة عبد الله أن يطالب ويحصل على أية شروط ،
ولكنه اكتفى باتفاقية خالية من الشدة بشكل واضح . وتمت معاهدة هجوم ودفاع
بين الدولة السعودية ومسقط ، تنص على أن تدفع مسقط أتاة سنوية مقدارها
١٢,٠٠٠ ريال بالإضافة إلى مبالغ متأخرة مقدارها ٦٠,٠٠٠ ريال وتنص

(٦٨) مختارات بمباي ، ص ٢٣٢ .

(٦٩) « عقود الجمان » ص ٩٨ - ٩٩ .

على « التزويد العادي بالمؤن والإمدادات » . (٧٠) وتعهد الرئيس السعودي مقابل هذا « أن يساعد سعادته (ثويني) في ساعات الشدة ، وبقيت حدود كلتا المنطقتين كما كانت عليه سابقاً » . (٧١) وهذه الحدود ليست معينة ، إلا أن البريمي وكثيراً من الأراضى الواقعة وراءها كانت تؤلف جزءاً لا يتجزأ من الدولة السعودية .

١٨٦ - لدى قيام المعتمد البريطاني في الخليج الفارسي بزيارة الساحل البخوني الشرقي بقصد عقد معاهدة جديدة يوقعها الرؤساء البحريون ، وجد نفسه في « مركز لا بد من الاعتراف بأنه دقيق ومخرج » . (٧٢) لقد كان جميع الرؤساء باستثناء دبي عند عبد الله بن فيصل في البريمي . (٧٣) ولم يسرعوا بزيارة المعتمد . وتذكر سجلات بمباي :

... لقد كان تفكيرهم الآن منهكاً في خطط الوهابيين ، بحيث لم يكن أحد منهم قادراً أو مستعداً للعودة إلى مقره . (٧٤)

وقبل أن ينفذ صهر المعتمد ، الذي لو نفذ لربما دعا إلى استعمال « درجة من القسر مخالفة كلية لتواعد السياسة البريطانية » ، (٧٥) عاد الرؤساء البحريون إلى الساجل فقبلوا ، نتيجة لوساطة المعتمد ، عقد معاهدة سلم دائمة تنص على

(٧٠) مختارات بمباي ، ص ٢٣٣ .

(٧١) مختارات بمباي ، ص ٢٣٣ .

(٧٢) مختارات بمباي ، ص ٢٣٣ .

(٧٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٧٣ .

(٧٤) مختارات بمباي ، ص ٢٣٣ .

(٧٥) مختارات بمباي ، ص ٢٣٣ .

« صلح تام في البحر على الدوام » . (٧٦)

١٨٧ — أرسل عبد الله بن فيصل في عام ١٢٦٩ هـ (صيف ١٨٥٣ م) أحمد السديري إلى ضنك ، حيث بقى وقتاً من الزمن . ويقول الوكيل البريطاني في الشارقة إن قوات سعودية أخرى قد استقرت في عدة مناطق في عمان . (٧٧) وبعد مغادرة ضنك توجه أحمد السديري شرقاً إلى ينقل مصطحباً معه ستمائة من راكبي الجمال والخيالة وعدداً كبيراً من رجال قبائل المنطقة من أبناء بني قتب وغيرهم (٧٨) ومن هناك اتجه إلى الجبل الأخضر الواقع في قلب عمان الداخلية ، حيث قدم له أكبر زعماء المنطقة أتاوة . (٧٩)

١٨٨ — وتوضح وثيقتان أعطيتا من عبد الله بن فيصل للبلوش امتداد السلطة السعودية إلى ما وراء البريمي ، ولا تزال أصول هاتين الوثيقتين في حوزة الحكومة السعودية :

من عبد الله بن فيصل إلى من يراء السلام

وبعد من قبل مال عبد الله بن راشد بن اسماعيل (اسماعيل) البلوش الذي ببلد ضنك لا يعارضه أحد فيهم بشيء من الأتواب غير الزكاة ليكون ذلك معلوم والسلام .

٢٠ محرم سنة ١٢٧٠ هـ

(نحو ٢٣ أكتوبر سنة ١٨٥٤ م)

(ختم)

(٧٦) ايتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٢٥٣ .

(٧٧) يعقوب بن بشير ، الوكيل البريطاني في الشارقة إلى الكابتن أرنولد بوروزكيل ، المعتمد البريطاني في الخليج الفارسي ، ٢٥ شوال ١٢٦٩ هـ (نحو أغسطس ١٨٥٣ م) .

(٧٨) يعقوب بن بشير إلى كميل ، ٢٣ ذي القعدة و ٩ ذي الحجة ١٢٦٩ هـ (نحو ٢٨ أغسطس و ١٣ سبتمبر ١٨٥٣ م) .

(٧٩) يعقوب بن بشير إلى كميل ، ٩ ذي الحجة ١٢٦٩ هـ (نحو ١٣ سبتمبر ١٨٥٣ م) .

من عبد الله بن فيصل إلى من يراه السلام
وبعد من قبل زكاة المازم من التمر والحب حنا مغرجينها لعبد الله بن راشد
ابن اسماعين فلا يعارض في ذلك ليكون معلوم والسلام .

٧ صفر سنة ١٢٧٠ هـ

(نحو ٩ نوفمبر ١٨٥٣ م)

(ختم)

لقد كان عبد الله بن راشد البلوشي عاملاً من عمال الزكاة التابعين للإدارة
السعودية في البريمي (الفقرة ١٩٢ اللاحقة) . ويعتبر دفع حصة من حصيلة الزكاة
إلى جباتها (العاملين عليها) قانوناً مقررأ في الشريعة الإسلامية .^(٨٠)

١٨٩ - وفي أوائل عام ١٢٧٠ هـ (في أواخر ١٨٥٣ م) وجد ثويني ،

الذي كان نائباً لحاكم مسقط ، نفسه في مأزق مرة أخرى :

لقد كان شعور استياء قبائل الباطنة تجاه السيد ثويني من الشدة بحيث أن كل
واحد منهم تقريباً رفض دفع فلس واحد أتاة ، واشتملت الاضطرابات في
كل مكان . . . (٨١)

واعتمد ثويني لكونه عاجزاً عن تخليص نفسه ، على عبد الله بن فيصل الذي
كان قد أبرم مؤخراً معه معاهدة (الفقرة ١٨٥ السابقة) :

لقد قام سعاده بإحالة عبد الله بن فيصل إلى شروط المعاهدة ودعا لأن يعيد
العصاه إلى ولائهم له . (٨٢)

(٨٠) القرآن الكريم ، سورة التوبة ، الآية ٦٠ .

(٨١) مختارات بمباي ، ص ٢٣٣ .

(٨٢) مختارات بمباي ، ص ٢٣٤ .

١٩٠ - غادر عبد الله بن فيصل البريمي إلى نجد في أوائل عام ١٢٧٠هـ (أواسط ديسمبر عام ١٨٥٣ م) ، وخلفه أحمد بن محمد السديري أميراً للبريمي . وهاجمت قبيلتا بني قتب والد روع قبيلة المناصير في الجواء في نفس الوقت الذي غادر فيه فيصل البريمي تقريباً ، فقتلوا خمسة وعشرين من رجالهم واستولوا على ثلاثمائة من جمالمهم . وبحث المناصير عن عبد الله في سيره إلى نجد وقدموا إليه شكواهم ، فأعطى تعليماته إلى أحمد السديري ليرسل إليه رؤساء القبائل المعنية . ولدى وصولهم تمكن من مصالحتهم وبذلك دفنوا جميع خلافاتهم . (٨٣)

١٩١ - كان أحمد بن محمد السديري ، أمير البريمي الجديد ، من ألمع شخصيات عصره في الدولة السعودية . ولد في أوائل القرن الثالث عشر الهجري (أوائل التاسع عشر الميلادي) ، وهو سليل عائلة استقرت في نجد منذ أربعة قرون أو نحوها . وقبل سقوط الدرعية قاتل قوات محمد علي باشا ، كما أنه كان أميراً على الحسا قبل أن يعين في البريمي ، وقد خلفه محمد أكبر أبنائه في منصبه السابق . كان أحمد جد الملك الراحل عبد العزيز لأمه وأصبحت عائلته على صلة وثيقة بآل سعود :

... كان ثلاثة عشر رجلاً على الأقل من السديري يشغلون مناصب أمراء في المملكة العربية السعودية خلال عام اليوبيل (١٣٦٩ هـ ، ١٩٥٠ م) (٨٤)

ويقول ابن بشر إن الإمام فيصل قد اختار أحمد السديري أميراً للحسا ثم للبريمي لحسن سيرته وصفاء سريره . ولقد اختار الله أحمد وأبناءه للقيام بالأعمال الطيبة كما أن سكان المناطق التي حكموها لم يلمسوا منهم أية أعمال غير جديرة بالثقة التي وضعت فيهم . فلم يحدث أن اكتنز أحدهم المال لنفسه خلال مدة

(٨٣) يعقوب بن بشر إلى كبل ، ٢٧ ربيع الأول ١٢٧٠هـ (نحو ٢٨ ديسمبر ١٨٥٣ م) .

(٨٤) فلي «اليوبيل العربي» (١٩٥٢ م) ص ٢٧١ .

خدمته ، بل كانوا يبذلون جهودهم لمعونة المكرويين ، كما أن ولاءهم للإمام كان مضرب المثل . (٨٥)

١٩٢ - كتب عبد الله بن فيصل لدى مغادرته البريمي ، إلى رؤساء الأقاليم يقول : « إني توجهت إلى نجد وأتم تكوينون في شوفت الله ثم شوفت الأمير أحمد ابن محمد السديري وتكونون في طاعته » . (٨٦) ويقول مؤرخ آل بو سعيد إن إن عربان الشمال (أى عربان إقليم البريمي) وحضر الظاهرة اعترفوا بإدارة أحمد السديري . (٨٧) وتعلن وثيقة ، لا تزال في حوزة الحكومة العربية السعودية ، مؤرخة ٥ ربيع الثاني سنة ١٢٧٠ هـ (نحو ٥ يناير ١٨٥٤ م) وتحمل خاتم أحمد ، تعلن جميع أبناء قبيلة بنى هناء ، بما فيهم سكان قرى الخيل وضم الواقعتين في عمان الداخلية ، أن عبد الله بن راشد البلوشي (الفقرة ١٨٨ السابقة) قد عين عاملاً للزكاة في منطقتهم . وتستطرد الوثيقة قائلة « ومن منع الزكاة فلا يلوم إلا نفسه » ويقول لوريمر إن أحمد

كان على ما يلوح يبذل قصارى جهده لمنع شيخ عمان المتصالح من تبادل
الاعتداءات وليكبح جماح البدو . . . (٨٨)

١٩٣ - وكان أحمد السديري كسابقه ، يتخذ من قاضي البريمي السعودي - وكان القاضي لا يزال الشيخ ناصر بن علي العربي - ساعده الأيمن في شئون الإدارة (٨٩) (الفقرة ١٦٤ السابقة) . وتعرض أمير البريمي في رسالة منه إلى

(٨٥) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١٣٣ .

(٨٦) يعقوب بن بشير إلى كبل ، ٢٧ ربيع الأول ١٢٧٠ هـ (نحو ٢٨ ديسمبر ١٨٥٣ م) .

(٨٧) ابن رزيق ، ظهر ورقة ٢٥٤ .

(٨٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١١٤ .

(٨٩) يعقوب بن بشير إلى كبل ، ٤ رجب ١٢٧٠ هـ (نحو ٢ أبريل ١٨٥٤ م) .

ابن رئيس القواسم لمبادئ الحكم السعودي ولتدبير الأمور بما يتفق وقوانين الشريعة :

إنكم تعلمون أن مجيئنا إلى هذه النواحي من طرف الإمام فيصل لأجل تأدين البادية والحضر ولا تكون فتنة بين الإسلام والفتنة الذي صارت قبل في بلادكم وصلوا عندكم ولا أصاحتهم على طريق الشرع حتى صدرت فتنة أعظم من الأولى والذين قتلوا والذين جرحوا كلهم في الذمة وكنا مرادنا مصالحة البلاد وتسكين العباد وانقطاع الفتن . (٩٠)

١٩٤ - قدم الكابتن كميل المعتمد البريطاني في الخليج الفارسي والذي عمل في تلك المنطقة مدة طويلة ، تقريراً مطولاً في عام ١٢٧٠ هـ (١ يوليو ١٨٥٤ م) عن ممتلكات حاكمي مسقط والبحرين والرؤساء البحرينيين في منطقة الخليج وعن دخلهم وعائلاتهم وغير ذلك مما يتصل بهم . وهذا التقرير تقرير هام جداً إذ أنه يكشف عن أمور متعلقة بالرأى البريطاني الرسمي قبل قرن ، وذلك عقب ستة وخمسين عاماً من ارتباط الحكومة البريطانية بمعاهدة مع حاكم مسقط ، وبعد مضي زمن أطول على إظهار الحكومة البريطانية اهتماماً لأول مرة بالرؤساء العرب على الساحل الجنوبي الشرقي . وفيما يلي مقتطفات من التقرير لها علاقة بالموضوع :

إن إمام مسقط مستقل ، إلا أنه يدفع الزكاة أو الأعشار الدينية للحاكم الروابي الأمير فيصل (الإمام فيصل) ويبلغ مقدارها ٢٠,٠٠٠ ريال سنوياً ، وذلك بمقدار ١٢,٠٠٠ ريال عن مسقط و ٨,٠٠٠ ريال عن صحار . (٩١)

وعلى الرغم من أن كميل قد أخطأ في تعريف هذه المبالغ « أعشاراً دينية » إلا أنها قد ذكرت في حاشية التقرير « مقادير سنوية تدفع أتاوة » (قارن بالفقرة ١٩٥ اللاحقة) وهذا هو الصحيح . ويستطرد التقرير فيقول :

(٩٠) أوردتها يعقوب بن بشير في رسالة إلى الكومودور روبنسون (؟) ١٨٤٠ رجب ١٢٧٠ هـ (نحو ١٦ أبريل ١٨٥٤ م) .
(٩١) مختارات بمبای ، ص ٢٨٨ .

تمتد أراضي الامام الواقعة على ساحل عمان من رأس الحد إلى صحار . ويمتلك الامام بالإضافة إلى ممتلكاته على الساحلين الغربي والإفريقي التي آلت إليه بالوراثة ، جزيرتي هرمز والقسم ، كما أن قبائل ساحل مكران ، الواقعة ما بين جاشك وبسم ، قد اعترفت به سيداً عليها . ولا يمكن تقدير مساحة ممتلكات الامام بالضبط . (٩٢)

هذا هو النص الكامل لرد كميل على طلب الحكومة الخاص بإرسال معلومات عن « حدود الأقاليم (الخاصة بحاكم مسقط) وتقدير مساحتها بالأميال المربعة » . إن لمن العسير وضع بيان يفوق هذا فعالية في الدفاع عن وجهة نظر المملكة العربية السعودية في أن أراضي هذا الحاكم وأجداده مقصورة ، منذ قرن مضى والآن ، على ساحل خليج عمان ولا تمتد كثيراً إلى الداخل ، فما بالك بامتدادها إلى أي جزء من أجزاء إقليم البريمي . ويستمر التقرير فيقول :

إن هذه الدول (المشيخات العربية البحرية) دول مستقلة إلا أنها تعترف بسيادة الحاكم الوهابي حينما تمكنه قوته أو منازعتهم من ممارسة ذلك . وينتظر من رؤساء هذه الدول أن يقدموا مساعدات حربية لحملاته وأن يمدوا جنده بالمؤن حين وجود الجند ، كما هو الحال مع حامية البريمي في عمان . (٩٣)

هذه هي الإشارة الوحيدة إلى البريمي الواردة في تقرير كميل البالغ ثلاث عشرة صفحة مطبوعة ، ويعترف فيه بلا تحفظ بتبعية البريمي إلى الدولة السعودية . ولم يرد أي شيء هنا عن مسقط أو أبو ظبي .

إن الممتلكات الإقليمية للدول البحرية مقصورة على المناطق المأهولة الواقعة على ساحل البحر ، ويمكن القول بأنها محددة بأسوار قراهم وبساتين النخيل الواقعة بجوارها مباشرة . (٩٤)

هذه في الواقع صورة صحيحة واضحة لما هي عليه هذه المشيخات الصغيرة الواقعة على الساحل . لقد كتب هذا قبل أن يقرر الموظفون البريطانيون في الخليج

(٩٢) مختارات بمباي ، ص ٢٨٩ .

(٩٣) مختارات بمباي ، ص ٢٩٢ .

(٩٤) مختارات بمباي ، ص ٢٩٢ .

ببضع سنين أن المصالح البريطانية تحتم تشجيع إحدى هذه المشيخات على الأقل ، وهي أبو ظبي ، على اتباع سياسة توسيعية تطمح في الوصول إلى ما وراء أسوار القرية (إن أبو ظبي ، على خلاف المشيخات الأخرى ، ليس لديها بساتين نخيل تذكر) لتطالب بأراض واسعة والواضح أنها تعجز عن السيطرة عليها .

١٩٥ - على الرغم من أن السجلات البريطانية المعاصرة كتلك المقتطفة في الفقرة السابقة ، تشير إلى المبالغ المدفوعة للحكومة السعودية من قبل حاكم مسقط ، على أنها « زكاة » فإن المصادر العربية المعاصرة تستعمل اصطلاحات أخرى تؤيد الرأي القائل إن هذه المبالغ كانت تشكل أتاوة سياسية لا زكاة حقيقية . إن الاصطلاح الذي يستعمله ابن رزيق هو « قانون » . (٩٥) بينما يستعمل الوكيل البريطاني في الشارقة « قاعدة » (٩٦) و « رسم » (٩٧) و « مدى » (٩٨) وهي كلمة عامية في الساحل الجنوبي الشرقي بمعنى دين أو مبلغ يتحتم على الإنسان دفعه .

١٩٦ - زار سعيد بن سلطان الذي كان حاكم مسقط وزنجبار ، القنصل البريطاني هامرتون في دار القنصلية في زنجبار عام ١٢٧١ هـ (١٥ إبريل ١٨٥٤ م) ويصف هامرتون ما حدث في رسالة إلى حكومة بمباي فيقول :

لقد وضع (الحاكم) يد ابنه في يدي ، وأراده أن يسترشد بنصائحي في جميع المصاعب ، وألا يقوم بأى عمل دون استشارتي . ثم نهض العرب فقبلوا يدي قائلين بأنهم مقتنعون الآن بفضل الله تعالى وبفضل قدرة جلالة الملكة فكتوريا القوية ، بأن كل شيء سيسير حسناً معنا . (٩٩)

- (٩٥) ابن رزيق ، ظهر ورقة ٢٥٤ .
 (٩٦) يعقوب بن بشير إلى الكابتن فيلكس جونز ، المعتمد في الخليج الفارسي ، ١٣ صفر ١٢٧٣ هـ (نحو ١٣ أكتوبر ١٨٥٦ م) .
 (٩٧) يعقوب بن بشير إلى جونز ، ١٣ صفر ١٢٧٣ هـ (نحو ١٣ أكتوبر ١٨٥٦ م) .
 (٩٨) يعقوب بن بشير إلى كبل ، ٢٤ ربيع الأول ١٢٧١ (نحو ١٥ ديسمبر ١٨٥٤ م) .
 (٩٩) مقتطفة من كروتون « القنصلية القديمة في زنجبار » ص ٢٣ .

ووضعت الحكومة البريطانية عينها في هذا الوقت على قطعة من الأرض ظنت أن باستطاعة حاكم مسقط أن يدعى بملكيتها . وكانت جزائر خوريا موريا الواقعة تجاه الساحل الجنوبي لجزيرة العرب ، تحتوى في ذلك الحين على مستودعات سجاد ذرق الطيور وكانت من أغنى ما يوجد في العالم . وكان هذا النوع من السجاد يعود بأرباح طائلة على المتعاملين به . ويلخص الأستاذ كوبلاند الوضع فيقول :

وحين سنحت الفرصة للقيام بأعمال تجارية في أطراف « ممتلكات » سعيد ، كما حدث في أواخر حكمه ، سارع رجال الأعمال البريطانيون لاغتنامها . فإنها ، بالرغم من أنها كانت محدودة المجال ، كانت على ما يظهر تبشر بأرباح طائلة بالنسبة إلى رأس المال المستثمر . وحيث أنه كان من المنتظر أن تفيد أعمالهم هذه قسماً هاماً من الأمة البريطانية فإن الوزراء البريطانيين كانوا على أتم الاستعداد لمساندتهم ، وحتى لو كان ذلك يعني ضم جزء صغير من الأراضي إلى الإمبراطورية البريطانية . (١٠٠)

ويجدر بنا هنا أن نقص قصة جزائر خوريا موريا في شيء من الإسهاب ، وذلك للدلالة على سلوك الحكومة البريطانية في الماضي فيما يتعلق بالتصرف بالأقاليم العربية وفقاً لمصالحها . لقد قررت الحكومة البريطانية أن الترتيبات التي تعود بالفائدة القصوى يمكن أن توضع سراً (١٠١) . وقد أصدرت وزارة الخارجية تعليمات إلى الكابتن فريمانتل قائد سفينة جلالتها « جونو » الذي كان على وشك الإبحار إلى الشرق . وكان اللورد كلارندون ، وزير الخارجية ، قد اعترف بأن « من الواضح أنه لاحق لنا في تلك الجزائر ، ولا نعرف تماماً لمن الحق فيها » . (١٠٢) ولكنه رأى الاتصال بحاكم مسقط في هذا الصدد . « أن مسألة وجود السجاد يجب الاجتهاد في إخفائها عن الأنظار تماماً . . . وإذا ما تردد الأمام (حاكم

(١٠٠) كوبلاند « شرق أفريقيا وغزاته » ص ٥٢٤ .

(١٠١) كوبلاند ، ص ٥٢٦ .

(١٠٢) كوبلاند ، ص ٥٢٥ .

مسقط) في التنازل بلا مقابل (فإن على فريمانتل) أن يعرض عليه مبلغاً أقصاه عشرة آلاف جنيه استرليني . (١٠٣) ودون كلارندون في مضبطته أن « لعاب الإمام سيسيل لمبلغ ٥٠٠٠ أو ١٠,٠٠٠ جنيه استرليني يدفع له مقابل أشياء عديمة الفائدة بالنسبة له » . (١٠٤) وحين وصل فريمانتل إلى زنجبار كان حاكم مسقط غائباً ، فكتب هامرتون إلى الحاكم بما يتضح من هذه الفقرة :

لم أشر إلى السداد ولكنني جعلته (أي الامام) يفهم أن بريطانيا تريد أن تمتلك هذه الجزائر لتمنع تسربها إلى ملكية أية أمة أخرى ، كما أنها ستنتفع بها محطة لتزويد البواخر البريطانية بالفحم ومحطة بحرية للمخازن . (١٠٥)

ولحق فريمانتل بسعيد بن سلطان في مسقط . ولدى طرده الموضوع عرض سعيد أن يتنازل عن الجزائر بلا مقابل . (١٠٦) فأبلغ فريمانتل كلارندون :

لقد أنهى كلامه (أي سعيد) قائلاً إن احتاجت جلالة الملكة أي قسم آخر أو ممتلكاته بأكملها ، سواء في جزيرة العرب أو في إفريقيا ، فإنه على أم الاستعداد لأن يتخل عنها بجلالاتها . (١٠٧)

وقام وزير المستعمرات ، الذي عهد إليه بإدارة الممتلكات الجديدة ، بسؤال كلارندون

عما إذا كان ذلك التنازل بلا مقابل عن الجزائر يمكن أن يعد ملزماً ، من ناحية الانصاف والعدل ، بما أنه قد حصل عليه باخفاء متعمد لقيمة ما تنوزل عنه . (١٠٨)

(١٠٣) كويلاند ، ص ٥٢٧ .

(١٠٤) كويلاند ، ص ٥٢٧ .

(١٠٥) كويلاند ، ص ٥٢٨ .

(١٠٦) يوجد النص الإنكليزي لوثيقة التنازل في ايتشيسون « المعاهدات » مجلة ١١ ، ص ٣٠٢ ، حيث يجب أن يكون التاريخ الأول ١٤ يوليو ١٨٥٤ بدلا من ١٤ يونيو ١٨٥٤ .

(١٠٧) كويلاند ، ص ٥٣٠ .

(١٠٨) كويلاند ، ص ٥٣١ - ٥٣٢ .

وكان رد وزارة الخارجية صريحاً ، إذ قالت :

إن الهدف الظاهر من الحصول عليهم هو إيجاد مخزن فحم للسفن بين الهند والسويس ، بينما الهدف الحقيقي هو الاستيلاء ، لأهداف بريطانية ، على السهات المفروض أنه موجود في الجزائر . (١٠٩)

وحاول اللورد كلارندون أن يريح ضميره بإرسال علبة نشوق إلى سعيد « دليلاً على تقدير الحكومة البريطانية لاستعداده للامتثال لرغباتها »^(١١٠) ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أن الأباضيين أمثال سعيد يستنكرون استعمال جميع أنواع التبغ . . . وصرحت حكومة بمباي أن الجزائر « لا تصلح البتة . . . محطة للتزويد بالفحم . . . وبما أنه ليس لها أية موانئ فإنه لا يمكن لعدو الدفاع عنها حيال القوة البحرية البريطانية » .^(١١١) وحين وصلت أولى الفرق البريطانية لاستغلال السهات الذي في الجزائر ، طردها عرب المنطقة الذين أكدوا أن هذه الجزائر « لم تكن أبداً ملكاً للإمام » .^(١١٢) ووافق المعتمد السياسي البريطاني في عدن على هذا الرأي ، قائلاً إن سعيداً ليس له أية سلطة فعلية على الجزائر وإن التنازل « باختصار لاغ » .^(١١٣) إلا أن الحكومة البريطانية تمسكت بالجزائر فأرسلت سفينة بريطانية حربية لحماية الشركة المستغلة ، وبتسخير العمال انتزعت مستودعات الجزائر الثمينة خلال السنوات القليلة التي تلت . ومن ذلك الوقت لم تعرها الحكومة البريطانية أى اهتمام يذكر . وينهى الأستاذ كوبلاندر سرده قائلاً :

لا نستطيع أن نقول إن سكان الجزائر قد استفادوا إذ أصبحوا رعايا الملكة فكتوريا بدلاً من رعايا السيد سعيد . (١١٤)

(١٠٩) كوبلاندر ، ص ٥٣٢ .

(١١٠) كوبلاندر ، ص ٥٣٢ .

(١١١) كوبلاندر ، ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

(١١٢) كوبلاندر ، ص ٥٣٥ .

(١١٣) كوبلاندر ، ص ٥٣٦ .

(١١٤) كوبلاندر ، ص ٥٤٤ .

١٩٧- وزار أحمد السديري الشارقة في عام ١٢٧٠ هـ (مايو ١٨٥٤ م) حيث حاول رئيس القواسم أن يقنعه بالانضمام إلى هجوم على أبو ظبي . إن رد الأمير السعودي على هذا العرض كما أورده الوكيل البريطاني في الشارقة جدير بالملاحظة :

أنا لا أعاهد على مثل هذا ومرادك حرب بني ياس وحكومة مسقط وكلهم لهم معاهدة مع الإمام فيصل ، ونحن نحافظ على العهد والصدقة فلا يمكن أن نمالك عليهم. (١١٥)

فلما سمع رئيس القواسم هذا ، طلب الصفح لعرضه هذا الأمر إلا أن الأمير كلمه بشدة :

أنت يا شيخ ينبغي أن تعاهد على السمع والطاعة عن المخالفة . (١١٦)

وفي رسالة أخرى كتبت في نحو هذا الوقت يطرى الوكيل البريطاني تصرف الأمير السعودي وخلقه الممتازين . (١١٧)

وبعد فترة كتب الأمير رسالة إلى الوكيل ، نقتطف منها ما يلي :

... نحمد الله الذي تم به الصالحات . . . ونحن كذلك لا نجب إلى الخير والعبادة وأن يكون حال الجميع جميل .
ولا نعامل أحد إلا بالصدق وحسن السيرة . ومن أبا عن الزين وعدم التوفيق له من الله . . . (١١٨)

١٩٨- في عام ١٢٧٠ هـ (صيف ١٨٥٤ م) أصدر أحمد السديري تعليماته إلى قبيلة المناصير في الظفرة من ناحية ، ومن ناحية أخرى إلى قبائل بني قتب ونعيم وبني كعب والغفلة والدروع ليحافظوا على السلم العام المفروض

(١١٥) يعقوب بن بشير إلى كبل ، شعبان ١٢٧٠ هـ (مايو ١٨٥٤ م) .

(١١٦) يعقوب بن بشير إلى كبل ، شعبان ١٢٧٠ هـ (مايو ١٨٥٤ م) .

(١١٧) يعقوب بن بشير إلى كبل ، ٢٩ شعبان ١٢٧٠ هـ (نحو ٢٧ مايو ١٩٥٤ م) .

(١١٨) واردة في رسالة من يعقوب بن بشير إلى كبل ، ٢٣ شوال ١٢٧٠ هـ (نحو ١٩

يوليو ١٨٥٣ م) .

من قبل الدولة السعودية . ومثل المناصير في المباحثات جريو رئيس آل بلشعر . (١١٩)
وقد برهن المناصير على أنهم صعب المراس فاضطر الأمير السعودي لإرسال
حملة عليهم في الجواء وذلك في أشهر الشتاء . فقتل خمسة وعشرون من المناصير
واستولى على ستائة من جامهم . وحسب مقتضيات الشريعة أخذ الأمير خمس
الغنيمة للدولة . (١٢٠) ويقول لوريمر عن هذه الحملة :

. . . ولدى رفض شيخ أبو ظبي أن يكون مشولا عن تصرفات المناصير ، جرد
(أحمد السديري) حملة ناجحة ضد هذه القبيلة التي تعيش على النهب والسلب . (١٢١)

١٩٩ - كان مبعوث أحمد السديري في عامي ١٢٧٠ و ١٢٧١ هـ (١٨٥٤ م)
و (١٨٥٥ م) لأخذ الأتاوة من حاكم مسقط هو سيف بن علي الظاهري ،
أحد كبار شخصيات قبيلة الظواهر في البريمي . (١٢٢)

٢٠٠ - تراسل الإمام فيصل في عام ١٢٧١ هـ (١٨٥٥ م) مع المعتمد
البريطاني في الخليج الفارسي ، فوصف رسالته في البريمي

بأنها رسالة منقذ كبح جاح قبائل الداخل الهمجية ، ومنهما من السلب وقتل
أهالي الساحل العزل . (١٢٣)

وأشار الإمام بارتياح « إلى التفاهم الذي دام مائة عام بيننا وبين الحكومة
البريطانية فيما يتعلق بسلامة التجار والمسافرين المارين بالبحر » . (١٢٤)

- (١١٩) يعقوب بن بشير إلى كبل ، ٢٥ ذى القعدة ١٢٧٠ هـ (نحو ١٩ أغسطس ١٨٤٥ م) .
(١٢٠) يعقوب بن بشير إلى كبل ، ٢٣ صفر ١٢٧١ هـ (نحو ١٥ أكتوبر ١٨٥٤ م) .
(١٢١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٢٦ .
(١٢٢) يعقوب بن بشير إلى كبل ، ٢٤ ربيع الأول ١٢٧١ هـ (نحو ١٥ ديسمبر
١٨٥٤ م) و ١٧ ربيع الثاني ١٢٧١ هـ (نحو ٧ يناير ١٨٥٥ م) .
(١٢٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١١٤ .
(١٢٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١١٨ .

٢٠١ - وفي عام ١٢٧١ هـ (١٨٥٥ م) وقعت مشاكل بين سعيد بن طحنون وبين عدد كبير من أفراد بني ياس . لقد قتل أحد رجال القرية الكبار أخاه فأراد سعيد أن يقتله ، وانحاز الناس إلى جانب القاتل ، ووافق سعيد على التخلي عن عقوبة الإعدام ، ولكن ما أن أحضر القاتل أمامه حتى « استل خنجره وقتله بنفسه » .^(١٢٥) فثار الناس وطردهوا سعيداً من البلدة واختاروا خلفاً له ابن عمه زايد بن خليفة . وبعد تولية زايد مباشرة طالبه البريطانيون بدفع تعويض لعمل من أعمال القرصنة الذي قامت به سفن تملكها أبو ظبي ، بجوار خور العديد .^(١٢٦)

٢٠٢ - حين حاول سعيد بن طحنون استرجاع مكانته خلال شهر ذى الحجة عام ١٢٧٢ هـ (يوليو ١٨٥٦ م) ، ناشد زايد الإمام فيصل أن يساعده ، فأصدر الإمام تعليماته إلى أحمد السديري في البريمي ليقدم إليه المساعدة التي يحتاجها .^(١٢٧) وبهذه الطريقة استطاع زايد أن يستعيد سلطته في أبو ظبي بينما خسر سعيد بن طحنون حياته في القتال .

٢٠٣ - توفي سعيد بن سلطان حاكم مسقط وزنجبار في ١٩ صفر ١٢٧٣ هـ (١٩ أكتوبر ١٨٥٦ م) على ظهر سفينته « فيكتوريا » وهو في طريقه من عاصمته السابقة إلى عاصمته الجديدة . وقبل وفاته بوقت قصير « وحتى وهو في حالة تصف غيبوبة ، كان يطلب باستمرار الكولونيل هامرتون ، القنصل البريطاني في زنجبار وقد كانت بينهما علاقات ود قديمة . ويشك في أن سعيداً كان يريد أن يدلّه على مكان كنوزه الخبأة ، والتي لم يعثر عليها رغم البحث

(١٢٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٦٨ .

(١٢٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٢٠ .

(١٢٧) روس في التقرير الإداري (١٨٧٩ - ١٨٨٠ م) ص ٤٩ .

الدقيق». (١٢٨) وقد خلف سعيداً حاكماً لمسقط ابنه ثويني ، بينما خلفه حاكماً
لزنجبار ابنه ماجد .

٢٠٤ - عاد أحمد السديري إلى الحسا نحو عام ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م)
وحل مكانه أميراً للبريمي ابنه تركي . لقد دبر تركي خلال اثني عشر عاماً
أمور إقليم البريمي بذكاء حاد ويد حازمة واهتمام عظيم بأمور الناس الذين
تحت إمرته . وهو الذي بنى القصر الشهير في وسط الواحة المعروف باسم قصر
السديري . (١٢٩) وامتدت الأراضي التي كانت تحت سلطته غرباً إلى أطراف
الحسا . (١٣٠) بما في ذلك الظفرة بأكملها . وكان يوظف في أعمال الأمن أفراد
قبيلة المناصير من الظفرة . (١٣١) وكان ممثله لتسلم الأتاوة السنوية من مسقط ،
محمد بن سيف ، أحد رؤساء النجدات في قرية العين الواقعة في القسم الجنوبي
من واحة البريمي . (١٣٢) وقوى تركي علاقاته في الواحة بزواجه من ابنة أحمد بن
محمد من آل سرور ، أكبر شيوخ الظواهر ، بينما تزوج أخوه عبد الرحمن ،
وقد كان مشتركاً معه في الإدارة ، من ابنة سلطان بن محمد الصلف ، أحد
رؤساء آل بوخريبان من نعيم . (١٣٣) لقد كانت محافظة تركي السديري على
السلم وصيانيته للأمن العام وخدمته لاحتياجات المواطنين السعوديين في إقليم
البريمي ، من الروعة بحيث أن سجل إدارته خلال السنوات العديدة التالية كان
خالياً من أي اضطراب أو نزاع . فكان الناس يقومون بأعمالهم العادية ، ربما
من غير أن يصنعوا تاريخاً ، ولكنهم كانوا يحيون حياة آمنة تحت الحماية التي

(١٢٨) سعيد - روته « سعيد بن سلطان » ص ٨٩ .

(١٢٩) « عقود الجمان » ص ١٥٧ .

(١٣٠) « عقود الجمان » ص ١٠٦ .

(١٣١) « عقود الجمان » ص ١٠٧ .

(١٣٢) « عقود الجمان » ص ١١٥ .

(١٣٣) « عقود الجمان » ص ١٠٦ .

قدمت إليهم مقابل تأديتهم واجباتهم مواطنين في الدولة السعودية ، حسب توصيات الإمام فيصل (الفقرة ١٥٩ السابقة) .

٢٠٥ - وفي الفترة عينها تولى تركي ، أحد أبناء سعيد بن سلطان ، الحكم على صحار تحت سلطة أخيه ثويني في مسقط . وفي حوالى عام ١٢٧٥ هـ (أكتوبر ١٨٥٨ م) كتب تركي هذا إلى ثويني يقول :

وقد اخبرتك أخانا الفعل الذي جرى من خدامك نعم أهل القابل وهم لا صاروا رعية حتى اننا نهبهم . . . وهذا شيء لا يخفى على أحد انه فعل أهل الظاهرة (رعايا الأمير الوهابي) . (١٣٤)

إن الإشارة في هذا النص إلى أهالي الظاهرة على أنهم رعايا الحاكم السعودي قد أضافها المترجم ، وهو الموظف البريطاني باجر ، الذي صرح بهذا دون أى تحفظ أو استثناء .

٢٠٦ - وعلى الرغم من أن ماجد قد تولى الحكم على زنجبار بعد وفاة والده سعيد بن سلطان ، إلا أن أخاه ثويني الذي كان في مسقط لم يتخل في بادئ الأمر عن ادعائه بالسيادة على الأراضى الافريقية . وتدخلت الحكومة البريطانية فحكمت في النزاع اللورد كاننج نائب الملكة في الهند الذي أصدر قراره عام ١٢٧٧ هـ (٢ إبريل ١٨٦١ م) بجعل مسقط وزنجبار دولتين مستقلتين بعضهما عن بعض . (١٣٥) إن قاعدة «فرق تسد» قاعدة قديمة يضعها الباحثون عن تعزيز سلطتهم نصب أعينهم . وأبدى البريجادير كوفلن المعتمد السياسى البريطانى في عدن الذى كان مسئولاً عن هيئة التحقيق التى بنى نائب الملكة على أساس أبحاثها قراره ، أبدى الملاحظات التالية فيما يتعلق بالدولتين المعنيتين ، مسقط وزنجبار :

(١٣٤) أوراق باجر ، وجه ورقة ٧٥ .

(١٣٥) النص الانكليزى في ايتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٣٠٣ .

... ان التكوين السياسى العجيب ، إن صح هذا التعبير ، هاتين الدولتين ،
... والطبع الشرس والتعصب المتسكن للقبائل العربية فى جميع المسائل المتعلقة
بأى شكل من الأشكال بحقوقهم الموروثة ، بله طمعهم الجشع . . . (١٣٦)

وفى مكان آخر يتحدث البريجادير كوفلن عن حاكم مسقط بأنه « أحد
الأمراء المحليين الذين يعملون تحت رئاستنا » . (١٣٧) ووجد القس باجر ،
المستشرق الذى قدم خدمات جليلة للهيئة ، أن ثوينى فى مسقط لم يكن مسروراً
من تصرفات المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى . وتكلم ثوينى

عما عده تدخلًا لا مبرر له من قبل المعتمد فى أبو شهر وعن تدخل وكلائه المحليين
فى الخليج الفارسى فى حقوقه كحاكم . (١٣٨)

وجمع باجر أيضاً معلومات ممتعة (الملحق ٩٢) عن العلاقات بين المعتمد
والرؤساء البحرينيين مدة ثمانية أعوام بعد توقيع معاهدة ١٢٦٩ هـ (١٨٥٣ م)
التي كثيراً ما يشار إليها بأنها أعظم نعمة أسبغها البريطانيون على أهالى الخليج .
ويلخص باجر الوضع كما وجدته فيقول :

إن اعتقادى القوي ، من تجارى الشخصية مع القبائل العربية وما سمعته عن تلك
المنطقة بالذات ، هو أن نفوذ المعتمد البريطانى بالخليج كان من شأنه أن يكون
أكثر نفعاً لو كانت أعماله تتم فى روح أوسع من الهجامة والمصالحة ، ولو كانت
أحكامه تقتزن بفرامات أقل . أما واقع شعور الرؤساء البحرينيين فهو الترحيب
بوجود أية قوة بحرية أخرى فى الخليج وذلك باعتباره فرصة مواتية لقطع جميع
العلاقات الودية مع البريطانيين . (١٣٩)

٢٠٧ - وقد وقعت الحكومتان البريطانية والفرنسية تصريحاً مشتركاً فى عام
١٢٧٨ هـ (١٠ مارس ١٨٦٢ م) تتعهدان فيه « بأن تحترما على أساس المقابلة

- (١٣٦) أوراق باجر ، وجه ورقة ١٨٥ .
- (١٣٧) أوراق باجر ، ظهر ورقة ٢٦ .
- (١٣٨) أوراق باجر ، وجه ورقة ٢٧٤ .
- (١٣٩) أوراق باجر ، وجه ورقة ٢٩٠ .

بالمثل، استقلال سلطان مسقط وسلطان زنجبار « (١٤٠) وقد ظهر في عدة مناسبات فيما بعد أن هذا التصريح هو الحائل الرئيسي دون ضم مسقط إلى الإمبراطورية البريطانية مباشرة أو فرض حماية بريطانية عليها. (١٤١) ولهذا يمكن أن نلاحظ بعض الظروف التي أحاطت بذلك التصريح :

لقد أشار التصريح - بسبب خطأ كئابي - إلى سلطان مسقط كما لو كان سعيه لا يزال حياً، ولم تحدث تجزئة في بلاده، (١٤٢) وعلى الرغم من أن الاتفاق كان مقصوداً أن ينطبق على شرق أفريقيا فقط، إلا أنه تقرر مده إلى عمان حيث أثير الموضوع بصفة عرضية. (١٤٣)

وعلى الرغم من أن حكومة الهند هي التي كانت مسئولة عن تصريف العلاقات مع مسقط، إلا أنها « ظلت جاهلة بوجوده (التصريح) حتى عام ١٨٧١ ». (١٤٤) أي مدة تسع سنوات بعد توقيعه. وهكذا دخلت الحكومة البريطانية بهذا الشكل العرضي المرتجل في تعهدات جديدة بصدد مستقبل دولة مسقط.

٢٠٨ - وقد تعين اللفتنت كولونيل لويس بلي معتمداً بريطانياً بالخليج الفارسي في عام ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م)، وقد لعب دوراً هاماً على مسرح

(١٤٠) النصوص الانكليزية والفرنسية في ايتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١، ص ٣٠٤-٣٠٥.

(١٤١) يذكر لوريمر أن التصريح قد وجد فيما بعد تقييد غير مريح. لوريمر، مجلد ١، ص ٢٤٧.

(١٤٢) « عند ما رأى المسيو توفنيل (وزير الخارجية الفرنسية) الصورة الأولى (للتصريح) أشار ملاحظاً أن ثمة حاكين اثنين. وكان لدى كاوي (اللورد كاوي، السفير البريطاني في باريس) فكرة مبهمة بأنهما شخص واحد ». كويلاند « استقلال شرق أفريقيا » (١٩٣٩ م) ص ٣٦، هامش ١.

(١٤٣) كويلاند، ص ٣٥.

(١٤٤) لوريمر، مجلد ١، ص ٢٤٧ و ٤٧٧.

الحوادث هناك خلال الأعوام التسعة التالية . وقد جاء بلى إلى الخليج بعد اتصال
طويل مع الجنرال جون جي كوب الذي كان بلى معجباً بأرائه الصريحة عن موقف
بريطانيا في الشرق إلى درجة أنه جمعها ونشرها في مجلد لتنوير الجمهور البريطاني .
وتلخص هذه الآراء في الصفحات الأولى من هذا المجلد :

سر حكمتنا في الهند

إن الحكم الذاتي أمر ضروري لازم للانصر الانجلو ساكسوني ، أما الشرق فإذا
فرضت عليه أن يأخذ نصيباً في الحكم ، فإن الحال لن تجد حكومة على الإطلاق .
فبينما يعتبر الأول أن أي تدخل لا لزوم له في حريته أمر خاطيء كما أنه يفكر
ويتصرف على أساس أن الجميع الناس حقوقاً متساوية ، إذا بالثاني يعتبر أن
اجباره على حكم نفسه هو منتهى الظلم والظلم . وهو ينتظر أن يحكم وأن يكون
ذلك الحكم صالحاً ، وإلا فإنه ربما يشور ويهلك حكاه الفاسدين ، ولكنه
لا يحاول بشكل ما أن يقم معالم الحرية .

ومن الواضح أن عنصرين من الناس ، مختلفين في الشعور وفي مبادئ العمل ،
لا يمكن قط أن يحكما في نجاح بنظام واحد يفرض عليهما معاً . ولكن بيننا يعجز
أهالي الهند عن حكم أنفسهم بأنفسهم ، إلا أنهم يشعرون مثل باقي البشر بالإخلاص
والعرفان نحو أولئك الذين يرفعون مركزهم الأدبي والفكري والاجتماعي ، كما أنهم
مدفوعون برغبة قوية وحمية صادقة لإظهار جدارتهم بالمركز المحترم الذي رفعوا إليه .
وفي الوقت الذي يشككون فيه في اندادهم ولا يقبلون حكمهم ، فإنهم يخضعون
بسرور للجنرال الإنكليزي الذي يعرفون ويشعرون جميعاً بأنه أسمى منهم
ومتميز عليهم .

ولهذا فإننا نحفظ بالهند لكوننا في الحقيقة ، كما نحن بالسمة ، عنصر أرق
من العنصر الآسيوي . ولو لم يكن هذا التميز الطبيعي لما احتفظنا ولا استطدنا
الاحتفاظ بالبلاد مدة أسبوع واحد . ولذلك فإذا كنا حقيقة عنصرأ متميزاً أدبياً
ومحفوظاً بدوافع سامية وحائزاً على صفات أرق من العنصر الآسيوي فإنه كلما
ازداد فهم أهالي الهند لنا وكلما زدنا من قدرتهم على ذلك الفهم ، ثبتت قوتنا
وتوطدت . ولذلك فلنترك دعوى المساواة جانباً ولنقبل مركزنا الحقيقي عنصرأ
مسيطرأ . وعلى أساس وضعنا فلنوطد حكمتنا بأن نضع لهم مثالا عالياً ، وبأن
نشرهم بقيمة الصدق والأمانة ، وبأن نرفع قواهم الأدبية والفكرية .

أما إذا لم تكن ممتازين على الهنود ، فإن أية محاولة للاحتفاظ بسيادتنا عليهم تكون ميثوساً منها كما تكون آثمة ، وإن بريطانيا لا ترغب ، ولا تستطيع ، أن تكون قوية في الباطل . - (١٨٥٤ م) . (١٤٥)

وقد أوصى بلي ، إذ وجد أبو شهر على جانب الخليج الفارسي مركزاً غير ملائم لمقر المعتمد ، باختيار موضع آخر في الأراضي التابعة لمسقط يكون :

صالحاً لأن يصبح مستعمرة أو على الأقل قنطرة من الحياة المتحضرة في محيط من البربرية على طول الساحل العربي ، بحيث تدخل وسائل المدنية الصحراوية السليمة ، وهي وسائل طبيعية في عملها لكنها بطيئة ، فانطرد هذه البربرية والهجينة المريضة . واعتقد أنك تجد مثل هذه الوسائل ، سواء في قمع القرصنة أو الرق ، أثبتت وفي النهاية أنجح من القمع الحربية أو التهديد إنج ومن الزيارات الرسمية من جانب معتمدكم . (١٤٦)

٢٠٩ - وفي عام ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) قام البدو من نعيم وآل مرة والمناصير بإخلاق الأمن وذلك بارتكاب أعمال النهب في منطقة الحسا . فاتخذ عبد الله بن الإمام فيصل إجراءات تأديبية ضدهم ، منزلاً بهم العقاب عند مورد حليوبين جنوب خور العديد (١٤٧) .

١١٠ - زار اللفتنت كولونيل بلي الإمام فيصل في الرياض في شوال عام ١٢٨١ هـ (مارس ١٨٦٥ م) ، وهي أول مرة يتوغل فيها معتمد بريطانيا إلى هذا الحد داخل جزيرة العرب . ويقول بلي إن هدفه من هذه الزيارة كان في الدرجة الأولى إقامة علاقات صداقة مع الحاكم السعودي :

... لقد شعرت واثقاً أنه إذا ما استطعت أن أعيد إقامة العلاقات مع حاكم كفيصل ، فإننا نستطيع أن نتوقع فائدة من نفوذه على رؤساء الساحل دون أن نخشى أن هذا النفوذ سيبدل في اتجاه يتنافى والاتجاه التمدني . (١٤٨)

(١٤٥) الكابتن لويس بلي « آراء البريجادير جنرال جون جيكوب ونظراته » (الطبعة الثانية ١٨٥٨ م) ص ١ - ٢ .

(١٤٦) مقتطفة في لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٢٥٥ .

(١٤٧) ابن عيسى « عقد الدرر » ص ٥٠ .

(١٤٨) لويس بلي « تقرير عن رحلة إلى عاصمة الوهابيين الرياض في قلب جزيرة العرب » (١٨٦٦ م) ص ٧ .

إلا أن الكوماندنر هوجارث ، بعد أن عمل مديراً للمكتب العربي التابع للحكومة البريطانية في القاهرة خلال الحرب العالمية الأولى ، كان في مركز يمكنه من أن يربط بين بعثة بلي ورحلة أخرى إلى الرياض قام بها قبل عامين ولیم جيفورد بالجريرف ، وكان البريطانيون يشتبهون في أنه جاسوس لناپليون الثالث . ويقول هوجارث إن بلي « قد أرسل بقصد أن يقدم عرضاً أكثر سخاء مما قدم سلفه » .^(١٤٩) وإنه لمن العسير أن نتوقع من رجل متشبع بفلسفة الجنرال جيڪوب إلا أن يجد جهد حركة الدعوة إلى التوحيد « مبدولاً في الدرجة الأولى في اتجاه الشر »^(١٥٠) . ولكن بلي يقول إن

جميع الاطراف قد اعترفت بأن الأمير فيصل بن سعود (الامام فيصل بن تركي آل سعود) هو حاكم شديد عادل ، لم يسبق له مثيل في النجاح في كبح جماح قبائله ، كما كان يود أن يزرع بينهم عادات المتحضرين ، وأن يوجه أفكارهم نحو الزراعة والتجارة . (١٥١)

وأبلغ بلي الإمام فيصل أن

ليس للحكومة الانكليزية أي غرض فيما يختص بقبائل جزيرة العرب عدا أن تترام يعيشون في سلام ورفاه في حدود ديارهم وتحت سلطة حكامهم . (١٥٢)

وإن هذا يعيد إلى الذاكرة نية البريطانيين عام ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م) في « التخلي عن كل تدخل في الشؤون الداخلية لجزيرة العرب » (الفقرة ١٦٠ السابقة) ، دون الإشارة إلى قول بلي عن « قطرة من الحياة المتمدنة ، في محيط من البربرية على طول الساحل العربي » (الفقرة ٢٠٨ السابقة) أو إلى الأعمال

(١٤٩) هو جارث « جزيرة العرب » ص ١١٥ .

(١٥٠) بلي ، ص ٧ .

(١٥١) بلي ، ص ٧ .

(١٥٢) بلي ، ص ٥١ .

التي قامت بها الإمبراطورية البريطانية من حماية أية مشيخة من المشيخات البحرية . وقد قدم الإمام فيصل بياناً إلى بلي عن مدى اتساع أملاكه :

لقد كان دائم الحديث عن نفسه بصيغة الجمع ، واعتبر جميع جزيرة العرب تقريباً مملكة له . وقال « إن أرض جزيرة العرب هذه ، من الكويت عبر القطيف ورأس الخيمة وحمان ورأس الحد وفيما وراها ، التي منحنا إياها الله . . . ثم قال « إن مسقط تؤدي لنا الاتاوة وقد استولينا عليها بقوة السلاح . وكان الإمام السيد سعيد المتوفى يفهم الأمور ويتمشى مع الترتيبات . ولكن السيد ثويني كان يختلف عن ذلك ، ويجب قهره بالقوة » . (١٥٣)

إن بلي لا يطعن في دقة هذا البيان سواء في الحديث الذي دار بينه وبين الإمام أو في تقريره إلى حكومة بمباي . إنه هو نفسه في مكان آخر يحدد مدى اتساع مساحة الدولة السعودية فيقول :

إنها تسيطر على ساحل الخليج الفارسي الغربي ، وعلى ساحل عمان . وتتلقى الاتاوات نقداً أو عيناً ، من رؤساء البحرين وأبو ظبي ودي و أم القيوين وعجمان والشارقة ورأس الخيمة . كما أنها تملك مركزاً عسكرياً بارزاً في البريمي ، يقع على مسافة بين هؤلاء الرؤساء وسلطنة مسقط ، التي تدفع الاتاوة أيضاً . (١٥٤)

وتحدث الإمام فيصل بعض الشيء أيضاً عن طبيعة حكمه فقال :

. . . . لتكن جزيرة العرب مهما كانت ، فهي لنا . وإننا لنجرؤ على القول بأنك تتسامل كيف باستطاعتنا أن نظل هكذا هنا ، منعزلين عن سائر العالم . ومع هذا فنحن قانعون . إننا أمراء بطبيعتنا على قدرنا . « إننا نشعر بأنفسنا ملوكاً في كل شيء » . وقال إن بإمكانه أن يحكم العرب التائبين له ، وإن خطته هي أن يضرب بشدة على أيدي رؤساء القبائل حين يقوم أتباعهم بأعمال السلب أو يرتكبون جرائم أخرى . (١٥٥)

وقرب نهاية زيارة بلي قال محبوب بن جوهر ، أحد أفراد حاشية الإمام (وليس كاتبه كما فهم بلي خطأ) والذي أصبح فيما بعد أميراً على البريمي ،

(١٥٣) بلي ، ص ٥١ - ٥٢ .

(١٥٤) بلي ، ص ٧٣ .

(١٥٥) بلي ، ص ٥٥ .

(الفقرة ٢٣٣ اللاحقة) إن «الإمام قد خوله سلطة عرض معاهدة تبادل تلزمه بمنع عرب عمان والخليج من ارتكاب أعمال السلب أو الإضرار بمنشآتنا البرقية». (١٥٦) وبالنظر لهدف بلى الواضح في تحسين العلاقات ، فقد كان متوقفاً منه أن يبدى اهتماماً بهذا العرض ، إلا أنه لا لسبب سوى شعوره بأن مسلك محبوب الشخصى كان «يقوم على رفع الكلفة إلى حدما ، فقد رفض العرض كلياً». (١٥٧)

٢١١ - وفي ملحق لتقريره عن رحلته إلى الرياض يورد بلى قائمة بأسماء القبائل الخاضعة للدولة السعودية ، وقيمة الزكاة السنوية التي تدفعها كل قبيلة منها . ومع أن القائمة ليست كاملة ، فإنها لا تغفل ذكر آل مرة ، الذين دفعوا ٣٠٠٠ ريال ، والمناصير الذين دفعوا ٢٠٠٠ ريال . (١٥٨)

٢١٢ - وفي عام ١٢٨٢ هـ (يونيو ١٨٦٥ م) أصيب الإمام فيصل بنوابة شلل ، فتولى ابنه الأكبر عبد الله إدارة شئون الدولة . وأدت حادثة وقعت في الصيف إلى تدهور العلاقات بين البريطانيين والحكومة السعودية ، كما سيذكر ذلك في القسم الخاص بحكم عبد الله (الفقرة ٢١٤ اللاحقة) . وتوفي الإمام فيصل في رجب من نفس العام . (١٥٩) وبويع عبد الله حاكماً جديداً . إن وفاة فيصل قد حرمت جزيرة العرب من رجل يعد من أعظم رجالها في العصر الحديث . وإن ذكره ما زالت موضع التقدير والاحترام في الجزيرة بأسرها ، ورجال الفرع الذى ينتمى إليه من آل سعود يطلقون على أنفسهم اليوم لقب آل فيصل بكل اعتزاز وفخر .

(١٥٦) بلى ، ص ٥٧ - ٥٨ .

(١٥٧) بلى ، ص ٩٣ .

(١٥٨) بلى ، ص ٩٣ .

(١٥٩) إن التاريخ المضبوط كان ٢١ رجب ١٢٨٢ . ابن عيسى «عقد الدرر» ص ٥٤ .

١٥ - العهد الأول لحكم الامام عبد الله بن فيصل
١٢٨٢ - ١٢٨٧ هـ (١٨٦٥ - ١٨٧١ م)

٢١٣ - كان عبد الله ، وهو الوكيل الرئيسى لأبيه مدة طويلة فى تسيير أمور الدولة ، على أتم استعداد لمواصلة الحكم السعودى حسب مبادئه التقليدية . فصيانه الأمن وتطبيق العدل وجمع الزكاة ، كلها سارت فى الطريق المعتادة ، خلال فترة حكمه إلى أن ظهرت فجأة نكبة الحرب الأهلية .

٢١٤ - وعجلت حادثة وقعت فى صور ، الواقعة فى أقصى أطراف جزيرة العرب فى ناحية الشرق ، قبل وفاة الإمام فيصل بفترة قصيرة ، على خلق أزمة مع الإنكليز . لقد أرسل تركى السديرى ، رداً على التماس تقدم به أفراد من قبيلة الجنبه ، وهم مقيمون فى صور ، أرسل فرقة من الجند إلى هناك . ونشأ نزاع فى البلدة ، لا يزال الكثير من تفصيلاته مجهولاً ، وطبقاً لما ترويه السجلات البريطانية فقد قتل شخص واحد وجرح آخر وقدر التجار الهندوكيون وهم رعايا بريطانيون ، خسارتهم بمقدار ٢٧,٧٠٠ ريال . (١) ، ومع أن الحادث يدعو إلى الأسف ، إلا أنه ليس بالخطورة التى صورها المسئولون البريطانيون المعاصرون ، بالإضافة إلى أنه لم يجر تحقيق لتحديد الجهة التى تقع على عاتقها مسئولية ذلك العمل . وتقول رسالة تلقاها المعتمد البريطانى ويدل فحواها على أنها واردة من الإمام فيصل ، بأن الأوامر قد صدرت لإطلاق سراح أى من الرعايا البريطانيين الذين من الممكن أن يكون قد ألقى القبض عليهم مع إعادة ممتلكاتهم إليهم . (٢) وعلى الرغم من هجة رسالة الإمام الودية ، فإن الحكومة

(١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٧٤ .

(٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٢٢ .

البريطانية أخذت تعمل بطريقة كان قد استنكرها القس باجر قبل ذلك بأربع سنوات (الملحق ٩٢) .

... بعد أن أدركت السلطات البريطانية في الهند أن السياسة والمصالح الشخصية تتطلب منها التخلي عن موقفها الحيادي المعتاد ، أوعزت إليه (أى حاكم مسقط) بالمقاومة وأبدت استعدادها لمساعدته بالعتاد والسفن الحربية لإعادة تدعيم سلطته في الأماكن التي قضى عليها الوهابيون فيها . وبناء على مشورة الكولونيل بلي ، فقد جرى تزويد ثويني بمدفعين وبكيفية كبيرة من مسحوق البارود وأسلحة أخرى لمهاجمة البريمي التي كان من الواضح أنها مفتاح الطريق إلى السلطة الوهابية في عمان ، وبدأ السلطان في جمع قبائله استعداداً للحملة ... (٣)

وباتخاذ هذه الحادثة البسيطة عذراً خفيفاً ، تخلى البريطانيون في هذه الفترة عن سياسة عدم التدخل في شؤون جزيرة العرب الداخلية ووقفوا بقوتهم وراء حاكم مسقط سعياً وراء إخراج السعوديين كلياً من البريمي وشرق جزيرة العرب .

٢١٥ - وفي عام ١٢٨٢ هـ (يناير ١٨٦٦ م) أرسل بلي إنذاراً إلى الحاكم السعودي . وإذ انقضت الفترة المحددة لتلقى جواب على الإنذار ، تلك الفترة التي كانت قصيرة بالنظر إلى صعوبة المواصلات في جزيرة العرب ، قام البريطانيون بالهجوم على الجنبية في صور وعلى السعوديين في الدمام والقطيف ، غير أنهم صدوا في الدمام بشكل مشين . (٤) وبعد عدة أيام من هذه الهجمات تسلم بلي رداً من الإمام عبد الله على رسالته العنيفة ، وهو الرد الذي رفض أن ينتظره والذي كان مؤرخاً من عدة أيام قبل الهجوم الذي لا مبرر له على الدمام . وقد عرض الإمام قبول بلي نفسه وسيطاً بين الدولة السعودية وحاكم مسقط وإرسال مندوب لبحث حادث صور الذي أكد الإمام بأنه من صنع أفراد الجنبية المقيمين هناك . وكانت الطريقة التي عالج به المعتمد أمر هذا الحادث صدمة ، إلى حد ما ، للسلطات البريطانية نفسها في الهند :

(٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٧٤ .

(٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٢٣ - ١١٢٤ .

فقد وجهت حكومة الهند لونها لشدة المطالب المقدمة من قبل ممثليهم في التظليل
وصور ولقصر الوقت المسووح به للاستجابة إلى الشروط البريطانية في كلا
المكانين . إلا أنهم قنعوا عموماً بنتيجة تلك الأعمال . (٥)

٢١٦ - وانتهت أيضاً حملة حاكم مسقط على البريمي وهي الحملة التي
أوحى بها البريطانيون ، إلى نهاية غير مشرفة . فبينما كان بلي في انتظار أبناء
سقوط البريمي ، قتل ثويني ، حينما كان يستعد للسير من صحار ، بيد ابنه سالم
خلال نومه . ولم يذرف البريطانيون الكثير من الدمع على ثويني الذي يقول
لوريمر إن صفاته الرئيسية كانت كما يظهر هي « الضعف والنفاق » (٦)
إلا أن البريطانيين ترددوا بادئ الأمر في الاعتراف بقاتل أبيه حاكماً . وبعد
سرد أعمال سالم التعسفية المختلفة يقول بلي :

لقد أعلن بالإضافة إلى هذا قوانين تنطوي على السفه والتعصب وتمس الرعايا
البريطانيين المقيمين في أراضيه وبهذا ألق بجميع مرافق الدولة في أحضان الفوضى . (٧)

ولكن سالمًا اضطر إلى مواجهة الواقع وأدرك أنه لن يستطيع الاحتفاظ
بمنصبه حاكماً إلا بمساعدة البريطانيين ، فأسرع في بدء صفحة جديدة وقدم
للحكومة البريطانية ضمانات كافية لإرضائها ، فاعترف به رسمياً بعد أشهر
قليلة . (٨)

٢١٧ - حسب ما ترويه السجلات البريطانية فقد زار محمد بن عبد الله
ابن مانع بلدة أبو شهر في عام ١٢٨٢ هـ (مارس ١٨٦٦ م) ، وصرح للمعتمد
البريطاني نيابة عن الإمام عبد الله بن فيصل أنه لن « يتلف أو يهاجم أراضي
القبائل العربية المتحالفة مع الحكومة البريطانية ، لا سيما مملكة مسقط ، ما عدا

(٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٧٥ .

(٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٧٦ .

(٧) « تقرير عن رحلة إلى الرياض عاصمة الوهابيين » ص ٧٧ .

(٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٧٨ .

تسلم الزكاة التي كانت مألوفة منذ القدم » (الملحق ٩١) . غير أن محفوظات الحكومة العربية السعودية لا تضم نسخة معاصرة لهذه الوثيقة ، كما أنه لا يوجد أي ذكر لهذه المهمة في كتب التاريخ العربية للملكة العربية السعودية . وأقل ما يمكن أن توصف به الترجمة الإنكليزية لهذا التصريح هي أنها غير سلسة ، أما من حيث الدقة فإنه لا يمكن تقرير دقتها إلا بعد مضاهاتها بالأصل العربي ، إذا وجد هذا الأصل . وإذا فرضنا أن الترجمة دقيقة في جوهرها فإن التصريح ، إن فسر تفسيراً صحيحاً ، يتمشى والسياسة العامة للحكومة العربية السعودية في ذلك الحين وفي هذا الوقت . ويشير هذا السرد التاريخي إلى أن الاعتداء على العرب المخاورين لم يكن أبداً من سياسة الحكومة العربية السعودية وبمشيئة الله فإنه لن يكون كذلك أيضاً ، وعلى كل حال فإن الإشارة إلى تسليم « الزكاة » من مسقط في هذه الترجمة هو أمر مضلل في الواقع إذ أن المراد هو تحصيل الأتاوة (قارن بالفقرتين ١٩٤ و ١٩٥ السابقتين) . وكتب البريجادير السر وليم كوفلان ، الذي كان مسؤولاً عن لجنة مسقط وزنجبار (الفقرة ٢٠٦ السابقة) كتب عام ١٢٨٣ هـ (٢ يونيو ١٨٦٦ م) يقول :

لقد اتفق على تلك الأتاوة عام ١٢٦١ هـ (١٨٤٥ م) مع السيد ثويني المتوفى الذي كان آنئذ محافظ مسقط نيابة عن والده السيد سميذ الذي وافق على الاتفاق فيما بعد . وكانت هذ الأتاوة تعتبر أول واجبات دولة مسقط .

وكانت تدفع بانتظام من قبل السيد سعيد خلال فترة حياته كما أنه أمر بها بعده واستمر ابنه وخليفته السيد ثويني في تأديتها . (٩)

وفسر الموظفون البريطانيون تحصيل الأتاوة بأنه أمر ينطبق على مسقط فقط . والقس باجر ، الذي عمل أيضاً مع لجنة مسقط وزنجبار في عام ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) ، اعتبر أن التصريح يعني :

(٩) أوراق باجر ، وجه ورقة ٣٥٤ .

أن (الإمام عبد الله) ان يهاجم القبائل العربية المتحالفة مع البريطانيين ، لا سيما قبائل عمان ، ما دامت الزكاة المعتادة المفروضة على تلك الإمارة تدفع في حينها. (١٠)

وكتب ايتشيسون الذى كان فى تلك الفترة وكيل وزارة الخارجية لحكومة الهند يقول :

. . . . إنه (أى الإمام عبد الله) ان يؤذى الرعايا البريطانيين فى أراضيه ، وان يهاجم أراضى القبائل العربية المتحالفة مع الحكومة البريطانية ، لا سيما قبائل مسقط ، كما أنه سيفرض مطالبه من تلك الدولة على تسلم الأتاوة المعتادة. (١١)

وفى عام ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م) كتب اللفتنت كولوئيل روس ، المعتمد السياسى البريطانى فى الخليج الفارسى يقول :

إن الأمير امتنع عن مهاجمة دول عربية متحالفة ودياً مع الحكومة البريطانية ، كما أنه سيكتفى بتسليم الأتاوة من دولة مسقط. (١٢)

٢١٨ - وفى عام ١٢٨٤ هـ (صيف ١٨٦٧ م) ثار تركى بن سعيد بن سلطان (الفقرة ٢٠٥ السابقة) على ابن أخيه سالم وتقدم نحو مسقط . وتسلم سالم الذى كان حتى ذلك الحين أداة البريطانيين المختارة مبلغ ٤٠,٠٠٠ ريال من نائب الملكة فى الهند لاستعمالها ضد تركى. (١٣) وأعلنت الحكومة البريطانية أنها لن تعترف بتركى حتى ولو انتصر ، وأن السفن الحربية البريطانية ستدك جميع الحصون التى قد يستولى عليها . (١٤) ففشلت الثورة .

٢١٩ - وفى عام ١٢٨٥ هـ (سبتمبر ١٨٦٨ م) اتخذ البريطانيون لإجراءات تأديبية ضد رئيس أبو ظبى الذى كان قد قام بهجوم « فى منتهى

(١٠) باجر ، ص ١٠٦ .

(١١) ايتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ١٨٥ .

(١٢) التقرير الإدارى (١٨٧٩ - ١٨٨٠ م) ص ٥٠ .

(١٣) أوراق باجر ، وجه ورقة ٣٦٩ .

(١٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٧٩ .

الخداع والتخريب»^(١٥) على أهالي قطر قبل عام تقريباً من ذلك التاريخ . واضطر زايد بن خليفة لتسليم ثلاثة مدافع هي كل ما كان في حوزته . إلا أن البريطانيين قرروا بعد ذلك بوقت قصير إعادتها له لأنه بدونها عاجز عن الدفاع عن عاصمته (وهي قريته الوحيدة) في وجه البدو المهاجرين .^(١٦) إن هذا هو الرئيس العظيم الذي أراد الكولونيل بلي بعد ثلاثة أعوام أن يمنحه جميع الساحل من أبوظبي إلى خور العديد (الفقرة ٢٣٥ اللاحقة) وذلك بدون أية صلاحية أو مبرر .

٢٢٠ - وشهدت عمان عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) تطورات بالغة الأهمية إذ اتفق الأباضيون فيما بين أنفسهم ، بعد أن وجدوا أنه غير ممكن إقامة حكومة إسلامية عادلة ومستقرة تحت زعامة مسقط ، على إحياء الإمامة القديمة . واختاروا لهذا المنصب عزان بن قيس ، أحد أفراد آل بو سعيد . وفي الخريف أهدقت قوات الأباضيين تحت قيادة عزان بمسقط وبذل الكورنيل بلي الذي كان آنئذ في الميناء مصادفة ، كل ما في وسعه لمساعدة سالم (وبالإمكان هنا أن نعيد إلى الأذهان ملاحظة هوجارث عن أن بريطانيا ارتبطت بمساعدة حكام مسقط ضد أهالي عمان) .^(١٧) إلا أن هذا لم يكن كافياً إذ أرغم سالم على الفرار على ظهر سفينته « البرنس أوف ويلز » . وجرى انتخاب عزان في مسقط .^(١٨) ولأول مرة في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) أصبح للأباضيين في عمان إمام حقيق يقدمون له فروض الطاعة .

٢٢١ - وبينما كان بلي يحاول المحافظة على مركز سالم في مسقط تلقى برقية

من الحكومة البريطانية في الهند تقول :

(١٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٨٠٠ .

(١٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٢٣ .

(١٧) الفقرة ٢٢ السابقة .

(١٨) عبد الله السالمى « تحفة الأعيان » مجلد ٢ ، ص ٢٣٧ .

لا تكن متسرعاً في الاعتراف بخلع السلطان السيد سالم ولا تستعمل القوة لمصلحته .
وفي حالة الانتخاب فإن الحكومة تفضل السيد تركي . (١٩)

لقد كان تركي هو ذلك الرجل الذي تحدث باجر عام ١٢٧٧ هـ (١٨٦١ م) عن « تعسفه الذي لا يطاق » . (٢٠) وقد كانت الحكومة البريطانية مستعدة على ما يظهر لقبول أى شخص خلاف من يختاره أهالي عمان .

٢٢٢ - ولم ترفض الحكومة البريطانية الاعتراف بعزان خلال فترة إمامته القصيرة فحسب ، بل اتخذت خطوات أخرى لتقويض سلطته وإنهاء عهد هذا الإمام الذي ربما اعتبر من « أكفأ حكام عمان المعاصرين وأتعمهم » . (٢١) وكما يقول لوريمر ، فإنه لولا أعمال الحكومة البريطانية :

لربما استطاع عزان على كل حال أن يتغلب على جميع مصاعبه وأن يجعل من عمان ، فترة من الزمن على الأقل ، شبه مملكة منظمة . (٢٢)

٢٢٣ - ونزح القبيسات عن أبو ظبي مرة أخرى عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٩ م) على أثر السخط الذي انتابهم من قسوة حكم زايد بن خليفة واستقروا في العديد (قارن بالفقرة ١٣٠ السابقة) .

٢٢٤ - وتوجه تركي السديري أمير البريمي في ١٢٨٥ هـ (إبريل ١٨٦٩ م) إلى الشارقة للمساعدة في تسوية الصعاب الطارئة بين أفراد الأسرة الحاكمة . ونشب قتال في البلدة خلال وجود تركي بها انتهى بمقتله . أما الذين اقترفوا هذا العمل ، فقد غشاهم الندم ، بعد أن رأوا أن عملهم التحريضي هذا قد حرم

(١٩) أوراق باجر ، ظهر ورقة ٣٧٧ .

(٢٠) أوراق باجر ، وجه ورقة ٢٧٣ .

(٢١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٩١ .

(٢٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٩٢ .

الإقليم من زعيم عمل بدون كلل لرفاهية الأهالي طوال سنوات عديدة من الزمن .
 وخلف تركى فى منصبه أميراً على البريمى أخوه عبد الرحمن . (٢٣)

٢٢٥ - وبعد أن قام عزان إمام الأباضية الجديد بتوطيد حكمه فى عمان الداخلية ، قرر فى عام ١٢٨٦ هـ (أوائل صيف ١٨٦٩ م) التحرك متجهاً إلى البريمى . وكان السعوديون قد قدموا قبل ذلك بخمسة أعوام لمساعدة عزان عندما وقع فى أزمة شديدة . (٢٤) غير أن نكران الحميل نقيصة فى الناس شائعة ، وقد رأى عزان الآن الفرصة السانحة التى هياها موت تركى السديرى . وقيل أحياناً إن قبيلة نعيم فى البريمى هى التى دعت عزان للذهاب إلى هناك ، غير أن الكولونيل ديسبرو الوكيل السياسى البريطانى فى مسقط يقول بالإشارة إلى ذلك فى تقريره بتاريخ ٨ يونيو « الحقيقة هى أن التوصل إلى الصديق أمر صعب » . (٢٥) وربما أن زعيماً أو زعيمين ممن كانوا غير راضين مؤقتاً ، قد خاطبا عزان بهذا الصدد ، ولكن غالبية القبيلة ظلت على ولائها للجانب السعودى . دخل عزان الواحة فيما بعد فى الصيف بيد أنه لم يفلح فى السيطرة على المكان بأسره ، إذ أنه عقب مرور أكثر من شهرين على وصوله « كانت بعض القرى لم تخضع له بعد » . (٢٦) ومكث عزان مدة قصيرة عاد بعدها إلى بلاده . وبعد ذلك بقليل سمع الكابتن واى مساعد المعتد السياسى البريطانى فى الخليج الفارسى من رئيس دنى :

أن أهالى البريمى يريدون الإمام عبد الله بن فيصل وليس السيد عزان ، وإذا ما
 قدم الإمام عبد الله أو أرسل مندوباً ، والمفهوم أنه سيفعل هذا فى فصل الشتاء ،
 فإن جميع الأطراف سينضمون إليه ضد السيد عزان . (٢٧)

(٢٣) « عقود الجمان » ص ١٥٤ .

(٢٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٧٣ و ١١١٥ .

(٢٥) أعمال وزارة الخارجية فى حكومة الهند ، أغسطس ١٨٦٩ ، رقم ٣٢١ .

(٢٦) الأعمال ، فبراير ١٨٧٠ ، رقم ١٦٧ بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٨٦٩ م

(٢٧) الأعمال ، فبراير ١٨٧٠ ، رقم ١٦٧ بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٨٦٩ م .

وقد أكد هذه المعلومات رئيس عجمان .

٢٢٦ - ولم يستهن الإمام عبد الله بن فيصل بضياح البريمي ، العاصمة الإقليمية فزحف بقواته في عام ١٢٨٦ هـ (شتاء ١٨٦٩ - ١٨٧٠ م) إلى إقليم الحسا توطئة لمهاجمة عزان .^(٢٨) إلا أنه اضطر إلى التخلي عن فكرة الحملة في النهاية ، إذ لم تسقط الأمطار في الظفرة ذلك الشتاء مما جعل سلوك هذا الطريق أمراً يكاد يكون مستحيلاً على جيش كبير . وكان على عبد الله أيضاً أن يأخذ حذره نظراً للثورة التي قامت على حكمه من جانب أخيه سعد الذي ظهر في البريمي في عام ١٢٨٦ هـ (أوائل ١٨٧٠ م) . ولكن سعود على كل حال لم يمكث طويلاً هناك إذ اتجه غرباً تمهيداً للاشتباك مع أخيه .^(٢٩)

٢٢٧ - وقد ظل سالم ، بالرغم من قيام عزان بطرده من مسقط ، يدعى لنفسه بحق الحكم رافضاً الاعتراف بحق عزان في ذلك ، وبذل عدة جهود لاستعادة مركزه . ولكن قبيل نهاية عام ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) أصبح من الواضح أن فرص سالم في النجاح كانت قليلة أو معدومة إطلاقاً . وحل مكانه تركي بن سعيد بوصفه أقوى منافس لسلطة عزان . وقد سمح البريطانيون لتركي ، مع علمهم التام بأهدافه ، بمغادرة الهند في أواخر عام ١٢٨٦ هـ (أوائل عام ١٨٧٠ م) إلى شرق جزيرة العرب .^(٣٠) وقد سبق لتركي ، وهو الجلد الأكبر لسلطان مسقط الحالي ، أن تطلع إلى العرش فيما قبل ذلك (الفقرة ٢١٨ السابقة) وأصبح الآن أمل البريطانيين الأول في إعادة تأسيس ذلك النوع من الحكم المفضل لديهم في مسقط ، وهو الحكم الذي يعتمد على سلطتهم ويخدم رغباتهم .

(٢٨) ابن عيسى « عقد الدرر » ص ٧٢ .

(٢٩) ابن عيسى « عقد الدرر » ص ٧٣ .

(٣٠) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٨٦ .

٢٢٨ — ولما كان تركي بن سعيد يدرك أن مركز عزان كان أضعف ما يكون في الظاهرة حيث الأهالي سنون وليسوا أباضيين ، تحرك للعمل ضده في ذلك الإقليم . ولكن لاقى تركي بعض الصعاب في محاولاته لكسب قبيلة نعيم إلى جانبه . وفي محرم ١٢٨٧ هـ (٢٧ إبريل ١٨٧٠ م) بعث الوكيل السياسي في الشارقة إلى بلي بتقرير يقول فيه :

يظهر أن محمد بن علي (أحد رؤساء نعيم) ليس راضياً في قرارة نفسه بالسيد تركي . (٣١)

وبعد فترة وجيزة ذكرت حكومة الهند في رسالة إلى وزير الدولة لشئون الهند أن تركي قد انسحب من عمان مؤقتاً لأنه لا ينتظر أن يؤيده محمد بن علي النعيمي . (٣٢) وكان أهالي البريمي لا يريدون عزان (الفقرة ٢٢٥ السابقة) كما أنهم كانوا لا يريدون تركي ، لأنهم لم يعتادوا الخضوع لحكم آل بو سعيد في مسقط .

٢٢٩ — وفي عام ١٢٨٧ هـ (سبتمبر ١٨٧٠ م) عاد تركي بن سعيد إلى عمان وحاول الاستيلاء على البريمي . وكانت نعيم آنئذ قد استعادت الحصول على القصور في الواحة باستثناء واحد منها . (٣٣) ولكن الحصار الذي فرضه تركي انتهى إلى الفشل الذريع . (٣٤) ولدى مغادرته البريمي ، التقى تركي بجيش عزان في المنطقة المجاورة لضنك ، وأحرز عليها انتصاراً مهد السبيل لانهيار زعامة عزان في ١٢٨٧ هـ (١٨٧١ م) . وكتب باجر في عام ١٢٨٧ هـ (أواخر ١٨٧٠ م) يصف البريمي بأنها « الآن في قبضة نعيم الذين يدفعون الزكاة للأمير الوهابي » . (٣٥) ولم تتجاوز علاقة عزان الضئيلة بالبريمي إلا ما يزيد على العام

(٣١) الأعمال ، ديسمبر ١٨٧٠ .

(٣٢) الأعمال ، ديسمبر ١٨٧٠ ، رقم ١٢٢ بتاريخ ٢٤ يونيو ١٨٧٠ .

(٣٣) باجر ، ص ١١٧ .

(٣٤) الأعمال ، ديسمبر ١٨٧٠ ، بتاريخ ٢ أكتوبر ١٨٧٠ م .

(٣٥) ابن رزيق ، ترجمة باجر ، ص ٤ ، عامش ٢ .

بقليل . وطيلة هذه المدة كانت الحكومة البريطانية وكبار آل بو سعيد ، وهم سالم ومن بعده تركي ، يعتبرونه ثائراً على دولة مسقط وليس حاكماً شرعياً . وتلقى تركي الجهد المباشر للأسرة الحاكمة في مسقط ، صداماً عنيفاً في المرة الوحيدة التي حاول فيها السيطرة على البريمي .

٢٣٠ - ونزل سعود بن فيصل آل سعود الذي ثار على أخيه الإمام عبد الله (الفقرة ٢٢٦ السابقة) إلى البر بالقرب من الحسا وهزم الجيش الذي بعث به عبد الله لمقاومته في عام ١٢٨٧ هـ (أواخر ١٨٧٠ م) . (٣٦) وفي أوائل العام التالي لحق عبد الله إلى شمال جزيرة العرب تاركاً الميدان خالياً أمام سعود ليصبح حاكماً على الدولة السعودية . وهذه الحرب الأهلية التي نشبت بين أبناء فيصل ، كانت أمراً مفاجئاً ، لاسيما وأن عبد الله وسعود كانا رجلين موهوبين حرص كل منهما بدوره على التمسك بتقاليد بيته وذلك عن طريق منح رعاياه نعمة العدل والإدارة المنصفة . وجرت هذه الحرب في أعقابها فترة من الضعف النسبي على الدولة السعودية ، حيث كان كبار الرجال مضطرين لتركيز كثير من اهتمامهم في الصراع حول السلطة العليا في نجد . يضاف إلى ذلك ، أن هذا الخلاف قد أتاح الفرص للمعتدين لوضع أيديهم على بعض الممتلكات السعودية ، وأولهم الأتراك في الحسا ثم آل رشيد في نجد نفسها . وعلى كل حال ، فإنه يقتضى النظر إلى هذه الفترة من الضعف النسبي على وضعها الصحيح . فأول ما في الأمر هو أن مجموع الفترة لم يتجاوز الثلاثين عاماً تقريباً ، بينما لم تستغرق فترة خلو العرش عندما فقد آل سعود سلطته في الرياض أكثر من ثلث تلك المدة . وانتهى النزاع بين الإخوة في أقل من جيل واحد ، إذ قام الإمام عبد الرحمن ، وهو الأخ الأصغر لعبد الله وسعود ووالد الملك الراحل عبد العزيز ، بحسم الخلافات التي أدت إلى انقسام بيته .

(٣٦) ابن عيسى « عقد الازر » ص ٧٥ .

٢٣١ - ويقدم إبراهيم فصيح العلامة العراقي الذي كتب وصفاً لنجد في عهد الإمام عبد الله (الفقرة ٣٥ السابقة) ، تفصيلات عن أعمال جهاز الحكومة السعودية . فقد قامت بجمع الزكاة طبقاً لتعاليم الشريعة على مواشى البدو ، وكذلك على المنتجات الزراعية العائدة لأهالى الحضر . أما الحصيلة التى كانت تجمع ، فكانت تكاد لا تكفى لتغطية نفقات الدولة ، التى كانت تشمل دفع قواعد محددة لرؤساء القبائل ، ومخصصات العائلة المالكة وعلماء الدين والقضاة ، والعناية بالفقراء والمعوزين فى طول البلاد وعرضها . ولم تحتفظ الدولة السعودية بجيش نظامى ، إذ كان بإمكانها تجنيد مائة ألف مقاتل تقريباً من القبائل فى أوقات الشدة . ويقول العلامة العراقي ، إن مائة من هؤلاء الجنود هم كفاء لألف من غيرهم ، لأن شجاعتهم هى كشجاعة أولئك الذين ذكروا فى القرآن : «ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد » . (٣٧) وكان عدد الموظفين الدائمين فى الإدارة حوالى الألف فى نجد ، ومثل هذا العدد تقريباً فى الحساء والقطيف ، وما يقرب من الخمسمائة فى عمان التى كانت تضم طبعاً البريمي والجزء الغربى للمناطق المتنازع عليها الآن . (٣٨) ومع أن هذا الجهاز كان صغيراً بشكل غير عادى لإدارة شئون مجموعة كبيرة من السكان ، تنتشر فى منطقة شاسعة ، إلا أن الدولة قد تمكنت من إبقاء البدو تحت سيطرتها ومن صيانة الأمن . (٣٩) وأصبح جميع أهالى نجد على علم بمبادئ الدين الإسلامى التى عادت عليهم بفوائد عظيمة فى تنظيم أسلوب حياتهم اليومية . (٤٠) ووصفت قبيلة المناصير بأنها خاضعة لآل سعود . (٤١) وفى عمان كانت المدن والمناطق المأهولة بالبدو

(٣٧) القرآن الكريم ، سورة الفتح ، الآية ١٦ .

(٣٨) إبراهيم فصيح « عنوان المجد » وجه ورقة ١١٤ وظهرها .

(٣٩) إبراهيم فصيح « عنوان المجد » وجه ورقة ١٠٠ .

(٤٠) إبراهيم فصيح « عنوان المجد » وجه ورقة ١٢٧ .

(٤١) إبراهيم فصيح « عنوان المجد » ظهر ورقة ١٠٧ .

تدين بالطاعة وتتبع الشريعة. (٤٢) في حين أن قبائل متعددة في تلك المناطق من عمان الواقعة شمالي البريمي كانت خاضعة لحكم الإمام السعودي. (٤٣)

(٤٢) إبراهيم فصيح «عنوان المجد» ظهر ورقة ١٢٩ .

(٤٣) إبراهيم فصيح «عنوان المجد» وجه ورقة ١٠٨ .

١٦ - حكم الإمام سعود بن فيصل ١٢٨٧ - ١٢٩١ هـ
(١٨٧١ - ١٨٧٥ م)

٢٣٢- لم يكن سعود بن فيصل ليقل في كفاءته عن المستويات العالية التي وضعها أئمة بيته ، غير أنه استولى على السلطة بأن ثار على أخيه الذي كان مستمراً في معارضته له خلال مدة حكمه . أضف إلى ذلك ، أن تقدم الأتراك في إقليم الحسا خلال الأشهر الأولى لحكمه ، صرف هذا الحاكم الحديد عن واجبه الهام في رعاية مصلحة شعبه الروحية والمادية .

٢٣٣- وفي عام ١٢٨٧ هـ (أوائل عام ١٨٧١ م) عين محبوب بن جوهر أحد الأتباع المخلصين القداماء للإمام الراحل فيصل (الفقرة ٢١٠ السابقة) أميراً سعودياً على البريمي ، وقد رحب به أحد إخوة رئيس الشارقة الذي كان قد طرد زايد بن خليفة من أحد قصور صعرا واحتفظ به لآل سعود في انتظار مثل هذا التعيين .^(١) وبعث ويدربرن ، سكرتير حكومة بمباى بالنيابة ، بتقرير إلى أيتشسيون وزير خارجية حكومة الهند قال فيه :

ومثالا على مطالب أمراء الرياض في عمان ، فإنني أرغب في أن أبين أن أول عمل قام به وكيل الإمام الوداعي سعود ، عند ما استولى على البريمي ، هو أنه طلب من المشايخ تقديم فروض الولاء له .^(٢)

وكتب محبوب في عام ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) رسالة إلى ناصر بن خلفان وهو تاجر في الشارقة ، يقول فيها :

... الحركات ساكنة والبلاد مطمئنة بالله تعالى ثم بالإمام سعود أدام الله وجوده .^(٣)

(١) « عقود الجمان » ص ١٤٤ . كان زايد ينزل في القصر باسم الامام عزان بن قيس .

(٢) الأعمال ، سبتمبر ١٨٧١ ، رقم ٤٣ .

(٣) أوردت في « عقود الجمان » ص ١٤٦ .

٢٣٤ - أصبح تركي بن سعيد الحاكم الفعلي لمسقط بعد عزل الإمام عزان ووفاته في عام ١٢٨٧ هـ (نهاية شهر يناير ١٨٧١ م) ، لكنه لم يتلق اعترافاً من الحكومة البريطانية بحكمه إلا بعد ذلك بنحو سبعة أشهر .^(٤) وسلم تركي خلال فترة الانتقال إلى القواسم وثيقة تهدف للعمل على استقرار علاقاته معهم طبقاً للتعهد الذي كان والده قد أعطاه نحو عام ١٢٦٩ هـ (١٨٥٢ م) (الفقرة ١٨١ السابقة) ، وفيما يلي نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من الواثق بالله المنان تركي بن سعيد بن سلطان إلى كافة من يراه . أما بعد فقد صار القرار بيننا والشيخ الأخ حمد بن ماجد بن سلطان بن صقر على ما جرى بين سيدنا الوالد سعيد بن سلطان والوالد الشيخ سلطان بن صقر بثبات الصحة والصدقة كذا الحوز والاحرام من خطم أملاحه مشمل هو للقواسم ما عدى بلد خصب بما حرته من الأطراف وان لم منا الحشمة التامة والكرامة العامة والنفع لا ينقطع كما جرى في زمن سيدنا الوالد سعيد وزيادة وعلى هذا عهد الله وأمانه لا حيلة ولا دغيلة اليوم ودوم كيلا يخفى على القاصي والداني والسلام

كتبه مملوكه بأمره سليمان بن سالم في ١٥ صفر المظفر ١٢٨٨ (نحو ٦ مايو ١٨٧١)

صحيح

تركي بن سعيد

بيده

(الختم) (٥)

وينبغي استلفات النظر هنا إلى العبارة الخطيرة التي تقول « لا حيلة ولا دغيلة اليوم ودوم » ، وكذلك إلى أن الوثيقة وضعت بعد مرور أكثر من ثلاثة شهور على وصول تركي إلى الحكم . ولم يرد ذكر لأية شروط يقتضى على القواسم تنفيذها ، كذلك لم يجر تحديد أية خدمات يتعين عليهم القيام بها .

(٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٩٩ .

(٥) « عقود الجمان » ص ٩٧ - ٩٨ .

واستعملت الحكومة البريطانية من تركى عن هذه الوثيقة بعد ثمانية أعوام من ظهورها :

ولكنه أذكر هذه الاتفاقية الآن على أساس أنها وضعت قبل توليه مقاليد السلطنة ، وبأنها كانت مقيدة ببعض الخدمات التي يتعين على الشيخ القاسم أن يؤديها ، إلا أن الأخير لم يؤدي شيئاً من هذا (٦) .

ويظهر أن الحكومة البريطانية قد قبلت هذا التفسير (٧) .

٢٣٥ - وفي عام ١٢٨٧ هـ (١٨٧١ م) اتخذ الكولونيل بلى المعتمد البريطاني في الخليج الفارسي خطوة يظهر أنها ذات أهمية خاصة فيما يتعلق بالمطالب التي تنظر فيها هيئة التحكيم . ففي عام ١٢٧٠ هـ (١٨٥٤ م) ذكر الكابتن كمبل أحد أسلاف بلى في منصب المعتمد ، أن الممتلكات الإقليمية للمشايخ البحرية (بما في ذلك أبو ظبي) « مقصورة على البقاع المأهولة على ساحل البحر ، ويمكن أن يقال بأنها محددة بأسوار قراها ، وبساتين النخيل المتاخمة » (الفقرة ١٩٤ السابقة) . وليست ثمة إشارة ولا في السجلات البريطانية قبل عام ١٢٨٧ هـ (١٨٧١ م) ، حسبها يمكن تقريره ، بأن أراضي أبو ظبي كانت تمتد مسافة بعيدة على طول الساحل ، أو تتوغل إلى أى بعد في الداخل . أما الكولونيل بلى فقد تطوع من نفسه في اتخاذ إجراء تحكيمي عندما أصدر حكماً في صالح أبو ظبي يلحق بها أكثر من خمسمائة كيلومتر من الساحل . غير أن الحكومة البريطانية لم تكن مرتاحة بوجه خاص إلى هذا العمل الذي قام به بلى ، كما سيتضح ذلك (الفقرة ٢٣٦ اللاحقة) ، غير أنها لم ترفض ذلك كلياً ، ومع مرور الزمن فإنها أخذت تولى هذا العمل ونتائجه تقديراً أكبر . ويتكون عمل بلى هذا من تقريره أن قرية العديد تعود إلى أبو ظبي . ويبين تاريخ المكان ،

(٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٨٠ .

(٧) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٢٦ .

وقد جرى سرده ببعض التفصيل (الفقرات ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٥ و ١٧٤ و ٢٢٣ السابقة) . إن سكان العديد ، حين يكون في العديد سكان ، إنما هم إمّا من أهالي نجد أو من الخارجين على سلطة أبو ظبي ، ولم يكن رئيس أبو ظبي قد مارس قط حكماً هناك أو اعترف له بذلك (انظر البيان الذي قدمه الشيخ عبد الله آل ثاني حاكم قطر السابق في الملحق ١١٢) . وعلى كل حال ، فقد قام بلي بإبلاغ حكومة بمباي عام ١٢٨٧ هـ (١١ مارس ١٨٧١ م) بأنه قد جمع معلومات تشير إلى أن العديد تتبع أبو ظبي .^(٨) إلا أن بلي لم يبين هذه المعلومات ، كما أنه يستحيل أن نتصور ، حتى مع الاستناد إلى بيانات بريطانية رسمية أخرى ، كنه هذه المعلومات . وعلى أساس هذه المعلومات المزعومة ، كتب بلي إلى زايد بن خليفة في أبو ظبي يبلغه أن العديد تابعة له ، ويقول له :

وبناء على ذلك ، فإنني أعتبرك محقاً تماماً في الطلب من كل شخص مقيم في العديد أن يخضع لحكمك .^(٩)

وكتب بلي في نفس الوقت إلى القيسات المقيمين في العديد يقول :

... على أثر القيام بتحقيق دقيق ، فإن جميع القرائن تتفق في اعتبار العديد جزءاً لا يتجزأ من أراضي شيخ أبو ظبي ، فإذا ما رغبت في الاستقرار بالعديد ، فيجب أن يكون ذلك بموافقة شيخ أبو ظبي ، على أن تخضعوا لحكمه . وإلا فإن هناك خطراً من أن يجد شيخ أبو ظبي ، الذي قد قام الآن بتنفيذ شروط الهدنة البحرية بإحالة الموضوع إلى المعتمد ، نفسه مضطراً فيما بعد إلى إرغامكم على ذلك بالقوة .^(١٠)

ومع أن الأسس التي بنى عليها بلي قراره ما زالت غير مفهومة ، إلا أن الدافع لا يصعب استخلاصه . فقد كانت تستحوذ على بلي فكرة تلقيح « محيط البربرية على طول الساحل العربي بقطرة من الحياة المتحضرة » يدخلها البريطانيون

(٨) الأعمال ، مارس ١٨٧٢ ، رقم ٣٦٩ .

(٩) الأعمال ، مارس ١٨٧٢ ، رقم ٣٧١ بتاريخ ٤ مارس ١٨٧١ .

(١٠) الأعمال ، مارس ١٨٧٢ ، رقم ٣٧٠ بتاريخ ٤ مارس ١٨٧١ .

(الفقرة ٢٠٨ السابقة) . ولما كانت سياسة الحكومة البريطانية لا تعبد - على العموم - ضم أراض من البر في جزيرة العرب بشكل مباشر (باستثناء عدن كما هو ملاحظ) ، فإن أحسن وسيلة لتحقيق هذا الهدف كانت عن طريق الحكام الذين هم أداة طيعة في يد البريطانيين . وكان زايد شيخ أبو ظبي قد كتب إلى بلي قبل ذلك بعامين يقول :

أنا طوع أمرك في كل شيء ، وآمل أن تبعث إلى بالتوجيهات وأنا لا أرغب في استشارة أحد غيرك . وأنا مقتنع بأنك سوف تعمل على أن أكون موضع الرعاية. (١١)

وإن محاولة توسيع سلطة زايد بحيث تبدأ من أسوار قرينته حتى قاعدة شبه جزيرة قطر كان المقصود منها أيضاً خدمة الأهداف البريطانية وذلك بإقامة حاجز في وجه الحكم السعودي ذي النفوذ الذي شعر بلي بأنه « مبدول في الدرجة الأولى في اتجاه الشر » (الفقرة ٢١٠ السابقة) . وكذلك أصبح هذا التوسيع بعد وقت قصير يعتبر مفيداً في مقاومة التوسع التركي في شرق جزيرة العرب (الفقرة ٢٤٢ اللاحقة) . ومع أن هذه الاعتبارات السابقة كانت ترجع في الدرجة الأولى إلى الساحل بين أبو ظبي والعديد إلا أن تصرفات بلي استعملت أيضاً في خدمة المصلحة البريطانية حين نشأت مشكلة تقرير مصير الأراضي الداخلية الملاصقة لهذا الساحل (الفقرة ٣٠٧ اللاحقة) .

٢٣٦ - أما أهالي العديد فلم يتقبلوا أمر المعتمد هذا بوداعة ، إذ قام رئيسهم بطي بن خادم بتذكير الميجر سدني سميث مساعد المعتمد في عام ١٢٨٨ هـ (يوليو ١٨٧١ م) بأن القبيسات قد استقروا في العديد بتصريح من المعتمد صدر في كتاب منه عام ١٢٨٦ هـ (٢٧ أغسطس ١٨٦٩ م) وقال بطي :

إننا فقراء، ونملك نحو ١٢ قارباً للغوص على اللؤلؤ فقط ولفقرنا هذا وبسبب الحاجة فليس لدينا ما نفقات به إلا الحشائش والأسمالك كما أننا لا نملك شيئاً يمكن لزايد أن

(١١) الأعمال ، مايو ١٨٦٩ ، رقم ٢٢٧ بتاريخ ٣ مارس ١٨٦٩ .

يقبله منا ، فزايد يملك نخيلنا ونساءنا وممتلكاتنا . . . إلخ في أبو ظبي . إن زايد رجل طاغية ، ونحن نخيلنا عنه بسبب ظلمه الشديد . (١٢)

وكتب بطي أيضاً إلى بلي في هذا الوقت يقول :

. . . لو أننا رأينا زايد قد سار سيراً طيباً مع الناس في الماضي ، لما كنا قد تركناه لكننا تركناه بسبب ظلمه . فنحن قوم فقراء . وإذا ما قال زايد بأن العديد له فإن هذا غير صحيح فهي أراضي أجدادنا ولا حق له علينا . (١٣)

فكان على بلي أن يبعث بتقرير إلى حكومة بمباي في عام ١٢٨٨ هـ (٣١ يوليو ١٨٧١ م) جاء فيه :

. . . إن أهالي العديد يقولون إن العديد ليست تابعة لآبو ظبي وإنهم راغبون في العيش جماعة مستقلة تحت راية ساحل الصلح . وإنه عرضت عليهم الحماية التركية ولكنهم رفضوا قبولها حتى الآن .

ويفترض بأنه إذا ما حاولت أبو ظبي الآن إرغام هؤلاء فإنهم سيقبلون الراية التركية وبذلك يعقدون الأمور أكثر فأكثر . (١٤)

وكان الأتراك آنئذ في الحسا (الفقرة ٢٣٧ اللاحقة) وبذلك تورط المعتمد أكثر مما كان يتوقع . وتأخرت الأوراق المتعلقة بهذا الموضوع لسبب ما في الوصول إلى حكومة الهند العليا ، وعندما قرأها في النهاية أيتشيسون وزير الخارجية ، دون في عام ١٢٨٩ هـ (٢٣ مارس ١٨٧٢ م) ما يلي :

من المحتمل أن يكون الكولونيل بلي على صواب في أن العديد جزء من أراضي أبو ظبي ، ولكنه ليس هناك أي داع إلى قيامنا في الوقت الحاضر بالبت في الموضوع مع أن الكولونيل بلي قد بت فيه عملياً بإبلاغه اكلا الطرفين . وإن وجهات نظر حكومة بمباي صحيحة ، ويبدو من العيث إصدار أوامر على مثل هذه الأوراق القديمة التي تتعلق بأمور من المحتمل أن تكون قد هدأت الآن . (١٥)

(١٢) الأعمال ، مارس ١٨٧٢ ، رقم ٣٧٦ بتاريخ ٢١ يوليو ١٨٧١ .

(١٣) الأعمال ، مارس ١٨٧٢ ، رقم ٣٧٥ بتاريخ ٢٣ يوليو ١٨٧١ .

(١٤) الأعمال ، مارس ١٨٧٢ ، رقم ٣٧٣ .

(١٥) الأعمال ، مارس ١٨٧٢ ، رقم ٣٦٨ .

وهناك تعليق على ذلك بتوقيع (ن) - وهو على الأرجح اللورد نابيير أوف ميرشستاون الذي كان يعمل آنئذ نائباً للملكة يقول : « حسناً جداً » وعلى كل حال فإن هذه ليست هي المرة الأولى التي يتقبل فيها موظف كبير غلطة موظف صغير لكي يجنب نفسه مؤونة تصحيحها .

٢٣٧ - وقد انتهز مدحت باشا ، والى بغداد العثماني وكان نشيطاً جداً ، فرصة اضطراب الأمور في الدولة السعودية فبعث بحملة عسكرية إلى إقليم الحسا في عام ١٢٨٨ هـ (صيف ١٨٧١ م) . وقام الأتراك بوضع حاميات لهم في الحسا نفسها وفي نقطتين رئيسيتين على الساحل ، ولكنهم لم يجرؤوا آنئذ أو فيما بعد أية سيطرة فعلية على المناطق المحيطة بهم . ومع أنهم أطلقوا على هذه الأراضي اسماً مضللاً وهو سنجد نجد ، إلا أن إقليم نجد الجغرافي الحقيقي ظل برمته خارج نطاق أعمالهم .

٢٣٨ - وفي عام ١٢٨٨ هـ (أواخر ١٨٧١ م) قام سعود بن فيصل بمحاولة باسلة لطرد الأتراك من مركزهم الجديد ، فهاجمهم في الحسا بمساعدة آل مرة وقبائل أخرى . وعندما وجد أنه ليس بالإمكان التغلب على مدافعهم ومعداتهم الحديثة ، رجع هو وأتباعه من البدو إلى المناطق المتنازع عليها الآن ، ومكث فيها وقتاً طويلاً .^(١٦) ولم تكن هذه آخر مناسبة تكون فيها هذه الأراضي ملجأ لزعماء آل سعود عندما تدور عليهم دوائر الحروب (قارن بالفقرة ٢٧٥ اللاحقة)

٢٣٩ - وقد عاش عبد الرحمن بن الإمام فيصل الراحل عدة شهور خلال عام ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢ م) في الدوحة في حمى قاسم آل ثاني رئيس قطر .^(١٧) فهنا ملجأ آخر لآل سعود وقت الحاجة (قارن بالفقرة ٢٧٥ اللاحقة) .

(١٦) ابن عيسى « عقد الدرر » ص ٨٢ . لوريير ، مجلد ١ ، ص ٩٧٠ .

(١٧) لوريير ، مجلد ١ ، ص ٨٠٨ .

٢٤٠ - وظل محبوب بن جوهر أميراً سعودياً على البريمي حتى عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) ، عندما اضطر إلى أن ينسحب بسبب الاضطرابات التي وقعت في نجد . وقبيل مغادرته ، وضع مع رؤساء نعيم المواليين ترتيبات خولتهم صلاحية العمل باسم الحكم السعودي . (١٨)

٢٤١ - وفيما يلي فقرتان مقتطفتان من التقرير السنوي لمكتب المعتمد في الخليج الفارسي في الفترة التي تلت مباشرة انسحاب محبوب من البريمي ، تعرضان صورة لذلك الإقليم تختلف تماماً عما كانت عليه الحالة تحت الأمير السعودي (الفقرة ٢٣٣ السابقة) :

لقد وجد الرؤساء العرب وأتباعهم بعد أن منعوا من الانغماس في ميلهم للمشاكسة في البحر ، مخرجاً لشعورهم بأن انهم كانوا في مشاحنات أبدية في البر . (١٩)

ويظهر أن جنون القتال الذي يلوح أنه يسيطر عموماً على أذهان العرب ، لم يفقد شيئاً من حدته بين الزعماء الشجعان في تلك الرقعة من البلاد الواقعة على الساحل الغربي للخليج ، الذي كان يعرف فيما سبق بساحل القرصنة ، وذلك في السنة التي يدور البحث عنها . وإن نطاق هذا التقرير وكذلك المصاحبة في هذه المسألة ، لا يسحان بتقديم سرد تفصيلي لجميع المناوشات الصغيرة والاشتباكات والهجمات الليلية وغارات النهب التي تشكلت الحوادث في أسلوبهم في القتال الشبيه بحرب العصابات... . . . وإن الضرر الذي يلاحق بالازدهار التجاري والمصلحة العامة للبلدان المنغصة في هذه الحروب المتواصلة ، هو أمر يرقى له . . .

... وما يؤسف له أن المساعي الودية المبذولة من قبل الوكيل البريطاني لمكتب المعتمد للحصول على تسوية ودية لهذه الاختلافات ، لم تؤت حتى الآن ثمار النجاح . (٢٠)

٢٤٢ - لقد سبق أن أشرنا (الفقرة ٢٣٦ السابقة) إلى عرض الحماية التركية على أهالي العديد عام ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) . ومضى الأتراك خلال عدة السنوات التالية يظهر ون اهتمامهم بذلك المكان :

(١٨) « عقود الجمان » ص ١٥٥ .

(١٩) التقرير الإداري (١٨٧٣ - ١٨٧٤ م) ص ٣ .

(٢٠) التقرير الإداري (١٨٧٤ - ١٨٧٥ م) ص ٢ - ٣ .

زار العديد عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) أربعة من الأتراك الذين وضعوا ترتيبات تقضى بأن يدفع السكان سنوياً مبلغ أربعين أو خمسين ريالاً بواسطة الشيخ قاسم في الدوحة ، ثم انصرفوا بعد أن حال نوع الماء الرديء دون إنشاء مركز لهم هناك . وفي عام ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) ذكر الشيخ زايد في أبو ظبي أن الموظفين الأتراك المحليين كتبوا إليه يؤكدون بأن العديد تحت حمايتهم ويطلبون منه عدم التدخل هناك بيد أنه عجز عن إبراز رسالتهم عند ما طلب منه ذلك . وتأكد في عام ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) أنه كان لدى رئيس العديد راية تركية وراية لساحل الصلح وأنه كان يستخدم كلا منهما حسبما تقتضيه الظروف . وعند ما زار الكابتن جوثرى العديد في عام ١٢٩٣ هـ (١٨ أكتوبر ١٨٧٦ م) على ظهر المركب « مي فريز » وجد راية ساحل الصلح مرفوعة ولكنه علم بأن الأتاوة كانت لا تزال تدفع لتركيا . (٢١)

ولم يوضع حكم بلي فيما يتعلق بالعديد موضع التنفيذ في الحال ولكن قيمته العملية أخذت تتجلى أكثر فأكثر بالنسبة للبريطانيين . وكانت قطر أقرب من غيرها إلى المراكز التي حصل عليها الأتراك في إقليم الحسا ، غير أن حاكم قطر لم يكن في نظر البريطانيين ركناً يعتمد عليه ، فكانت أبو ظبي أقرب بقعة بارزة يستطيع البريطانيون عندها أن يوقفوا توسع الأتراك ، وكان من الواضح أنه من الأجدي للبريطانيين جعل أراضي أبو ظبي تنتهي في العديد بدلاً من انتهائها عند أسوار بلدة الشيخ .

٢٤٣ - وعلى الرغم من مخاوف البريطانيين ، فإن ما سمي بحكم الأتراك في إقليم الحسا كان حكماً مزعجاً ينقصه التأييد الشعبي . وفي عام ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) ذكر اللفتنت كولوئيل روس خليفة بلي في منصب المعتمد البريطاني :

... لقد جأ العرب المقيدون بالشكوى من ظلم الموظفين والجنود الأتراك .
... وانتقلت المسألة التركية الوهابية إلى مرحلة جديدة تتجه نحو تقلص نفوذ الأتراك وسلطتهم في تلك المقاطعة (الحسا) . (٢٢)

(٢١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٨١٨ - ٨١٩ .

(٢٢) التقرير الإداري (١٨٧٣ - ١٨٧٤ م) ص ٩ .

ومع أنه كان على أهالى شرق جزيرة العرب أن يدعنوا إلى قوة الأتراك العسكرية الكبيرة ، إلا أنهم كانوا فى قرارة نفوسهم يدينون بالولاء لحكامهم الأقدمين من آل سعود .

٢٤٤ - إن أول ثورة خطيرة فى مسقط على تركى بن سعيد وقعت فى أواخر عام ١٢٩٠ هـ (يناير ١٨٧٤ م) عندما احتلت قوات الأباضيين القادمة من الداخل بلدة مطرح المتاخمة لمسقط . بينما كان باستطاعتهم أن يحتلوا مسقط لولا أن تركى كان قد اشتراهم بمبلغ طائل من المال وتنازل لهم عن أشياء كثيرة . فكان لهذه القصة المعهودة النتيجة العادية التالية :

لقد عقدت الحكومة البريطانية النية عقب هذا ، على بذل التأييد الفعال فى البحر لصاحب العظمة السيد تركى ضد الثوار . (٢٣)

وتحركت ثلاث سفن بريطانية للعمل على تأييد تركى على ساحل الباطنة . وقد بلغ الحال مع تركى إلى مرحلة ، كتب عنه الميجر مايلز الوكيل السياسى البريطانى بالنيابة والقنصل فى مسقط :

إن مركز صاحب العظمة السيد تركى وساطته ، أخذوا يضمحلان باستمرار منذ زمن ، نظراً لاعتلال صحته ولأسباب أخرى ، وذلك فإن بإمكاننا أن نعتبر المدة الباقية له فى الحكم قطعا فترة مقلقلة ضعيفة . (٢٤)

٢٤٥ - وقام عبد الرحمن بن فيصل فى أواخر عام ١٢٩١ هـ (أواخر ١٨٧٤ م) ، تؤيده الآلاف من آل مرة وغيرهم من رجال القبائل ، بحصار المتصرف التركى داخل حصنه فى الحسا . وثار أهالى ذلك الإقليم أنفسهم

(٢٣) التقرير الإدارى ، (١٨٧٣ - ١٨٧٤ م) ص ٧٦ .

(٢٤) التقرير الإدارى ، (١٨٧٣ - ١٨٧٤ م) ص ٧٧ .

على الأتراك وقتلوا عدداً من جنودهم ، غير أن الإمدادات أنقذت الأتراك المحاصرين ، وأصبح لزاماً على عبد الرحمن أن يعود أدراجه إلى الرياض . (٢٥)

٢٤٦ - وفي أواخر عام ١٢٩١ هـ (نحو نهاية شهر يناير ١٨٧٥ م) توفي سعود بن فيصل متأثراً من مرض قد أصيب به . (٢٦) فنادى أهالي نجد بأخيه عبد الرحمن خليفة له ، غير أن مدة حكمه لم تتجاوز نصف العام إلا بقليل . وكان عبد الرحمن ذا موهبة كبيرة في شئون التوفيق ، وقد أمكنه في عام ١٢٩٢ هـ (أواخر ١٨٧٥ م) التوفيق بين عبد الله وبين أبناء سعود ، فعاد عبد الله إلى العرش لبدأ العهد الثاني لحكمه . وقنع عبد الرحمن بمنصب المستشار الرئيسي لأخيه .

(٢٥) ابن عيسى « عقد الدرر » ص ٨٨-٨٩ . لوريمر ، مجلد ١ ص ١١٣٢ .

(٢٦) إن التاريخ الصحيح هو ١٨ ذي الحجة ١٢٩١ هـ . ابن عيسى « عقد الدرر » ص ٩١ .

١٧ - العهد الثاني لحكم الإمام عبد الله بن فيصل
١٢٩٢ - ١٣٠٧ هـ (١٨٧٥ - ١٨٨٩ م)

٢٤٧ - لم يكن العهد الثاني لحكم الإمام عبد الله موفور الحظ كعهده الأول في الأيام التي سبقت ثورة أخيه . لقد طرأ الضعف على الدولة بسبب الصراع الطويل على السلطة ، كما كان الأتراك ما زالوا يحتفظون بمراكز عسكرية تعزل الرياض عن الاتصال بالبحر عند المناطق المجاورة للحسا ، كذلك كانت سلطة آل رشيد الجديدة تنمو في شمال جزيرة العرب منافسة لآل سعود .

٢٤٨ - وفي ١٢٩٢ هـ (نوفمبر ١٨٧٥ م) ترك اللفتنت كولونيل مايلز مقره كوكيل سبامسي لبريطانيا في مسقط ليقوم بزيارة إلى البريمي لم تتجاوز في مدتها يوماً واحداً . وبطبيعة الحال كانت المعلومات التي قدمها على أساس ما شاهده بنفسه ، أدعى بكثير للاعتقاد عليها من المعلومات التي جمعها عن طريق الإشاعات والتقول . ووجد مايلز أن الواحة قد « عادت الآن إلى نعيم أصحابها الأصليين » .^(١) وقد تمكن من أن يرى هذه الحقيقة بسهولة خلال الساعات القليلة التي أقامها هناك . ويقول مايلز عن هذه القبيلة :

إن أقوى القبائل الغافرية وأبرزها في الوقت الحاضر هي نعيم التي تنقسم إلى قسمين متساويين متباينين ، لكل منهما بطون كثيرة ، ويبلغ مجموع القبيلة نحو عشرين ألف نسمة . وهم يحتلون البريمي نفسها وكذلك صعرا ، وامتلاكهم للتصحر يمكنهم من السيطرة على القرى بأكملها . ومنذ أيام السيد عزان لم تتدخل حكومة مسقط في الواقع في شؤونهم ، غير أنهم طبعاً يدينون بالولاء للسلطان الحالي .^(٢)

(١) مايلز « بلدان الخليج الفارسي وقيابله » مجلد ٢ ، ص ٥٣٧ .

(٢) مايلز « على الطريق بين صحار والبريمي في عمان ، مجلة الجرمية الاميوية في البنغال ، مجلد ٤٦ (١٨٧٧ م) ص ٥٢ .

إن القول بأن نعيم كانت طبعاً تدين بالولاء إلى سلطان مسقط ، ما هو إلا مجرد تصريح يفتقر إلى بينة ، وهو الأمر المتوقع من موظف بريطاني كان على صلة وثيقة بسلطان مسقط مدة طويلة . أما القبيلة في الحقيقة فقد كانت تدين في ذلك الوقت كما تدين الآن بالولاء لآل سعود ، ويؤيد ذلك بيان مايلز نفسه عندما قال إنه منذ أيام عزان فإن القبيلة « لم تتدخل حكومة مسقط في الواقع في شؤونها » .

٢٤٩ - ولم يشارك الكولونيل روس سلفه في أوامره بصدد العديد فقد كتب إلى حكومة الهند في ١٢٩٣ هـ (يوليو ١٨٧٦ م) يقول :

على ساحل قطر في حور العديد تقع قرية لبني ياس الذين هم بزعامة الشيخ بطي بن خادم . وهؤلاء المستوطنون كانوا قد انشقوا على أبو ظبي منذ بضع سنوات ، ومنذ ذلك الحين ورئيس ذلك المكان يتحرق لمهاجمة العديد وإخضاع السكان لسلطانه . على أنه لم يرخص له بالتوجه بجزراً ، كما أن سلوك الطريق البري على طول الشاطئ متعذر عملياً . (٣)

هذا ولم يكن المعتمد الحديد قد أعطى تعليقات بعد فيما يتعلق بوجهة النظر الرسمية . ولو كان كل الساحل بين أبو ظبي والعديد يشكل جزءاً لا يتجزأ من أملاك أبو ظبي ، لما كان سلوك الطريق البري على طول الشاطئ يعتبر متعذراً عملياً . إذ يكن الطريق كذلك بالنسبة للسعوديين في ترددهم المنتظم بين الحسا والبريمي . وعلى الرغم من أن الكولونيل بلي قرر أن قبسات العديد هم رعايا لحاكم أبو ظبي إلا أن بيان لوريمر يشهد بأنهم منشقون واثرون :

لقد ظلت العلاقات عدائية بين شيخ الدوحة وشيخ أبو ظبي منذ عام ١٨٧٦ فا بعده ، وذلك بسبب وجود الثائرين من بني ياس في العديد . . . (٤)

(٣) التقرير الإداري (١٨٧٥ - ١٨٧٦ م) ص ٣ .

(٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٨١٩ .

٢٥٠ - ويحتوى تقرير إدارة مكتب المعتمد في الخليج الفارسي لعام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ - ١٨٧٧ م) ، الذى أعده اللفنتنت كولونيل بريدو القائم بأعمال المعتمد ، على عبارة عن العديد .

لقد كانت قرية بنى ياس في العديد تحت زعامة الشيخ بطل بن خادم سبياً في إيجاد بعض المتاعب لمكتب المعتمد . فإن بنى هاجر وغيرهم من بدو القبائل المغيرة الذين يسكنون بجوار العديد والذين لم يكن للشيخ عليهم سلطة فعالة ، قد قاموا في أكثر من مرة بالحصول على قوارب في هذا الميناء واستعملوها بالقوة والإكراه في أعمال القرصنة ، وقد وردت أذباء خلال العام الماضى عن بعض الاعتداءات على السفن التجارية المسالمة . إن قرب العديد من الممتلكات التركية على ساحل قطر يشكل بعض الصعوبة في إيقاع العقوبات الرادعة بهؤلاء المتبردين ، وذلك نظراً لارتياح بأن أية حركة تقوم بها السلطات البريطانية يمكن أن تؤدي إلى تشجيع الشيخ على أن يضع نفسه تحت السيادة المباشرة للباب العالى . على أن هناك بعض الدلائل التي ظهرت مؤخراً وهي تشير بأن الأهالى قد انتابهم الملل من مركزهم غير المريح ، وتبرر التقارير الأخيرة وجود بعض الأمل بإقامة مصالحة بين الشيخ الخارج ورئيس أبو ظبي الذى كان يدعى دائماً بالعديد جزءاً لا يتجزأ من أراضيه . (٥)

ويذكر لوريمر آل مرة من بين القبائل البدوية ذات النشاط في جوار العديد ثم ، يذهب إلى سرد ما وقع بين الحكومتين البريطانية والعمانية فيقول :

لقد وقع عدد من أعمال القرصنة من جانب آل مرة في عامي ١٢٩٣ و ١٢٩٤ هـ (١٨٧٦ - ١٨٧٧ م) وآل مرة هي قبيلة بدوية تتبع اسمياً الاتراك ، وكانت تلك الأعمال تجرى من موانئ العديد الصغيرة . ولم يستطع رئيس العديد أن يحول دون هذه الأعمال ، ولذلك أضحي من الضروري تقديم احتجاجات للحكومة التركية . وبينما تحاشت حكومة صاحبة الجلالة ذكر العديد بالذات حتى لا تثير مشكلة إقليمية مزعجة ، إلا أنها استلقت نظر الباب العالى إلى ازدياد القرصنة على طول ساحل قطر ، نتيجة لامتداد السيادة التركية في ذلك الاتجاه ، وعبرت حكومة جلالتها عن تصميمها بعدم السماح في تمكين صفو الهدوء في منطقة الخليج الفارسي من جانب المغيرين ، سواء كانوا قادمين من أماكن مثل الدوحة الواقعة بالفعل ضمن الممتلكات التركية أو كانوا تابعين لقبائل اعترفت بالسيادة التركية ، وبحجرين من موانئ شيوخ مستقلين لا يقوون على الحيلولة دون إساءة استعمال أراضهم .

(٥) التقرير الإدارى (١٨٧٦ - ١٨٧٧ م) ص ٢ - ٣ .

فأنكرت الحكومة التركية في ردها عليها بأعمال الترسنة على ساحل قطر وطلبت تزويدها بالتفصيلات .^(٦)

ويظهر أن حكومة صاحبة الجلالة لم تكن متأكدة تماماً من صحة ما أراد بلي أن ينسبه . حتى تكون مستعدة لإثارة موضوع تبعية العديد مع الحكومة العثمانية في هذا الوقت .

٢٥١ - وفيما يتعلق بتطورات الأمور في العديد عام ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) فقد أكد الكولونيل روس مرة أخرى أن سكان ذلك المكان لم يعتبروا أنفسهم رعايا لرئيس أبو ظبي ، إذ قال :

إن المنشقين عن أبو ظبي تخلوا عن ولائهم لرئيس قبيلتهم وأنكروا سلطته .^(٧)

وبالنظر إلى الاعتداءات التي كانت تقع على السفن من جانب آل مرة وغيرهم من القبائل بجوار العديد ، فقد قررت حكومة الهند أن تحاول إيجاد صلح بين القبيسات وبين زايد رئيس أبو ظبي وأن تعتمد ، إذا اتضحت استحالة الصلح ، إلى تأييد زايد في فرض سلطته على العديد (مثال آخر على سياسة « عدم التدخل » القديمة) . أما القبيسات ، وقد قاسوا الكثير من ظلم زايد ، فقد رفضوا قبول سلطته عليهم . وذكر الكولونيل روس أن شيخ العديد قرر كتابة أنه أصبح يعتمد على مساعدة الأتراك .^(٨) وفي أواخر عام ١٢٩٤ هـ (أواخر عام ١٨٧٧ م) سحب الكولونيل روس زايد على ظهر السفينة البريطانية « تيزر » إلى العديد ، « بقصد منع أي بلوء للشدة أو القسوة اللذين لامبرر لهما » .^(٩) هكذا كانت أخلاق زايد في نظر حلفائه . ولدى وصول البريطانيين مع زايد ، وجدوا أن القبيسات قد هجروا البلدة بعد أن قوضوا بيوتهم ودمروا

(٦) لوريجر ، مجلد ١ ، ص ٨١٩ .

(٧) التقرير الإداري (١٨٧٧ - ١٨٧٨ م) ص ٣ .

(٨) لوريجر ، مجلد ١ ، ص ٧٧٠ .

(٩) التقرير الإداري (١٨٧٧ - ١٨٧٨ م) ص ٤ .

الآبار . وكانت هذه هي نهاية قرية العديد . ولم يكن زايد يرغب في بقاء القبيسات المستقلين هناك ، كما أنه لم يكن يرغب في أن يحل محلهم أحد :

حيث أن شيخ أبو ظبي يعارض على تجديد قرية العديد فيظل المكان غير مأهول ،
وحيث أن الآبار أصبحت مردومة فإن يكون هناك ما يجتذب الأعراب الناهبين للجوء
إليها من المناطق المجاورة . (١٠)

وتوجد في هذا العرض صورة تبين أطلال العديد كما تبدو في الوقت الحاضر .
ومنذ عام ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) كانت القبائل السعودية من المناصير وآل مرة
وبني هاجر تتراد العديد وما يجاورها . وقد قام المناصير بإعادة فتح
إحدى الآبار التي طمرها القبيسات ، وأزالوا مدفعاً قديماً كان يسد عنق البئر .
ولكن على الرغم من ذلك فإن وجود قرية كان يسكنها في يوم من الأيام أناس
قدموا من أبو ظبي ، مع التجاهل بأنهم كانوا في الواقع منشقين ، ما زال ذريعة
تعلق عليها ادعاءات خيالية بالحدود ، وهي ذريعة لم تنسها الحكومة البريطانية .

٢٥٢ - وزحف اباضيو عمان الداخلية على تركي بن سعيد سلطان مسقط
مرة أخرى عام ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) ، عندما روعهم « عدم تدين عظمتهم
وانحلال أخلاقهم » . (١١) وبغض النظر عما كان عظمتهم قد فعل ، فقد كان
لزماً على الحكومة البريطانية أن تسانده . وظهرت السفينة الحربية « تيزر » على
المسرح وقذفت بقنابلها أولئك الذين يعارضون في مسلك عظمتهم . وللمرة الثانية
أنقذ تركي من معارضة نائرة غاضبة .

٢٥٣ - وفي صيف عام ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) قاد أبناء سعود بن فيصل
ثورة على الأتراك في إقليم الحسا . وكانت القوات السعودية تتألف في الدرجة
الأولى من البدو ، فحاصرت الحامية التركية في القطيف وتظاهر البريطانيون

(١٠) التقرير الإداري (١٨٧٧ - ١٨٧٨ م) ص ٤ .

(١١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٥٥ .

أن يوسعهم لإنقاذ أشخاص آخرين إلى جانب سلطان مسقط . على الأقل ، يقول الكولونيل روس أن القطيف « تدين بخلاصها في المقام الأول إلى ظهور سفينة صاحبة الجلالة «فلتشر» التي كانت تجوب البحر ضد القراصنة » . (١٢) وعلى كل حال فقد كان يتحتم على الأتراك أن يبعثوا بإمدادات كبيرة من العراق حتى يتموا قمع الحركة . وعندما انسحب الزعماء السعوديون إلى البحرين أشار البريطانيون على رئيس تلك الجزائر « بعدم لياقة حماية أشخاص عرفوا مؤخراً باتصالم بأعمال الاضطرابات في أراضي دولة صديقة مجاورة » . (١٣) ضارين عرض الحائط بالتقاليد العربية المرعية التي تقضى باحترام مبدأ اللجوء السياسي . وسمح الموظفون البريطانيون لأنفسهم مرة أخرى في أن يداعبهم الأمل برؤية نهاية الدعوة إلى التوحيد (قارن بالفقرة ٧٩ السابقة) . وكتب الكولونيل روس يقول :

... إن حكم طائفة الوهابيين الدنيوى ، يسير سريعاً نحو الاضمحلال . وإن أساطير أعمالهم الشرسة أصبحت قصصاً قديمة من قصص العهود الغابرة . (١٤)

ويقول الكولونيل في نفس الوقت تقريباً إنه وقعت خلال السنة « أكثر من عشرين حادثة من سلب القوارب ونهبها » . (١٥) ومن الواضح أن حكومة جلالتها كانت تفضل ضعف الأتراك النسبي المقترن بالقلقل في البر والبحر ، كما كان الحال ، على قوة العهد السعودي وأمنه .

٢٥٤ - ويقدم لوريمر قائمة طويلة تتضمن حوادث عديدة مخرلة بالأمن اشترك فيها المناصير وآل مرة وبنى هاجر في إقليم الحسا خلال الفترة من ١٢٩٥ إلى ١٣٢٥ هـ (١٨٧٨ م إلى ١٩٠٧ م) . (١٦) وهذه القائمة أهميتها

- (١٢) التقرير الإدارى (١٨٧٨ - ١٨٧٩ م) ص ٦ . قارن بلوريمر ، مجلد ١ ، ص ٩٨٣ .
 (١٣) التقرير الإدارى (١٨٧٨ - ١٨٧٩ م) ص ٥ . قارن بلوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٣٤ .
 (١٤) التقرير الإدارى (١٨٧٨ - ١٨٧٩ م) ص ٦ .
 (١٥) التقرير الإدارى (١٨٧٨ - ١٨٧٩ م) ص ٧ .
 (١٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٩٨٣ - ٩٨٧ .

لسبيين : أولاً ، أنها تبين صلة هذه القبائل الوثيقة بالمناطق التي لا نزاع في طابعها السعودي ، وثانياً أنها تكشف عن تمدد القبائل في حالة غياب قبضة الحكومة السعودية القوية وانعدام ذلك النفوذ الرادع في الشريعة الإسلامية .

٢٥٥ - وفي عامي ١٢٩٥ و ١٢٩٦ هـ (١٨٧٨ و ١٨٧٩ م) ، لم يكن هناك أى قتال يستحق الذكر في المناطق المجاورة للساحل الجنوبي الشرقي للخليج الفارسي . وكانت هذه أول مرة لا يجرى فيها قتال هناك أثناء غياب الأمير السعودي عن البريمي . وكتب الكولونيل روس في تقرير له ، بأنه قد قيل إن ذلك « يعود جزئياً إلى حالة العوز والفاقة التي كانت عليها القبائل المختلفة » . (١٧) ولم يشر الكولونيل إلى أى سبب آخر .

٢٥٦ - وقدم الكولونيل مايلز عام ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) القائمة التالية إلى حكومة الهند ليبين المدن والحصون التي يحكمها الولاة المعينون من قبل تركي ابن سعيد :

صور	قوادر	السيب
سمائل	خصب	المصنعة
نزوى	ازكى	مطرح
نخل	السويق	ظفار
قريات	شناصر (١٨)	

ويلاحظ بأنه ليس بين هذه الأماكن مكان واحد يقع في الظاهرة أو في إقليم البريمي أو بالقرب من أى منهما .

٢٥٧ - وفي عام ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) انشق بمض أفراد نعيم في جوار البريمي على أنفسهم وتدخل أمير بلدة عجمان ، وهو أحد أبناء هذه القبيلة ،

(١٧) التقرير الإداري (١٨٧٨ - ١٨٧٩ م) ص ٣ .

(١٨) التقرير الإداري (١٨٧٨ - ١٨٧٩ م) ص ١١٦ .

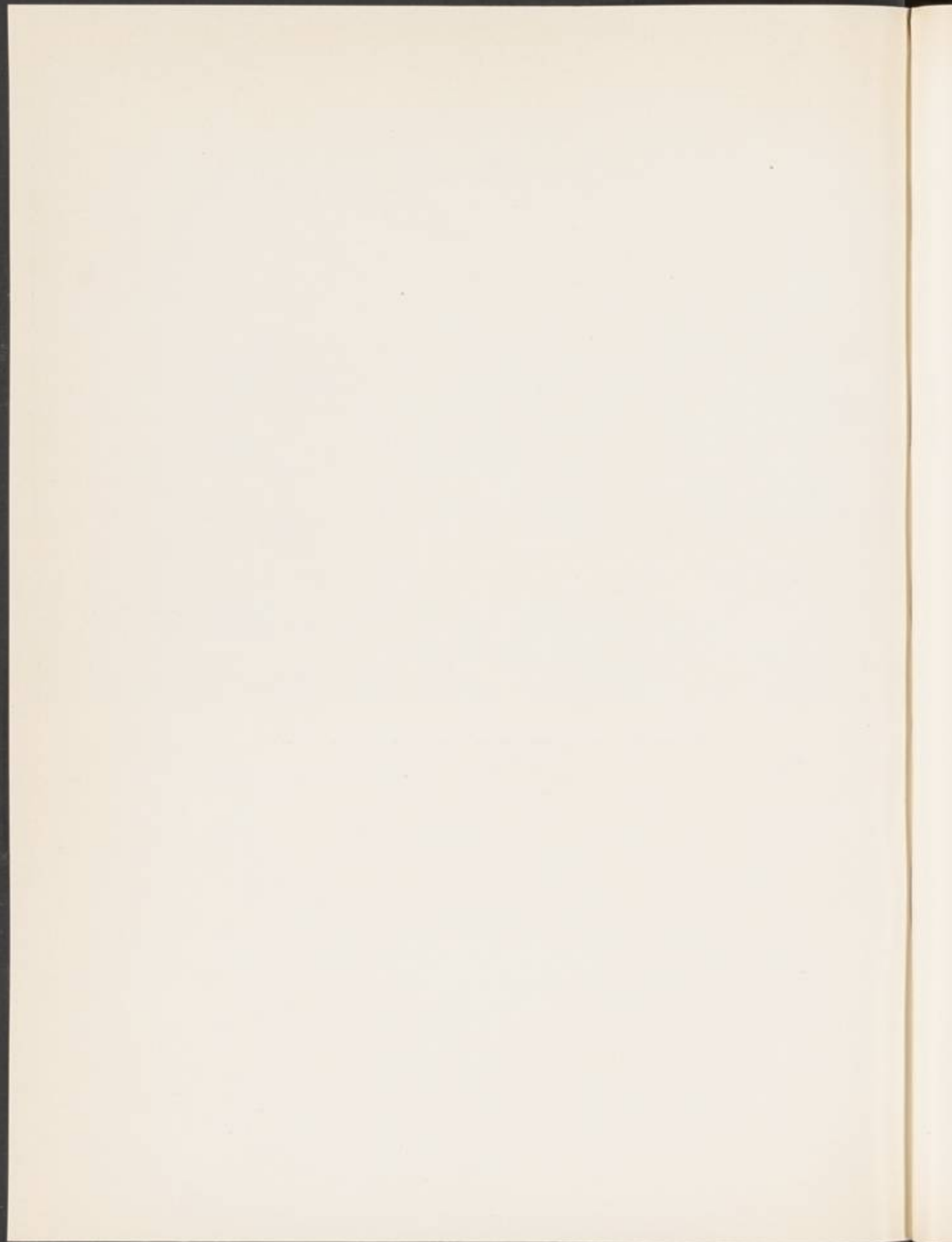
لتسوية هذه المسألة. (١٩) وزار الواحة بنفسه لهذا الغرض . وعندما كان أفراد قبيلة نعيم يعانون هذه المصاعب خلال فترة أفل فيها نجم الحكم السعودي ، فإنهم لم يتوجهوا إلى أبو ظبي أو مسقط (قارن بالفقرة ٢٦٩ اللاحقة) .

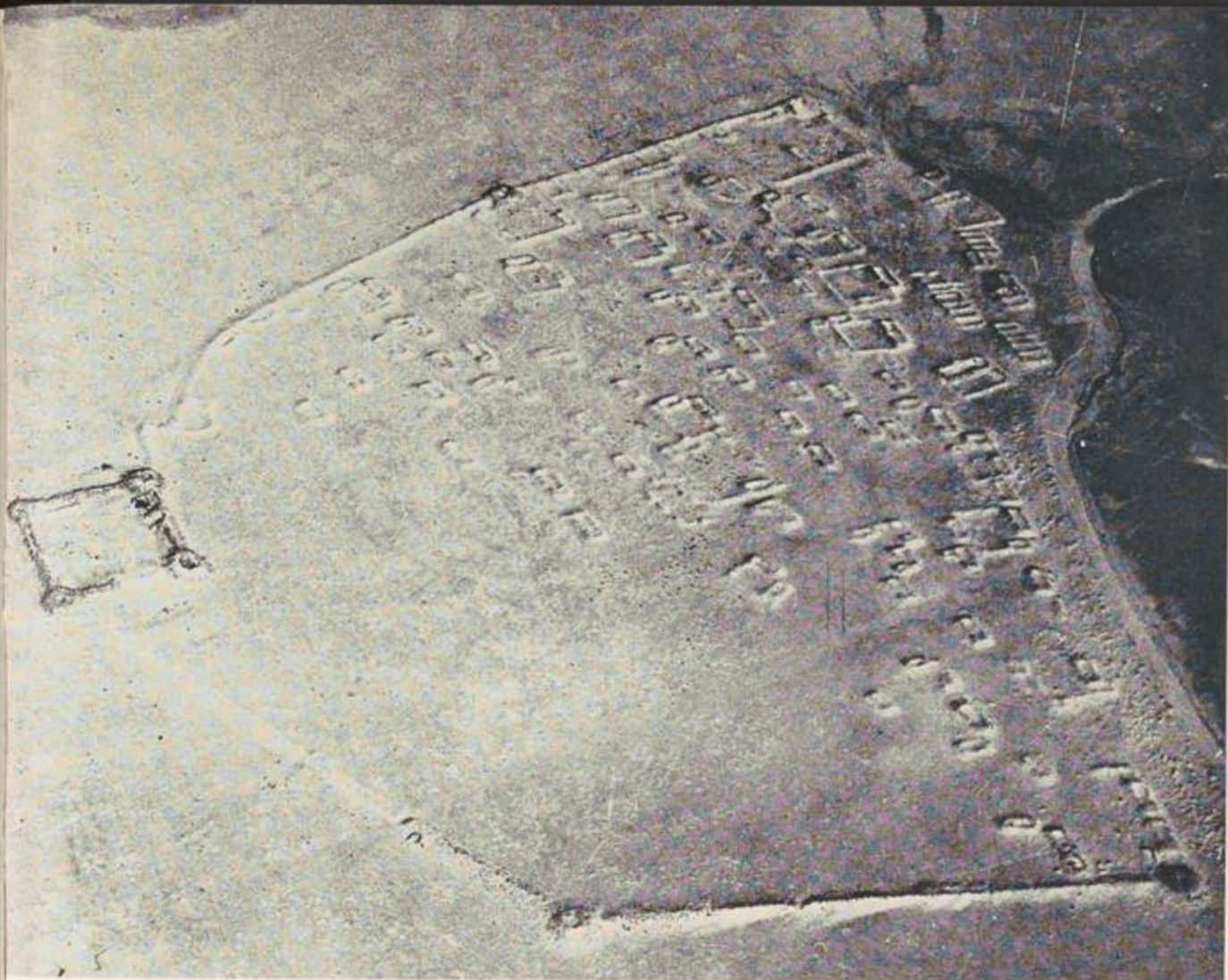
٢٥٨ - وبينما كانت القبيسات مستقرة في العديد ، فإن ذلك المكان « قد وقع إلى حد كبير » تحت سلطة الشيخ قاسم (حاكم قطر) . (٢٠) وخاض قاسم غمار حرب متواصلة تقريباً ضد زايد رئيس أبو ظبي مدة عشر سنوات أو ما يقاربها تبدأ من عام ١٢٩٨ هـ (١٨٨١ م) . وكانت ملكية العديد هي إحدى النقاط التي دار حولها النزاع . وكما يتضح من البيان الذي قدمه عبد الله ابن قاسم (الملحق ١١٢) ، فإن قطر تطالب بالعديد في حالة عدم تقدم السعوديين بالمطالبة بها ، وما طرأ على الدولة السعودية من حالة ضعف مؤقت آنئذ يبرر عمل قاسم في اتخاذ ذلك الموقف . وقد زاد وجود الأتراك في أراضي قاسم من مخاوف البريطانيين وشدد من تصميمهم على اعتبار العديد تابعة لزايد مع أنه لم يمارس أية سلطة هناك .

٢٥٩ - وفي عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م) نشبت ثورة هائلة على حكم تركي ابن سعيد ، والمفهوم أن أهالي عمان كان هدفهم إبدال السلطان بإمام . (٢١) وظهرت السفينة الحربية البريطانية « فيلومل » للمساعدة على حفظ عرش السلطان المتداعي من الانهيار . ولتبع تكرار مثل هذه المصاعب قامت الحكومة البريطانية في عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٦ م)

وأعلنت للعموم عزوها على تقديم مساندة فعالة للسيد تركي في حالة وقوع هجمات على مسقط . وكان لذلك أثر ناجع في حفظ السلام خلال بقية أيام حياته . (٢٢)

- (١٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٣٢ - ٧٣٣ .
 (٢٠) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٨١٩ .
 (٢١) لوريمر ، مجلد ١ ، جزء ٢ ، ص ٢٣٧٥ .
 (٢٢) ايتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٢٧٨ .





منظر أخذ من جنوب أمالال العديد ، وتبدو بقايا القصر إلى اليسار في حين يبدو شاطئ
خور العديد إلى اليمين .

وقد صدر ذلك التصريح في حفل أقيم بمسقط لتقديم وشاح « نجمة الهند من درجة فارس وقائد أعظم » إلى تركي . (٢٣)

٢٦٠ - والطرق التي كان يلجأ إليها تركي بن سعيد للاحتفاظ بالعرش ، في الوقت الذي لا يدعو البريطانيين لمساعدته ، يوضحها سلوكه نحو أحد زعماء الداخل في عام ١٣٠١ هـ (١٨٨٤ م) بحسب ما ترويه السجلات البريطانية الرسمية . فقد دعا تركي ذلك الزعيم إلى مسقط ، قاصداً تبديله « بتابع أكثر طاعة وإخلاصاً » وقد ثارت شكوك الزعيم فلم يحضر ، ولكن تركي جدد له الدعوة بعدها بقليل .

وإذ تلقى (الشيخ محمد) وعداً بالأمان ، وصدق كلام الرسل ، حضر أمام السلطان الذي اعتقله وبجنته في الحال . ثم وافق الشيخ محمد على تسليم حصن ازكي بشروط معينة . ولكن القبيلة ، حين علمت بهذه الشروط ، غضبت للمعاملة التي عوبل بها زعيمهم ، ونقضت الاتفاقية . (٢٤)

فلا غرابة إذن في قول لوريمر :

وعلى كل حال فقد استمر الاضطراب القبلي وتجاهل سلطة السلطان في المقاطعات البعيدة وفي بعض المقاطعات القريبة أيضاً . (٢٥)

٢٦١ - ووجد تركي بن سعيد أن أصدقاءه أيضاً يسببون له المشاكل في بعض الأحيان :

أعرب سلطان مسقط في عام ١٣٠٣ هـ (يناير عام ١٨٨٦ م) عن مخاوفه من أهداف زعيم أبو ظبي الشيخ زايد بن خليفة ، الذي أشيع أنه ينوي أن يغير على ساحل الباطنة . وذكر وكيل مكتب المعتمد في الشارقة أن الشيخ زايد قد قام شخصياً باتصالات مع أعداء السلطان في الشرقية بقصد تكبير صفو السلام في أراضي مسقط . إلا أن

(٢٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥١٩ .

(٢٤) التقرير الإداري (١٨٨٤ - ١٨٨٥ م) ص ١٧ .

(٢٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥١٦ .

الشيخ زايد نفي عن نفسه أى قصد للقيام بأية أعمال عدوانية ضد السلطان وعبر عن صداقته المستمرة لعظمة السيد تركى . (٢٦)

٢٦٢ - وقد اتهم أفراد قبيلة المناصير بنهب بعض القوارب فى حصيان وغنتوت وغناضة عام ١٣٠٤ هـ (١٨٨٧ م) . ومع أن الساحل الذى تقع عليه هذه الأمكنة يبعد نحو خمسين كيلو متراً فقط عن بلدة أبو ظبى إلا أنه مما هو جدير بالذكر أن الكولونيل روس المعتمد البريطانى لا يشير إليها بأكثر من كونها « تحت سلطة رئيس أبو ظبى اسماً » . (٢٧) وأثيرت مسألة ما إذا كان هذا الرئيس مسئولاً عن أعمال المناصير المزعومة . ويقول الكولونيل روس :

لم يثبت لى بشكل واضح أن المناصير ، وهم الذين اتهموا بأعمال الشغب ، يخضعون فى الحقيقة لسلطة الشيخ زايد وإشرافه . (٢٨)

ويتحدث لوريمر عن الحادثة نفسها فيقول :

. . . بما أنه لم يتضح أنه يمكن اعتبار شيخ أبو ظبى مسئولاً عن الأعمال السيئة التى قامت بها قبيلة خارجة عن القانون وهامة على وجهها ، فإن السلطات البريطانية لم تعمل أكثر من أن تترك المسألة الشرفه ولتقديره لواجب العدالة . (٢٩)

ولا توجد هناك أية إشارة تدل على أن زايد قد استجاب لهذه المناشدة بأن قام بأى إجراء ملموس . وأن هذا الرأى الذى أخذ به المعتمد البريطانى بعد دراسته بشأن العلاقة بين المناصير وشيخ أبو ظبى - فى وقت كانت فيه الدولة السعودية ضعيفة وكان يحكم أبو ظبى أقوى الشيوخ فى تاريخها - يمكن اتخاذه ضد البيان الذى تقدم به فيما بعد شيخ آخر لأبو ظبى بأن قبيلة المناصير هى خاضعة

(٢٦) التقرير الإدارى (١٨٨٥ - ١٨٨٦ م) ص ٦ .

(٢٧) التقرير الإدارى (١٨٨٧ - ١٨٨٨ م) ص ٦ .

(٢٨) التقرير الإدارى (١٨٨٧ - ١٨٨٨ م) ص ٦ .

(٢٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٣٥ .

له ، متخذاً من هذا البيان سنداً لادعاءاته الإقليمية (الفقرة ٧٧ من الفصل الخامس فيما بعد) .

٢٦٣ - وكان لزاید بن خليفة رئيس أبو ظبي مطامع في البريمي حيث أرغمه قواسم الشارقة على التخلي عن القصر الذي احتله مدة قصيرة في صعرا عندما كان يعمل باسم الإمام عزان (الفقرة ٢٣٣ السابقة) . وفي عام ١٣٠٤ هـ (١٨٨٧ م) اتخذ خطوة أخرى سعياً وراء تحقيق مطامعه وذلك بمهاجمة الظواهر في البريمي ، وهم « الذين عارضوا نفوذه في ذلك المكان » .^(٣٠) وكان الظواهر حذرين من زاید نتيجة لإنذار شيخهم محمد بن أحمد الذي قال لهم :

إن هذا الرجل لم ير من قبل إلا خضرة البحر وقد رأى اليوم خضرة المال (أي النخيل) .^(٣١)

وسأل زاید أحد أصحابه عن موقف الظواهر فيما لو جاءهم . فأجابه صاحبه بأنهم كانوا جياًعاً عراة يتطلعون إلى مقدمه كيما يطعمهم ويكسوهم . فنقلت هذه الملاحظة إلى الظواهر الذين بعثوا إلى زاید يبلغونه بأنه لن يدخل أراضيهم ، وفضلوا البقاء على جوعهم وعريهم .^(٣٢) ومع أن زاید أحرز انتصاراً مؤقتاً عليهم إلا أنه لم يفلح في تحطيم روحهم .

٢٦٤ - وكان الكولونيل روس على أهبة الاستعداد لإحباط أي تهديد موجه ضد تركي بن سعيد صنيعه البريطانيين :

... وفي عام ١٣٠٤ هـ (يوليو ١٨٨٧ م) قامت مجموعة خطيرة جداً بحركة ضد السلطان قضى عليها في مهدها ، واحبطت كلياً بفضل العمل السريع الحازم الذي اتخذته أنا والوكيل السياسي الكولونيل موكلر بموافقة حكومة الهند . . .^(٣٣)

(٣٠) التقرير الإداري (١٨٨٧ - ١٨٨٨ م) ص ٦ .

(٣١) « عقود الجمان » ص ١٩٣ .

(٣٢) « عقود الجمان » ص ١٩٣ .

(٣٣) التقرير الإداري (١٨٨٧ - ١٨٨٨ م) ص ٥ .

وقد أخبر الكواونيل موكلر فريدرخ روزن وهو مستشرق رحالة دبلوماسي ألماني زار مسقط آنشد .

إن وصول الأعداء إلى أبواب مسقط كان في كل عام بمثابة نذير لجيش السلطان بالاختفاء في أحياء المدينة وكهوفها ، وكان حفظ النظام موكولا في معظمه إلى إحدى السفن البريطانية الحربية الصغيرة التي كانت تجوب الخليج . وكان على السلطان بالطبع أن يلجأ إلى أية وسيلة مهما بلغت من القسوة للتقضاء على أشد خصومه خطراً. (٣٤)

٢٦٥ - وفي عام ١٣٠٥ هـ (أواخر عام ١٨٨٧ م) انتزع أبناء سعود بن فيصل مدينة الرياض من يد عمهم الإمام عبد الله . (٣٥) وكتب أكبر هؤلاء الأبناء محمد المعروف بغزلان ، والذي كان يطلق عليه « فارس جزيرة العرب » (٣٦) في الحال إلى زعماء الساحل الجنوبي الشرقي والأراضي الواقعة إلى الداخل منه ، معلناً اعتلاءه العرش . (٣٧) فحتى في أيام الشدة لم ينس آل سعود أتباعهم القدماء في إقليم البريمي . وعلى كل حال فإن الخصام بين العم وأبناء أخيه قد أتاح الفرصة لمحمد آل رشيد الذي كانت قوته تنمو وتطرد في شمال جزيرة العرب للزحف جنوباً إلى الرياض . (٣٨) ودام الصراع بين آل سعود وآل رشيد على أواسط نجد طيلة السنوات الأربع التالية .

٢٦٦ - توفي تركي بن سعيد في مسقط في عام ١٣٠٥ هـ (يونيو ١٨٨٨ م) ويصفه لوريمر بأنه كان « هزيل الأخلاق ، وغادراً في مسلكه أحياناً » . (٣٩) لقد كان ضعيفاً (٤٠) ، وهو ما كان يرغب فيه البريطانيون على ما يظهر ، إذ أن

(٣٤) فريدرخ روزن ، « ذكريات دبلوماسي ألماني في الشرق » (١٩٣٠ م) ص ٤٧ .
 (٣٥) أبي عيسى « تاريخ نجد » ص ٦١ .
 (٣٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٣٨ .
 (٣٧) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٣٧ .
 (٣٨) ابن عيسى « تاريخ نجد » ص ٦١ .
 (٣٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥١٧ .
 (٤٠) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥١٨ .

ذلك قد أدى إلى « اعتماده على البريطانيين كلياً » (٤١) ويؤكد لوريمر ضعف سلطته فيقول :

لقد كانت سلطة السلطان في كل الأماكن الواقعة بعيداً عن عاصمته ، حتى في نهاية حكمه ، إما اسمية أو واهية . (٤٢)

ويجب استعراض النظر هنا إلى بيان لوريمر ، الذي ينبر السبيل فيما يتعلق بادعاء مسقط بجزء من البريمي . إن وادي حتى ، وهو من أهم الوديان في الجزء الغربي من سلسلة جبال الحجر ، يقع على بعد نحو سبعين كيلو متراً إلى الشمال الشرقي من البريمي . ويقول لوريمر إن حجرين ومصفوت ، وهما قرىتان تقعان في الجزء الأعلى من الوادي « يبدو أنهما كانتا تابعتين في الأصل لسلطنة عمان شأنهما في ذلك شأن الجزء الأسفل لوادي حتى الذي ما زال تابعاً لها إلى الآن . (٤٣) ويمضى فيقول « وفي فترة تلت فيما بعد أثناء حكم السيد تركي أذعن سلطان عمان نظراً لعجزه عن الدفاع عن حجرين ضد نعيم في البريمي ، إلى إحالتها عملياً لشيخ دبي » . (٤٤) والتفسير الوحيد الممكن لهذا القول هو أن سلطان مسقط لم يملك أية سلطة إطلاقاً على قبيلة نعيم في البريمي ، كما أنه بالإضافة إلى ذلك كان عاجزاً تماماً عن حماية ممتلكات كانت في السابق تابعة لعائلته ضد هذه القبيلة مما اضطره إلى التنازل عن حقه فيها .

٢٦٧ — ولم يكن فيصل بن تركي الذي خلف والده أقوى من أبيه في مسقط :

. . . لقد كانت سياسته (أي فيصل) بليدة جعلت أكثر القبائل ميلاً له تنفر منه ، ومرد ذلك إلى إهماله أكثر منه إلى عدم كفاءته . (٤٥)

(٤١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٢٢ .

(٤٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥١٧ .

(٤٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٥٢ .

(٤٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٥٢ .

(٤٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٣١ .

ولم يتحسن مركز عظمته في الواقع من حيث الإشراف على الإدارة في سائر أنحاء البلاد عموماً ، إن لم تكن في تقهقر. (٤٦)

٢٦٨ - وفي ذى الحجة عام ١٣٠٥ هـ (أغسطس عام ١٨٨٨ م) قتل أمير الرياض الرشيدى ثلاثة من أبناء سعود بن فيصل من بينهم غزلان. (٤٧)
 (الفقرة ٢٦٥ السابقة) . وتوفي الإمام عبد الله في الرياض في ٢ ربيع الثاني ١٣٠٧ هـ (نهاية عام ١٨٨٩ م) . (٤٨) وهكذا ففي وقت يزيد قليلاً على عام واحد فقد آل سعود معظم زعمائهم ، إلا أن عبد الرحمن بن فيصل بقي ليواصل الكفاح ضد آل رشيد .

٢٦٩ - وفي عام ١٣٠٦ هـ (إبريل ١٨٨٩ م) قصد أمير بلدة عجمان مرة أخرى إلى البريمي (قارن بالفقرة ٢٥٧ السابقة) « حيث توسط بين قسمين متخاصمين من قبيلة نعيم وأجرى صلحاً بينهما » . (٤٩)

(٤٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٣٢ .

(٤٧) ابن عيسى « تاريخ نجد » ص ٦١ .

(٤٨) ابن عيسى ، « تاريخ نجد » ، ص ٦٢ .

(٤٩) التقرير الإداري (١٨٨٩ - ١٨٩٠) ص ٥ .

١٨ - حكم الإمام عبد الرحمن بن فيصل ١٣٠٧ - ١٣٠٩ هـ
(١٨٨٩ - ١٨٩١ م)

٢٧٠ - لقد اعترف أهالي نجد بعبد الرحمن قبل هذا إماماً عليهم (الفقرة ٢٤٦ السابقة) ، والآن فقد وقف وحده زعيماً للقضية السعودية . وإن حوادث الماضي القريب قد استنزفت قوة أتباعه إلا أنه حافظ بعناد على نواة الدولة السعودية إلى أن اضطر في النهاية إلى التخلي أمام قوة أعدائه . ومع ذلك فإنه لم يفقد الأمل وبذل أقصى ما يمكن من الجهد بأن نشأ ولده عبد العزيز ودربه ليكون حامى الدولة ومرشدها في القرن العشرين .

٢٧١ - وفي ذى الحجة عام ١٣٠٧ هـ (نهاية يوليو ١٨٩٠ م) أخذ عبد الرحمن بن فيصل وأعوانه أمير الرياض الرشيدى أسيراً . وجاء ابن رشيد بنفسه على رأس جيشه لمقاتلة عبد الرحمن وحاصره في الرياض مدة أربعين يوماً . وإذ عجز عن إرغام المدافعين عن المدينة على الاستسلام قبل ابن رشيد أن يعترف بعبد الرحمن حاكماً على الرياض وجنوب نجد . وقد حضر المفاوضات التي أدت إلى هذه النتيجة عبد العزيز بن عبد الرحمن وكان آنئذ صبياً في العاشرة من عمره حيث اطلع في هذه السن المبكرة على كيفية معالجة شؤون الدولة .^(١)

٢٧٢ - وفي عام ١٣٠٨ هـ (النصف الأول لعام ١٨٩١ م) أحرز ابن رشيد نصراً عظيماً في المليداء على حلفاء عبد الرحمن في نجد . وانسحب عبد الرحمن الذي جاء لنجدتهم آنئذ ، أمام قوة ابن رشيد الفاتكة فجلا عن الرياض ، ثم

(١) أمين الريحاني « تاريخ نجد الحديث » (الطبعة الثانية ١٩٥٤ م) ص ١٠٤ - ١٠٥ .

توجه ليقم مع إحدى قبائل البدو في الصحراء. (٢) ولم يمض وقت طويل حتى تمكن عبد الرحمن من استعادة الرياض ، ولكنه لم يستقم طويلاً فيها حتى تغلب عليه ابن رشيد وخرج الإمام عبد الرحمن من الرياض ودمر ابن رشيد تحصينات البلدة وخرّب عدداً كبيراً من بساتين النخيل. (٣)

٢٧٣ - وأعرّب حاكم مسقط عن تقديره للطريقة التي اتبعها البريطانيون في إبقاء عائلته على العرش بإعطاء التعهد السري التالي في عام ١٣٠٨ هـ (٢٠ مارس ١٨٩١ م) :

إن السيد فيصل بن تركي بن سعيد سلطان مسقط وعمان يعد ويتعهد على نفسه وورثته وخلفائه بعدم التخلي عن ممتلكات مسقط وعمان أو أي من ملحقاتها أو بيعها أو رهنها أو السماح باحتلالها لغير الحكومة البريطانية. (٤)

(٢) ابن عيسى « تاريخ نجد » ص ٦٣ .

(٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٤٠ .

(٤) ايتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٣١٨ .

١٩ - فترة خلو العرش ١٣٠٨ - ١٣١٩ هـ (١٨٩١ - ١٩٠٢ م)

٢٧٤ - استمر احتلال الرياض وأواسط نجد من قبل آل رشيد ما يزيد على عشر سنوات قليلاً ، وكان يختلف في طبيعته عن الاحتلال السابق من قبل قوات محمد علي باشا . فالرجال القادمون من الشمال كانوا عرباً وكانوا أتباعاً للدعوة إلى التوحيد كما كانوا يلتقون احتراماً أعظم مما لقي الغزاة الزاحفون تحت راية أجنبية . على أنهم فشلوا بسبب حكمهم الظالم في تقويض دعائم الولاء القديم لآل سعود الذين كان الناس في نجد والممتلكات السعودية الأخرى يترقبون عودتهم بفارغ الصبر .

٢٧٥ - وبعد مغادرة الرياض طاف عبد العزيز بن عبد الرحمن مع عربان آل مرة في دبرتهم ، فتعرف على المناطق المتنازع عليها وعلى سكانها . وفي السنين التي تلت ، كثيراً ما كان الملك يقول إنه مستعد أن يتخلى عن أى قسم من ممتلكاته ما عدا هذه المناطق ، وذلك لأنها استمرت على ولائها له وقدمت له الملجأ حين عزت الملاجىء الأخرى (قارن بالملحق ٧) . ثم لجأ الإمام عبد الرحمن وعائلته إلى قطر الدولة الصديقة ومن ثم ذهبوا إلى الكويت .

٢٧٦ - وفي عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩٢ م) نشر النائب جورج نثانيل كرزن كتاباً بعنوان « بلاد فارس والقضية الفارسية » . ولمدة أعوام عديدة بعد ذلك كان كرزن ، الذى خدم نائباً للملك في الهند وزيراً للخارجية ، أحد الصناع الرئيسيين للسياسة البريطانية في الشرق . وإن كرزن ، وهو أصرح في كتاباته وأقواله من كثير من زملائه ، ليلقى كثيراً من الضوء على روح الاستعمار البريطانى وأعماله . ففي الكتاب المشار إليه يتحدث كرزن بجرأة عن محمية الخليج الفارسي البريطانية .^(١) ولأسباب خاصة بالحكومة البريطانية ، لم يحدث

(١) أوردها لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٣٢٠ .

أبدأ أن ذهبت هذه الحكومة إلى حد إقامة محميات رسمية في الخليج ، إلا أن كرزن لا يترك مجالاً للشك في الطريقة التي كان ينظر البريطانيون فيها إلى وضعهم هناك . ولا يمكن القول بأن كرزن عندما كان عضواً في البرلمان كان يتكلم بصوت يختلف عن صوت كرزن عندما أصبح من كبار رجال الحكومة البريطانية . ويقول لوريمر إن كرزن في السنة الأولى من عمله نائباً للملك ، وصف في « رسالة تاريخية » مؤرخة ٢١ سبتمبر ١٨٩٩ م ، « مصالح البريطانيين ووضعهم في الخليج الفارسي ، بلهجة مطابقة لهجة المستعملة في كتابه » (٢) . ويعلق لوريمر قائلاً :

لقد كان واضحاً من توصياته أن اتصاله بالمشكلة عن قرب كرجل أكثر مسئولية وأن خبرته المتزايدة قد عززاً رأيه في أن المحافظة على تفوق البريطانيين السياسي في الخليج الفارسي ، أمر ذو أهمية حيوية بالنسبة للإمبراطورية البريطانية . (٣)

ويتكلم كرزن في كتابه عن مسقط فيقول :

إن أمريكا هي الدولة العظمى الوحيدة بالإضافة إلى بريطانيا العظمى المثلة في مسقط بواسطة قنصل . ويشغل هذا المركز تاجر إنكليزي وبن المحتمل أن ليس لديه ما يفعله سوى مراقبة إرسال شحنات التمر ، حين يأتي فصل الحصاد . . . وبالإضافة إلى عمله السياسي مستشاراً للسلطان ، فإن الوكيل البريطاني عليه كافة الواجبات القنصلية تجاه رعايا الملكة من الهنود ، الذين يقيم بضعمة آلاف منهم ، بقصد التجارة ، في البلدة وما يجاورها ، وقد جموا في أيديهم جميع أعمال الاستيراد والتصدير تقريباً . وقد استدلت من تصرف هؤلاء الرجال ، وكذلك من تصرف العرب أنفسهم الذين كانوا عادة يبيعوننا أو يقرئوننا السلام ، استدلت أن التفوق البريطاني قوى الدعائم ونظام محبوب في مسقط . أما عمان فيمكن النظر إليها بحق كملحمة بريطانية . فنحن ندفع إعانة مالية لحاكمها ، كما أننا نعمل سياستها ، ولهذا يجب ألا نسمح بأى تدخل أجنبي . وليس عندي شك كثير في أنه سيأتي وقت ، بعد أن تنحى هذه الدويلات البدائية أمام حضارة مطبوعة بالصدقة ، يصبح فيه من الضروري

(٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٣٢١ .

(٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٣٢١ .

أن نفرض نفوذنا بشكل أكثر فعالية ويصبح العلم البريطاني يرفرف فوق قلاع مسقط. (٤)

٢٧٧ - وبحضور المعتمد البريطاني في الخليج الفارسي ، وقع رئيس أبو ظبي في شعبان ١٣٠٩ هـ (مارس ١٨٩٢ م) ، نيابة عن نفسه وعن ورثته وخلفائه ، « اتفاقية احتكارية » تحتوى على الشروط التالية :

إني لا أدخل أبداً في قرار ما ولا محاورة مع أحد من الدول سوى الدولة البهيمية (البهية) الانكليسي بغير رضاه الدولة البهية الانكليسي لا أقبل أن يسكن في حوزة ماكني وكيل من دولة غير البهية الانكليسي - أبداً لا أسلم ولا أبيع ولا أرهن ولا أعطي للتصرف أو للتبؤوينوع ما شيئاً من ممالكى لأحد إلا الدولة البهية الانكليسي. (٥)

إن هذه الاتفاقية ، التي ما زال معمول بها ، قد فسرها البريطانيون في بعض المناسبات على أنها تعنى أن الرئيس قد تخلى عن حقوقه حتى في إرسال رسالة مجاملة إلى إمام الدولة السعودية أو أى حاكم عربي أو مسلم آخر . إلا أن زايد نفسه لم يراع دائماً أمر هذا التخلي بصورة جدية (الفقرة ٢٨٨ اللاحقة) ، وقد أظهر أبنائه وخلفاؤه رغبة مماثلة في تجاهله في بعض الأوقات (الفقرة ٣٢٣ اللاحقة) .

٢٧٨ - ادعى زايد شيخ أبو ظبي عام ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) أن أراضيهم تمتد حتى جوار الوكرة في قطر ، أى نحو ستين كيلو متراً بعد خور العديد . وعلى الرغم من أن البريطانيين قد أيدوا ادعاءه بملكية العديد ، وذلك في سبيل مصالحهم ، فقد كان هذا الادعاء الحديد واضح السخف بحيث أنهم طالبوه بالتوقف « ولم توافق حكومة الهند على ادعائه هذا » . (٦)

(٤) كرزن « بلاد الفرس والقضية الفارسية » (١٨٩٢ م) مجلد ٢ ، ص ٤٤٣ .

(٥) « المعاهدات الجارية » ص ١٩ . يذكر ايتشيسون أن تاريخ المعاهدة ٦ مارس ، ولكنه يرد في النصين العربي والانكليزي في « المعاهدات الجارية » ص ١٩ ، على أنه ٥ مارس .

(٦) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤٠٥ .

٢٧٩ - هاجم رجال القبائل من عمان الداخلية سلطان مسقط ، فيصل ابن تركى ، فى عاصمته فى شعبان ١٣١٢ هـ (فبراير ١٨٩٥ م) . وبعد الهروب من القصر فوق أسطحة منازل البلدة ، لجأ السلطان إلى الوكالة البريطانية^(٧) . وتمسك الغزاة بالبلدة حتى الشهر الذى تلاه ، حين أخرجهم السلطان مقابل دفع مبلغ ضخم نقداً . ولكن تصرف السلطان فى هذه الحادثة دل على أنه لا يمكن وضع ثقة كبيرة فيه فى المستقبل . ومن ثم درست حكومة الهند بجد إمكانية ضم مسقط أو إعلان الحماية على عمان . وحين أدركت الحكومة البريطانية أنه « ربما لم يكن من الحكمة فتح باب المفاوضات مع فرنسا لسحب إعلان عام ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م)^(٨) » أبلغ رؤساء عمان بقرار الحكومة البريطانية على أنه نظراً إلى المصالح البريطانية الهامة فى بلدتى مسقط ومطرح ، فإنها لن تسمح بأى هجوم على هاتين البلدتين يقوم به الشيوخ ، مهما كان الخلاف بينهم وبين السلطان .^(٩) وإذ غضب السلطان لعدم مساعدة البريطانيين له مساعدة فعالة خلال الهجوم على مسقط ، فقد تلقى « الإعلان بفتور غير متوقع ، وقد تظاهر بأنه يعتبره أمراً طبيعياً . واعترض أيضاً ، بحجة التكاليف على إقامة حفل رسمى لاعلام الجميع بأوامر الحكومة ، وهكذا كتب بدلا من هذا إعلاناً ، بعد أن وافق على صيغته المعتمد السياسى البريطانى ، ووزعه على زعماء البلاد ، وذلك فى عام ١٣١٣ هـ (أواخر ١٨٩٥ م) .^(١٠)

٢٨٠ - إن اندلاع النيران أمر مألوف فى قرى ساحل الصلح ، حيث يبنى الكثير من البيوت من مواد سريعة الاشتعال . فى عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م)

(٧) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٣٨ .

(٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٥١ . التصريح الانكليزى الفرنسى الخاص بعام ١٨٦٢ م يعرض فى الفقرة ٢٠٧ السابقة .

(٩) أيتشيون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٢٨٠ .

(١٠) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٥١ .

اندلع عدد كبير من الحرائق ، وكان من أكبرها في بلدة أبو ظبي حيث نهب بدو بنى ياس «الممتلكات التي استطاع المالكون انقاذها من النيران»^(١١) وهكذا كانت سلطة زايد بن خليفة الذي كان آنئذ في أوج حكمه على أفراد أهاليه من البدو .

٢٨١ - فرضت الحكومة البريطانية غرامة على زايد شيخ أبو ظبي قدرها ٢١٠٠ ريال في عام ١٣١٣ هـ (فبراير ١٨٩٦ م) وذلك لأن عبيدا قد استوردوا إلى بلاده . وقيل في هذا الوقت إن زايد كان يتأمر على حياة وكيل مكتب المعتمد البريطاني في الشارقة ، وقد اعتبر أن القول له ما يبرره^(١٢) فأندر زايد ، وأنقذ الوكيل من الاغتيال .

٢٨٢ - « كان عداء السيد فيصل (حاكم مسقط) للمصالح البريطانية من الوضوح الآن بحيث أن نائب الملكة في الهند اللورد ألجن أثار برقياً في عام ١٣١٤ هـ (يونيو ١٨٩٦ م) إمكانية استغلال فرصة الأحداث القائمة في مدغشقر للحصول على موافقة الحكومة الفرنسية على فرض الحماية البريطانية على عمان . إلا أن وزارة الخارجية ردت تقول إنها رغم تقديرها لأهمية محاولة الحصول على محمية إلا أنها تظن أنه لا يمكن القيام بهذا الإجراء بنجاح في الوقت الحاضر»^(١٣) .

٢٨٣ - ومن وقت لآخر كان زايد رئيس أبو ظبي يتخذ خطوات ليوطد مركزه أكثر في واحة البريمي . ونحو عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٧ م) قام « بالاستيلاء على أرض الجاهلي على الحدود الجنوبية الغربية للمنطقة المزروعة أو قام بتعميرها»^(١٤) (وكما يتضح من الملحق ٩٣ ، ليس الاستيلاء طريقة مجهولة لدى شيوخ أبو ظبي) . وبعد فترة قصيرة أوجد خليفة بن زايد ، قرية المسعودي

(١١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٥٠ .

(١٢) لوريمر ، مجلد ١ ، جزء ٢ ، ص ٢٥٠٤ - ٢٥٠٥ .

(١٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٥١ .

(١٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٧١ .

في الطرف الشالى الغربى للواحة . أما اليوم فكلنا الجاهلى والمسعودى مهجورتان أو نحو ذلك (انظر الفقرة ٧٣ من الفصل الثانى فيما سبق عن الجاهلى) . واشترى زايد أيضاً خلال هذه الفترة قطع أرض مختلفة في الواحة ، ولا يزال بعضها على الأقل ملكاً خاصاً لسلالته .

٢٨٤ - لم يكن سلطان مسقط راضياً عن البريطانيين ولا كان البريطانيون راضين عنه ، أما أهل عمان فكانوا غير راضين عن الطرفين . وكان أحد إخوة الإمام الراحل عزان بن قيس ، قد استولى على مدينة الرستاق إحدى عواصم الإمامة القديمة ، وحكمها مستقلاً عن السلطان نحو خمسة وعشرين عاماً . ولدى وفاته في أوائل عام ١٣١٦ هـ (أوائل صيف ١٨٩٨ م) خلفه ابن أخيه سعود ، وهو أحد أبناء الإمام عزان . ودعا سعود لدى وصوله إلى الحكم كبار الأباضيين من سائر أنحاء البلاد للاجتماع في الرستاق ، حيث درسوا إمكانية انتخابه إماماً . وقويت الآمال في أراضى الأباضيين وقد قال أحد الشعراء :

فإن شاء الإله فعن قريب يقال له الإمام ابن الإمام (١٥)

إلا أن الوقت لم يكن قد حان بعد لإحياء الإمامة ، فانفض المجتمعون من غير أن يحققوا شيئاً سوى تأكيد الرفض العام لسلطة سلطان مسقط .

٢٨٥ - « لقد حان الوقت الآن للعودة إلى موضوع علاقة البريطانيين بعمان . وإذا فعل هذا فباستطاعتنا أن نفرض أن السياسة البريطانية في عمان ، مع أنها لم تكن قط أكثر صداقة ومساعدة للسلطان مما كانت عليه في السنين التي تلت ثورة عام ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) مباشرة ، باستطاعتنا أن نفرض أنها كانت تبعد عن النجاح بدرجة متزايدة ، فقد كان هناك نفور يتزايد من جانب السلطان وانتهى التوتر الذى قام في هذه المدة بانفصال تام . والأسباب الرئيسية

(١٥) أورده عبد الله السالمى في « تحفة الأعيان » مجلد ٢ ، ص ٢٩٠ .

لتحول السلطان كانت الموقف المحايد الذى وقفه المندوبون البريطانيون فى أزمة عام ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) وكذلك النتائج المكدره التى تلت ذلك من المطالبة بتعويضات - وكان البريطانيون مصدر أكثر هذه المطالب - ثم نمو النفوذ الفرنسى فى مسقط^(١٦) وكانت إحدى المشاكل الخاصة بطلبات التعويض هى أن السلطان « تشبث بعناد بوجهة النظر القائلة بأنه ينبغى ألا يكون للرعايا البريطانيين أسبقية على الرعايا العمانيين »^(١٧) وهى وجهة نظر يبدو أنها كانت قريبة من الكفر فى أعين الحكومة البريطانية . إلا أن السبب الرئيسى لتدهور العلاقات المستمر كان « الصداقة المتزايدة بين السلطان وفرنسا »^(١٨) فقد عين السلطان وزيراً جديداً كان « بالإضافة إلى جهله بالقراءة والكتابة ، خرفاً ، كما أنه كان أداة أطوع فى يد الزمرة الفرنسية » من سابقه .^(١٩) وبالإضافة إلى هذا « فالمصالح الفرنسية فى مسقط كانت تزدهر على يد شخص ذى منصب مزدوج غريب ، فهو كاتم أسرار السلطان وترجمان نائب القنصل الفرنسى ... وفى مركزه هذا كان بوسعه حتماً أن يقف على مراسلات السلطان مع الوكيل البريطانى ، فالرسائل المرسله من السلطان إلى الوكالة كانت فى بعض الأحيان تكتب بخطه »^(٢٠)

٢٨٦ - وظهر بيان فى عام ١٣١٦ هـ (٢٠ نوفمبر ١٨٩٨ م) فى « مجلة المناقشات البرلمانية الفرنسية » يقول إن سفينة حربية فرنسية قد أنشأت (بعد موافقة السلطان فيما يظن) محطة للتزويد بالفحم فى بندر الحصه ، وهو مرفأ

(١٦) لوريير ، مجلد ١ ، ص ٥٥٠ .

(١٧) لوريير ، مجلد ١ ، ص ٥٥٣ .

(١٨) لوريير ، مجلد ١ ، ص ٥٥٦ .

(١٩) لوريير ، مجلد ١ ، ص ٥٥٦ .

(٢٠) لوريير ، مجلد ١ ، ص ٥٥٦ .

طبيعى قريب من مسقط . (٢١) أما اللورد كرزى الذى تقلد مهام منصبه نائباً للمملكة فى الهند فى عام ١٣١٦ هـ (يناير ١٨٩٩ م) فقد جاء رد الفعل من جانبه على هذا الوضع عنيفاً كعادته فى ذلك . فى ٩ فبراير سلم المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى ، بناء على تعليمات من اللورد كرزى ، إنذاراً إلى السلطان يطلب فيه إلغاء الامتياز الممنوح للفرنسيين ، ويقدم مطالب أخرى . وحضر إلى مسقط القائد العام للبحرية فى الهند بنفسه ، وهنا أذعن السلطان . وطلب المعتمد من تلقاء نفسه من السلطان أن يعلن الإلغاء فى مجلس عام ، الأمر الذى اعتبره وزير الدولة لشئون الهند نوعاً من التحدى ، « واستنكر بشدة » هذا الجزء من الإجراءات . (٢٢)

لقد غضبت الحكومة الفرنسية ، كما غضب اللورد سالزبرى (٢٣) الذى وصف عمل المعتمد بأنه « غلطة خطيرة قد تؤدي إلى الكثير من المشاكل » . وفى ٢٧ إبريل بعد أن أطلع اللورد سالزبرى على تقرير حكومة الهند بصدده هذه المسألة ، دون رأيه بأنه « يجب أن لا يلزم الوكيل البريطانى نفسه فى مكاتبة رسمية باقتراح يتعلق بمسألة قائمة بين حكومة جلالتها والحكومة الفرنسية من شأنه أن يفضى الحكومة الفرنسية دون تخويله السلطة من حكومة جلالتها . ثم إنه أمر مزعج للغاية أن تعلم حكومة جلالتها لأول مرة بموضع هذا الاقتراح - الذى كتبه الوكيل - عن طريق السفير الفرنسى » . (٢٤)

٢٨٧ - و « فى ١٣١٧ هـ (نوفمبر ١٨٩٩ م) أعرب الشيخ أحمد (وهو أخ لقاسم حاكم قطر) عن رغبته فى إقامة علاقة أوثق مع الدولة البريطانية ، طالباً الإذن باحتلال العديد ، وكان ذلك فى اجتماع مع الكولونيل ميد المعتمد

(٢١) لقد اكتشف بعد ذلك أن سلطان مسقط قد منح الفرنسيين محطة للتزويد بالفحم فى عام ١٣١٥ (٧ مارس ١٨٩٨ م) من غير أن يحدد موقعها بالضبط . لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٦٠ .

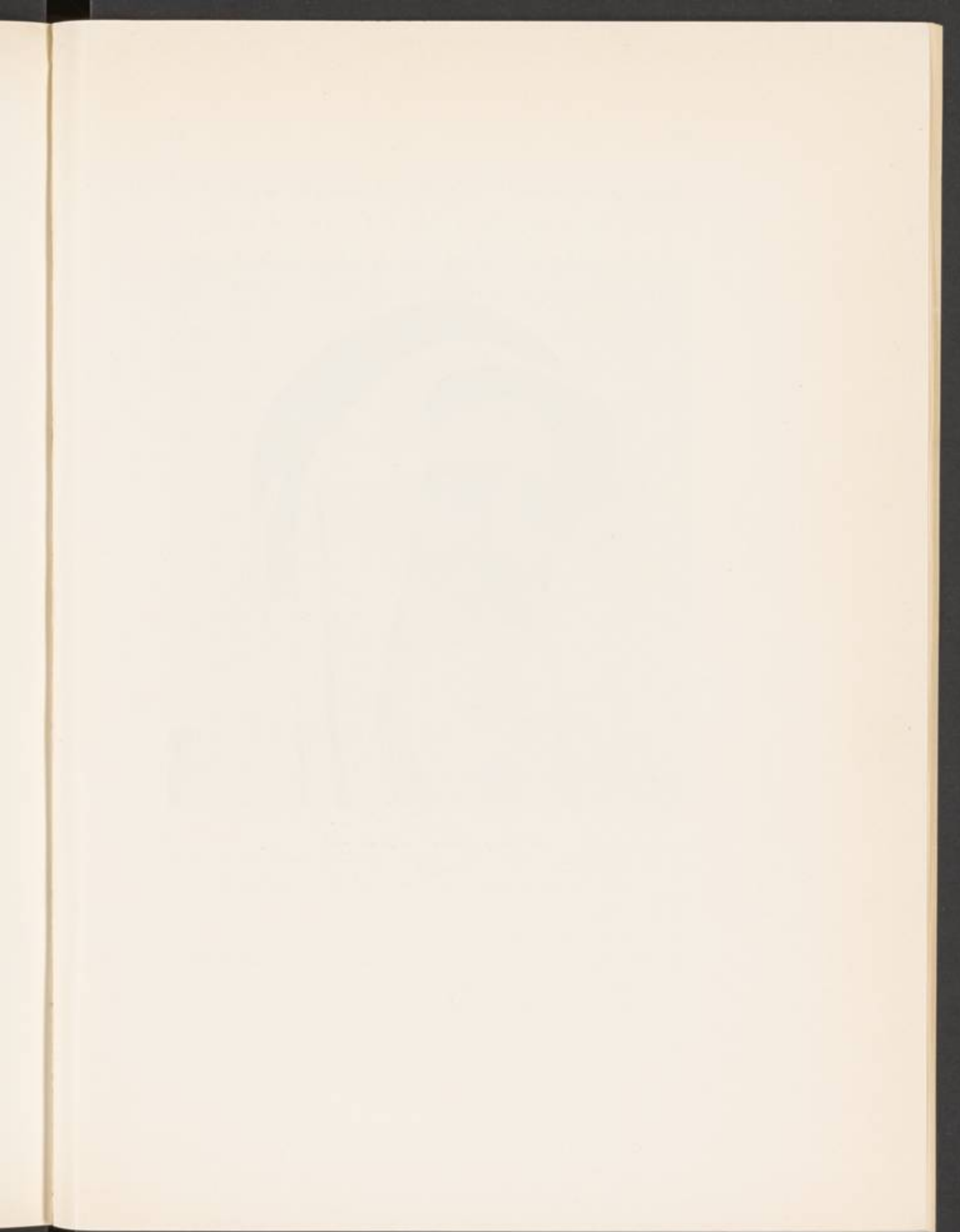
(٢٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٩٩ .

(٢٣) إن اللورد سالزبرى ، رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، لم يصدق حتى على طلب الإلغاء ، ولكن اعتراضاته البرقية وصلت متأخرة .

(٢٤) فيليب جريفز « حياة السير ريسى كوكس » (١٩٤١ م) ص ٦٢ .



الشيخ محمد بن عبد الله النجادي من أهل العين
في البريمي



السياسى ، فى الوكره . ولكن لإجراء ما لم يتخذ رداً على طلباته ، لأنه لم يؤيدها كتابة .^(٢٥) ومن الطريف أن نلاحظ السبب الذى تذرع به البريطانيون فى عدم اتخاذهم أى إجراء .

٢٨٨ - واكتشف البريطانيون فى عام ١٣١٧ هـ (أوائل ١٩٠٠ م) أن زايد رئيس أبو ظبى لم يكن ليحترم شروط « معاهدته الاحتكارية » (الفقرة ٢٧٧ السابقة) . فبالإضافة إلى استرساله فى « مكاتبات ودية » مع المحافظ الفارسى لموانى الخليج ، فقد تسلم رأسين من الخيل هدية من الفرس وسيف شرف من الشاه ، « مع رسالة مديح ، تحمل الختم الملكى ، قرئت علناً فى مجلس فى أبو ظبى » .^(٢٦) وفوق هذا فقد اتخذ لنفسه راية تختلف عن الراية التى خصصها البريطانيون لاستعماله ، « ولكن مجرد الاحتجاج كان كافياً » إذ توقف الشيخ فى الحال عن معاملاته المباشرة مع الموظفين الفرس ، كما أن استعماله للراية الجديدة قد توقف ولو أن ذلك لم يتم فى الحال .^(٢٧)

٢٨٩ - وانتظر اللاجئون من آل سعود فى الكويت بصبر فارغ اليوم الذى يستطيعون فيه العودة إلى موطن آبائهم وأجدادهم . وعندما قاد مبارك ، حاكم الكويت ، حملة إلى نجد قرع الفتى عبد العزيز أبواب الرياض بنفسه فى عام ١٣١٨ هـ (أوائل ١٩٠١ م) ، وقد نجح فى دخول المدينة ولكن حامية ابن رشيد استعصمت فى الحصون . وفى ذلك الوقت منى مبارك بهزيمة كبيرة على يد ابن رشيد فى معركة الصريف ، وبذلك اضطر عبد العزيز إلى الانسحاب مكرهاً من الرياض بعد أن أصبح موقفه لا يحتمل الدفاع .^(٢٨)

(٢٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٨٢٩ .

(٢٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٤٤ .

(٢٧) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٤٤ .

(٢٨) ابن عيسى « تاريخ نجد » ص ٦٤ - ٦٥ .

٢٩٠ - وبعث المبشر الأمريكي الدكتور جيمس كانتين من مسقط في عام ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م) يقول :

وحتى مؤخراً . . . فإنه يبدو أن العادة عندهم (البريطانيين) أن يمثلهم في المنطقتين الواقعة بين بغداد ومسقط رجال لا تمتدح تجارتهم الدبلوماسية بحيط الهند ، وينحصر عملهم في تنقلهم المرح بين الأندية والحياة العسكرية ، وعينهم بالأمرام المحليين الذي لا يقل مرحاً عن ذلك التنقل . (٢٩)

٢٩١ - وفي عام ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م) اهتمت حكومة الهند بموارد الفحم الواقعة بجوار صور ، داخل الأراضي التي يدعى بها سلطان مسقط . وقد وقع الوكيل السياسي البريطاني الميجر كوكس والجيولوجي البريطاني ، اللذان ذهبا لفحص هذه الموارد ، في مشاكل مع القبائل . « وكانت رسائل السلطان عديمة الفائدة » . (٣٠) « وفي تلك الأيام أخبر عرب الداخل كوكس أن رسلا ورسائل قد ذهبت من صور إلى جميع زعماء الهناوية لإنذارهم بأن السلطان فيصل كان يبيع صور إلى البريطانيين وأخبروه أن الأهالي كانوا منفعلين جداً » . (٣١) وظهر السلطان بنفسه على مسرح هذه الحوادث ولكنه « وصل بدون عدة الحرب إذ أنه خلال نزوله من المركب ، هوت إلى قاع البحر على عمق خمسين قامة ثلاثة أكياس تحتوي على ثلاثة آلاف ريال وصندوق من الذخيرة » . (٣٢) وحاول كوكس أن يجتمع مع كبير زعماء الإقليم ، إلا أن الزعيم قال « لا أراه ولا ولا يراني » . (٣٣) وكانت نهاية هذا الأمر « أن اقترحت حكومة الهند وسائل متعددة لتقوية سلطة السلطان هناك . ومن الوسائل التي حققت شراء مركب

(٢٩) اقتبسها جريفيز « حياة كوكس » ص ٥٥ .

(٣٠) جريفيز « حياة كوكس » ص ٧٣ .

(٣١) جريفيز « حياة كوكس » ص ٧٣ .

(٣٢) جريفيز « حياة كوكس » ص ٧٤ .

(٣٣) عبد الله السالمي « تحفة الأعيان » مجلد ٢ ، ص ٣٠١ .

بخارى يمكنه من زيارة الميناء» (٣٤) وأصبحت الحكومة البريطانية تدرك إمكانية وجود موارد طبيعية في أراضي جزيرة العرب الواقعة تحت حمايتها ، كما أدركت التهديد الذى يمس مركزها المسيطر إذا ما قامت جهات خارجية باستخراج هذه الموارد ، لذلك فقد حصلت من السلطان فى أواخر محرم ١٣٢٠ هـ (٣١ مايو ١٩٠٢ م) على تعهد بعدم منح أى امتياز لمناطق الفحم بالقرب من صور لأية دولة أو شركة أجنبية « إلى أن تمنح الحكومة البريطانية الفرصة للقيام بهذا العمل بالتضامن مع السلطان نفسه » (٣٥) وبالرغم من أن اتفاقية السلطان لعام ١٣٠٨ هـ (١٨٩١ م) بصدد التنازل عن الأراضي (الفقرة ٢٧٣ السابقة) و « الاتفاقية الاحتكارية » التى وقعها شيخ أبو ظبى فى عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩٢ م) (الفقرة ٢٧٧ السابقة) ، قد ظهرتا إلى حيز الوجود بسبب ظروف غير متعلقة بهذا الموضوع ، فقد صيغتا بعبارات فضفاضة بحيث أنهما برهنتا فيما بعد عن فائدتهما للبريطانيين بهذا الخصوص .

٢٩٢ - وقد قام الميشر الأمريكى المعروف صامويل زويمر بزيارة قصيرة للبريمى عام ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م) فوجد أنها « لاتزال مركزاً وهابياً » (٣٦) ولم يقل شيئاً عن مدى السلطة التى تتمتع بها أبو ظبى هناك . ولكنه يقول بكل وضوح عن انعدام سلطة مسقط فيما يلى :

إن القبائل الرئيسية شرق البريمى هى الكنود والمقاييل والشوامس وبنى غيث . وهؤلاء العرب وكذلك عرب البريمى ، لا يعترفون بسلطة سلطان مسقط ، بل لهم زعماء من بينهم ، وهم مع الاسف فى حرايات دائمة بعضهم مع بعض . (٣٧)

(٣٤) جريفز « حياة كوكس » ص ٧٤ .

(٣٥) ايتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٢٨٣ . والترجمة الإنكليزية لهذا التمهيد واردة فى ص ٣١٨ .

(٣٦) زويمر « ثلاث رحلات فى شمال عمان » المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١٩ (١٩٠٢) ص ٦٢ .

(٣٧) زويمر « ثلاث رحلات » ص ٦٣ .

وهذا القول يتمشى مع ما قاله زويمر في مكان آخر ، وهو قول يستمد أهميته من أن أخاه بيتر كان قد عاش في مسقط مدة خمس سنوات :

إن سلطة سلطان مسقط ، السيد فيصل بن تركي ، في الوقت الراهن لا تمتد كثيراً إلى أبعد من العاصمة وضواحيها . (٣٨)

ويقول صمويل زويمر عن بلدة أبو ظبي التي استقبله فيها رئيسها زايد بن خليفة نفسه :

إن سكان أبو ظبي لا يتجاوز عددهم عشرة آلاف نسمة وباستثناء أفراد قلائل من الباتيان من أهالي السند ، فالجميع إما عرب أو زنوج . وباستثناء وجود حفنة من البيوت وقصر مهيب ، فإن جميع البلدة مبنية من سعف النخيل ، وتمتد نحو ميلين اثنين على شاطئ البحر . (٣٩)

وكانت البلدة عندما كان زايد في ذروة قوته ، تزيد أربعة أو خمسة أضعاف على حجمها الحالي . أما زويمر ، فقد كان لبلدة دبي وقع أكبر في نفسه فسيهاها « العاصمة الحقيقية لشمال عمان » . (٤٠)

٢٩٣ - ولم يفقد عبد العزيز الأمل لدى فشل حملته الأولى على الرياض . فقد ترك الكويت عام ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) مرة أخرى ، يجمع حوله رجال القبائل المواليين أثناء توجهه جنوباً في إقليم الحسا . وعسكر في الجزء الجنوبي من الإقليم بقصد صيام شهر رمضان ، وهو الجزء الذي لا يبعد كثيراً عن المواقع التي كان يجوبها مع البدو وهو قتي صغير (الفقرة ٢٧٥ السابقة) . وزحف بعد انقضاء شهر الصيام مباشرة بسرعة إلى الرياض مصطحباً معه حفنة من الرجال حتى لا تنكشف حركاته . وفي ٤ شوال ١٣١٩ هـ (منتصف شهر يناير

(٣٨) زويمر « جزيرة العرب ، مهد الاسلام » (١٩٠٠ م) ص ٧٩ .

(٣٩) زويمر « ثلاث رحلات » ص ٥٦ .

(٤٠) زويمر « ثلاث رحلات » ص ٥٦ .

١٩٠٢م) (٤١) قام بعمل يعتبر من أروع الأعمال وأجرئها في التاريخ الحديث
 لجزيرة العرب ، عندما استولى على العاصمة القديمة وقتل أمير ابن رشيد فيها .
 وهكذا عاد آل سعود إلى وطنهم ليقبوا فيه .

(٤١) ابن عيسى « تاريخ نجد » ص ٦٥ .

٢٠ - حكم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن ١٣١٩ - ١٣٧٣ هـ
(١٩٠٢ - ١٩٥٣ م)

٢٩٤ - إن حياة الملك الراحل عبد العزيز أشهر من أن تحتاج هنا إلى سرد مطول . وإن الكتاب ورجال السياسة البريطانيين كانوا في طليعة أولئك الناس الذين اعترفوا بأنه كان من أعظم رجال عصره . وأن ما أحرزه من إعادة تنصيب آل سعود ، وبناء ملك في أقل من عشرين عاماً ، وإيجاد الوحدة ، ونشر الأمن والسلام في جزء كبير من جزيرة العرب ، كان موضع تقدير العالم وإعجابهم . ومع إدراكه التام للفوائد التي قد تعود على شعبه بفضل اتباع الوسائل العلمية الحديثة واستخدام الأدوات الميكانيكية من الخارج ، فقد ظل حتى آخر يوم من أيامه مخلصاً لدينه وعروبتة ، متمسكاً بتقاليد بيته ، متبعاً في حكمه سيرة آبائه وأجداده ، طبقاً لقواعد الشريعة الإسلامية .

٢٩٥ - لم تتأخر أنباء فتح عبد العزيز للرياض في الوصول إلى إقليم البريمي حيث همل الناس لسماحهم بعودة آل سعود إلى الحكم .^(١) وكان من بين أوائل المهنئين زايد بن خليفة حاكم أبو ظبي إذ بعث ببعض ابل عمان الممتازة هدية لعبد العزيز الذي بعث إليه بدوره أربعة رؤوس من الخيل العربي الأصيل .^(٢)

٢٩٦ - « في عام ١٣١٩ هـ (١٩٠٢ م) ، وبعد أن أشبعت فكرة فرض الحماية البريطانية الرسمية على عمان الساحلية بحثاً ، جرى فحص دقيق للنظام القائم وأعلن في النهاية أنه مرض تماماً . . . ويجب أن يفهم في الوقت نفسه أن شيوخ عمان الساحلية كانوا لا يزالون جهلة رجعيين يميلون إلى الشكوك الصيبانية » .^(٣)

(١) عقود الجمان ص ١٦٠ .

(٢) لوريير ، مجلد ١ ، ص ٧٤٦ .

(٣) لوريير ، مجلد ١ ، ص ٦٤٢ .

٢٩٧ - وسافر الميجر كوكس الوكيل السياسي البريطاني في مسقط من أبو ظبي إلى البريمي في عام ١٣٢٠ هـ (مايو ١٩٠٢ م). ويلاحظ كوكس أن « وضع إمارات ساحل الصلح بعضها تجاه بعض يكاد يعتمد كلياً على شخصيات الشيوخ الحاكمين في ذلك الوقت »^(٤). وكان زايد بن خليفة عند زيارة كوكس قد مضى على ممارسته السلطة نصف قرن تقريباً ، تمكن خلاله من اكتساب نفوذ شخصي يفوق بكثير ما كان يحتفظ به أبناؤه وخلفاؤه من نفوذ . ومع أنه كان لشخصية زايد وقعها في نفس كوكس إلا أن الأخير لم يتأثر بعاصمة زايد ، وهي بلدته الوحيدة ، ويشير كوكس إلى أنها « بقعة يسودها الجهل »^(٥). وقد وجد كوكس الطريق بين أبو ظبي والبريمي « قفراً^(٦) » ومليئاً في الواقع بالرمال الجرداء^(٧). وبالتالي فقد احتفظت البريمي بعلاقات تجارية « وخصوصاً في هذه الأيام ، مع الشارقة ودبي التي أصبحت ميناء تقصده سفن الشركة البريطانية للهند »^(٨). أما في البريمي نفسها ، فقد وجد كوكس أن شيوخ نعيم يتمتعون « بمركز خاص بحكم تاريخهم في الماضي »^(٩). ويتحدث عن نفوذ زايد في البريمي ، إلا أنه يبين بجلاء أن ذلك كان يقوم على أساس « ممتلكاته المادية »^(١٠) هناك حيث توجد « بساتين النخيل الكبيرة » التي يملكها^(١١) . ولم يكن هناك في المناطق الداخلية التي تمتد من أبو ظبي إلى ما وراء عبرى ،

(٤) الميجر جنرال السر برسي كوكس « بعض الرحلات في عمان » المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ٦٦ (١٩٢٥) ص ٢٠٠ .

(٥) كوكس « بعض الرحلات » ص ٢٠٠ .

(٦) كوكس « بعض الرحلات » ص ٢٠٤ .

(٧) كوكس « بعض الرحلات » ص ٢٠٥ .

(٨) كوكس « بعض الرحلات » ص ٢٠٧ .

(٩) كوكس « بعض الرحلات » ص ٢٠٧ .

(١٠) كوكس « بعض الرحلات » ص ٢٠٧ .

(١١) كوكس « بعض الرحلات » ص ٢٠٠ .

أى موظف سياسى يمثل أية من أبو ظبي أو مسقط ، كما لم تكن هناك علامة ما تدل على ممارستها لأية سلطة سياسية . ويعطى كوكس صورة عن الحالة المزرية التي آل إليها الإقليم فيقول :

... لقد بحثنا في شئون عمان وكذلك حالة القلاقل العامة السائدة . وهنا ، في بلدة كبيرة مثل عبرى فإن لدى الأهلى مناعة ضد عمليات الشار طالما يظلون داخل البلدة ولا يسمحون لجماعات من الخارج في النوم داخل أسوارهم . فهم يخافون من الزوار كما كان الزوار يخافون منهم . وفي الواقع ، ففى كثير من الأماكن التي توجد فيها حزازات قبلية ترى الرجال لا ينامون في بيوتهم بل يقصدون إلى جهة في الخارج . والسبب في هذا هو أنه إذا ما علم أن رجلاً نام في بيته فباستطاعة أعدائه أن يعرفوا مكان العثور عليه إذ أن هناك خدعة عادية يقوم بها الأعداء الغادرون وذلك بالقدوم ليلاً إلى بيت ما وإيقاظ ساكنه الذي يهب سريعاً وبدون تفكير ، وبذلك يكون اللخلاء قد تأكدوا من رجلهم . ومن ناحية أخرى فإن النوم في الخارج يجعل من المستحيل التمييز بين رجل وآخر ، وبذلك يكون الجميع في مأمن . (١٢)

ولم تكن الحياة هكذا في أيام الإدارة السعودية الحازمة قبل سنوات قليلة من ذلك .

٢٩٨ - وقام الإمام عبد الرحمن - عندما تأهب لمغادرة الكويت في عام ١٣٢٠ هـ (مايو ١٩٠٢ م) للانضمام إلى ولده عبد العزيز في الرياض - بإرسال كتاب إلى المعتمد السياسى البريطانى في الخليج الفارسى أنهى فيه إليه أنه من قبيل تفضيله للصدقة البريطانية قد رفض عرضاً قدم به إليه في الكويت موظف روسى . ويبين لوريمر هنا رد الفعل المنطوى على الفتور من جانب الحكومة البريطانية فيقول :

إن عمل المعتمد في عدم رده على هذا الكتاب قد أقرته حكومية الهند كما صدرت إليه التعليمات بعدم إظهار تشجيع لابن سعود لأن سياسة الحكومة البريطانية هي الابتعاد عن شئون نجد ، خاصة ما دامت لم تستقر . (١٣)

(١٢) كوكس « بعض الرحلات » ص ٢١١ .

(١٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٥٧ .

٢٩٩ - ولم تكن فرنسا وتركيا الدولتين الوحيدتين اللتين أزعجتا الموظفين البريطانيين من حين لآخر بتحديهما لمركز بريطانيا في الخليج الفارسي . وقصة الألمان وسكة حديد بغداد والكويت معروفة جداً لا تحتاج إلى ترديد . ورد فعل بريطانيا على التقدم الألماني في الخليج الفارسي يتمثل في الملاحظة التالية التي أبدتها روزن : « إذا عطس شخص ألماني في مكان ما في الخليج الفارسي فقد كان ذلك يعتبر محاولة لزعزعة أسس الإمبراطورية » . (١٤) وأبدت روسيا في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر اهتماماً بإقليم الخليج وتبعاً لذلك فقد ازداد النشاط الروسي في السنوات الأولى من القرن العشرين . وكان الطراد « اسكولد » من بين السفن الحربية الروسية التي زارت الخليج عام ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) :

وبما أن أهالي الخليج الفارسي كانوا يتخيلون أنه قد أتى قرة أية سفينة يعتمد على عدد مداخنها ، وحيث أن للسفينة « اسكولد » خمس مداخن ، فقد كان لظهورها أثر قوي . (١٥)

ويظهر أنه لم يكن لدى البحرية البريطانية أية سفينة حربية لها خمس مداخن تستطيع بواسطتها التأثير على سكان الإقليم ، إلا أن ظهور أي طراد روسي كان يحمل البريطانيين على إرسال سفينة بريطانية تفوقه من حيث الحمولة . أما سلوك الروس على ظهر طراداتهم فلم يكن ليلقى ارتياحاً من قبل البريطانيين الذين هم أكثر خبرة من الروس :

لقد كانت زيارات هذه السفن إلى موانئ الخليج الفارسي تحمل عموماً طابع الكثير من مظاهر الاحتفال ، وكانوا يلجئون إلى الإسراف في الترحيبات والمجاملات الرسمية لتكسب الإجراءات بهجة ورونقاً وفي أكثر من مناسبة واحدة كانت أبواب السفينة نفسها تفتح للترغاب من عامة العرب أو الفرس . وعلق القنصل البريطاني في البصرة بأن « قليلاً من التحفظ من شأنه أن يكون له وقع أقوى على العقول الشرقية » . (١٦)

(١٤) روزن « ذكريات » ص ٤٩ .

(١٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٣٢٩ .

(١٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٣٣٠ .

ومع ذلك فقد تنازل البريطانيون عن بعض كبريائهم في إحدى زياراتهم الأخيرة لدرجة أنهم سمحوا « لبعض أهالي مسقط » بالصعود إلى ظهر السفينة « أمفرايت » (١٧) وأدت مناورات الفرنسيين والألمان والروس إلى بيان سياسي ألقاه في ١٣٢١ هـ (٥ مايو ١٩٠٣ م) اللورد لانزداون بصفته وزيراً للخارجية ، قال فيه :

... يجب أن نعتبر لإنشاء قاعدة بحرية أو ميناء محصن في الخليج الفارسي من جانب أية دولة أجنبية أخرى ، تهديداً خطيراً للمصالح البريطانية ، وبكل تأكيد يجب أن نقاومه بجميع الوسائل التي تحت تصرفنا . (١٨)

٣٠٠ - وفي سبيل تأكيد هذا الإنذار الوارد في بيان اللورد لانزداون (١٩) قام اللورد كرزن في ١٣٢١ هـ (مايو ١٩٠٣ م) بجولة في الخليج الفارسي في شهري نوفمبر وديسمبر ، وهو أول نائب للملك في الهند يزور ذلك الإقليم . واستقبل كرزن استقبالاً حافلاً في مسقط حيث « كان الناس غير الراضين عن البريطانيين راضين بحرارة عن الولائم والألعاب النارية والترفيه » ، كما يقول جريفيز مؤرخ كوكس . (٢٠) ونقل كرزن لوزير الدولة لشؤون الهند انطباعاته عن سلطان مسقط ودولته فقال :

... لقد كان سلوك عظمة السلطان في جميع هذه المناسبات منطوياً على البساطة والوقار . وكان يتصرف تصرف التابع المخلص للحكومة البريطانية أكثر منه ملكاً مستقلاً . . . ولم يلتبس أية ارتباطات أخرى كما أنه لم يسع لانتزاع تعهد جديد . وكانت الحالة وما أحاط بها في نظره برهاناً كافياً لتعريف اعتياده على صداقتنا ويث روح الاستجابة لرغباتنا ، الأمر الذي يعكس الفضل العظيم العائد للسيجر كوكس الوكيل السياسي الذي عينته في مسقط عام ١٨٩٩ والذي جعل الحاكم في أقل من أربع سنوات يتحول عن شعوره بالشك ، إن لم يكن بالعداء المباشر ، إلى الاحساس

(١٧) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٣٧٦ .

(١٨) أوردها لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

(١٩) اللورد نيوتن « ترجمة حياة اللورد لانزداون » (١٩٢٩) ص ٢٤٣ .

(٢٠) جريفيز « حياة كوكس » ص ٩٠ .

بالثقة والتقدير . ومن الناحية الأخرى ، فإنه في الوقت الذي تجلت فيه رغبة السلطان في اعتبار نفسه في مصاف أمراء الهند من حيث علاقاتهم بالتاج البريطاني ، فقد تجل أيضاً ذلك التباين في موقفه الدولى . وإن التناقض ما بين ذلك الوضع الفعلى لحاكم يكاد يعتمد هو وشعبه وتجارته علينا كلياً ، وبين الوضع النظرى الذى تتمتع بموجبه فرنسا - الممثلة بقنصل والتي لا رعايا ولا تجارة لها تقريباً - بمعاملة متساوية مع بريطانيا ، هذا التناقض يؤكد الرغبة في أن نهبى بأذى تأخير ممكن هذه الحالة الشاذة ، التى يجب أن يقال إنها تثير السخرية . (٢١)

وفى الشارقة أقيم حفل كبير لزعماء الساحل وجه إليهم فيه كرزن الكلمة التالية :

أيها المشايخ من الروابط التى حصلت بيننا على هذا الطريق وجعلت بها الدولة حسب رضاكم محافظة لقيام الصلح بين القبائل نشأت فيما بين حكومة الهند وبينكم علاقات سياسية التى صارت الدولة البريطانية بسببها اميراً عليكم ومحافظاً لكم وما بقيت لكم رابطة بأحد من الدول الأخرى - كل واحدة من الحكومات المعروفة باسم الحكومات ذات المعاهدة قد أوجبت على نفسها كما لا يخفى عليكم أن لا تعمل معاهدة ولا مكانة مع دولة من الدول غير البريطانية - وأن لا تقبل من الدول الأخرى وكيبلا وأن لا تترك من يدها شيئاً من بلادها - هذه الشروط واجبة على كل واحد منكم وأنتم ما زلتم قائمين عليها بالخلوص وهكذا هى واجبة من الجانب الثانى على الحكومة البريطانية أيضاً - فإدامت المشايخ قائمين عليها بالصدق لا يمكن لأحد أن يضر حقوقكم وحريةكم .

ثم أذكر أمراً واحداً الذى فيه المشايخ انفسهم مقدرة التجنب من الشر في الزمان الآتى - لا تبغى الدولة البريطانية المداخلة في أموركم الداخلية - ولم تفعل ذلك في زمان ماض بشرط أن المشايخ يحكون على بلادهم بالعدالة ويحترموا حقوق تجار الأجانب الذين هم يسكنون فيها (٢٢)

أيها المشايخ هذه هى العالقة الكائنة بين الدولة البهية البريطانية وبينكم وجملة ملك الدولة البهية البريطانية يسكن منكم على بعد ما حصل لاحد منكم زيارته ولا يحصل أبداً

(٢١) أوردتها جريفز في « حياة كوكس » ص ٩١ .

(٢٢) « المعاهدات الجارية » ص ٣ - ٤ .

٣٠١ - « وفي عام ١٣٢١ هـ (فبراير ١٩٠٤ م) أبلغت حكومة صاحب الجلالة حكومة الهند أنه في معرض التسوية العامة للأمر السياسي التي هي قيد المفاوضة مع فرنسا ، ستبذل محاولة للحصول على اعتراف فرنسي بالحماية البريطانية على عمان ، ولكنها في الوقت نفسه ، استعلمت عما إذا كان هناك أي امتياز أصغر في عمان تستطيع أن تسعى للحصول عليه إذا تعذر الحصول على الحماية . وكان رد اللورد كرزن أنه لا يوجد حل مرض لقضية عمان سوى الاعتراف بها محمية بريطانية ، أو بالأحرى إلغاء تصريح عام ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م) » .^(٢٣) ولم ينجم عن هذا أي شيء لأن « فرنسا كانت غير مستعدة للتخلي عن أية حقوق لها بموجب تصريح ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م) » .^(٢٤)

٣٠٢ - ولم يرحب الأتراك بهزيمة السلطة السعودية في نجد . وحاولت الحملات التركية من عام ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) إلى ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) أن تخضع نجد ، ولكن عبد العزيز كان أكثر من ند لهم .^(٢٥) وبلغ بالغزاة لدرجة أن قائدهم حاول أن يرشوع عبد العزيز ليسمح ببقاء الحاميات التركية في البلاد .^(٢٦) ولكن الحاكم السعودي رفض هذه الرشوة بإباء ، وبعد برهة وجيزة انسحبت القوات التركية .

٣٠٣ - إن السبب الأول الذي حمل البريطانيين على إعاقة أية أهمية للتطورات في نجد خلال هذه الفترة ، هو اهتمامهم بالحفاظ على الوضع القائم في الكويت ، بدفعهم في ذلك الخطر الألماني أكثر مما يدفعهم أي اهتمام حقيقي بمصلحة حاكم تلك المشيخة وشعبها . وعند ما كان الأتراك يعدون العدة

(٢٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٧١ .

(٢٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٣٥١ .

(٢٥) الريجاني « تاريخ نجد الحديث » ص ١٤٠ - ١٦٤ .

(٢٦) الريجاني « تاريخ نجد الحديث » ص ١٦١ - ١٦٢ .

لحملتهم الأولى على نجد في ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) ، كان السر نيقولاس أوكونور ، السفير البريطاني في اسطنبول ، « يشك فيما إذا كانت إعادة تأسيس الإمبراطورية الوهابية في نجد أمراً مفيداً من جميع الوجوه » .^(٢٧) وعلى كل حال فإن حكومة الهند « أشارت بأن سلطة الوهابيين قد أصبحت الآن إقليمية وليست تعصبية ، وأن كرامة البريطانيين ستتأثر في الكويت إذ ما منع الشيخ (مبارك) من مساعدة حليفه (عبد العزيز آل سعود) وأن استيلاء الأتراك على نجد قد يكون أكبر شراً من السيطرة الوهابية . . . » .^(٢٨) ومما يؤسف له أن الحكومة البريطانية لم تنظر دائماً إلى الأحداث في جزيرة العرب بمثل هذا العطف والتقدير اللذين أولتهما حكومة الهند في هذه المناسبة . وفكرت حكومة الهند أيضاً في إرسال ضابط بريطاني إلى الرياض كيما تزداد معرفة بالحالة هناك ولكن وزير الدولة لشئون الهند ، المستر سن جون برودريك (الذي أصبح فيما بعد اللورد ميدلتون) « أصدر تعليقات إلى اللورد كرزن بعدم اتخاذ أية خطوة للدخول في علاقات أوثق مع نجد أو إرسال أي مبعوثين إلى هناك بدون موافقة الحكومة » .^(٢٩) وفي عام ١٣٢٢ هـ (أواخر ١٩٠٤ م) « أعربت « الحكومة في لندن » عن رغبتها في أن يفهم بجلاء بأن نفوذها ومصالحها يجب أن تقتصر تماماً على ساحل شرق جزيرة العرب » .^(٣٠) وهكذا ، منذ مضي أقل من نصف قرن ، صدر تأكيد جديد في مستوى عال للسياسة البريطانية التقليدية بعدم الاهتمام بشئون داخل جزيرة العرب ، ويستمد هذا التأكيد أهمية خاصة من أنه يشير إلى وضع نشأ عن القوة المتزايدة للحاكم السعودي الجديد .

(٢٧) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٥٨ .

(٢٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٥٨ .

(٢٩) جريفز « حياة كوكس » ص ١٠٢ .

(٣٠) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٥٩ .

٣٠٤ - إن في الإمكان اعتبار جولة كرزن البحرية عام ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) (الفقرة ٣٠٠ السابقة) بمثابة الذروة لعصر قديم في جزيرة العرب أشرف على نهايته . وفي عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) قام عبد العزيز آل سعود بجولة برية في الإقليم الواقع في الجانب الغربي من الخليج ، الأمر الذي يعتبر من أولى بشائر العهد الجديد في جزيرة العرب . وكان الأتراك يتظاهرون بأنهم يتمتعون بالسلطة في سائر أنحاء الإقليم الواقع بين نجد والخليج ، ولكن عبد العزيز في عام ١٣٢٣ هـ (يوليو ١٩٠٥ م) زحف بشجاعة على رأس قواته المسلحة إلى قلب هذا الإقليم وعسكر في رمال الخافورة التي لا تبعد كثيراً عن سلوة وقاعدة شبه جزيرة قطر . وإن أقل ما يقال في هذا الصدد إن الأتراك قد أخرجهم هذا الاستخفاف من قبل هذا الزعيم العربي الذي سبق له أن أربكهم في نجد (الفقرة ٣٠٢ السابقة) . ولما كانوا عاجزين عن صدده فقد بعثوا إليه في النهاية بضابط ليقوم بزيارة مجاملة له .^(٣١) وفي خلال ذلك كان عبد العزيز منهمكاً في التوفيق بين قبائل البدو ومن آل مرة وبني هاجر والعجمان ، الذين كانوا في السابق يتنازعون فيما بينهم ، وبين زعماء قطر .^(٣٢) ويلاحظ لوريمر بأنه فعل ذلك « ليظهر بمظهر المحب للأمن والنظام ».^(٣٣) ولكن تاريخ عبد العزيز فيما بعد يكفي ليبين أن هذا لم يكن تظاهراً من جانبه . وبعث قاسم آل ثاني حاكم قطر إلى عبد العزيز رسالة ترحيب وهدايا قيمة ، ثم جاء بنفسه لزيارته في العريق عند قاعدة قطر .^(٣٤) وفي فصل الحريف وجه عبد العزيز رسائل إلى جميع رؤساء ساحل الصلح يبلغهم فيها عن نجاحه في التوفيق بين القبائل وعن وصوله إلى قطر ، وعن أمله في زيارة إقليمهم في عام ١٣٢٤ هـ (ربيع ١٩٠٦ م) . وكان

(٣١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٥٠ .

(٣٢) انظر بيان الملك عبد العزيز للسر أندرو ريان في الملحق رقم ٧ .

(٣٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٥٠ .

(٣٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٨٣٥ .

من الطبيعي أن يبعث عبد العزيز بمثل هذه الرسائل لأنه ، كما يقول لوريمر ، « لم تتوقف بالمرّة ، وفي أى وقت ، المراسلات بين ساحل الصلح العماني وأواسط جزيرة العرب » .^(٣٥) ويصف لوريمر درّ الفعل من جانب الزعماء لهذه الأنباء فيقول :

لقد تلقى شيوخ المناوية في أبو ظبي ودبي هذه المراسلات بخوف لأنهم توقعوا تضاؤلا عظيما لنفوذهم نتيجة لتدخل الوهابيين ، ومقابل ذلك تلقى شيوخ الغافرية المراسلات بته وزهو لأنهم كانوا يتطلعون إلى الخلاص من أولوية أبو ظبي التي دامت عشرين عاماً . وافتتحت في الحال مراسلات بين شيخ أبو ظبي وساطان عمان حليفه ورفيقه المناوي الذي قد يشجع ظهور الوهابيين رعاياه من بني غافر على القيام عليه . وفعلا فقد اعتبر شيخ أبو ظبي هذه المسألة من الأهمية بحيث تكن لحمله على زيارة مسقط في عام ١٣٢٣ هـ (نوفبر ١٩٠٥ م) .^(٣٦)

إن هذه الفقرة لتعتبر من أهم الفقرات العديدة المقتطفة في هذا العرض من كتاب لوريمر . وإذا ما درست بدقة فإنها تبين لماذا اختارت الحكومة البريطانية ، عقب فترة طويلة من التردد (الفقرتان ٨٦ و ٩٣ من الفصل الخامس فيما بعد) أبو ظبي ومسقط في السنوات الأخيرة أداة لمعارضة المطالب العادلة للمملكة العربية السعودية في أراض ظلت سعودية مدة أكثر من قرن ونصف . وتظهر هذه الفقرة أيضاً أنه كان هناك عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ثلاث دويلات فقط — أبو ظبي ومسقط ودبي — يمكن الاعتماد عليها في معارضة عودة الإدارة السعودية بكامل قوتها إلى إقليم البريمي . أما دبي فقد انضح لها منذ ذلك الحين أين تقع مصالحها الحقيقية . ولم تكن فصاحة اللورد كرز (٣٧) من القوة بحيث تفرق ما بين العربي وأخيه العرني ، وبين المسلم والمسلم ، اللهم إلا في حالة أولئك الحكام الذين كانوا مدينين في بقائهم لإحسان الدولة البهية البريطانية .

(٣٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٤٦ .

(٣٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٤٦ - ٧٤٧ .

(٣٧) « المعاملات الجارية » ص ١ - ٤ .

٣٠٥ - ولدة تجاوزت العشرين سنة بعد أن تولى الملك الراحل عبد العزيز رئاسة الدولة السعودية كان عليه أن يجابه أعداء في الشمال والشرق والغرب كانوا جميعهم يسعون إلى حرمانه من حقوق آبائه وأجداده وبذلك يقفون دون تحقيق رغبات الناس الذين انضموا إليه من صميم قلوبهم . وقد أظهر مهارة فائقة في تناوله أعداءه الواحد تلو الآخر ، ولكن كثرة هؤلاء الأعداء هي التي حالت في مراحل حياته الأولى دون استرجاع بعض أجزاء ملك بيته التي كان متعلقاً بها بصورة خاصة . ولم يتمكن في ١٣٢٣ هـ (خريف ١٩٠٥ م) من القيام برحلته المزمعة إلى البريمي لأن الأتراك وآل رشيد كانوا يهددون مركز حكمه في نجد الذي كان عليه العودة إليه . وفي ١٣٢٤ هـ (إبريل ١٩٠٦ م) أحرز انتصاراً عظيماً على آل رشيد في روضة مهنا،^(٣٨) ولكن انتصاراً واحداً لم يكن كافياً إذ بقيت أمامه سنوات عديدة من قتال لا يبد منه قبل إحراز الظفر النهائي . ويذكر لوريمر أن أعمال عبد العزيز كانت بمثابة « تجاهل تام ، بل واحتقار ، للسلطة العثمانية في أواسط جزيرة العرب ».^(٣٩) وقد شدد طرد القوات التركية من نجد من عزم الحكومة العثمانية على مساندة آل رشيد في معارضتهم لسلطة الدولة السعودية الآخذة في النمو .

٣٠٦ - وعقب انتصار عبد العزيز على آل رشيد في روضة مهنا ، بعث بمندوب يبلغ الكابتن بريدو ، الوكيل السياسي البريطاني في البحرين ، أنه « يشعر الآن بأنه بلغ من القوة بحيث يستطيع طرد الأتراك من الحسا وأنه راغب بعد ذلك في الدخول في علاقات تعاهدية مع الحكومة البريطانية ».^(٤٠) وكانت فكرة عبد العزيز الأولى ، أنه مقابل تعهد البريطانيين بحماية الساحل

(٣٨) الرميحاني « تاريخ نجد الحديث » ص ١٥٧ .

(٣٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٥٣ .

(٤٠) جريفز « حياة كوكس » ص ١٠٤ .

ضد الهجمات التركية من البحر ، فإنه يسمح لهم بالاحتفاظ بضابط سياسي في الحسا أو القطيف .^(٤١) « ولم يشجع الكاتبين بريدوهذه المقترحات إطلاقاً » .^(٤٢) بيد أن الميجر كوكس المعتمد السياسي البريطاني في الخليج الفارسي ، نظراً لتقديره الحقيقة الواقعة من أن عبد العزيز أصبح « الآن سائداً في أواسط جزيرة العرب » .^(٤٣) شعر بأنه يجب رسم سياسة في هذا الشأن لعرضها على الحكومة البريطانية للنظر فيها . وفي عام ١٣٢٤ هـ (١٦ سبتمبر ١٩٠٦ م) ، بعث كوكس برسالة إلى حكومة الهند عرض فيها الفوائد التي تنجم عن التوصل إلى اتفاق مع عبد العزيز :

وهي (١) أن تجاهل محاولاته لإنشاء صداقة معنا قد يجعل منه عدواً ، و (٢) أن التفاهم معه سيزيل قلق سلطان مسقط وشيوخ ساحل الصلح العماني ويحسن علاقتنا مع الآخرين ، و (٣) أن تأييد ابن سمود سيساعدنا على قمع أعمال القرصنة في المناطق الشمالية للخليج ، و (٤) أن هنالك دلائل تشير إلى أن تدخل الأتراك في أواسط جزيرة العرب سيوحّد القبائل لمقاومتهم تحت زعامة ابن سمود ، وإذا نحن لم نؤيدهم فقد يتصلون بدولة أخرى .^(٤٤)

ثم يعلق مؤرخ حياة كوكس على ذلك بقوله :

لم يكن كوكس ليتوقع أن تقبل وزارة شتون الهند أو أن تقر وزارة الخارجية اقتراحه بعقد حلف مع ابن سمود خصوصاً وأن هذا الحاكم الطموح لم يكن يخفى نواياه بمهاجمة الأتراك حالما يستكمل قوته ولقد رغب كوكس في أن يبرز لرومائه في هذه المناسبة كما فعل في مناسبات أخرى ، النتائج المنطقية للسياسة والالتزامات البريطانية . فأخبرهم أنهم في الواقع لا يستطيعون حماية الزعماء الصغار في جزء كبير من ساحل جزيرة العرب على الخليج ، في الوقت الذي لا يباليون فيه بالأحداث التي تجري في داخل جزيرة العرب . ولا يمكن لمثل هذه السياسة أن تصيب نجاحاً إلا إذا شل زعماء أواسط جزيرة العرب نشاط بعضهم بعضاً

(٤١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٦٠ .

(٤٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٦٠ .

(٤٣) جريفز « حياة كوكس » ص ١٠٤ .

(٤٤) جريفز « حياة كوكس » ص ١٠٤ - ١٠٥ .

بانقسامهم . أما إذا وجدوا قائداً كما سبق أن فعلوا مراراً في الماضي ، فلا بد للبريطانيين عندئذ من إنشاء علاقات معه . وقد ظهر هذا القائد الآن . (٤٥)

والملاحظة التالية التي أبدأها مؤرخ حياة كوكس دقيقة بوجه خاص :

ورغماً عن ذلك ، فإن تاريخ علاقات الحكومة البريطانية مع العالم العربي فيما بعد ترك أثراً يوحى بأنها ربما أضاعت فرصة عظيمة في عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) . وإنه لمن المؤكدة على كل حال أن كوكس أول دبلوماسي بريطاني يتنبأ بأن عبدالعزيز آل سعود سيطر على سياسة جزيرة العرب ، كما أنه كان الأول في التنبيه إلى أهمية كسب صداقة الرجل السياسي المخارب الذي أصبحت كلمته اليوم هي القانون في الجزء الأكبر من جزيرة العرب . (٤٦)

وفي عام ١٣٢٤ (أواخر ١٩٠٦ م) قام عبد العزيز بالاتصال ثانية بالكابتن بريدو عن طريق قاسم حاكم قطر . وعندما كتب كوكس إلى حكومة الهند عن ذلك « نبه إلى ضرورة إرسال جواب بات حول الاتصالات التي قام بها ابن سعود ، كما أشار إلى أنه إذا ترك ذلك دون جواب فإنه سوف يتهم بالإهمال وعدم الخجالة لدى حاكم الرياض وكذلك لدى الزعماء الذين كانوا وسطاء » (٤٧) . وصرفت وزارة شئون الهند وحكومة الهند أواخر عام ١٣٢٤ وأوائل عام ١٣٢٥ (الشهور الأولى من عام ١٩٠٧ م) في دراسة هذا الأمر وبحثه . أما السير نيقولاس أوكونور السفير البريطاني في اسطنبول الذي كان قد استشير في الموضوع فقد « عارض بشدة أي تورط في جزيرة العرب » (٤٨) . ووافق على ذلك المستر جون مورلي (اللورد مورلي فيما بعد) وزير الدولة لشئون الهند . وفي عام ١٣٢٥ هـ (٣ مايو ١٩٠٧ م) اتخذ مورلي قراره النهائي ، وأبلغ حكومة الهند ما يلي :

- (٤٥) جريفز « حياة كوكس » ص ١٠٥ .
- (٤٦) جريفز « حياة كوكس » ص ١٠٥ .
- (٤٧) جريفز « حياة كوكس » ص ١٠٦ .
- (٤٨) جريفز « حياة كوكس » ص ١٠٧ .

إن نصوص جوابها المقترح تدعو إلى الاعتراض عليها من حيث أنها تعنى « الموافقة على توطيد السلطة الوهابية » وإذا كان من الضروري للشيخ كوكس أن يعطى جواباً إلى وسطاء ابن سعود فعليه أن يخبرهم أنه طالما أن مقترحات الأمير الوهابي تشمل على اعتبارات « يستحيل على حكومة صاحب الجلالة أن تأخذ بها » فجيء عدم توقع أى جواب . . . (٤٩)

وبهذه الغلظة صددت الحكومة البريطانية المحاولة المخلصة الثانية التي قامت بها الحكومة السعودية ، التي عادت مؤخراً ، للدخول في علاقات ودية . وبهذا الجفاف أكدت الحكومة البريطانية سياستها بأنه لا شأن لها في الأمور الداخلية بلخزيرة العرب .

٣٠٧ - لقد سبق أن أوضح بجلاء بأن محاولة صنع دولة كبيرة من بلدة أبو ظبي الصغيرة بدت عام ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) عندما أصدر الكولونيل بلي رأيه الشخصي بأن العديد تابعة لزايد بن خليفة (الفقرة ٢٣٥ السابقة) . على أن اهتمام بلي لم يتعد الساحل على كل حال . واستمرت الحكومة البريطانية بعد أيامه في اتباع سياستها التقليدية بتجنب التورط في شئون الداخل ، تلك السياسة التي أكدتها مرة أخرى عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) (الفقرة ٣٠٦ السابقة) . وفي الواقع أن أجزاء كثيرة من الداخل بقيت أرضاً مجهولة لدى الموظفين البريطانيين . ثم طرأ في أوائل سنى القرن العشرين تغير ملحوظ . ففي عام ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) أمر اللورد كرزن بوضع دليل عن الخليج الفارسي وكلف المستر جوردن لوريمر أحد موظفي الهند المدنيين بالقيام بهذا العمل . فقام لوريمر خلال مدة السنوات الثلاث التالية بجمع المعلومات وعمل على إعداد دليل ضخم ، وذلك بمساعدة فعالة من جانب الموظفين البريطانيين الذين كانوا يعملون في الخليج . أما المجلد الثاني من الدليل ، وهو عبارة عن معجم جغرافي ، فقد جرى طبعه ١٣٢٦ هـ

(٤٩) جريفيز « حياة كوكس » ص ١٠٧ .

(١٩٠٨ م) ، غير أن المعلومات التي يشتمل عليها لا تذهب عموماً أبعد من عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) . ويتسم هذا المجلد بالدقة والاستيعاب عندما يتناول لوريمر وزملاؤه بالبحث المناطق التي زاروها ودرسوها بأنفسهم دراسة وافية . غير أن هناك أقاليم ، خصوصاً في جزيرة العرب ، لم يرها لوريمر أو الآخرون ، بل إن هناك بعض الأقاليم التي لم يسمعوا بها قبل الشروع في إعداد كتابهم هذا . والفتننت كولوئيل فريزر هنتر ، الذي أعد الخريطة الكبيرة لجزيرة العرب المشهورة بخريطة هنتر وهي التي أعدت بقصد إلحاقها بالدليل ، هو أحسن من يروى قصة الجواء في الظفرة ، فيقول :

لقد عثر عام ١٩٠٦ على لؤلؤة ثمينة جداً اتجاء الطرف الأقصى لجزيرة مسندم . فادعى شيخ البحرين أن جميع اللؤلؤ التي عثر عليها في تلك المياه تخصه أو أنها يجب أن تمر عن طريقه . أما شيخ قطر فقد ادعى أن اللؤلؤة عثر عليها أحد أتباعه ولذلك ، يجب التصرف فيها عن طريقه . فنشأ نزاع كبير كان من نتائجه مقتل شيخ قطر وحصولنا على بعض المعلومات الجغرافية الهامة عن عمان الساحلية ، ثم تأجل إصدار كتاب لوريمر . لقد ادعى الرجل الذي عثر بالفعل على اللؤلؤة بأنه من قرية شاة في الجواء ، وبما أن أحداً لم يسبق له أن سمع بمثل هذه الأماكن فإن الكولوئيل كوكس (السربرسي الآن) ، الذي كان معتلماً سياسياً في الخليج الفارسي ، قد اكتشف ، في خلال محاولاته لتسوية النزاع ، بأن الرجل لا ينتمي إلى قطر أو إلى البحرين ، وإنما يأتي من منطقة الربع الخالي ، وهو الجزء الصحراوي المنفرع في جنوب جزيرة العرب . وبمواصلته الكولوئيل كوكس لتحقيقاته استطاع أن يقدم مجبودة من المعلومات تتعلق بينونة والظفرة الوسطى والقفا والجواء وغيرها من أجزاء عمان الساحلية الأمر الذي أدى إلى ملء مساحة كبيرة من الفراغ الذي كان موجوداً في خريطة جزيرة العرب كما أنه زاد في الشهرة التي اكتسبها عن جدارة مرجعاً أصيلاً لشئون الجزيرة . (٥٠)

وينوه لوريمر في نبذة من كتابه عن الظفرة ، وهو أول كتاب يقرأ فيه البريطانيون شيئاً عن قرى الجواء ، بأن معلوماته مستقاة من الميجر كوكس والكابتن بريدو الوكيل السياسي في البحرين ، وكذلك من عبد اللطيف وكيل

(٥٠) هنتر « ذكريات عن خريطة جزيرة العرب والخليج الفارسي » المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ٥٤ (١٩١٩ م) ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

مكتب المعتمد البريطاني في الشارقة ، وجميعهم اعتمدوا على مصادر محلية
وبعبارة أخرى لم يتم أحد منهم بزيارة الإقليم ، واستقيت معلوماتهم من العرب
الذين لهم بعض المعرفة بالإقليم . وبما أن المعلومات المبينة في هذه النبذة تشكل
أول أساس لاعتراف البريطانيين الذي جاء فيما بعد بادعاء بهذا الإقليم تقدمت
به أبو ظبي ، فإن الموضوع يستحق التحليل بكل عناية . فننال الناحية الأولى
تتضح طبيعة عدم الوثوق والبت في صحة المعلومات من أسلوب لوريمر في
صفحاته التي تنتثر فيها عبارات وكلمات مثل « يبدو » و « ربما » و « من
الممكن » و « من المحتمل » و « الرأي الأكثر ترجيحاً » و « مشكوك فيه »
و « بلا شك » و « يمكن الأخذ به » و « يمكننا مؤقتاً ترتيب الأقسام »
و « لا نزاع فيه » و « طبقاً للتقرير الذي يبدو لأسباب عديدة أكثر ما يمكن
الاعتماد عليه » و « إذا أخطأ هذا الرأي » و « تواجهنا هنا
تناقض خطير في المعلومات » .^(٥١) وليس هناك إذن ما يدعو إلى الدهشة في
أن تكون المعلومات الجغرافية ينقصها الشيء الكثير . فالقول في أول النبذة بأن
الظفرة جزء من عمان لا يتفق وأى تعريف لعمان ، إلا أن يكون ذلك التعريف
مصطنعاً تماماً ومعداً ليخدم أغراضاً سياسية ، وكذلك فإن المعلومات الواردة
عن سكان الظفرة خاطئة مضللة . فالمؤلف يصف بني ياس بأنهم « أنصاف
متحضرين » وذلك في سياق يفهم منه أن المناصير ألأم يصلوا حتى إلى هذه
الدرجة ، ويعزو هذا إلى طبيعة المناصير بأنهم « بدو تماماً »^(٥٢) . وقد أبانت
الحكومة العربية السعودية أن البدو لا يقولون « تمدناً » عن الحضرة (الفقرة ٥ من
الفصل الثالث فيما سبق) . وأما أن المناصير ليسوا بدواً في مجموعهم ، فهو أمر
قد اعترف به لوريمر نفسه الذي يتحدث في العبارة التالية عن « قرى المناصير »

(٥١) تظهر هذه جريماً في الصفحتين الأوليين من نبذة لوريمر عن الظفرة . لوريمر ، مجلد ٢ ،

٤١٢ ص - ٤١٣ .

(٥٢) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤١٥ .

في الظفرة . والقول إن « القرى المأهولة على الدوام والمسماة محاضر تتبع جميعها بنى ياس »^(٥٣) ليس صحيحاً (قارن بالفقرة ٥٢ من الفصل الثاني والفقرة ٣٠ من الفصل الثالث فيما سبق) . والإشارة بأن المناصير يتجنبون الامتلاك الفردي للنخيل ، وإنما يحوزونه فقط من قبيل « الممتلكات القباية المشتركة » ليست إشارة صحيحة .^(٥٤) والتحدث عن بينونة بأنها أبرز المراعى لبنى ياس أمر غير صحيح . وتقدير عدد أفراد القبائل الذى يبين أن بنى ياس يتفوقون على المناصير في الظفرة بنسبة خمسة إلى واحد هو أمر غير واقعى بالمرة . والاتجاه الظاهر من جميع هذه المعلومات المغلوطة هو الدلالة على أن لبنى ياس صلة أوثق من المناصير بالظفرة وبقرى الجواء . والفصلان الثانى والثالث من هذا العرض يبينان أن العكس هو الصحيح . فما لا جدال فيه أن العرب الذين اعتمد عليهم المؤلفون كانوا جميعاً أفراداً من بنى ياس أنفسهم أو من مواليهم . وبالإضافة إلى ذلك فإذا قورن قول لوريمر بأن « هناك قبيلتين فقط من الظفرة وهما بنى ياس والمناصير »^(٥٥) ، بالمعلومات المدرجة في الفصل الثالث^(٥٦) يتضح النقص الموجود في معالجة لوريمر للموضوع (وكل القبائل التى تجاهلها هى قبائل سعودية) . ويلخص لوريمر في نبذته عن الظفرة بقوله إنها « تقع جميعاً داخل نطاق النفوذ السياسى لشيخ أبو ظبي ولهذا يمكن اعتبارها تابعة لإمارته » ،^(٥٧) ولو أن لوريمر نفسه يتحفظ بعض الشيء بصدده صحة ذلك ، حيث أنه يستأنف كلامه فيقول :

(٥٣) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤١٥ .

(٥٤) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤١٥ .

(٥٥) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤١٥ .

(٥٦) انظر بوجه خاص الاقسام التى تتناول قبائل آل مرة والعوامر والمناهيل وآل راشد والغفار .

(٥٧) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤٢٧ . لقد أشير إلى هذا القول في تصريح أدلى به بالنيابة عن

الشيخ شخبوط حاكم أبو ظبي في الدمام في ١٣٧١ هـ (٣١ يناير ١٩٥٢ م) (قارن بالفقرة

٧٧ من الفصل الخامس) وذلك برهاناً على إدعائه فيما يختص بالظفرة .

إن أهالي الجواء من بني ياس يعتبرون أنفسهم من رعايا الشيخ ، غير أن مدى خضوع المناصير لتنفيذ أمر مشكرك فيه . (٥٨)

وكان شأن لوريمر وكوكس في عدم إدراكهما لجميع نتائج عملهما شأن بلى في عدم إدراكه لنتائج عمله . وإن النتيجة التي توصل إليها لوريمر فيما يتعلق بوضع الظفرة السياسى يمكن ألا يكون قد قصد بها صفة الإلزام الموجودة فيما ادعى به بلى من نسبة العديد لأبو ظبى . بيد أن الحكومة البريطانية رأت في ذلك فائدة مماثلة عندما حانت الفرصة . لقد قدم بلى ذريعة لإعطاء أكثر من خمسمائة كيلو متراً من الساحل لأبو ظبى ، ثم أتى لوريمر بذريعة أخرى ليلحق بالساحل قطعة من الداخل لم يكن قد سمع بها عام ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) . وبأمر بريطانى أريد إنشاء أوسع إمارة بين مشيخات ساحل الصلح^(٥٩) بشكل يختلف كلياً عن الوصف الدقيق الذى أعطاه الكابتن كبل عام ١٢٧٠ هـ (١٨٥٤ م) (الفقرة ١٩٤ السابقة) . وإنه لأمر غريب فى الواقع أن تجرى محاولة فيما بعد للتصرف بشكل تحكمن فى مصير إقليم كبير لم يسبق له أن رأى وجه رجل إنكليزى ، وذلك على أساس بحث قام به لمدة قصيرة خارج المنطقة نفسها ثلاثة موظفين بريطانيين قد اتضح بجلاء أن النتائج التي توصلوا إليها بصدد النقاط الأساسية إما ناقصة أو مضللة أو خاطئة كلياً . ولكن الأمر يصبح مفهوماً إذا ما رجعنا بالذاكرة إلى قصة ما وقع لجزائر خوريا موريا كما رواها مؤرخ إنكليزى (الفقرة ١٩٦ السابقة) . لقد لاقت هذه الجزائر مصيرها بسبب وجود ثروة من السناد تغطى سطحها . والموارد الطبيعية لكثير من أجزاء جزيرة العرب كانت ما تزال غير معروفة عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) ، غير أن البريطانيين بدأوا فى التفكير باستغلال ما قد يكشف عنه المستقبل ، إما بأنفسهم أو عن طريق آخرين (الفقرة ٢٩١ السابقة) . ثم إن هناك اعتباراً

(٥٨) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤٢٧ .

(٥٩) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤٠٥ .

آخر يفوق ذلك أهمية ، فقد كانت هناك قوة جديدة بدأت تعود إلى الظهور بسرعة في جزيرة العرب وما كان البريطانيون لينظروا إلا شزراً إلى أية قوة في الجزيرة سواهم وفي عام ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) أبدى وزير الدولة لشئون الهند معارضة الحكومة البريطانية في « الموافقة على توطيد السلطة الوهابية » (الفقرة ٣٠٦ السابقة) . والموظفون البريطانيون في جهلهم الذي كانوا عليه قبل زمن لوريمر بجغرافية الظفرة ربما كانوا جاهلين بانتساب هذا الإقليم إلى الدولة السعودية خلال معظم القرن التاسع عشر ، بيد أنهم كانوا على علم بعض الشيء بتاريخ البريمي . وما من وسيلة أفضل للحيلولة دون عودة السعوديين إلى هناك ، من إنشاء ما يسمونه بدولة تقوم على الأرض بين الحسا والبريمي ، الأمر الذي يخلق مع مضي الزمن ذريعة لإقامة علامات يكتب عليها « ممنوع التخطي » .

٣٠٨ - وطبع المجلد الثاني من دليل لوريمر عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ، وهو يحتوي أيضاً على نبذة عن واحة البريمي لها أهمية خاصة لكونها قائمة على أساس دراسة الميجر كوكس المعتمد السياسي البريطاني في الخليج الفارسي (الفقرة ٢٩٧ السابقة) وكذلك على شيء من دراسة الكولونيل مايلز الوكيل السياسي السابق في مسقط (الفقرة ٢٤٨ السابقة) .^(٦٠) وليس هناك حاجة تدعو إلى تحليل هذه النبذة تحليلاً مفصلاً . فإن صلب الموضوع هو في الحملة الافتتاحية التي يعرف بها البريمي بأنها

واحة هامة في إقليم الجو تقوم على رقعة بين ساطنة عمان وعمان الساحلية يمكن وصفها
بعمان المستقلة .^(٦١)

وهكذا يؤكد الموظفون البريطانيون الذين كانوا في خير وضع يسمح لهم بمعرفة الحقيقة ، أي المعتمد نفسه ومساعديه ، استقلال البريمي في ذلك الحين ،

(٦٠) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٢٦٤ .

(٦١) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٢٦٠ .

عندما لم تكن الدولة السعودية خلال نموها بالحديد قد وصلت إلى ذروة اكتمالها .
ومن الضروري أن نبين بجلاء أن هذا التأكيد قد جاء عندما بلغ نفوذ زايد بن
خليفة في أبو ظبي أقصى مداه ، إذ أن زايد توفي قرب الوقت الذي ظهر فيه
الكتاب (الفقرة ٣١٢ اللاحقة) . وكما لا يدع لوريمر أى مجال للشك في أن
البريمي تقع خارج مشيخة أبو ظبي فإنه في نبذته عن تلك المشيخة^(٦٢) يقول
ما يلي :

إن حدود أبو ظبي إلى الداخل ليست معينة : ويقال إنها تصل شرقاً إلى واحة البريمي ،
لكن دون أن تشملها .^(٦٣)

ولا يوجد في النبذة الواردة عن البريمي أى ذكر لأية سلطة لسultan مسقط
على أى جزء من الواحة . وعلى كل حال فإن لوريمر ، مرة أخرى ، يذهب
بعيداً ليزيل أى شك فيما يتعلق بوضع البريمي بالنسبة لمسقط فيقول في نبذته
عن سلطنة عمان :

إن سلطنة عمان لا تشمل - كما شرح في النبذة عن عمان - عمان بالمعنى الجغرافى .
إذ أن عمان الواقعة على ساحل الصلح وواحة البريمي ورقة محضه ، بالرغم من أنها
تابعة لعمان (فى المعنى الجغرافى) فإنها ليست داخل ممتلكات السلطان .^(٦٤)

ويعضى لوريمر فيقول :

بالإمكان القول بأن خط الحدود البرية للسلطان ، فى الجانب الواقع فى اتجاه البريمي
وإلى الشمال من الصحراء الكبرى ، يقع عند خط قسم الجبال بين ذلك المكان (أى
البريمي) وساحل خليج عمان .^(٦٥)

(٦٢) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤٠٥ - ٤١٠ .

(٦٣) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤٠٥ .

(٦٤) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ١٣٨٢ .

(٦٥) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ١٣٨٦ .

وبموجب هذا التعريف فليست البريمي وحدها بل وبقيّة الظاهرة تقع خارج سلطنة مسقط . وإن هذه المقتطفات لتلخص النتائج المبينة ، منذ أقل من خمسين عاماً ، في المجلد الرسمي الذي كان منذ ذلك الحين الدليل المرشد لممثلي بريطانيا في الخليج الفارسي .

٣٠٩ - وحتى ما يكتب لوريمر بوصفه موظفاً بريطانياً ، فإن أفضل ما يوسعه القول عن حكومة مسقط هو ما يلي :

إن حكومة عمان تفتقر إلى النظام والكفاءة وسلطة السلطان خارج منطقتي مسقط والباطنة هي إما واهية أو مجرد اسمية . . .

وأما في عمان نفسها فالسلطان ولاية في أزكى وزوى إلى جانب مركز في منح تحت إدارة والى نزوى . ولكن وضعه في هذه المنظمة غير مأمون ، ولا ينطوي على أى اشراف فعلى . (٦٦)

وللبیان التالى الذى قدمه لوريمر علاقة بأى ادعاء يمكن أن يتقدم به السلطان بسلطة على القبائل :

لم يسبق قط للسلطات القبلية أن سلمت للسلطان أفراداً من القبائل باعتبارهم مجرمين لمعاقبهم . (٦٧)

٣١٠ - كان عبد العزيز آل سعود قد وضع الخطط لاستعادة الممتلكات الشرقية للدولة السعودية في عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) ، غير أنه واجه صداماً شديداً من البريطانيين عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) (الفقرة ٣٠٦ السابقة) . ولم ينس الحسا والظفرة والبريمي خلال السنوات القليلة التالية ، غير أن الحالة في نجد شغلته كما أن الحالة في الشرق لم تكن بعد على أحسن مايرام . ففي نجد تمرکز آل رشيد الذين كان الأتراك يشجعونهم ويساعدونهم ، في الشمال ، وحيث

(٦٦) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ١٤١٩ .

(٦٧) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ١٤٢٠ .

أن قوة عبد العزيز أخذت تنمو فلما شريف مكة الحديد في الغرب ، الحسين ابن علي ، دخل في عداد خصوم الدولة السعودية . وكان عبد العزيز في الشرق يحدق تدريجياً بمراكز الأتراك مخضعاً القبائل لسلطته (الفقرة ٣٠٤ السابقة) وعازلاً بشكل فعال الحامية التركية في حصونهم القليلة . وكانت قبيلة آل مرة التي تنتشر بطونها شرقاً حتى داخل الظفرة من أولى القبائل التي انضمت إلى الجانب السعودي ، وهي القبيلة التي كان عبد العزيز يروح ويغدو معها في صباه (الفقرة ٢٧٥ السابقة) . ولو أن أعداء عبد العزيز في أواسط جزيرة العرب كانوا أقل قوة مما كانوا عليه لقام في الغالب بزيارته المزمعة للبريمي ، دون أن يحتل أولاً إقليم الحسا الواقع في منتصف الطريق ، كما سبق لجدده تركي بن عبد الله أن فعل عام ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م) (الفقرة ١٠٤ السابقة) ، إلا أن ذلك كان من شأنه أن يكشف خطوط مواصلاته للأتراك الذين مع أنهم لم يكونوا من القوة بحيث ينجحون في حكم المنطقة التي يدعون بها ، إلا أنهم لم يكونوا خصماً يهمل . ورأى عبد العزيز بعد أن أخذ جميع ذلك بعين الاعتبار أن من الأفضل أن يتمهل بعض الشيء إلى أن تحين الساعة التي يوجه فيها ضربته القاصمة .

٣١١ - وفي أوائل عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) زار مسقط جورج لويد الذي أصبح فيما بعد اللورد لويد ، أحد رجالات الإمبراطورية البريطانية . وكتب في يومياته عن رحلته يقول :

وقعت غارة قبل وصولي بسبعة أيام فقط من قبل العرب الذين نجحوا في حمل رئيس وزراء السلطان معهم وقيل إنهم قتلوه فيما بعد . (٦٨)

وبعد أن تأمل لويد الحالة في مسقط كما وجدها ، نادى بالرأي التالي :

(٦٨) أوردها آدم في « حياة اللورد لويد » (١٩٤٨ م) ص ٣٧ .

. . . إنه قد تستدعى الأهمية الملحة أن نثبت أنفسنا بشكل دائم في مسقط في وقت مبكر . (٦٩)

٣١٢ - لقد توفي زايد بن خليفة وفاة طبيعية نحو عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) بعد أن تمتع بالحكم في أبو ظبي أكثر من خمسين عاماً . وإنه لمن الغرابة بمكان أن نلاحظ أن وفاة هذا الزعيم الكبير كان لها أثر بسيط بحيث أن تاريخ وفاته بالضبط لم يعد يذكر تماماً في الساحل . (٧٠) وقد تنازل نجل زايد الأكبر ، خليفة ، عن شرف خلافة أبيه ، إلى أخيه طحنون ، وقد يكون السبب في ذلك أنه أحس بشعور خفي بأن اضمحلال أبو ظبي بعد بلوغها الذروة أصبح أمراً محتوماً . وحكم طحنون ، الذي هو الآن مجرد اسم لا أكثر على الساحل ، لمدة السنوات الأربع التالية تقريباً . بطريقة هادئة لم تكتنفها أية حوادث أو وقائع تذكر . ولم تعد أبو ظبي مركزاً لقوة متحركة تحاول شق طريقها إلى طبيعة مشيخات ساحل الصلح ، بل عادت إلى دورها العادي ، دور قرية الصيد الصغيرة الناعسة فكانت أقل نشاطاً بكثير من جارتها دبي والشارقة المليئتين بالحركة والعمل ولم يعكر صفو هذا الدور إلا عندما وقع اختيار الحكومة البريطانية بعد عشرين سنة على أبو ظبي أداة مناسبة لتنفيذ سياستها (الفقرة ٣٥٦ اللاحقة) .

٣١٣ - ويتكلم الصحفي البريطاني لوفات فريزر في كتاب نشره عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) عن زيارة قام بها لمسقط فيقول :

وحتى داخل دولة مسقط لم تكن سلطة السلطان تكاد تمارس بأمان خارج البلديتين المتجاورتين مسقط ومطرح . وفي اليوم السابق لزيارتي مطرح كانت البلدة محصورة ومهددة من جانب عصابة من قطاع الطريق في الجبال . والسلطان (فيصل ابن تركي) رجل رقيق وقور ، يحب التصوير . ولديه اهتمام شديد بالسفن الحربية ،

(٦٩) آدم ، ص ٣٨ .

(٧٠) يذكر الناس هناك سنتي ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) و ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) تاريخاً لوفاته .

واكن حكمة تمتد إلى مدى بصره ، ولا شيء أبعد من ذلك . ولا يمكن لمثل هذا الوضع أن يدوم . (٧١)

٣١٤ - وقد حل حمدان بن زايد محل أخيه طحنون حاكماً لأبو ظبي في عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) وكان حمدان أكفأ خلفاء زايد خلال الخمسين سنة الماضية ، إذ أنه ورث نصيباً من براعة أبيه وطموحه أكبر من نصيب أى من أخوته أو أبناء اخوته . وعلى الرغم من ذلك فإن حمدان لم يتمتع بنفوذ يماثل ما كان يتمتع به والده كما أن حكمه دام عشرة أعوام فقط بدلا من نيف وخمسين . ومع أن حمدان كان في البداية لا يميل إلى مصادقة آل سعود إلا أنه بعد أن نضج تفكيره في السنوات التالية ، انتهى إلى تقدير فوائد الصداقة مع هذا البيت مما يؤدي في النتيجة إلى رفاهية جميع الأهليين في شرق جزيرة العرب . وسوف نسوق فيما بعد بعض الدلائل على صداقته مع الشخصيات البارزة في الدولة السعودية (الفقرة ٣٢٣ اللاحقة) .

٣١٥ - وفي عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) كان عبد العزيز قد أصبح قوياً لدرجة تمكنه من الزحف على الأتراك في الحسا دون الارتباط مع البريطانيين كما كان يظن ذلك ضرورياً في عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) (والفقرة ٣٠٦ السابقة) . وقد تجلت صحة تقديراته في السهولة التي استسلم بها الأتراك كما سيجرى سرد ذلك في الفصل الخامس حيث يعالج موضوع استرداد الحسا من الوجهة الدولية . ولأن إمارة الحسا كانت تعتبر منذ الأيام الأولى للدولة السعودية من أبرز المقاطعات التابعة للدولة وأهمها ، فقد اختار عبد العزيز لها ابن عمه وموضع ثقته عبد الله بن جالوى وكيلا له فيها فكان يدير الشؤون السعودية في شرق الجزيرة منذ ذلك الوقت حتى وفاته عام ١٩٣٥ م بيد حازمة عادلة ، متمسكاً

(٧١) لوفات فريزر « الهند أيام كرزن وبعده » (١٩١١ م) ص ٩٠ - ٩١ .

بأحسن تقاليد الحكم الإسلامي كما هي مبينة في فقرات عديدة من هذا الفصل .
 ٣١٦ - إن « سنة فتح الحسا » ما زالت تعتبر عند أهالي شرق جزيرة العرب
 من أشهر الأحداث في تاريخهم الحديث . وإن كثيراً من الحوادث لتؤرخ بها .
 وإن عودة الراية السعودية قد جلبت معها استقرار الإدارة السعودية في جميع
 نواحيها المحترمة منذ القدم . وكان من بين ذلك الجباية السنوية للزكاة وهي قائمة
 على أسس منتظمة من أحكام الشريعة ، وكان الناس يقبلون طواعية على دفع
 الزكاة مساهمة منهم في النظام الذي منحهم الأمن والطمأنينة في ظل حماية
 الحكومة . وكان جمع الزكاة من قبائل المنطقة الشرقية - المناصير وآل مرة
 وغيرهم - يوجه في بادئ الأمر من الرياض ، وذلك يؤكد مرة أخرى أنه على
 الرغم من أن الحسا هي حلقة اتصال مناسبة ، إلا أنها ليست حلقة اتصال
 جوهرية في حد ذاتها بين الحكومة المركزية وبين المناطق المتنازع عليها الآن . (٧٢)
 ومع مرور الزمن انتقلت مسؤولية الجباية إلى الأمير عبد الله بن جلوي واستقرت
 على هذه الطريقة فأصبحت منذ ذلك الحين من اختصاص أمير الحسا (الذي
 هو الآن أمير المنطقة الشرقية) .

٣١٧ - وجرى بين عبد العزيز آل سعود وبين الوكيلين السياسيين
 لبريطانيا في كل من البحرين والكويت « اجتماع ودي » (٧٣) في العقير حوالي
 بداية عام ١٣٣٢ (نهاية ١٩١٣ م) . وكان الوكيل في الكويت هو الكابتن
 شيكسبير الذي أصبح فيما بعد أول ممثل لبريطانيا لدى بلاط عبد العزيز .
 ويبدو أن هذا الاجتماع قد كان أول خطوة ملموسة اتخذت لإقامة علاقات
 بين الحكومتين ، وهو الأمر الذي كان قد اقترحه عبد العزيز ووالده منذ عام

(٧٢) وجباية الزكاة في هذه المناطق في السنوات الأخيرة قد جرى بحثها أيضاً في الفقرات ٣٧ - ٤٨
 من الفصل السادس فيما بعد . إن القبائل الشرقية ، كما هو وارد في الفقرة ٣٠ السابقة ، قد
 دخلت تحت سلطة عبد العزيز قبل طرد الأتراك .

(٧٣) ايتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ١٨٨ .

١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) (الفقرة ٢٩٨ السابقة) . وأما الاتفاقية الإنكليزية التركية التي وقعت (ولكن لم يصدق عليها) قبل ذلك بشهور (٢٩ يوليو عام ١٩١٣ م) فإنها لم تحل دون قيام هذين الوكيلين بالتعامل مع عبد العزيز بصورة مباشرة ، كما أنهما لم يكشفوا لعبد العزيز أمر توقيع هذه الاتفاقية (قارن بالفقرة ١٢ من الفصل الخامس فيما بعد) .

٣١٨ - وبينما كان عبد العزيز منهمكاً في إعادة توطيد حكم آل سعود في إقليم الحسا والمناطق الواقعة شرقيه كانت هناك دولة قديمة في أقصى شرق جزيرة العرب قد أخذت تنبث من رفاتها . وإن الأسباب التي من أجلها زحف أهالي عمان مرة أخرى على سلطان مسقط قد سردتها المس جرتروود بل الرحالة والمستشرق البريطاني في مقال كتبه في « نشرة الشؤون العربية » السرية (٧٤) في نهاية عام ١٨٣٤ هـ (٢٦ أكتوبر سنة ١٩١٦ م) عندما كانت تعمل مع نهاية عام ١٣٣٤ هـ السر برسي كوكس في العراق :

... أصبح حكام مسقط معرضين للنفوذ الأجنبي الأمر الذي أقدم عطف القبائل في الداخل . ويعود سبب القلاقل الأخيرة إلى هذا النفوذ الأجنبي ، وإلى اعتاد سلاطين مسقط على القوة البحرية العسكرية الأجنبية ، وكذلك إلى خضوعهم ، مرغين ، للمطالب الأجنبية فيما يتعلق بأمور المتاجرة بالرقيق وبالسلح . وقد رأى السلطان الراحل السيد فيصل بن تركي في قيام الحكومة البريطانية بالقضاء على تجارة الأسلحة فائدة جليلة لنفسه ، حيث أصبح رعاياه الثائرون عاجزين عن التزود بالأسلحة لاستعمالها ضده . إلا أن عدم ارتياح القبائل لذلك قد وصل إلى ذروته قبل وفاته . (٧٥)

٣١٩ - وفي عام ١٣٣١ هـ (مايو ١٩١٣ م) قام الرؤساء الدينيون وزعماء قبائل الداخل ، باسم أهالي عمان على وجه العموم ، بانتخاب الشيخ سالم بن

(٧٤) خلاصة أعمال الاستخبارات التي كانت تطبع دورياً من قبل المكتب العربي التابع للحكومة البريطانية في القاهرة خلال الحرب العالمية الأولى .
(٧٥) جرتروود بل « الحرب العربية » (١٩٤٠ م) ص ٢١ .

راشد الخروصي أول إمام في القرن العشرين. (٧٦) وقد أضحى الشعور ضد آل بو سعيد قوياً (٧٧) إلى درجة أن أى اهتمام لم يوجه لانتخاب أى فرد من أفراد هذا البيت ، كما حدث في حالة عزان عام ١٨٦٣ . وبانتخاب الخروصي عاد المنتخبون إلى بيت أقدم ، وأسرة كانت قد أخرجت عدداً من الأئمة قبل ظهور آل بو سعيد بزمن طويل . وقد أظهرت الإمامة الجديدة تفوقها في الحال على قوات السلطان في الميدان . وإذ انزعج البريطانيون لهذا الموقف ، فقد قامت الحكومة البريطانية بإرسال قوات هندية على عجل إلى أطراف مسقط ، كما قام الميجر نوكس الوكيل السياسى بإرسال كتاب إلى الإمام متهماً إياه بمقاومة « حضرة سلطانكم المعظم السيد فيصل بن تركى » ومخدراً إياه بأن الحكومة البريطانية لن تسمح لأحد بمهاجمة مسقط أو مطرح . وقد أجاب الإمام على ذلك الكتاب بالرد التالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . (٧٨)

من إمام المسلمين سالم بن راشد الخروصي إلى حضرة الميجر فاكس نايب الدولة البهية الإنكليزية السلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى أما بعد فقد وصلنى كتابكم المؤرخ سادس شعبان من هذا العام وذكرتم فيه ما ذكرتم وأنتم تعلمون أن أمر عمان عند علمائها من قديم الزمان وأن كل ملك خالف العلماء فهو خلع عند الدولة الإسلامية النبوية منبؤذ عن أمر المسلمين لا تصرف له في دوائهم ولا نفاذ لحكمه وأن فيصلا قد قامت عليه الحجة مراراً عديدة بعد خلعه وعزله فأبى أن يعتزل وأنه قعد هذه المدة بسبيل القلبة والقهر والمسلمون لم يرضوا سلطنته ولا أفعاله وأنتم معشر هذه الدولة يجب عليكم أن تكفوا عن أمر المسلمين ويلزمكم أن لا تتعدوا علينا ومن تعدى علينا فانه يعيننا عليه وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً وحسبنا الله ونعم الوكيل ومن كان

(٧٦) «دليل الأميرالية» مجلد ١ ، ص ٢٤٧ — ٢٤٨ .

(٧٧) هوجارث «جزيرة العرب» ص ١٢٤ .

(٧٨) القرآن الكريم ، سورة الإسراء ، الآية ٨١ .

مع الله كان الله معه ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً وإن ينصركم الله فلا غالب لكم .

صحيح الإمام سالم بن

حرر ٩ شعبان سنة ١٣٣١

راشد الخروصي بيده (٧٩)

(نحو ١٤ يوليو ١٩١٣ م)

وفي سبتمبر اضطر البريطانيون إلى مضاعفة حاميتهم بالقرب من مسقط .^(٨١)

٣٢٠ - وقد مات فيصل بن تركي سلطان مسقط عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م)

وخلفه ابنه تيمور . وقد حاول السلطان الجديد دون نجاح أن يتفاوض مع زعماء الإمامة . وبعد ذلك « أذهب الثوار (أى أهالي عمان) » بقصف مكانين على الساحل بمدافع سفينتين حربيتين بريطانيتين في ١٣٣٢ هـ (إبريل ١٩١٤ م).^(٨١) ثم أرسلت تعزيزات أخرى إلى مسقط ، وكانت تتألف هذه المرة أيضاً من قوات هندية .

٣٢١ - وقد حدا تقدم عبد العزيز آل سعود إلى سواحل الخليج الفارسي

بالإنكليز إلى زيادة الاهتمام بأواسط جزيرة العرب على ما كانوا يرغبون حتى ذلك الوقت ، كما أن نشوب الحرب العالمية قد زاد من هذا الاهتمام . وإذ شعر الإنكليز أن الإمبراطورية العثمانية تعترض خط مواصلاتهم الحيوي إلى الهند ، كما أنهم كانوا يعلمون أن ألمانيا تقف وراء الترك ، فقد بحثوا بلهفة عن حلفاء جدد حيثما يكونوا . وقد أرسل الكابتن شيكسبير الذي كان قد زار الرياض في عام ١٣٣٢ هـ (مارس ١٩١٤ م) مسافراً أكثر منه ممثلاً لحكومته،^(٨٢) أرسل إليها مرة أخرى بصفة أكثر رسمية ، وكان ذلك في أواخر العام الميلادي . وكان

(٧٩) توجد نسخ من كتب فوكس والامام في حوزة الحكومة العربية السعودية .

(٨٠) بل « الحرب العربية » ص ٢١ .

(٨١) بل « الحرب العربية » ص ٢١ .

(٨٢) المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ٥٩ (١٩٢٢) ص ٣٣٤ و ٤٠١ - ٤٠٢ .

شيكسبير أول موظف بريطاني يظل بالقرب من الحكومة السعودية . وقد تقبل عبد العزيز شيكسبير في عاصمته في الحال ، وهو الذي كان قد أوضح منذ سنوات رغبته واستعداده في الوصول إلى اتفاق مع البريطانيين . وإن الإخلاص الذي ساند به عبد العزيز البريطانيين طوال الحرب ليعبر عنه السر ريدر بولارد أحسن تعبير حين يقول :

لقد كانت مساعدة ابن سعود مساعدة قيمة . . ولو كان قد تسلم مقداراً أكبر من السلاح (فتحى الأسلحة التي وعده بها البريطانيون لم تسلم بكاملها) لكان حليفاً أكثر نفعاً وفائدة . (٨٣)

أما عن العلاقات التي تلت ذلك بين المملكة المتحدة والحكومة العربية السعودية مما يتصل بالموضوع المعروض على هيئة التحكم فيتناولها الفصل الخامس من هذا العرض .

٣٢٢ - وبحلول عام ١٣٣٣ هـ (يناير ١٩١٥ م) كان أتباع إمارة عمان الجديدة يحتلون بالفعل البلاد بأسرها ، محاصرين تيمور بن فيصل سلطان مسقط في عاصمته . وما كانت مسقط نفسها لتتنجو من السقوط لولا الشجاعة الحربية التي أظهرتها القوات الهندية التي أرسلها البريطانيون . (٨٤) وفي شهر فبراير قام نائب الملك في الهند ، اللورد هاردينج ، بزيارة مسقط :

لقد كان من المستحيل أن أنزل إلى الشاطئ في زورق وقد حملت إلى البر على كرسى وأنا في الزي الرسمي الأمر الذي لم يكن مشرفاً كثيراً أمام حرس الشرف الذي كان على أن أستعرضه . (٨٥)

- (٨٣) السر ريدر بولارد « بريطانيا والشرق الأوسط » (١٩٥١ م) ص ٧٣ - ٧٤ .
 (٨٤) مرفى في كتابه « جنود الرسول » (١٩٢١ م) يقدم سرداً مفصلاً عن كيفية إنقاذ مسقط على يد القوات الهندية التي أرسلها البريطانيون .
 (٨٥) اللورد هاردينج « سنواتي في الهند » (١٩٤٨ م) ص ١١٤ .

وقد أحس هاردنج بالعطف نحو الوكيل السياسي البريطاني

الذي كان يعيش في ذلك الجو الحار ، والذي لم يكن بوسعه القيام بالنزهة إلا على مسافة بضع مئات من الياردات حول القنصلية نظراً لحالة القلق العام الذي كان يجيم على المدينة . (٨٦)

وقد عرض الوكيل السياسي البريطاني المصاعب التي كان ذلك الوضع ينطوي عليها في العبارات التالية :

١ - لقد كان الثوار قابضين على زمام الموقف باحتلالهم وادي سمائل وحصن سمائل اللذين كانا ضروريين لازدهار مسقط التجارى .

٢ - لقد اكتسبت الثورة طابعاً دينياً وأخذ الإمام ينادى بالجهاد . أضف إلى ذلك أن قواتنا قتلت عدداً كبيراً من الثوار في هجوم يناير الفاشل ، الأمر الذي أثار شعوراً من الاستنكار من الصعب تهديته .

٣ - إن عرض منح على القبائل قد لا يكون فيه إغراء قوى إذ أن الإمام قد يمنعه التحرج الدينى من قبول أية منحة ، كما أن الزعيمين الآخرين يتسنعان بدخول طيب بفضل مركزهما الحالى واستيلائهما على بعض أراضي الدولة في الداخل .

٤ - إن خفض قوة الحامية إلى مستواها الطبيعي سيترك السلطان بدون أى سند إذ أن سفن صاحب الجلالة لم تكن زمن الحرب على بعد بضع ساعات عن مسقط ، كما جرى عليه الحال زمن السلم . (٨٧)

٣٢٣ - تردد حمدان بن زايد حاكم أبو ظبي في السنوات الأولى من حكمه في الانضمام إلى معظم الزعماء العرب في الساحل في الإعراب عن صداقتهم لآل سعود ، وقد يعود السبب في ذلك إلى عدم وثوقه وتأكده من مركزه . ولكنه بحلول عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م) أخذ يدرك أين تقع مصالحه كما هو مبين في رسالة بعث بها إلى الإمام عبد العزيز في شهر ذى القعدة . وبعد أن يشير إلى « أهل المقاصد » الذين كانت رغبتهم الوحيدة « التفريق بين الأصدقاء أولى الاتحاد خصوصاً

(٨٦) هاردنج ، ص ١١٤ .

(٨٧) بل « الحرب العربية » ص ٢٢ .

بيننا وبينكم» يمضى حمدان يقول إن الذى يقع منه الضرر لآل سعود «فهيئات يكن له عندنا ملجأ أبداً» وما زلنا «حاسبين أنفسنا وإياكم شركاء فى السراء والضراء» (٨٨) واستمرت مثل هذه العلاقات الودية حتى نهاية حكم حمدان ، وظل تبادل الرسائل والهدايا عنواناً للتقدير المتبادل (توجد فى الملحقين ٢ و ٣ رسالتان من رسائل حمدان ، وهناك رسائل أخرى فى محفوظات الحكومة العربية السعودية) . ومما يؤسف له أنه لم يسمح باستمرار مثل هذه الروابط الوثيقة بين الجيران والإخوان العرب حتى الوقت الراهن .

٣٢٤ - وأخيراً ، بعد زمن طويل ، أخذ البريطانيون يهتمون بداخل جزيرة العرب ، بيد أن أسلوب رسم السياسة البريطانية فيما يتعلق بالجزيرة قد وصفته جيداً جرتوود بل فى رسالة بعثت بها من مقر القيادة العامة فى البصرة بتاريخ ١٣٣٤ هـ (٢٧ إبريل ١٩١٦ م) :

إن تنسيق السياسة العربية وخلق خطة عربية كان يجب القيام به فى لندن ، ولا يمكن أن يتم ذلك بنجاح إلا فى لندن . ولا يوجد هناك من يقوم بذلك ، كما أن أحداً ما لم يفكر فى ذلك ، وترك الأمر لجماعتنا فى مصر لكي يضعوا - إزاء معارضة عنيفة من الهند ولندن - خطة شاملة نوعاً ما مستشكك فى النهاية ، فى اعتقادى ، أساس علاقاتنا مع العرب . وهذا يكفى بالنسبة للسياسة الآن . ولكن عند ما يتحدث الناس عن التخطيط فإن ذلك يثير مشاعرى التخطيط . . . نعم إننا نفعل ذلك ونخوض بحراً من الدموع والدماء التى ما كان يجب أن تراق . (٨٩)

٣٢٥ - قام عبد العزيز آل سعود بزيارة قصيرة إلى البصرة فى عام ١٣٣٥ هـ (نوفمبر ١٩١٦ م) ، وكانت المرة الأولى التى يسافر فيها خارج نطاق جزيرة العرب . ووصف السر أرنولد ولسون الانطباع الذى خلفه فقال :

(٨٨) رسالة حمدان بن زايد إلى الامام عبد العزيز آل سعود بتاريخ ٢٠ ذى القعدة ١٣٣٣ (نحو ٢٩ سبتمبر ١٩١٥ م) .

(٨٩) الليدى بل « كتب جرتوود بل » (١٩٢٧ م) مجلد ١ ، ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

ها هنا رجل غير حديث عهد بالملك لا يعتمد على أساحة البريطانيين في سلامته ولا على الذهب البريطاني في مركزه. (٩٠)

٣٢٦ - وفي خلال الحرب العالمية الأولى ، أعدت الحكومة البريطانية دليلاً وضعه القسم الجغرافي في إدارة المخابرات البحرية للأميرالية تحت إرشاد الكوماندنر هوجارث « المرجع البارز والمعترف به في الشؤون العربية » و « الساعد الأيمن للحكومة البريطانية في سائر الأمور المتعلقة بجزيرة العرب ». (٩١) وذلك لأن الحكومة البريطانية شعرت بالحاجة إلى استعراض للأوضاع في جزيرة العرب يكون أكثر شمولاً من أي استعراض آخر موجود في ذلك الحين . وقد بذل مجهود خاص لجمع المعلومات عن داخل جزيرة العرب ، وهو الإقليم الذي كان البريطانيون منذ زمن يشيخون بأنظارهم عنه عامدين . وقد وضع المجلد الرئيسي للدليل الأميركي في متناول الرجال الرسميين في عام ١٣٣٤ (١٩١٦ م) وفي متناول الجمهور في ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) . وفي القسم الذي يكون مقدمة المجلد ، توجد نظرة عامة للأوضاع السياسية في الجزيرة :

وإذا اعتبرت مناطق الأمراء الخاضعين للنفوذ أو الحماية ، تابعة للدول التي يخضعون لنفوذها بالفعل ، فبالإمكان تقسيم شبه الجزيرة سياسياً إلى ثلاث مناطق رئيسية ، وسطاها أكبر مرتين من الاثنتين الأخرتين مجتمعتين ، وهي مستقلة من أقصاها إلى أقصاها . أما عن المنطقتين الخارجيتين ، فإن تلك القائمة على الجانب الغربي هي بريطانية في أقصى الجنوب ، وكانت حتى مؤخراً عثمانية في مجمرها باستثناء دولة مستقلة في عسير الجنوبي ، في حين أن المنطقة القائمة في الجانب الشرقي هي بريطانية في الشمال والجنوب (الكويت والبحرين وعمان الساحلية) ومستقلة في بقية أجزائها باستثناء المدى الذي يتوصل إليه النفوذ البريطاني في ساحل القرصنة وقطر ، وفي حالة ما إذا تمكن سلطان مسقط الواقع تحت الحماية من تحويل ادعائه في عمان الداخلية إلى حقيقة واقعة . (٩٢)

(٩٠) السر ارنولد ولسون « الولاة ، العراق ١٩١٤ - ١٩١٧ » (١٩٣٠ م) ص ١٦٠ .

(٩١) فلي « الربع الخالي » (١٩٣٣ م) ص ١٨ من المقدمة .

(٩٢) « دليل الاميرالية » ، مجلد ١ ، ص ٢٩ - ٣٠ .

وبالإمكان مقابلة هذا بالقسمة التي وردت في الاتفاقية الإنكليزية التركية في عام ١٣٣١ هـ (٢٩ يوليو ١٩١٣ م) التي لم يصدق عليها ، والتي اعتبر بموجبها أن الجزيرة تتكون من منطقتين رأسييتين فقط ، إحداهما تابعة للدولة العثمانية والأخرى خاضعة لنفوذ الإمبراطورية البريطانية . وهكذا بعد أن مرت ثلاث سنوات فقط على الخطوة الأولى من توقيع الاتفاقية ، أخذ الخبراء البريطانيون يفضلون النظر إلى حقائق هذه المسألة وإيداع هذه الوثيقة التي لم تر النور في سجل النسيان .

٣٢٧- وإن « دليل الإمبرالية » ليتكلم في لهجة الواثق ، مثل ما فعل لوريمر ، في موضوع إقليم البريمي (الفقرة ٣٠٨ السابقة) . وترد الفقرة التالية تحت عنوان « عمان المستقلة » :

هناك رقمتان صغيرتان مستقلتان بين سلطنة عمان و عمان الواقعة على ساحل الصلح لم يسبق لسلطان عمان أن ادعى بهما قط . . . (٩٣)

وقد ذكر أن هاتين الرقعتين المستقلتين هما « ١ - الجو وواحة البريمي » و « ٢ - محضة » مقر قبيلة بني كعب. (٩٤) ولم ينسب الخبراء البريطانيون في شئون بلاد العرب عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) أى جزء من البريمي لأبو ظبي ، ونلفت النظر بصفة خاصة إلى التأكيد بأنه « لم يسبق لسلطان عمان أن ادعى قط « برقعة البريمي أو رقعة محضة . ويذكر الدليل في مكان آخر أن الحدود البرية للسلطنة « في الجانب المواجه للبريمي ، الواقعة في رقعة الجو ، يمكن أن يقال إنها تقع عند خط قمم الجبال بين ذلك المكان (أى البريمي) وساحل خليج عمان ». (٩٥) وبعد تكرير رأى لوريمر من أن حكومة السلطان « تفتقر

(٩٣) « دليل الإمبرالية » مجلد ١ ، ص ٢٨١ .

(٩٤) « دليل الإمبرالية » مجلد ١ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٩٥) « دليل الإمبرالية » مجلد ١ ، ص ٢٣٧ .

إلى النظام والكفاءة ، وكانت سلطة السلطان خارج منطقتي مسقط والباطنة دائماً واهية أو مجرد اسمية .^(٩٦) (قارن بالفقرة ٣٠٩ السابقة) يمضى الدليل فيقول :

إن سلطة السلطان في الوقت الحسالي مقصورة على عاصمته والساحل وإن داخل عمان والغرب والشمال منها ، أو بعبارة أخرى القسم الأكبر من السكان ، لا يعترفون بسلطته ، ويعيشون مستقلين عنه بالفعل ، تحت زعمائهم . وهم يدعون أن هناك اعتباراً دينياً لاتخاذ هذا الموقف . فإن لقب السلطان في هذه الأيام هو السيد وليس الإمام . وإن طوائف الاياضية السائدة فيما بين سكان عمان تمتنع هذا اللقب الأخير لحكامهم لا على أساس أنه حق لهم وإنما على أساس كونهم ذوي مؤهلات دينية استثنائية .^(٩٧)

وذكر مؤلفو الدليل لمن يعود الفضل في الحيلولة دون سقوط السلطان وأسلافه عن العرش :

وفي الواقع أنه لم يتمكن أى سلطان لعدة أجيال من تأسيس سلطته أو المحافظة عليها دون مساعدتنا .^(٩٨)

وفي مجال وصف الظفرة لا يقدم الدليل شيئاً^(٩٩) لم يسبق للوريمر أن أوردته (الفقرة ٣٠٧ السابقة) . وظل الرحالة البريطانيون مبتعدين عن عدة أجزاء داخلية في هذا الجانب من جزيرة العرب ، فمثلاً يعترف الدليل فيما يتعلق بداخل قطر أن شبه الجزيرة الصغيرة هذه قد « عبرها مرة واحدة أوربي واحد فقط (برخارت) »^(١٠٠) وقد كان برخارت ألمانياً .^(١٠١)

(٩٦) « دليل الاميرالية » مجلد ١ ، ص ٢٤٥ . يلاحظ أن عبارة « هي إما » التي أوردها لوريمر قد تغيرت في الدليل إلى « كانت دائماً » .
 (٩٧) « دليل الاميرالية » مجلد ١ ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .
 (٩٨) « دليل الاميرالية » مجلد ١ ، ص ٢٤٦ .
 (٩٩) « دليل الاميرالية » مجلد ١ ، ص ٣٣٨ .
 (١٠٠) « دليل الاميرالية » مجلد ١ ، ص ٣٢٦ .
 (١٠١) هرمان برخارت «رحلة في شرق الجزيرة من البصرة لمسقط » مجلة الجمعية الجغرافية في برلين مجلد ٤١ (١٩٠٦ م) ص ٣٠٥ - ٣٢٢ .

٣٢٨ - ويضم دليل الأميرالية فقرة لها بهذا الموضوع علاقة وثيقة عن معنى الزكاة في سلطنة مسقط :

إن دخل السلطنة ، إلى جانب المساعدة السنوية من حكومة الهند ، مستمدة في أكثره من العشور ، وهي ما يطلق هناك على الرسوم الجبركية التي تفرض على جميع البضائع المستوردة بنسبة خمسة في المائة من القيمة ، وهو أقصى ما تسمح به المعاهدة ، وأما موارد الدخل الفرعية فهي الزكاة وبيت المال . وإن الكلمة الأولى تعني لدى تطبيقها فنيا الضريبة التي تفرضها الشريعة الإسلامية على الممتلكات الزراعية والمنقولة ، ولكنها تعني هنا ضريبه تصدير تسمح الحكومة البريطانية باستيفائها بنسبة خمسة في المائة من القيمة بدلا من الزكاة الحقيقية . وقد منح هذا الامتياز بسبب عجز السلطان عن تحصيل الزكاة في المقاطعات البعيدة عن الساحل (١٠١) .

وقد نربط هذا الكلام عند قراءته بمحاولة في عام ١٩٥٥ م ، ستوصف فيما بعد ، قام بها مندوب لسلطان مسقط لتحصيل الزكاة من سكان الظاهرة ، وهي ما قد يعتبره البريطانيون من « المقاطعات البعيدة عن الساحل » .

٣٢٩ - إن وضع أبو ظبي بالنسبة للمشيخات الأخرى على ساحل الصلح عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) منوه عنه في دليل الأميرالية الذي يقدر عدد سكان دبي بأنه أكبر بثلاثة أضعاف من عدد سكان بلدة أبو ظبي (١٠٣) ويصف الشارقة بأنها « أهم تلك الامارات » . (١٠٤)

٣٣٠ - وهناك تقارب في الأقوال يدعو إلى الاهتمام ، وقد لا يكون مقصوداً :

في عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) كان هناك خوف معين وخصوصاً في أبو ظبي من أن أمير نجد المنتصر قد يمتد بفتوحاته حتى جانب عمان . وقد يزداد في أي وقت من الأوقات عدد رؤساء الساحل الذين تعرف بهم بريطانيا العظمى . (١٠٥)

(١٠٢) « دليل أميرالية » مجلد ١ ، ص ٢٤٦ .

(١٠٣) « دليل الأميرالية » مجلد ١ ، ص ٣٣٧ و ٣٣٩ .

(١٠٤) « دليل الأميرالية » مجلد ١ ، ص ٣٤٠ .

(١٠٥) « دليل الأميرالية » مجلد ١ ، ص ٣٣٦ .

٣٣١ - وكتب اللورد كرزن ، في إحدى نوبات الصراحة التامة التي اتسم بها ، إلى السير برسي كوكس في عام ١٣٣٥ هـ (٢٢ يناير ١٩١٧ م) يقول :

. . . لقد قسم بكل نبل بالمهمة التي وكلتها اليكم منذ ثمانية عشر عاماً . . . لقد جعلت من نفسك ملكاً على الخليج . وعندما تنتهي الحرب فسوف نعزز تلك المملكة ونعمل على ألا يقوم أحد بانتزاع هذا التاج منكم . (١٠٦)

ويجب ألا يغرب عن البال أن هذا كان كلام وزير خارجية صاحب الجلالة البريطانية إلى الموظف البريطاني المسئول في الدرجة الأولى عن معالجة الشؤون السياسية في الخليج الفارسي والعراق .

٣٣٢ - وقامت وزارة الخارجية البريطانية بإعداد سلسلة من الكتب التي يشار إلى كل منها عادة باسم « دليل الصلح » تحت إشراف الشعبة التاريخية فيها كما يسترشد بها المندوبون البريطانيون في مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس عقب الحرب العالمية الأولى . ويحتوي الدليل المعنون « جزيرة العرب » الصادر في ١٣٣٨ هـ (يناير ١٩٢٠ م) على الفقرة التالية المتعلقة برؤساء الخليج الفارسي بما فيهم سلطان مسقط ومشايخ الساحل :

إن جميع هؤلاء الرؤساء قد وقعوا الآن تحت السيطرة البريطانية لدرجة أنه بالرغم من قلة التدخل في الشؤون الداخلية لاماراتهم ، فإنهم غاضعون لنا في جميع الشؤون المتعلقة بعلاقاتهم الخارجية ، كما أنهم يحتفظون إلى مدى بعيد بعائلاتهم الحاكمة وبسلطتهم بفضل اتحادهم معنا فقط . ولم يحكم قط أي منهم حكماً فعلياً في أية منطقة كبيرة . وحتى ساطة سلطان مسقط تفقد فعاليتها على مسيرة يوم واحد من ساحل عمان . وتتعلم هذه السلطة في المساحة الطويلة الجنوبية الغربية التي يدعى بها . (١٠٧)

وتصف فقرة أخرى سلطنة مسقط بتفصيل أكثر مؤكدة بوجه خاص التناقض بين « السيادة التي تعترف بريطانيا العظمى بها رسمياً والسيادة التي يعترف بها في البلاد نفسها » :

(١٠٦) الكلمات المحذوفة كما أوردها جريفيز في « حياة كوكس » ص ٢٣١ .

(١٠٧) دليل الصلح رقم ٦١ : جزيرة العرب « (١٩٢٠ م) ص ٢٢ .

عمان : سلطنة مسقط

في عمان نفسها التي يمكن أن تكون من الناحية التجارية - ولو أنها ليست كذلك بالفعل - أهم الأقاليم في جزيرة العرب بعد اليمن ، نجد مشكلة سياسية معقدة . ولا يوجد في مكان آخر من جزيرة العرب تناقض أعظم من التناقض القائم بين السيادة المعترف بها رسمياً من قبل بريطانيا العظمى والسيادة المعترف بها في البلاد نفسها ، وهو التناقض الذي يقوم بين الادعاء بالحكم وبين ممارسته . إن سلطان مسقط (أو السيد) يدعى بأنه سيد على جميع أراضي عمان باستثناء مشيخات ساحل الصلح التي سبق بحثها ومقاطعتين في الشمال صغيرتين نسبياً ومنعزلتين هما واحتا البريمي ومعضه . وباستثناء هذه المناطق يشمل ادعاؤه جميع المناطق المأهولة في الجنوب الشرقي من جزيرة العرب ويضاف إلى ذلك رقعة طولها ٥٠٠ ميل على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب وهي تشمل منطقة ظفار . إلا أنه في الواقع لا يسيطر على أي شيء فيها وراء المنطقتين الساحلتين لمسقط والباطنة . أما سائر الأماكن الأخرى فإن القاعدة فيها هي الاستقلال الفعلي منذ أن أسس آل بوسعيد الحاليون أسرهم المالكة باستثناء بعض الفترات النادرة ومنذ عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) كان ذلك واضحاً نتيجة قيام أهل الداخل الجنوبي بإنشاء أمانة منتخبة أبرزت معالم هذا الاستقلال . إن العائلة الحاكمة الوراثية في مسقط لم يسبق لها أن أرضت ولا هي ترضى ما يتطلبه الأباضيون (وهي فرقة من الخوارج) من أن السيد الأعلى السياسي يجب أن يكون أيضاً الزعيم الروحي أو الإمام ، وأنه بما أن الأخير يجب أن يكون رجلاً ذا مؤهلات دينية ممتازة فلا يمكن أن يأتي بالوراثة بل يجب أن ينتخب لهذا المنصب . ويشكل الأباضيون غالبية سكان عمان ويحتلون الأقاليم الجنوبية الغنية والأكثر اكتظاظاً بالسكان ، لا تنافسهم في ذلك فرقة أخرى أما الأقاليم الشمالية فأهلها سنون بشكل غالب ولو أنهم يمتازون بطابع «تحفظي» متزمت ، الأمر الذي جعل بعض العناصر من أولئك السكان تتقبل الوهابية ، غير أن بينهم أيضاً أباضيين (١٠٨)

وحتى لا يسيء المندوبون البريطانيون في مؤتمر الصلح فهم المشاعر الحقيقية لأهالي إمامة عمان تجاه سلطان مسقط فإن الدليل يفضي إلى القول بأن احتقارهم له :

قد قواه مشهد السادة المتعاقبين (الذين كان الأباضيون دائماً يحرمونهم من لقب الإمام) وقد نزلوا إلى مضار الاتصال بالأجانب والمسيحيين والاعتقاد عليهم . وأقاموا لهم إماماً أباضياً يعترف بسلطته في سائر البلاد الداخلية لمسقط ومطرح بما فيها الرستاق وسائر المناطق الجنوبية باستثناء عدد قليل من النقاط الساحلية التي تحتلها فصائل من قوات السلطان . ولا يحول دون قيام هذا الإمام بالتمركز في عاصمة السلطان سوى الحاجز الذي تشكله القوة الهندية المعسكرة في بيت الفلج قرب مطرح . (١٠٩)

وإن طابع عدم الاستقرار الأساسي في مشيخات ساحل الصلح لتبينه الفقرة التالية :

إن الرؤساء الخمسة في «ساحل القرصنة» أو «عمان المتصالحة» يتغيرون بسرعة فائقة ، فعدل العمر في مجتمعاتهم قصير . وإن سلطتهم - بالنسبة لعلاقة بعضهم مع بعض ولسلطان عمان نفسها الواقعة وراعمهم جميعاً والتي لها معهم علاقات إقليمية غير محددة - تعتمد على الشخصيات الحاكمة أكثر من اعتمادها على سياسة عمان المتقلبة . ولذلك فإننا لا نجني فائدة كبيرة من بحث توزيع سلطتهم الفعلية أو قيمة الادعاءات الإقليمية لكل منهم . (١١٠)

وتوصف مطامع أبو ظبي الإقليمية كما يلي :

... إن أبو ظبي تدعى بمناطق كبيرة في شهاها العربي تمتد إلى خور العديد وتشمل جميع ما يقع بين ساحل الخليج والصحراء الكبرى . ولكن هذا إقليم هزيل ليس له أهمية اجتماعية أو سياسية . (١١١)

ولم تر الحكومة البريطانية من المناسب أن تولى هذا «الإقليم الهزيل» أهمية سياسية إلا في غضون الخمس والثلاثين سنة المنصرمة .

٣٣٣ - وقد اغتيل الامام راشد بن سالم الخروصي في ١٣٣٨ هـ (يوليو عام ١٩٢٠ م) ، إذ قتله بدوى لحزاة خاصة . وكانت الامامة إذ ذاك

(١٠٩) « دليل الصلح رقم ٦١ : جزيرة العرب » ص ٣٦ - ٣٧ .

(١١٠) « دليل الصلح رقم ٦١ : جزيرة العرب » ص ٣٤ .

(١١١) « دليل الصلح رقم ٦١ : جزيرة العرب » ص ٣٤ - ٣٥ .

قد توطلدت في عمان بدرجة جعلت انتخاب الخليفة يتم في سرعة وهدوء ، وكان الإمام الجديده هو الشيخ محمد بن عبد الله الخليلي حفيد العلامة الدينى الشهير الذى لعب دوراً بارزاً في الحركة التى أدت إلى إحياء الإمامة فى القرن التاسع عشر (الفقرة ١٦٩ السابقة) . ومرة أخرى لم يعمل أحد حساباً لامكان ترشيح أى فرد من آل بو سعيد فى مسقط .

٣٣٤ - وفى أوائل عام ١٣٣٩ هـ (٢٥ سبتمبر ١٩٢٠ م) وقعت حكومة سلطان مسقط وممثلو أهالى عمان معاهدة السيب ، وكان ذلك على ساحل الباطنة بتوسط الوكيل السياسى البريطانى ونجيت . وكان رئيس مندوبى أهالى عمان الشيخ عيسى بن صالح الحارثى وهو صديق حميم ومناصر قوى للإمام الجديده محمد الخليلي . وقد عملت كل من الحكومة البريطانية وحكومة سلطان مسقط جاهدين على تحاشي نشر نص المعاهدة . وذكر فى عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) الكابتن اكلز وهو ضابط بريطانى قضى زمناً طويلاً فى خدمة السلطان (قارن بالفقرة ٣٤٥ اللاحقة) ما يلى :

... لقد وقعت معاهدة بين مسقط والشيخ عيسى ، وهى اعتراف فعل باستقلاله... (١٢)

ويقول تقرير أعد لوزارة الخارجية البريطانية عام ١٩٥٠ :

فى الحقيقة أن قبائل الداخل يعتبرون أنفسهم بموجب معاهدة السيب (عام ١٩٢٠) مستقلين تماماً من سلطة السلطان ، الأمر الذى توحى به مطالعة نصوص المعاهدة ، ولو أن المقصود ، دون شك ، لم يكن يتجاوز منح شيء من الحكم الداخلى . (١٣)

٣٣٥ - إن إعادة تأسيس الإمامة قد قاد البريطانيين إلى التدخل فى شئون سلطنة مسقط أكثر من ذى قبل . فابتداء من عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م)

(١١٢) مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٤ (١٩٢٧ م) ص ٢٤ .
(١١٣) « مذكرات عن قبائل سلطنة مسقط وعمان » ص ١ .

احضروا حامية من العساكر الهندية عسكريت بالقرب من مسقط ، وكان ذلك السبيل الوحيد للحيلولة دون وقوع العاصمة في يد أهالي عمان الثائرين . كما وجدوا من الضروري بعد الحرب العالمية الأولى أن يتخذوا خطوات أخرى للابقاء على هذه الحكومة التي تفتقر إلى « النظام والكفاءة » (قارن بالفقرة ٣٢٧ السابقة) :

ولكن الصراع المهلك الذي رافق سنوات الثورة وما تلا ذلك من فوضى واضطراب ، كل ذلك أدى إلى اتخاذ خطوة استثنائية لإزالة المساوىء التي يعتبر وجودها مطمنا في الارتباط مع بريطانيا ، ثم لإعادة تنظيم الإدارة السلطانية . وقد تمت هذه الخطوة على صورة قرض من حكومة الهند لتصفية ديون الدولة ولتنظيم قوة مجندة يرأسها ضابط بريطاني منتدب وكذلك أصلحت المحاكم القانونية وأسس مجلس للدولة يستطيع أن يتنوب عن السلطان في غيابه كما طلب إلى الحاكم أن يستعين بصورة مؤقتة بخدمات وزير بريطاني . (١١٤)

وعلى الرغم من أنه أشير في عام ١٣٥٧ (١٩٣٨ م) إلى أن الاستعانة بوزير بريطاني جرت « بصورة مؤقتة » إلا أنه لا يزال ثمة وزير بريطاني في حكومة السلطان في عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٥ م) . وقد شرح وظيفة الوزير المستر برترام توماس الذي شغل المنصب من عام ١٣٤٣ إلى عام ١٣٤٩ هـ (١٩٢٥ - ١٩٣٠ م) عند ما كان يصف رحلة قام بها السلطان تيمور ابن فيصل في الباطنة . وقد وصل عدد من البرقيات المتعلقة بأعمال الدولة ، والظاهر أنها كانت باللغة الإنكليزية ، حيث يقول توماس إنه كان عليه أن يترجمها :

وقد وقع عبء الترجمة على عاتق ، ولكن تقطع حاجبي ، أو علامة أخرى لاحظتها على ، أقامت السلطان على قدميه ليسألني قائلا « ما هو الموضوع ؟ وماذا

(١١٤) برترام توماس « الحكم العربي تحت آل بوسعيد في عمان ١٧٤١ - ١٩٣٧ »

(١٩٣٨ م) ص ٢٦ - ٢٧ .

حدث ؟ « لقد طرأ موقف خطير في جزء آخر من أملاك عظمته . وكانت قواد
على ساحل مكران هي المسرح الجديد للاضطرابات والقتال . (١١٥)

وعند ما سمع السلطان النبأ ، التفت إلى وزيره البريطاني ، طبقاً لكلام توماس ،
ليستفسر عما ينبغي عمله :

وكان السلطان مشغول البال في شكل ظاهر وكان ينتظر مني أن أتكلم . لقد بلغ
النبأ ، فهل علينا أن نلغي رحلتنا على ظهور الجمال ؟ وهل يجب أن نرسل قوات
من بيت الفلج ؟ وهل ينبغي أن أعود أنا شخصياً وأتوجه إلى قواد ؟ (١١٦)

٣٣٦ - وفي عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) كانت الحكومة البريطانية تزداد
اهتماماً بإمكان استثمار الموارد الطبيعية في جزيرة العرب ومن بينها الزيت .
وقد دلت دراسات الحيولوجيين والعمليات الناجحة التي قامت بها شركة
النفط الإنكليزية الفارسية على أنه من المحتمل أن تكون منطقة الخليج
الفارسي مصدراً من أكبر مصادر البترول في العالم . وخلال ١٣٤٠ هـ
(النصف الأول من ١٩٢٢ م) أمكن الحصول على تعهدات من ستة من
رؤساء ساحل الصلح أحالوا بموجبها إلى الحكومة البريطانية حق الإشراف
على منح امتيازات الزيت في أراضيهم . وكان التعهد الذي وقعه شيخ أبو ظبي
٣ مايو مشابهاً في مادته للتعهد الذي أعطاه شيخ دبي ، ونصه كما يلي :

لا يخفى عليكم أننا نوافق ، في حالة توقع وجود الزيت في أراضينا ، على عدم منح
أى امتياز في هذا الشأن إلى أي أحد إلا الشخص الذي تعينه الحكومة البريطانية
السامية . (١١٧)

والزيت لا يوجد دائماً بالقرب من الساحل . فكان لا بد أن يؤدي الاهتمام
به ، إذا توبع بإصرار ، إلى زحزحة الحكومة البريطانية عن سياستها القديمة

(١١٥) براترام توماس « مخاوف ورحلات في بلاد العرب » (١٩٣١) ص ١٣٧ .

(١١٦) براترام توماس « مخاوف ورحلات في بلاد العرب » ص ١٣٧ .

(١١٧) الترجمة الانكليزية في كتاب « المعاهدات » لايتشيسون ، مجلد ١١ ، ص ٢٦١ . ولا يورد
أيتشيسون ترجمة لتعهد أبو ظبي .

في تحاشي التدخل في الشؤون الداخلية لجزيرة العرب . وفي ذلك الوقت كان موقف بريطانيا كما وصفه البريجادير لونجريج في الفصل الذي كتبه عن « البداية في جزيرة العرب » هو

... أن قيام دول أو مصالح أجنبية بغزو هذا العالم المتأخر الحساس ، هو أمر ليس من المحتمل أن يقابل بالترحاب . (١١٨)

وإن مطابقة هذا الموقف للسياسة البريطانية العامة في استغلال مصادر الزيت في هذا الجزء من العالم ، لتتجلى في بند من بنود اتفاقية سان ريمو وهو ينص على أن « كل شركة زيت يهملها استثمار حقول الزيت العراقية ينبغي أن تكون تحت الإشراف الدائم لبريطانيا » . (١١٩)

٣٣٧- وقد قتل حمدان بن زايد شيخ أبو ظبي في ١٣٤٠ هـ (عام ١٩٢٢ م) بيد أخيه المحبوب سلطان الذي هو والد الحاكم الحالي . (١٢٠) ويصف ذلك العمل للفننت كولونيل السر لا يونل هيورث الذي عمل معتمداً سياسياً بريطانياً في الخليج الفارسي بعد ذلك بسنوات ، فيقول :

... . . . ودعاه أخ له إلى العشاء . وعندما غادر الشيخ الدار عقب العشاء تبعه أخوه حتى أسفل الدرج ، وبعد أن أطلق الرصاص عليه باستهتار من الخلف ، تولى الحكم في مكانه . (١٢١)

٣٣٨- والآن وقد انتهى من أمر حكام الساحل فيما يتعلق بتدابير استثمار الزيت ، لم يمض وقت طويل حتى أضيف إلى صفهم سلطان مسقط . ففي كتاب أرسله السلطان إلى القنصل البريطاني في مسقط في أواسط عام ١٣٤١ (١٠ يناير ١٩٢٣ م) نجده يقول :

(١١٨) لونجريج « الزيت في الشرق الأوسط » (١٩٥٤ م) ص ٩٩ .

(١١٩) ألفريد بونيه « الدولة والاقتصاد في الشرق الأوسط » (١٩٤٨ م) ص ٢٨٨ .

(١٢٠) ذكر حمدان اسم سلطان في الكتاب الوارد في الملحق ٢ .

(١٢١) مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٦ (١٩٢٩ م) ص ٥٠١ .

نحيط فخامتكم علماً ، رداً على كتابكم رقم ١٧٥١ المؤرخ ١٦ ديسمبر ١٩٢٢ أننا نوافق على ألا نستثمر أى بترول قد يوجد فى أى مكان من أراضينا وإن تمنح إذنا باستغلاله دون استشارة الوكيل السياسى فى مسقط ودون موافقة حكومة الهند السامية . وأن مانعنا عن وجود معدن الزيت فى أراضينا عند مصيرة لم يثبت بعد . وقد أخذنا فى التحقيق عن وجود هذا المعدن وبعد أن تعلم عن ذلك سوف تجرى مباحثة بين فخامتكم وبيننا لاستثماره ولاتخاذ الخطوات وترتيبات العمل والشروط اللازمة . وسوف يكون ذلك احتكاراً بالطبع . إننا نؤمن بالمساعدة الكاملة من جانب حكومة الهند السامية فى هذا الموضوع الهام كما ساعدتنا دائماً فى الماضى - ونحن لها لذلك شاكرون . (١٢٢)

٣٣٩ - وقضى الميجر تشيزمن الذى كان على صلة وثيقة بالسر برسى كوكس مدة طويلة ، عدة أسابيع فى إقليم الحسا ، وذلك خلال عام ١٣٤٢ هـ (الجزء الأخير من عام ١٩٢٣ م وأوائل عام ١٩٢٤ م) ، سنحت له فى غضون ذلك فرصة لم يسبق لاي مراقب بريطانى أن حصل عليها قبله للتعرف على أعمال الحكومة السعودية فى ممتلكاتها الشرقية ، والاسلوب الذى كانت تكيّف نفسها فيه طبقاً للظروف الخاصة الناشئة عن الأحوال المحلية ولرغبات الأهالى وحاجاتهم . ويتلخص انطباعه العام عن الوضع فى عبارته «حكم ابن سعود الرائع» . (١٢٣)

٣٤٠ - ومنح سلطان مسقط عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) شركة دارسى للتنقيب - وهى شركة تملكها كلها شركة النفط الانكليزية الفارسية التى تملك الحكومة البريطانية معظم أسهمها - امتيازاً «للتنقيب فى أراضيها عن الغازات الطبيعية والزيت والاسفلت والأوزوكرايت» . (١٢٤) وقام الجيولوجيون التابعون لشركة دارسى فيما بعد بأعمال الاستكشاف فى هذه الأراضى :

(١٢٢) أيتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٣١٩ .

(١٢٣) تشيزمن « فى مجاهل جزيرة العرب » (١٩٢٦ م) ص ١٥ . يمكن مقارنة فكرة تشيزمن مع التعليقات الحسنة التى أبدتها الدكتور بول هاريسون الطبيب الأمريكى الذى عرف جزيرة العرب فى ذلك الوقت (الفقرتان ٥٠ و ٤٩ من الفصل الساس فيما بعد) .

(١٢٤) أيتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٢٨٤ . ويذكر أيتشيسون خطأً أن اسم الشركة هو شركة دارسى للاستغلال .

نظراً لكونهم مقيدين بانعدام الأمن ، وكذلك بوجود حاكم منافس (إمام عمان) في الداخل ، فقد قاموا بالاستكشاف في الأراضي الساحلية للباطنة وفي الأجزاء الوسطى من الجبل الأخضر وكذلك في مقاطعة ظفار البعيدة . وقد جمعوا معلومات قيمة عن التركيبات الأرضية في جزيرة العرب ، إلا أنها لم تنكشف إلا كإثبات وجود زيت في ذلك الوقت . (١٢٥)

وقد تنوزل عن امتياز دارسي بعد ذلك ببضع سنين .

٣٤١ - وفي عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) نشبت الحرب بين عبد العزيز آل سعود وبين الحسين بن علي الذي كان يعتبر - عندما كان شريفاً لمكة ثم عندما أصبح بعد ذلك ملكاً للحجاز - أقوى خصم في جزيرة العرب للدعوة إلى التوحيد ولآل سعود . ومع أن معظم الخبراء العسكريين في الغرب كانوا يتوقعون حصول قوات الحسين على انتصار سهل إلا أن عبد العزيز قد حيرهم حيرة تامة . ودخلت قواته مكة المكرمة ، وتنازل الحسين عن العرش بعد ذلك بمدة قصيرة . هذا وثبت على بن الحسين وأعوانه في جدة والمدينة المنورة بعض الوقت غير أن هذه الأماكن مع بقية الحجاز دخلت في نطاق الدولة السعودية عام ١٣٤٤ هـ (أواخر عام ١٩٢٥ م) .

٣٤٢ - أتاح الانتصار النهائي على الملك الحسين الفرصة للحكومة السعودية لأن تولى الأراضي الشرقية اهتماماً أكبر عن ما كان ممكناً لها حتى ذلك الوقت . وفي عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) أوفد سعيد آل فيصل وهو من الأتباع المخلصين لآل سعود إلى البريمي لاستعراض الحالة هناك ولإقامة علاقات أوثق بين الحكومة المركزية ورؤساء نعيم الذين كانوا يصرفون الأمور نيابة عنها . وقد وجد سعيد أن الأمور في الاقليم كانت تدار بشكل يدعو إلى الارتياح التام وهو قائم على أساس التنظيم القبلي القديم بحيث لم تكن هناك حاجة لتعيين موظف مقيم . وقد قام سعيد خلال مدة إقامته في البريمي بجمع الزكاة المعتادة من سكان الواحة ومن القبائل البدوية في المناطق المجاورة . وجرى تنفيذ حكم الاعدام بأحد المجرمين

(١٢٥) لونغريج « الزيت في الشرق الأوسط » ص ١٠١ .

في السوق العامة في بلدة البريمي (الملحق ١٠٨) . وكان كل من زايد الهاجري وقد توفي فيما بعد ، ومحمد بن منصور ، من بين الموظفين السعوديين الذين زاروا المنطقة في مهمة مماثلة خلال السنوات التي تلت ذلك (الملحقان ١٠٩ و ١١٠)

٣٤٣ - وإذ لم يتضح القصد تماما من أعمال جماعة الموظفين السعوديين برئاسة سعيد آل فيصل في البريمي ، فقد سبب ذلك بعض المخاوف في إمامة عمان ؛ ففقد الإمام بنفسه قوة توجهت إلى الظاهرة واحتل بلدة عبري الواقعة على طرف الإقليم غير أن الإمام عاد وحد من تقدمه بعد أن قدر الوضع عن قرب الحالة تقديراً أكثر واقعية . فقد كان على علم بأن أهل الظاهرة ليسوا من الأباضيين وأنهم يعتبرون أنفسهم رعايا سعوديين ، وبذلك فليست هناك وسيلة يمكن بها ربطهم بالإمامة إلا الاكراه . أضف إلى ذلك ، أنه عندما تناهت إلى أسماع زعماء نعيم أخبار تقدمه بعثوا - حسبنا ذكر الضابط البريطاني الذي كان يقود قوات سلطان مسقط - « برسول إلى ابن جلوي ، نائب ابن سعود في الحسا ، يطلبون المساعدة بالسلاح والرجال ضد الشيخ عيسى (القائد العسكري لقوات الإمام) » . (١٢٦) وإذ تراءى للإمام أن السياسة الحكيمة التي يتعين عليه أن يتبعها يجب أن تقوم على أساس تنمية الصداقة مع الدولة السعودية ، تخلى عن الحملة وانسحب إلى عاصمته ، تاركاً وراءه والياً في عبري التي ظلت المركز الرئيسي للإمامة في هذه الجهة حتى قامت قوات سلطان مسقط بالاستيلاء عليها عام ١٩٥٤ م .

٣٤٤ - لم يوافق بعض أفراد آل بوفلاح على قيام سلطان بن زايد باغتيال أخيه حمدان (الفقرة ٣٣٧ السابقة) ، وقد وجدوا فرصة في صيف عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) للأخذ بالثأر . فأطلق صقر وهو ولد آخر من أولاد زايد

(١٢٦) الكابتن أكترز ، في مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٤ (١٩٢٧ م) ص ٣٦ .

النار على أخيه سلطان وقتله . وقد وصف السر لا يونل هيورث الذى أصبح المعتمد السياسى البريطانى فى الخليج ، هذا العمل بعد مدة ليست طويلة من وقوعه :

لقد دعا صقر بعد فترة قصيرة الشيخ سلطان للعشاء ، وما أن غادر الشيخ المكان بعد العشاء وبدأ ينزل السلم ، حتى اغتم المضيف هذه الفرصة السعيدة فأطلق عليه النار من الخلف وتولى الحكيم مكانه . لقد كان هذا الأخ هو الشيخ عندما توليت منصب المعتمد ولم يسبق لى أن رأيت رجلاً ارتسست على وجهه امارات الخوف مثل هذا الرجل لقد أعطته على الأغلب سنة واحدة ليبقى حياً إلا أنه قد أثبت خطئى ، إذ عاش ثمانية عشر شهراً . (١٢٧)

وفى الوقت الذى وقع فيه الاغتيال ، كان أبناء سلطان فى زيارة للبريمى التى تعتبر مصيفاً محبباً لدى أهالى الساحل ، باعتبارها أكثر جفافاً من المناطق الرطبة قرب البحر . ولجأ الأبناء ، بما فيهم شخبوط حاكم أبو ظبي الحالى ، هرباً بحياتهم إلى الأمير عبد الله بن جلوى فى الحسا ومن ثم إلى الملك عبد العزيز فى الرياض .

٣٤٥ - وطبقاً للإجراءات البريطانية الجديدة المتخذة لمساندة حكومة سلطان مسقط (الفقرة ٣٣٥ السابقة) ، فقد تولى الكابتن جنرال كلز التابع للجيش الهندى قيادة قوات مسقط خلال أواسط العقد الثانى من القرن العشرين . وبعد أن خدم هناك مدة لا بأس بها من الزمن ، دعى لإلقاء محاضرة فى جمعية آسيا الوسطى (وتسمى الآن الجمعية الملكية لآسيا الوسطى) فى عام ١٣٤٥ هـ (٢٧ أكتوبر ١٩٢٦ م) بلندن . وأشار كلز فى مستهل محاضرتة إلى « واحة البريمى المستقلة » (١٢٨) مردداً بذلك صدى أقوال لوريمر قبل عشرين عاماً ، لكن الحالة كانت قد تغيرت فى ناحية واحدة هامة منذ أيام لوريمر إذ أن الدولة السعودية قد

(١٢٧) مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٦ (١٩٢٩ م) ص ٥٠١ .

(١٢٨) كلز « سلطنة مسقط وعمان » مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٤ (١٩٢٧ م) ص ١٩ .

أصبحت أقوى بكثير مما كانت عليه ، وكان لدى أكلز من صحة التقدير ما ينتظر من ضابط بريطاني في خدمة مسقط ، لما ينطوى عليه مثل هذا التغيير :

أثار نجاح الوهابيين وقوتهم المتزايدة قلقاً عظيماً خلال السنتين الماضيتين وخاصة عند ما أوفد ابن جلوى أمير الحسا الوهابي ، رساله قبل خمسة عشر شهراً إلى جميع القبائل الشمالية في عمان يطلب منهم باسم ملكه ابن سمود أن يدفعوا الزكاة . ولا يكاد يكون هناك شك في أن الوهابيين كانوا يواجهون مهمة جد عسيرة لو تمكنت عمان من توحيد قواها في مقاومة عنيدة . ولكن كثيراً من قبائل ساحل الصلح كانت وهابية في شعورها شأنها في ذلك شأن قبيلة بني بوعلى الشديدة البأس والقاطنة في الشرقية وجعلان بينما قد تفضل قبائل عديدة أخرى سيطرة الوهابيين عن سيطرة اتحاد عمان ، فنعيم القاطنون في البريمي ، مثلاً ، أوفدوا رسولا إلى ابن جلوى يطلبون منه أن يمددهم بالرجال والسلاح والمال عند ما تقدم الشيخ عيسى في ناحيتهم . فليس من العسير إذن أن نرى ما قد كان يحدث لو قام الوهابيون بمحاولة جديدة ضد عمان . (١٢٩)

وأما عن سلطة سلطان مسقط فقد أورد أكلز الملاحظات التالية :

ولذلك سوف نقصر حديثنا على الأراضي التي تدعى حكومة مسقط بالسيادة عليها مع أن القسم الأكبر منها في الواقع مستقل تمام الاستقلال . (١٣٠) بينما كانت الأسرة الحاكمة الحاضرة تزداد ضعفاً وتميل أكثر فأكثر إلى الاعتماد على المعونة الأجنبية ، ثارت القبائل الداخلية وأقامت منها إماماً . وهكذا تقتصر في الواقع سلطة السلطان في الوقت الحاضر على مسقط وعلى رقعة من الشاطئ تمتد إلى الشمال وإلى الجنوب وتستطع السفن الحربية البريطانية إرهابها . (١٣١)

... وكانت مسقط خلال السنوات الماضية في طريق التدهار . وإنها إذ بقيت حتى الآن قادرة على الوفاء بديونها فإن ذلك تم في منتهى الصعوبة . (١٣٢)

ويقيم الوالي (والى السلطان في صور) في حصنه هناك وليس له شأن بالمره . وسيطر على الميناء والمنطقة في الوقت الحاضر شيخ بني بوعلى الذي يجب أن يدعو

(١٢٩) أكلز ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(١٣٠) أكلز ، ص ١٩ .

(١٣١) أكلز ، ص ٢٣ .

(١٣٢) أكلز ، ص ٢٥ .

نفسه أمير جملان . وفي المدة الأخيرة كان يكتب إلى الحكومة الهندية يحث على تسلمه رسائل من الوكيل السياسي في مسقط ويصر على التراسل مباشرة مع الحكومة على أساس أنه حاكم مستقل . (١٣٣)

وقد وافق السر برسي كوكس في المناقشة التي تلت المحاضرة كلية على رأي أكلز في هذا الموضوع فقال :

إن مراسم السلطان - كما قال الكابتن اكلز - لا يكاد يكون لها أي وزن خارج جدران مسقط . (١٣٤)

وفيما يتعلق بمسقط نفسها فقد عقدنا نحن والفرنسيون والهولنديون والأمريكيون معاهدات مع سلطان مسقط منذ بداية القرن التاسع عشر . ولكن سلطنة مسقط قد تغيرت نوعاً ما منذ ذلك الوقت ، فقد انحصرت حكم السلطان في موانئ الشاطئ . وكاد يصبح انعدام سلطته في الداخل أمراً معترفاً به . (١٣٥)

وقد قدم أكلز عرضاً واقعياً للعلاقات بين بريطانيا ومسقط ولؤهلات آل بوسعيد كحكام فقال :

ولا يكاد يكون هناك أي شك في أن آل بو سعيد الأسرة الحاكمة كانت تندثر لولا المعونة البريطانية . وقد ارتبطنا منذ عام ١٨٩١ بضمان الحماية في معاهدة لم تحتو على أي تحديد لوقت انتهائها . ومع أن السلطان الحالي رجل قدير ويستحق الاحترام إلا أنه ضعيف وايس لديه أي طموح . وأفراد عائلته فاسدون ومنحلون باستثناء البعض القليل منهم . ومع أنه يمكن أن نجد في الفروع البعيدة من هذه العائلة بعض الرجال الأقوياء الذين لم تنهكهم حياة الرفاهية والاحمول ، إلا أن أفراد هذه العائلة على العموم أضعف من أن يواجهوا موجة من الرأي العام الشعبي كذلك التي دفعت مؤسس العائلة إلى الحكم . ثم إن مبدأ الوراثة الذي ارتبطنا به عند تمهيدنا بحماية السلطان وخلفائه غريب على الشعور الأباضي خصوصاً عند ما تفرضه على بلادهم قوة أجنبية وكافرة .

وهكذا فإن تأييدنا لهذه العائلة ضد الرأي العام النماي بأسره يقتضي على كل أمل في أن يكون هناك بلد متحد تحت رجل قروي يواجه الوهابيين أو أي تعد آخر . (١٣٦)

(١٣٣) اكلز ، ص ٢٢ .

(١٣٤) اكلز ، ص ٣٨ .

(١٣٥) اكلز ، ص ٤٠ - ٤١ .

(١٣٦) الككلز ، ص ٢٤ .

وكما أن قول أكلز الأول عن البريمي كان صدى للوريمر كذلك كانت إشارته إلى « تأييدنا لهذه العائلة ضد الرأي العام العماني بأسره » صدى للحكم الذي أصدره الكوماندر هوجارث بأن بريطانيا العظمى قد ارتبطت بتأييد الحكام من آل بو سعيد ضد أهل عمان (الفقرة ٢٢ السابقة) .

٣٤٦ - أشير في الفقرة السابقة إلى اشتراك السر برسي كوكس في المناقشة التي تلت المحاضرة التي ألقاها الكابتن أكلز في عام ١٣٤٥ هـ (أكتوبر ١٩٢٦ م) . وقد تحدث كوكس بإسهاب في هذه المناسبة . وقد أدلى في الملاحظات التي ساقها بتصريح جد خطير عن آراء الملك عبد العزيز فيما يتعلق بالأراضي التي تعود إلى آل ه في شرق جزيرة العرب ، وهي الأراضي التي يدور عليها النزاع الآن . وقد صدر كلام كوكس عن معرفة لا نظير لها بين الموظفين البريطانيين . وكان ، كما قال بنفسه ، قد بحث هذه الأمور مراراً عديدة مع الملك الذي كان يعرفه شخصياً منذ عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م) والذي كان يرأسه حتى قبل ذلك التاريخ . قال كوكس :

ذكر أكلز نقطة جد هامة كما أنها دقيقة نوعاً ما وتلك هي فوايا سلطان نجد والحجاز ، ابن سمود ، المحتملة فيما يتعلق بعمان . إن الحاكم الوهابي العظيم كان - ولا يزال - صديقاً عزيزاً لي وقد بحثت معه مطامحه عدة مرات . وقد بهمكم أن أتكلم باختصار عن هذه المطامح . انه يكاد يعتقد أنه محق ، من ناحية المبدأ ، باستعادة أية أراض كانت تتبع لأبائه قبل قرن سواء كانت هذه الأراضي تابعة لهم مباشرة أم انها كانت مجرد « منطقة نفوذ » وقد كانت عمان داخلة في منطقة نفوذهم . أما البريمي نفسها فقد كانت في الواقع في أيدي الوهابيين وهذا يفسر كون قسم كبير من أهل البريمي حتى الآن وهابياً في المبدأ . وكذلك شيوخ ساحل القريضة مازالوا يحتفظون بعطف كامن على الوهابيين ويودون أن يعرفوا عن شعورهم هذا بطريقة أكثر صراحة . وفي أيام - قبل الحرب - كانت لنا علاقات وثيقة مع ابن سمود كما كان لنا معه معاهدة نذفع إليه بموجها مساعدة مالية . وكان عليه حسب هذه الاتفاقية ألا يعتدى على أي من أصدقائنا أو الرؤساء المرتبطين معنا

بمعاهدات أو أن يلحق بهم أى ضرر . وبذلك كان أصدقاءنا أصدقاء له . غير أننا اضطررنا بعد الحرب إلى تخفيض نفقاتنا . وما كنا نستطيع أن نستمر في دفع الإعانات التي كنا ندفعها قبل الحرب وخالها . فكان علينا أن نقوم ببعض التخفيضات . وكانت الإعانة التي كنا ندفعها إلى ابن سعود موضع واحدة من عمليات التخفيض هذه . وقد كانت هذه ضربة قوية بالنسبة إليه . ولكنه كان يدرك أننا لم نكن نستطيع أن نمنح في دفع إعانته إليه إلى الأبد . إلا أنه كان يشعر « أنني حتى الآن كنت مقيداً بالتزام خاص وهو ألا أزعج الحكومة البريطانية بأية سياسة اتبعتها . وطالما كنت أتسلم منها مساعدة مالية فإن على أن أتقيد بشرطها ، أما وقد شعرت بأنها مضطرة إلى التوقف عن دفع المساعدة المالية إلى فإنه يحق لي فيما أظن أن أتبع السياسة التي أريدها وأن أعمل على تقرير مصيري بغير طريق أراه » . وهذا هو ما يفعله الآن . وحتى الآن كان مستقياً ومخفياً من الناحية السياسية في جميع أعماله . ولم يكن في إمكاننا أن نزعج مرة واحدة أنه أخطأ . وقد جعل من نفسه ملكاً على الحجاز واعترفنا به كذلك . وقد كف يديه عن الحجاز طيلة الوقت الذي كنا ندفع فيه إليه المساعدة المالية المشار إليها أعلاه . ومنذ أن توقفنا عن ذلك قام بمد سلطته إلى الحجاز . ولا يكاد يكون لدى شك في أنه سيحاول في الوقت المناسب أن يمد سلطته إلى الأقسام الداخلية من عمان . هذا فيما اعتقد ما ستكون عليه سياسته . (١٣٧)

وقد صرح بهذه الأقوال البريطانية عن آراء الملك قبل ثماني سنوات من إقدام الحكومة البريطانية فجأة على إبلاغ الحكومة السعودية برأيها الذي لم يكن متوقعاً بالمرّة من أن الخططين الأزرق والبنفسجي الواردين في الاتفاقيتين الإنكليزيتين التركيتين المعقودتين في عامي ١٣٣١ و ١٣٣٢ هـ (١٩١٣ و ١٩١٤ م) ما زالتنا نافذتين . وربما كانت الحكومة البريطانية تتحول من سياسة إلى أخرى خلال السنوات الأربعين الماضية ، أما آراء جلالة الملك عبد العزيز فإنها بقيت كما هي دون تغيير حتى يوم وفاته (انظر بصورة خاصة الملحقين ٧ و ١٠ والفقرة ٨٧ من الفصل الخامس فيما بعد) ، وتنعكس هذه الآراء في مضمون الفقرة (١) من المادة ٦ من اتفاقية هذا التحكيم .

٣٤٧ - وفي عام ١٣٤٥ هـ (مايو ١٩٢٧ م) حاول برترام توماس ، ناظر

(١٣٧) مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٤ (١٩٢٧) ص ٤٠ .

المالية ووزير دولة مسقط البريطاني ، القيام بزيارة إلى البريمي . ولما كان توماس قد أمضى عدة سنوات في خدمة السلطان فإنه كان يعرف بالضبط إلى أى بعد كانت سلطة سيده تمتد . وفي طريقه في وادي الجزى وصل إلى « بروج الشجيري ذلك الحصن الصغير في مجرى الوادي الذي يبين حدود دولة مسقط ، وكنت أكون داخلاً بصفة غير شرعية لو تخطيطها ، وحتى هنا سمعت بعض الهمس وأنا أترجل عن الطريقة المريبة التي أطلق بها رصاص الترحيب وعن مرور الرصاص فوق رؤوس بعض رجالنا وعن ترجل بعضهم ذاهبين إلى أن الرأي قبل شجاعة الشجعان » . (١٣٨) وكان مركز الحدود هذا يقع على بعد ستين كيلو متراً إلى الشرق رأساً من البريمي . وواجه قائد الحصن ، المعين من جانب السلطان ، توماس بقوله :

مستحيل أن تمضي يا صاحب الفخامة فان الوادي الذي أماننا معاد لكم .
للدلالة على ذلك أظهر كتاباً من شيخ قبيلة الشوامس المنتشرين في أعلى الوادي . (١٣٩)

ولكن توماس كان عنيداً ، واتجه نحو بلدة الحيل التابعة لقبيلة نعيم في وادي الجزى . ولكن رؤساء البلدة أبلغوه أن « الحيل تلقت أوامر من شيخ نعيم في البريمي بتأخيرنا » . (١٤٠) وفي أثناء ذلك الوقت ، أنفذ توماس رسلاً إلى البريمي يطلب التصريح له بالسفر إلى الواحة . وكان الرد الذي أحضره معهم وثيقة مهمة بشكل خاص :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . كتابكم الذي أوصله إلينا الشيخ علي والشيخ حمدان مفهوم لدينا . لم يكن الوالي (أبو مندة) موجوداً في المحل وبعد عودته رآه فلم يوافق عليه وقد كتبت إلينا عن هذا الاقتراح دون انتظار منا . فلم تكن ندرى عنه ، وهذا إزعاج منك . إن هذه الأراضي واقعة في أراضي

(١٣٨) توماس ، « مخاوف ورحلات » ص ١٧١ .

(١٣٩) توماس « مخاوف ورحلات » ص ١٧١ .

(١٤٠) توماس « مخاوف ورحلات » ص ١٧٣ .

ابن سعود ، فأحسن وأسلم لك أن تعود . ونحن نخشى أن نفتح باباً للمشاكل ، ولا داعي لاعلام من يعلم . والذي أعطاك هذا الامتياز لم يكن صريحاً معك . إن هذه الأماكن تتبع آل حمود شيوخ نعيم في البريمي ون ثم تتبع ابن سعود . هذا ما لزم والسلام .

حرر في ١٣ ذى القعدة ١٣٤٥ (نحو ١٥ مايو سنة ١٩٢٧) . (١٤١)

وها هنا في وثيقة تعود إلى ثلاثين سنة مضت ينقلها إلينا موظف بريطاني كبير كان يعمل في خدمة سلطان مسقط نجد تصريحاً واضحاً جلياً في أن منطقة البريمي تقع « في أراضي ابن سعود » . وتبين هذه الوثيقة أيضاً الطريقة التي كان تصرف بها رؤساء نعيم ، وهم أقوى شخصيات الواحة وأكثرهم نفوذاً ، ممثلين محليين للحكومة السعودية في الوقت الذي لم يكن فيه هناك أمير سعودي معين خصيصاً لشغل هذه الوظيفة . ومع أنه لم يكن هناك مثل هذا الأمير في ذلك الوقت ، إلا أنه كان هناك موظفون سعوديون عاملون في إقليم البريمي :

... وامتلاّت الظاهرة بأنباء وصول عادل للزكاة أوفده ابن جلوي نائب الملك ابن سعود في الحسا ، وأقبل كثير من قبائل الظاهرة على دفع الأتاوة . (١٤٢)

إن الجهل بطبيعة الزكاة الصحيحة في الإسلام — وهو أمر جد شائع بين بعض الغربيين — يتجلى في استعمال توماس لكلمة « أتاوة » ثم في ملاحظاته التالية :

ان مبدأ « لا ضرائب بلا تمثيل » وحق المرء في الحصول على خدمات الشرطة والحجاري إذا كان يدفع ضرائب — كل هذه مفاهيم غربية . ففي المجتمعات البدائية في جزيرة العرب لا يتعب المرء نفسه بالتفكير فيما يتلقاه من الفوائد الإيجابية مقابل ما يدفعه ، إذ لا فوائد هناك بالمرّة . (١٤٣)

(١٤١) توماس « مخاوف ورحلات » ص ١٧٣ .

(١٤٢) توماس « مخاوف ورحلات » ص ١٧٤ . (قارن بالفقرة ٣٤٢ السابقة) .

(١٤٣) توماس « مخاوف ورحلات » ص ١٧٤ .

إن توماس لا يتردد في الاستشهاد بالمبدأ الأمريكي العظيم أن « لا ضرائب بلا تمثيل » ولو كان أكثر إماماً بالإسلام وبجزيرة العرب لربما استشهد أيضاً بالمبدأ العظيم الآخر « لا جباية إلا بحماية » (الفقرة ٦٦ السابقة) . ويبدو أن توماس كانت تتملكه فكرة تعامله مع « مجتمعات بدائية » ، شأنه في ذلك شأن الكثيرين من الموظفين الأجانب في جزيرة العرب وإن كانوا لم يصلوا إلى المدى الذي وصل إليه الكابتن مالكلم (الفقرة ٢٦ السابقة) .

٣٤٨ - حدث في أواخر ١٩٢٧ أو أوائل ١٩٢٨ أن اغتيل رئيس ثالث في أبو ظبي . وقد جرت هذه الاغتيالات في مدة تزيد قليلاً على خمس سنوات . وفيما يلي وصف لهذا الحادث على لسان السر لا يونل هيورث ، المعتمد البريطاني في الخليج الفارسي :

... وكذلك دعاه (أى صقر بن زايد) أخ له إلى العشاء غير أنه لم يطلق عليه الرصاص من الخلف ، فقد وقع الشيخ في كمين رصد له في طريق عودته وأطلق الرصاص عليه من الأمام . وكان الأخ الأخير حكيماً فوضع ابن أخيه (شخبوط ابن سلطان الحاكم الحالي) على العرش . والآن يدبر أولاد الرجل الذي قتل في المرة الأخيرة خططهم لقتل الشيخ الجديد. (١٤٤)

ويعضى السر لا يونل في إعطاء بعض الملاحظات عن موقف البريطانيين ، بالنسبة لأعمال العنف هذه :

إني واثق من أن بعض من يقرأ هذا الكلام سرتساءل لماذا لا نضع حداً لهذا الوضع ؟ وفي طوايا الجواب نجد المبدأ الذي سأعلنه فيما بعد بكامله . فحتى نفعل هذا يجب علينا أن نسيطر على البر الرئيسي وهو ما لا نرغب في أن نفعله . إذ أنه يعني توسع الإمبراطورية البريطانية . ولا يمكنك في مثل هذا العمل أن تقف في منتصف الطريق مهما كانت عندك الرغبة في أن تفعل ذلك . (١٤٥)

(١٤٤) مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٦ (١٩٢٩) ، ص ٥٠١ .

(١٤٥) مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٦ (١٩٢٩) ، ص ٥٠١ .

وهاهنا موظف بريطاني مسئول ملم بشئون الخليج الفارسي يعلن قبل زمن يزيد قليلا على ربع قرن أنه لم يكن للبريطانيين أية رغبة في « السيطرة على البر الرئيسي » طالما أنهم مطمئنون إلى وضعهم الذي لا ينازعهم فيه أحد .

٣٤٩ - إن مدى السلطات التي اكتسبها وزير سلطان مسقط البريطاني « الموقت » بعد نحو عشر سنوات من وضع البريطانيين ترتيباتهم الجديدة للسلطنة تتضح في الاتفاقية المعقودة عام ١٣٤٧ هـ (١١ فبراير ١٩٢٩ م) بين بريطانيا العظمى ومسقط لتحديد معاهدة سابقة (مؤرخة في ١٩ مارس ١٨٩١) . وقد وقع هذه الاتفاقية في التنصلية البريطانية ، نيابة عن السلطان ، المستر بترام توماس ، حامل وسام الإمبراطورية البريطانية ، وعضو مجلس الدولة في مسقط . (١٤٦) .

٣٥٠ - وقد كتب السر لاينول هيورث في عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩ م) عن معرفة مبنية على خبرته كعتمد سياسي بريطاني في الخليج الفارسي يقول عن سلطان مسقط :

إن الفضل في بقاء سيادته في وجه القبائل المعادية في المناطق الداخلية يعود إلى المساندة البريطانية . (١٤٧)

وأما عن سكان منطقة الخليج الفارسي ، فقد ساق الملاحظات التالية :

... الخليج الفارسي بالعناصر غير المتحضرة التي تتأخم معظم شواطئه ... (١٤٨) أولئك الذين ما زالوا على ... حالة همجية أو شبه همجية هم في حاجة إلى يد دولة مرشدة متقدمة لتقدمهم ... (١٤٩)

٣٥١ - وقعت حادثة في عام ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) في الشمال الأقصى من الأراضي العربية التي طالب بها سلطان مسقط . وهذه الحادثة جديدة

(١٤٦) ايتشيمون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٣٢٠ .

(١٤٧) مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٦ (١٩٢٩) ص ٥٠١ .

(١٤٨) مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٦ (١٩٢٩) ص ٥٠٥ .

(١٤٩) مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٦ (١٩٢٩ م) ص ٥٠٤ .

بالملاحظة إذ أنها تكشف القناع عن الطريقة التي يتعاون بها الموظفون البريطانيون مع القوات البريطانية في الإبقاء على سلطة السلطان . ويعطينا مصدر بريطاني رسمي ملخصاً عن الحادث ، فيقول :

في مارس ١٩٣٠ منع شيخ روس الجبال فرق المسح من النزول من سفينة جلالتة المسماة «أوريوند» في خصب، ورفض الإذعان إلى أوامر سلطان مسقط المتعلقة بهذا الشأن ، كما أنه منع المؤن عن والى خصب ، واتخذ على العموم موقفاً متسرداً . فسمى السلطان للحصول على مساعدة الحكومة البريطانية لإخضاع الشيخ ، وأرسل انذاراً إلى الشيخ يدعو إلى التسليم . ولدى رفضه القيام بذلك ، اتخذت ضده أعمال تأديبية عن طريق سفينتي جلالتة «لويين» و «سايكلامن» بمساعدة زورق السلطان الحربي «السعيدى» وبعد تقديم الإنذار الكافي ضرب حصن الشيخ في خصب بالقنابل ، وأعلن السلطان إغلاق المرفأ في وجه حركة مرور القوارب . واستلم الشيخ في ٥ مايو وأصبح أسير الدولة ، وعين في مكانه شيخ جديد . (١٥٠)

ويعطى وزير السلطان وناظر ماليته المستر برترام توماس الذي اشترك في العمليات التأديبية ، تفصيلات أخرى عن الحادث . ويوضح توماس أولاً وضع الناس في روس الجبال فيقول :

« ولكن ها هنا كتاب لك من رؤسائك في مسقط الذين يمتد نفوذهم إلى هذه المياه ، ولقد أعطوا ترخيصهم بذلك » قال ذلك الغربي الذي تربي على احترام الأوضاع القانونية ولكنه كان جاهلاً تماماً بطرائق العرب . فأجيب بما يلي ، « حسناً جداً ولكننا لا نعترف بحكومة مسقط » . (١٥١)

وبعد هذا يشير توماس إلى أن السلطان قد وضع مسئولية تصريف المسألة بين يديه . وفي هذا يقول توماس :

إن تعالقاتي هي الذهاب إلى مسرح الاضطرابات ، ومعالجة وضع قد وصل إلى مرحلة خطيرة . (١٥٢)

(١٥٠) أيتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٢٨٥ .

(١٥١) توماس « مخاوف ورحلات » ص ٢١٥ .

(١٥٢) توماس « مخاوف ورحلات » ص ٢٢١ .

وكان من الواضح أن بحرية مسقط المؤلفة من سفينة صغيرة واحدة ،
لا تستطيع مواجهة الموقف دون مساعدة خارجية :

إن « السعيدى » وهو يخت صغير حركته مائة وخمسون طنناً ، وهو أبيض اللون
وله مدخنة صفراء وصواري مائلة في خيلاء ، ويرفرف عليه علم مسقط الأحمر .
لقد ساحته بمدفع هوتشكيس من عيار ثلاثة أرتال ومدفوعين رشاشين فرنسيين .
ومن هذا اليخت كانت تتألف بحرية مسقط . وربما كان في هذه التسمية
بعض التجاوز إلا إن اليخت كان مع ذلك يؤدي واجبه كسفينة حراسة ، ذلك
الواجب الذى من أجله اشتريته من البحرية الهندية الملكية قبل نحو أربع
سنوات . ومنذ ذلك الوقت ، قمت أنا واليخت باستكشاف كل منعطف
من المنعطفات التى تقع على طول ألف ميل من الساحل الجنوبي الشرقى لجزيرة
العرب . (١٥٣)

لقد كان الوضع يتطلب عملاً مباشراً . ولم يكن لدى دولة مسقط ، إذا تركت
وحدها ، من الموارد ما يمكنها من مجابهة الموقف . وإن لم تعالج تلك الحالة
فسوف تتخض عنها حالة أسوأ إذ أن سلطة مسقط فى مسندم ، على الرغم
من أنها كانت رمزية من قبل ، سوف تنتهى وتزول كما أن كرامة سرفن جلالتة
الحربية ستأثر ، ثم إن إنزال الأوربيين فى المستقبل سيكون مخفوقاً بالانحطار
نظراً لحالة القبائل النفسية آنئذ ، وفى النهاية فقد يكون لتلك الثورة صداها فى
أماكن أخرى ، إذ أن انتصار الزعيم حسن قد يشجع الآخرين على القيام بمثل
هذا الدور . (١٥٤)

لقد كتب توماس بنفسه الإنذار إلى أهالى روس الجبال ، ولكنه وقعته
باسم « مجلس الوزراء لسلطنة مسقط وعمان » (١٥٥) ، وقد رفض الإنذار وابتدأ
إلقاء القنابل :

وكان الشاطيء هو أول أهداف القصف ، ثم تدرج القذف إلى ما وراء ذلك
فى اتجاه البلدة - وهذا ما كنا نسميه فى الحرب العظمى بستار النيران الزاحف ،
وكان استخدام ذلك للدوافع إنسانية حتى يتمكن رجال المؤخرة من إنقاذ أنفسهم . (١٥٦)

(١٥٣) توماس « مخاوف ورحلات » ص ٢٢١ .

(١٥٤) توماس « مخاوف ورحلات » ص ٢٣٥ .

(١٥٥) توماس « مخاوف ورحلات » ص ٢٤٣ .

(١٥٦) توماس « مخاوف ورحلات » ص ٢٤٦ .

لقد تردد صدق قصف كل نوع من أنواع المدافع بين هذه الصخور الضيقة .
فكان هديراً يصم الأذان . وتقدمت أمامنا بحب دخان من الحطام المتناثر في
القرى المحبوة وسط النخيل . (١٥٧)

وأخرج أحدهم القطن من أذنيه ، وحذونا حذوه ثم ابتدأنا نتكلم ثانية .
فقال الشخص الأول « لعل في هذا درساً لهم » فأجبت قائلاً « إن هذا هو
ما كانوا يسمون إليه دون شك » . ولم أبدأ بادرة عما كنت أفكر فيه بالفعل
وهو عمل « لوبن » الرائع الجريء وروحها الرياضية . وشعرت بنشوة الفخر
للمريقة التي تسلكها سرفننا في مواجهة ما يعترضها . (١٥٨)

٣٥٢ - تنازل تيمور بن فيصل عن سلطنة مسقط في أواسط عام ١٣٥٠ هـ
(أواخر ١٩٣١ م) فخلفه ابنه السيد سعيد ، السلطان الحالي ، بعد مدة قصيرة
(أوائل ١٩٣٢ م) . ويصف البريجادير لونغريج الحالة القائمة في السلطنة آنئذ ،
ولونغريج هذا هو أحد كبار موظفي شركة نفط العراق التي أصبحت بعد قليل
تهتم بإمكانية وجود الزيت في الأراضي التي يدعى بها السلطان (الفقرة ٣٥٧
اللاحقة) .

إن سلطان عمان الشاب ، السيد سعيد بن تيمور ، كان أبعد ما يكون عن
التمتع بسلطة لا ينازعه عليها أحد ، ولم تكن القبائل البدوية البعيدة مستقلة
عن حكمه استقلالاً يكاد يكون تاماً فحسب ، بل كان الأهالي في قلب البلاد
كما كان سكان الوديان وقرى منطقة الجبال ، يدينون بالطاعة لحاكم منافس وهو
إمام عمان الذي كانت بلاده مطروقة قليلاً ومحكومة بنظام ديني بدائي . (١٥٩)

٣٥٣ - وبينما كان الرحالة البريطاني المستر سن جون فلي يتجول في
ديرة آل مرة في عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) ، جمع معلومات عن الأحوال السائدة
في إقليم البريمي من على آل جهامان من أبناء هذه القبيلة ، وأحد أتباع أمير

(١٥٧) توماس « مخاوف ورحلات » ص ٢٤٧ .

(١٥٨) توماس « مخاوف ورحلات » ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(١٥٩) لونغريج « الزيت في الشرق الأوسط » ص ٩٩ .

الحسا ، وقد كان في البريمي قبل ذلك بعدة شهور مع جماعة سعودية من جباة الزكاة ويقول فلي :

أثار اهتمامي أني سمعت منه أن نفوذ ابن سمود محسوس اليوم في جميع منطقة الظاهرة ، كما يسمون المنطقة الواقعة غربي جبال عمان ، وبالطبع فإنها تضم البريمي التي كانت مركزاً وهابياً منذ زمن قديم ، وعبري أيضاً على ما يظهر . إن بعثات جباية الضرائب هذه لا تكاد تأتي إلا بما يغطي نفقات اعدادها وإرسالها ، ولكنها تقوم بنشر مبادئ السلم الوهابية والوحدة في جزيرة العرب . وتمتد موجات الحكم المستقر ببطء ولكن باطراد من المركز نحو الخارج ويمكن اعتبار المناصير اليوم على أنهم من رعايا ابن سمود الذي يطلب منهم التقليل فيما عدا قبول سلطته والحفاظة على السلم العام (١٦٠) .

٣٥٤ - وفي صفر ١٣٥٢ هـ (ربيع ١٩٣٣ م) حضر إلى جدة ممثلون عن شركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا وشركة نفط العراق ليتفاوضوا مع الحكومة العربية السعودية بخصوص امتياز للزيت في الأجزاء الشرقية من المملكة العربية السعودية . ووفقاً لما يقوله البريجادير لونجريج المفاوض نيابة عن شركة نفط العراق فقد كان «مدير وشركة نفط العراق بطيئين وحذرين في عروضهم» (١٦١) . وحصلت الشركة الأمريكية على الامتياز في صفر ١٣٥٣ هـ (٢٩ مايو ١٩٣٣ م) . إن هذا هو الامتياز الذي تستغله الآن شركة الزيت العربية الأمريكية التي لا تزال ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا أحد مالكيها الرئيسيين .

٣٥٥ - وفي عام ١٣٥٣ هـ (إبريل ١٩٣٤ م) علمت الحكومة العربية السعودية للمرة الأولى (الملحق ٤) بنية الحكومة البريطانية على بعث الحط الأزرق والحط البنفسجي اللذين وردا في الاتفاقية التركية الإنكليزية المؤرخة في ١٣٣١ هـ (٢٩ يوليو ١٩١٣) والتي لم يصدق عليها ، وكذلك في الاتفاقية التي تلتها بتاريخ ١٣٣٢ هـ (٩ مارس ١٩١٤ م) ، وسوف يجري تناول هاتين

(١٦٠) فلي « الربيع الحالي » ص ٢٨ .

(١٦١) لونجريج « الزيت في الشرق الأوسط » ص ١٠٧ .

الاتفاقيتين بالبحث التفصيلي في الفصل الخامس . ويكفي أن نلاحظ هنا مرة أخرى اعتراف الحكومة البريطانية في وثيقة رسمية - وهي « دليل جزيرة العرب » الذي أعدته الاميرالية - بعد مضي سنتين فقط على الاتفاقيتين ، بعدم واقعية التقسيم الذي كان من شأن الخططين الأزرق والبنفسجي أن يؤديا إليه لو كانت لهما أية صفة صحيحة (الفقرة ٣٢٦ السابقة). ومنذ عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) اعتبر هذان الخططان جرة قلم لا تتفق وتسلسل الحوادث الزماني ، إلا أن هذا لم يحل دون قيام الحكومة البريطانية بمحاولة إحيائهما بعد عشرين سنة تقريباً .

٣٥٦ - كان الاقتراح الذي قدمه السر أندرو ريان في عام ١٣٥٤ هـ (نوفمبر ١٩٣٥ م) في الرياض بمثابة وضع الحجر الأخير في البناء الذي وضع الكولونيل بلي أسسه دون قصد بالمرّة ، في حين أن المستر لوريمر ساهم في المراحل الوسطى من البناء . ومع أن هذا الاقتراح كان اعترافاً ضمناً بسخافة الأسس التي يقوم عليها الخططان الأزرق والبنفسجي إلا أنه ما زال مستمداً من فكرة متعالية . ولقد تعهدت الحكومة البريطانية بأن تجعل من قرية على الساحل « إمارة واسعة » ، لها حدود تمتد إلى أبعد من آفاق عاصمة حاكمها . وصحيح أن خطوات مبدئية كانت قد اتخذت في هذا الاتجاه قبل ذلك بوقت قصير ، غير أن من الجلي الواضح أن هذه الخطوات لم تكن موضع تفكير عميق سابق كما هو الشأن بالنسبة لخط ريان الذي ظل البيان البريطاني الأسامي حتى عام ١٩٥٢ م عندما قدم اقتراح جديد يذهب إلى أبعد من ذلك المدى في بعض الاتجاهات . وكان من أبرز معالم خط ريان ، في محاولته السير مع بلي في نسبة العديد إلى أبو ظبي ، أنه حال دون وصول المملكة العربية السعودية إلى الساحل شرقي قطر . وقد أوضحت من قبل الفائدة التي تجنيها بريطانيا من إقامة حاجز بين المملكة العربية السعودية وساحل الصلح (الفقرة ٣٠٧ السابقة) .

٣٥٧ - وإذ فشلت شركة نفط العراق في الحصول على امتيازات لها في شرق المملكة العربية السعودية عام ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) فإنها ضاعفت جهودها للحصول على امتيازات في أجزاء أخرى من شرق جزيرة العرب . ومن أجل ذلك فقد تشكلت شركة امتيازات البترول المحدودة في عام ١٣٥٤ هـ (أكتوبر ١٩٣٥ م) على أساس « تملك الأسهم بصورة ماثلة تماماً للوضع في شركة نفط العراق »^(١٦٢) . وقد تمتعت هذه الشركة بعطف الحكومة البريطانية وتأييدها كما اتضح مما حصل في قطر قبل ذلك بقليل عندما قصد إلى هناك أحد المفاوضين « للحصول على حقوق لشركة نفط العراق »^(١٦٣) .

لقد شعر المعتمد السياسي في أبو شهر بأنه يستحسن أن يشير على الشيخ أن يعطى الامتياز لشركة بريطانية وأثناء عن عرض مبدئي تقدمت به شركة من كاليفورنيا^(١٦٤) . . .

ويتحدث البريجادير لونجريج ، وهو الذي قام بنفسه بالمفاوضة للحصول على الامتياز الخاص بأبو ظبي ، عن أعمال شركة امتيازات البترول المحدودة خلال السنوات القليلة التالية فيقول :

لقد كانت شركة امتيازات البترول نشيطة أيضاً في جنوب شرق جزيرة العرب ، وفي ساحل الصلح ، وكذلك في سلطنة عمان . وقد قام ممثل عن الشركة كان مقره في البحرين بزيارة حفنة الشيوخ الحكام على الساحل في ١٩٣٦ ، وعددهم حينئذ ستة ، وقدم لهم اتفاقيات تماثل الاتفاقيات التي يعمل بها في البحرين والكويت ، للتشجيع عن موارد الزيت وتثبيتها في بلادهم ، إذا كان يوجد شيء منها هناك . وما كان الحكام الذين كانوا يعيشون في فقر مدقع ويحكمون بنوع بدائي من الحكم العائلي المطلق ، ليعلموا شيئاً عن خطوط الحدود عبر قفارهم الرملية وبذلك لم يكن يومهم أن يفسدوا الكثير من الأمن . إلا أنه أمكن بعد مفاوضات طويلة وكذلك بعد التغلب على الشكوك والطمع ، أمكن الوصول في عام ١٩٣٧ إلى اتفاق ينص على دفع مبالغ بسيطة فوراً وأجور سنوية مقابل الحصول على

(١٦٢) لونجريج « الزيت في الشرق الأوسط » ص ١١٣ - ١١٤ .

(١٦٣) لونجريج « الزيت في الشرق الأوسط » ص ١٠٥ .

(١٦٤) لونجريج « الزيت في الشرق الأوسط » ص ١٠٥ .

امتيازات في أراضي دبي والشارقة . أما الاتفاق مع مسقط فقد كان أيسر ، عند ما قام ممثل الشركة بزيارة السلطان في نفس الفترة . وابتهج السلطان لفك الضائقة المالية التي يعانيها بمنح امتيازات أو عروض امتيازات في عموم عمان (التي كان يحكم أقل من ثلث مساحتها بشكل فعال) وكذلك في مقاطعة ظفار الجنوبية المنعزلة على حدة . وفي أواخر عام ١٩٣٨ أمكن الحصول على إذن من مشيخة رأس الخيمة وكذلك على إذن من مشيخة قرية كلبا . وفي أوائل عام ١٩٣٩ قام شيخ أبو ظبي بمنح امتياز للتنقيب عن موارد الزيت في بلاده غير المأهولة تقريبا التي تشكل ثلاثة أرباع ساحل الصلح وساحة مجهولة إلى الداخل . وقد حدد الربع في جميع هذه الاتفاقيات بمبلغ ثلاثة روبيات للطن الواحد . أما المساحة التي تشملها الامتيازات فقد حددتها الاتفاقيات بأنها تضم المياه الإقليمية والجزائر التابعة للحاكم . وقد منحت رخصة تنقيب في أراضي عجمان في مارس ١٩٣٩ مدتها خمسة أعوام .

وشيوخ الساحل الذين لم تفرض عليهم اتفاقيات رغمًا عن إرادتهم ، والذين فضل بعضهم تصريحاً قصير الأمد على امتياز طويل الأمد - في حين أن أحدهم رفض أن يمنح أيًا منهما - وجدوا أنفسهم مزدهرين لمضى لم يسبق لهم أن عهدوه فقد استطاعوا أن يحصلوا على الإيجارات السنوية الخاصة بهم ويسدوا بعض ديونهم ويركبوا سياراتهم الجديدة ويمثلوا أوفى قهوتهم السخية ، غير أن شعوبهم لم تكن لتجني في هذه المرحلة فائدة تذكر من جراء تبادل الوثائق بين حكامهم والشركة حتى الشروع في العمل في الأراضي ذات الشأن . وقد قضت فرقة من الجيولوجيين شتاء ١٩٣٨ - ١٩٣٩ على ساحل عمان وعلى سفوح تلالها الغربية ومجموعة جبالها وعلى طول ساحل الصلح وكذلك في القريب من الأراضي الداخلية . وحيث أن المنحدرات الغربية لجبال عمان وكذلك الأراضي الرملية الواسعة الواقعة وراءها تشتمل على صخور تتألف من الرواسب وتقع على أطراف الطبقة الجيولوجية الهامة ، فلا يمكن إلا أن تكون هذه المنطقة ذات أهمية . إلا أنها كانت غير مأمونة حيث أن الولاء للسلطان بسيط أو منعدم ، والقوضى بين القبائل سائدة ، ولا وجود للقانون ، والأرض وعرة . ثم ان الحرب اندلعت قبل أن يكون بالإمكان مواصلة التنقيب . وجرت زيارة قصيرة لظفار (١٦٥) .

وكان شتاء ١٣٥٧ - ١٣٥٨ هـ (١٩٣٨ - ١٩٣٩ م) الفصل الذي

قامت به إحدى الفرق الجيولوجية التابعة للشركة التي تسمى الآن شركة الزيت العربية الأمريكية بأعمال واسعة للمرة الأولى في المناطق المتنازع عليها حالياً ، وقد توغلوا في الظفرة مسافة بعيدة .

(١٦٥) لونغريج « الزيت في الشرق الأوسط » ص ١١٥ - ١١٦ .

٣٥٨ - والرغبة القوية التي كانت لدى زعماء جزيرة العرب وشعبها في التمتع بنعمة الوحدة في ظل دولة إسلامية صحيحة ، تتجلى تماماً في رسالة كتبها حاكم الشارقة في ١٣٥٤ هـ (نوفبر ١٩٣٥ م) إلى الإمام عبد العزيز آل سعود (الملحق ١١٧) وتبين الرسالة بوضوح أيضاً أنه من المعترف به بصورة عامة على طول ساحل الصلح أن قبائل مثل المناصير والعوامر هم رعايا الملك . وبعد إخبار الملك بأن أفراداً من هذه القبائل قد قاموا بالاعتداء على الشارقة ، قال الحاكم إنه لم يستطع اتخاذ أى إجراء بنفسه ضدهم « بما أننا وهم طوع أوامر عظمتكم » . وكان الأمير عبد الله بن جلوى الذى أشار إليه الحاكم بكلمة « والدنا » قد توفى في ذلك الوقت . ولذلك فإن الحاكم أعرب عن أمله في أن يقوم الملك بإصدار تعليماته إلى ولد عبد الله وخليفته على الحسا ، سعود ، لردع هؤلاء الناس .

٣٥٩ - وخلال السنوات التي كانت تستعر فيها نار الحرب في أوروبا وغيرها من أجزاء العالم بقيت الأحوال هادئة في المناطق المتنازع عليها الآن . ولقد منحت الطمأنينة للجميع في ظل الحكم السعودي الذي كان حازماً في غير عنف . وكان موظفو الحكومة السعودية يوقعون العقوبة بمن يخل بالنظام - وهو الأمر المحتوم في كل مجتمع - وذلك بسرعة وثقة بشكل يمكن اعتباره رائعاً في الواقع نظراً لصعوبة السفر داخل الإقليم . وكان أهالي الإقليم يدفعون الزكاة ، - وهي الضريبة الرئيسية التي فرضها الإسلام - كل عام إلى الجباة الذين توفدهم الإدارة السعودية لهذا الغرض كما يتضح ذلك من الوثائق المبينة في الجلد الثالث من هذا العرض . وكذلك كان زعماء القبائل السعودية المختلفة يسوون كثيراً من المنازعات المحلية ويرشدون أتباعهم إلى إتباع تعاليم الإسلام ، قائمين بهذا العمل بحكم الصلاحية التي خولتها إياهم الحكومة المركزية . وأما القضايا التي تفوق هذه الأمور في الأهمية فقد كانت تحال إلى قاضي البريمي الشيخ

عبد الله بن عبد العزيز آل سليمان - وهو عالم جليل من أهالي بلدة الحريق في نجد - الذي كان يصدر أحكامه طبقاً للشريعة الإسلامية كما تفسرها المحاكم السعودية بشكل عام . ولقد صور الرحالة البريطاني ولفرد نيسجر في ١٣٦٦ هـ (ديسمبر ١٩٤٦ م) الحالة السائدة في الإقليم تصويراً صحيحاً عندما اقترب من قرى الجواء في الظفرة من الجنوب فقال :

وهنا قابلنا شيخاً من شيوخ آل راشد يدعى حمد وكان يبحث عن جمل ضائع ووافق على الحجى معنا إلى الجواء . وقد علمنا منه أن كثيراً من آل مرة والمناصير والعوامر يتجمعون في الظفرة والرياض لتأدية الضرائب السنوية . لقد كانت هذه أخباراً سريئة لنا . فلو أننا تقابلنا مع أحد من جباة الضرائب فن الأرجح أن يأخذنا معه إلى الهفوف لتبرير موقفنا حيث أنه عثر علينا هنا دون أن يكون لدينا إذن من ابن سعود . وقد يؤدي تأخرنا عن الوصول إلى بوى إلى انتشار إشاعات خيالية وخاصة بعد أن تخلى عنا أفراد بيت كثير . ونتيجة لذلك فقد قررنا تجنب جميع البدو خلاف آل راشد ، وأنه يتعين على حمد أن يذهب إلى الجواء لطلب الأغذية لنا بينما نمكث نحن في الرمال المجاورة . لقد سبق للكرب أن أغاروا على هذه المنطقة قبل سنة ، وهناك خطر من أن نؤخذ خطأ على أننا من المغيرين إذ أن آثار جائلنا تدل على أننا قادمون من السهول الجنوبية . وقد يزداد هذا الخطر إذا ما ظهر أننا نحاول تجنب العرب ، إذ أن المسافرين المسلمين لا يمرون دون تبادل آخر الأنباء (١٦٦) .

٣٦٠ - وعلى الرغم من أن نيسجر قد تحاشى الدخول في قرى الجواء عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) لأنه لم يكن يحمل ترخيصاً من السلطات السعودية إلا أنه استطاع تحقيق طموحه في أن يكون أول أوروبي يزورها ، وكان ذلك في عام ١٣٦٧ هـ (مارس ١٩٤٨ م) . ولم تضع السلطات السعودية ، التي كانت على علم بحركاته في هذه المرة ، أية عقبات في طريقه . وهكذا فللمرة الأولى في ظرف قرن ونصف من علاقة البريطانيين بالساحل الجنوبي الشرقي للخليج الفارسي وقع بصر رجل إنكليزي على هذه القرى التي لم يعلم البريطانيون بمجرد وجودها إلا قبل ما يزيد على أربعين عاماً بقليل (الفقرة ٣٠٧ السابقة) . على

(١٦٦) نيسجر ، المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١١١ (١٩٤٨ م) ص ٦ - ٧ .

أن إقامة تسيجر في هذه القري لم يزد على بضعة أيام قبل مواصلة سفره إلى أبو ظبي حيث كان من المقرر أن ينزل ضيفاً على حاكمها الشيخ شخبوط . ولم يقدم تسيجر سوى تفصيلات قليلة عما رأى ، كما أن عدداً من أقواله كان غير صحيح أو مضلل (قارن بالفقرتين ٣٠ و ٣١ من الفصل الثالث فيما سبق) . وإن تأكيدته بأن جميع أهالي الجواء يدينون بالولاء لآل برفلاح^(١٦٧) ما هو إلا أمر منتظر من شخص إنكليزي على علاقات ودية مع آل شيخ أبو ظبي . على أنه يعطى معلومات أوثق من ذلك عن تنقلات قبائل المناصير والعوامر والمناهيل وآل راشد عبر رمال الظفرة^(١٦٨) ، وهي معلومات يمكن مقارنتها بما ذكره لوريمر من أنه لا توجد قبائل سوى بنى ياس والمناصير في ذلك الإقليم (الفقرة ٣٠٧ السابقة) .

٣٦١ - وقد حدث دخول تسيجر إلى الجواء في عام ١٣٦٧ هـ (مارس ١٩٤٨ م) بعد انتهاء نزاع صغير نسبياً ولكنه كان طويل الأمد نوعاً بين بلدي أبو ظبي ودبي . وجرت معظم الحوادث في هذا الصراع بعيداً عن الأراضي الخاضعة للسيطرة السعودية ، ولكن أفراداً من قبائل سعودية مختلفة اشتركوا فيها نتيجة للفرص التي أتاحت لهم للخوض في غمار الرياضة العربية القديمة ، أي الغزو ، والتي زاد من إغرائها المبالغ المالية التي كان يعرضها زعماء البلديتين في استخدام المرتزقة من الجنود . وإن البيان المقدم نيابة عن الشيخ شخبوط في مؤتمر الدمام بتاريخ عام ١٣٧١ هـ (٣١ يناير ١٩٥٢ م) (قارن بالفقرة ٧٧ من الفصل الخامس فيما بعد) بأن بعض المناصير تابعون له لأنهم حاربوا إلى جانبه ضد دبي هو بيان لا أساس له من الصحة . فقد كان لعدة قبائل أفراد يحاربون على كل الجانبين . وقد أحرز فارس بن غانم من المزاريق أروع انتصار في

(١٦٧) المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١١٣ (١٩٤٩ م) ص ٤٠ .

(١٦٨) المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١١٣ (١٩٤٩ م) ص ٣٨ - ٤٠ .

الصراع بأسره ، وكان جندياً مرتزقاً في خدمة دبي (إن ولاء فارس الحقيقي للملكة العربية السعودية مبين في الملحقين ١١٨ و ١١٩) . وقد وقع الهدنة التي أنهت هذا الصراع المستر باتريك ستوبارت الضابط السياسي البريطاني في ساحل الصلح بالإضافة إلى رئيس البلديتين . وكان البريطانيون قد بدأوا يتخلون عن سياستهم بعدم التدخل في الشؤون الداخلية إما لكونهم نسوا كلمة التحذير القاطعة التي نادى بها السر لاونل هيورث في عام ١٩٢٩ بأن هذا يوجب « علينا أن نسيطر على البر الرئيسي وهو ما لا نرغب في أن نفعله . إذ أنه يعنى توسع الإمبراطورية البريطانية » (الفقرة ٣٤٨ السابقة) ، أو لأنهم قرروا أنه قد ظهرت أسباب للسعى وراء تلك السيطرة .

٣٦٢ - إن توقيع المستر ستوبارت للهدنة بين أبو ظبي ودبي كان بادرة تنبئ بنشاط جديد في المناطق التي يتناولها البحث ، وهو نشاط لا يوجد له سوى سابقة واحدة في قرنين من التاريخ (قارن بالفقرة ١٤٧ السابقة) . وفي خلال السنوات الست الأخيرة أو ما يقاربها توغل البريطانيون في الداخل مستغلين موارد لم يسبق استغلالها من قبل لأجل التدخل مباشرة في شؤون الأهليين الذين يعيشون بعيداً عن الساحل . وإذ أدركوا أنهم جاءوا متأخرين فقد عملوا بجهد وحماس زائد في بعض الأحيان . ولم يترددوا في توفير المعدات المرتفعة التكاليف والطائرات والسيارات المدرعة وغير ذلك من اللوازم التي تملكها بصورة خاصة أية دولة عسكرية حديثة . وكان أعوانهم الرئيسيون أفراداً من العائلات الحاكمة في أبو ظبي ومسقط إذ كانوا أكثر الناس استعداداً لتقديم الخدمات إليهم . إلا أن البريطانيين لم يترددوا في أن يقوموا بالعمل بأنفسهم إذا ما استنفذ إهمال هؤلاء الأعوان صبرهم . ونكتفي هنا بذكر أمثلة قليلة من مناورتهم المعهودة ، ففي عام ١٣٦٨ هـ (إبريل ١٩٤٩ م) اصطحب ستوبارت أحد إخوان حاكم أبو ظبي في رحلة إلى أراض غير معروفة أبداً بالنسبة إليهم أو إلى أصحابهم على

الرغم من ادعاء الحاكم بها (الفقرتان ٥٢ و ٥٣ من الفصل الخامس فيما بعد) . وقد كان بين الجماعة أيضاً إنكليزي آخر وهو ممثل شركة زيت بريطانية تملك امتيازاً من أبو ظبي . وكان الجنود المرافقون لهم من المرتزقة الذين استخدمتهم الحكومة البريطانية ، لا من القوات التي تعمل تحت قيادة الزعيم العربي . وقام أخ آخر للحاكم فيما بعد برحلة شاملة في الظفرة يصحبه كل من المستر مارتن بكماستر الموظف البريطاني في ساحل الصلح ، وعلى البستاني وهو موظف عند الحكومة البريطانية أيضاً . وقد بذل الثلاثة جهودهم تارة بالوعدوأخرى بالوعيد لإقناع أهالي الإقليم بإعلان ولائهم لأبو ظبي . وقد كان المستر ريتشارد بيرد من موظفي شركة الزيت البريطانية عند أحمد بن إبراهيم ناظر داخلية دولة مسقط ، عندما قام هذا الناظر بزيارة البريمي في محاولة لكسب التأييد في الواحة للسلطان أما عندما قام المستر ولتون - وهو موظف بريطاني آخر في ساحل الصلح - بزيارة البريمي (الملحق ٥٦) ، فقد قام بذلك غير نائب عن أبو ظبي أو مسقط وقد ذهبت الحكومة البريطانية إلى أن زيارات مثل هذه التي قام بها المستر ولتون كانت من قبيل تصريح « مهام إدارية » . ومن الطريف بلا شك أن يقوم الموظفون البريطانيون في تصريح « مهام إدارية » في بلاد كانت الحكومة البريطانية تتنصل دوماً من مسئولية إدارتها ، وأكثر من ذلك غرابة أن تتطلب مثل هذه المهام وجودهم في نقاط تبعد مائة كيلو متر عن الساحل أو أكثر . هذا ولم يسبق أن أشير في الماضي إلى أن مثل هذه « المهام الإدارية » استدعت ذهاب الكابتن هامرتون أو الكولونيل مايلز أو الميجر كوكس إلى البريمي . وكان جميع هذا النشاط المستحدث يجري في الوقت الذي كانت تتفاوض فيه الحكومة البريطانية مع الحكومة العربية السعودية حول مستقبل المناطق التي يتناولها البحث . ولم يكن ذلك النشاط ليجرى لو لم يحتفظ البريطانيون بقوات عسكرية وجوية كبيرة في الإقليم ، وهي قوات لم يترددوا في استعمالها كلما أخذ مركزهم في التدهور . ويبدو أن عبارة « مهام إدارية » تستخدم فيما يتعلق بالحملات

غير المصحوبة بتشكيلات عسكرية كبيرة . أما حينما يتعلق الأمر بضرب حصار حول واحة بأكملها فلا يعود الموضوع مسألة « مهام إدارية » عادية . وأصبح البريطانيون خلال مدة قيام ممثلهم ومن يتعاونون معهم بهذا النشاط غير المعتاد ، على علم تام بالأعمال العادية التي يؤديها الممثلون السعوديون منذ سنوات كثيرة . ففي عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) احتجت الحكومة البريطانية لأول مرة على أعمال جباة الزكاة السعوديين في الظفرة (الملحق ٢٩) مع أن هذه الحكومة كانت تؤيد ادعاء لأبو ظبي بهذا الإقليم بشكل إيجابي منذ عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) .

٣٦٣ - وليس من العسير الوقوف على الأسباب التي دعت إلى هذا النشاط الفجائي من جانب البريطانيين وأعاونهم في المناطق المتنازع عليها خلال السنوات القليلة الماضية . لقد كان البريطانيون يؤيدون ادعاء أبو ظبي المحدد منذ عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) ، غير أن اهتمامهم بالداخل لم يبرز إلا بعد ذلك بسنوات . فعندما انتهت الحرب العالمية الثانية وخلص البريطانيون من مسئولية محاولة حكم شبه القارة الهندية لاحت لهم فرصة إقامة موطنٍ قدم جديد في مكان آخر . فالموظفون الذين سبق لهم أن اكتسبوا المران خلال العمل في الإدارة المدنية الهندية ، كانوا حاضرين للمساهمة في الاستفادة من هذه الفرصة . وبعد أن درس البريطانيون الحالة وجدوا أن البيانات التي تؤيد ادعاء أبو ظبي كانت قليلة وواهية إذا ما قورنت بقوة الموقف السعودي . ولم تكن آراء الكولونيل بلي والمستر اوريمر ، على الرغم من اقتراثها بموافقة الحكومة البريطانية رسمياً ، لتكفي في الصمود أمام ذلك الحشد من الحقائق القديمة والحديثة ، فكان لابد من اتخاذ إجراء عنيف ، ولم يتردد البريطانيون في اتخاذه .

٣٦٤ - إن الصعوبات الخطيرة التي كانت تواجه الموظفين البريطانيين المنصرفين إلى هذا المجال الجديد من النشاط في القسم الداخلي لشرق جزيرة

العرب ، قد أوردت بصراحة تامة في « دليل الأراضي التي تشكل ميدان عماليات شركة نفط العراق المحدودة والشركات المرتبطة بها » . لقد طبع هذا الدليل لأول مرة في عام ١٩٤٨ وأعيد طبعه مرتين على الأقل (في ١٩٤٩ و ١٩٥٠) ، ثم سحب من التداول . والشركات التي تعمل في نطاق مجموعة شركة نفط العراق تملك امتيازات للزيت من كل من أبو ظبي ومسقط ، وكان ممثلوها يبدون نشاطاً في كلتا الدولتين مدة عشرة أعوام أو ما يقاربها قبل طبع ذلك الدليل ، ومن الواضح أن مؤلفي الدليل كان عندهم رصيد واسع من المعلومات يرجعون إليه ويستقون منه . وليست جميع البيانات الواردة في الدليل دقيقة ، إلا أن كثيراً منها يكشف النقاب عن الحقائق . فبالإشارة إلى مشايخ الساحل ، يقول الدليل :

لقد تحاشت الحكومة البريطانية بحكمة أن تتدخل في شؤونهم الداخلية الصغيرة التي كثيراً ما كانت تتسم بطابع العنف . (١٦٩)

لقد كتب هذا في نفس الوقت تقريباً الذي كانت الحكومة البريطانية تتخلى فيه عن تجنبها بحكمة للتدخل (الفقرة ٣٦١ و ٣٦٢ السابقتان) . ولم يكن لدى مؤلفي الدليل رأى طيب في سكان ساحل الصلح :

إن مستوى المعيشة ومدى الرخاء في الساحل هو أقل ما يمكن أن يتصور خصوصاً منذ القضاء على القرصنة المربحة والتدهور الخطير في تجارة اللؤلؤ . (١٧٠)

ومن بين خصائص السكان المحليين (ولا يستبعد من ذلك الحكام دائماً) الجشع الذي يسمى صاحبه إلى الاستفادة في كل وضع والذي لا ينجل صاحبه من أي طلب ، ثم الارتياح في الأجانب وأساليهم مما يجعل التعامل مع الأهالي ورؤسائهم مهمة صعبة جداً ويستدعي صبراً لا يفرغ . والذين لا قيمة له ، والحالات المستقبلية والمفترضة لا اعتبار لها ، والمتطلبات العصرية أمر غير مفهوم . ويبدو أن كراهيتهم للأجانب السائدة قد خفت مؤخراً بسبب الاتصال المتزايد (مع شركاتنا

(١٦٩) « دليل شركة نفط العراق » ص ٦٨ .

(١٧٠) « دليل شركة نفط العراق » ص ٦٨ .

نفسها على الأغلب) وبسبب ظروف الحرب التي جعلت الداخل يعتمد على حكومية صاحب الجلالة في غذائه وكسائه (١٧١) .

ومن الطريف أن نلاحظ أن الأمل الرئيسي في تحسين الأحوال ، كما يراه كتاب الدليل ، معقود على مجموعة شركة نفط العراق والحكومة البريطانية . وإن نظرة مثل هذه لتعطي السياسة البريطانية ، بالطبع ، التبرير الذي تحتاج إليه في تماديها . وكذلك فقد وجد مؤلفو هذا الدليل أن الأراضي التي يسكنها هؤلاء الناس ليست مغرية — على الأقل فيما يتعلق بمعالمها فوق سطح الأرض :

تتألف الأراضي الممتدة من الحدود الجنوبية للحسا (وهي مقاطعة عربية سعودية) حتى منحدرات جبال عمان من منطقة رملية مستوية ممتدة ، ذات طابع منفر وسكان قليلين (١٧٢) .

وما كانت بلدة أبو ظبي لتعتبر بقعة جميلة وسط هذه « المنطقة المملة ذات الطابع المنفر » :

تقع قرية أبو ظبي على جزيرة جرداء في مواجهة الساحل ، ولا تقصدها البواخر . و« قصر » الشيخ هو البناء الوحيد المقبول ، ثم إن موارد المياه رديئة وقليلة جداً ، كما أن الأغذية قليلة (١٧٣) .

وأما فيما يتعلق بقبائل الداخل — بني قتب وبني كعب ونعيم (بما في ذلك آل بوشامس) — فيقول الدليل :

إن القبائل التي تجاور قراها ومراعها الجانب الغربي لجبال عمان يدعى بها سلطان مسقط رعايا له أو أتباعاً له ، كما يدعى شيخ أبو ظبي وشيخ الشارقة وشيخ رأس الخيمة بتبعية جزء منها . ودون السخول في تفاصيل وافيه يقتضى القول بأن أحداً من هؤلاء لم يستطع أن يثبت مقدرته عملياً على السيطرة على هذه القبائل ، أو أن يؤن للشركات حقوقاً كاملة في الوصول والعمل هناك . ولذلك يجب اعتبارهم

(١٧١) « دليل شركة نفط العراق » ص ٦٩ .

(١٧٢) « دليل شركة نفط العراق » ص ٦٨ .

(١٧٣) « دليل شركة نفط العراق » ص ٧٠ .

مستقلين فعلياً ، كما أن مشكلة تأمين الدخول الودي إلى أراضيهم وحرية التنقيب في بلادهم لم يجر حلها بعد (١٧٤) .

والمؤلفون الذين يظهر أنهم كانوا يعلمون عن البريمي أقل مما كانوا يعلمون عن الأقاليم الأخرى ، يشيرون بطريقة مختصرة غير وافية إلى بساتين النخيل التي يملكها هناك نعيم وآل بوفلاح ، على أنهم أدركوا على الأقل سخافة ادعاءات سلطان مسقط ، إذ يقولون :

ان سلطان مسقط يطالب بأن هذه المناطق الأخيرة تقع داخل أراضيه ومنطقة نفوذه ، إلا أنه من الصعب جداً إثبات حجة هذا الادعاء (١٧٥) .

ويدعم صحة هذا الرأي ما ذكره شبيجر عند ما زار البريمي في نوفمبر عام ١٩٤٨ . :

لقد قام السيد سعيد سلطان مسقط مؤخراً بالاصرار على ادعاءاته بالسيطرة على منطقة البريمي ، إلا أن شيوخ القبائل وأفرادها رفضوا هذه الادعاءات بصخب. وإذا كانت تلك القبائل التابعة للقافية تعلم جيداً أن هذه الادعاءات قد سببها النمو المطرد في البحث عن الزيت ، فقد صممت على أن تحول دون مواصلة الأوربيين التنقيب عن الزيت في أراضيهم (١٧٦) .

وأخيراً فبالنسبة إلى أبو ظبي ، إن كل ما يمكن أن تنتظره هذه الدولة تحت السيادة البريطانية يتبين فيما يلي :

ان آخر مرحلة للحركة القومية (التي كان من الضروري أن تصل إلى مراحل جد مختلفة في البلاد المختلفة) كانت على العموم هي الخروج من نوع من الوصاية إلى استقلال تام كدولة عصرية . ومثل هذه الأمانى بالطبع لا وجود لها ولا يكاد يكون لها وجود بين الجماعات البدائية - من الوجهة السياسية - من يقيمون في جنوب جزيرة العرب أو في ساحل الصلح (١٧٧) .

(١٧٤) « دليل شركة نفط العراق » ص ٧٢ .

(١٧٥) « دليل شركة نفط العراق » ص ٧٢ .

(١٧٦) المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١١٦ (١٩٥٠ م) ص ١٤٠ .

(١٧٧) « دليل شركة نفط العراق » ص ٢٩ .

٣٦٥ - وبعد الإشارة إلى « السلطات المحدودة في إصدار الأوامر أو حتى في الإقناع » التي يملكها شيوخ ساحل الصلح ، يمضى دليل شركة نفط العراق فيقول :

ليست هناك في الواقع أية مسألة تذكر بالنسبة إلى تبعية أية قطعة من الأرض لهذا الحاكم أو ذلك (باستثناء تلك القرى التي اتخذها الحكام عواصم لهم) ، فإن المظهر الذي تتخذه سلطة الحكام هو نفوذهم على هذه القبيلة أو تلك ، بصرف النظر عن المكان الذي توجد فيه القبيلة في ذلك الوقت . ولم يسبق أن جرى تخطيط الحدود ، كما أن فكرة وضع الخطوط على الخريطة أو العلامات على الأرض غير معروفة تماماً في أذهان السكان المحليين . ولذلك فإن مساحات الدول المختلفة هي صورية تقريباً (١٧٨) .

إن هذا القول يتسم بطابع خاص من الصحة إذ أن ممثلي شركة النفط حاولوا - حسب ما تقتضى طبيعة العمل - الاستعلام من حاكم أبو ظبي وغيره من الشيوخ عن المدى الذي تذهب إليه أراضيهم عندما كانوا يتفاوضون معهم حول الامتيازات (انظر السرد الذي قدمه البريجادير لونغريج الوارد في الفقرة ٣٥٧ السابقة) . ومع ذلك فإن هذا القول قد أدلى به بعد مضي ثلاثة عشر عاماً من قيام الحكومة البريطانية ، بموافقة حاكم أبو ظبي فيما يفترض ، بتقديم معين يحدد مدى أراضيهم ، وقبل أربع سنوات فقط من تقديم الحكومة البريطانية لخط آخر يختلف جوهرياً في اتجاهه ولكنه يحمل نفس الطابع الذي للأول ، وذلك نيابة عن نفس الحاكم (هناك بحث واف عن خط ريان المقدم عام ١٩٣٥ م وعن خط مؤتمر الدمام عام ١٩٥٢ م في الفصل الخامس من هذا العرض) .

٣٦٦ - ويلخص دليل شركة نفط العراق الوضع الصحيح لسُلطان مسقط في الفقرات التالية :

(١٧٨) « دليل شركة نفط العراق » ص ٦٩ .

وكما يبين السرد التاريخي فإن سلطان مسقط وعمان الذي يرتبط بمعاهدات مع حكومة صاحب الجلالة والذي حصلت الشركة منه على امتيازات ، ليست له سلطة وولاية خارج مسقط وساحل الباطنة وظفار . ويمكن القول بأن داخلية عمان يحكمها جهاز ثلاثي يتألف من الإمام محمد بن عبد الله الخليلي ، ثم الشيخ سليمان بن حير رئيس قبيلة بني ريام - وتسكن الجبل الأخضر - الذي يدعى أنه الزعيم الأعلى لعموم الغافرية ، وهو ادعاء يكتنفه بعض الشك ، ثم الشيخ صالح بن عيسى الزعيم الأعلى لعموم الهناوية . ويضاف إلى ذلك أن هناك عدداً من القبائل التي تحمل القليل من الولاء أو لا تكاد تحمل شيئاً منه بالمرّة لأى من أولئك الثلاثة الكبار أو للسلطان ، وهي لذلك مستقلة بالفعل .

ويمارس السلطان النزر اليسير من السلطة في صور ومنطقة جعلان وكذلك على الساحل الجنوبي الشرقى من جعلان إلى ظفار . أما الظاهرة التي تمتد من البريمي جنوباً إلى عبري فلا تقع داخل منطقة نفوذ الثلاثة الكبار ، على أنها بعيدة أيضاً عن سلطة السلطان. ولذلك فإن هذه القبائل تتمتع بقسط كبير من الحرية (١٧٩).

إن حكومة عمان المزدوجة (التي كانت قوة كبيرة في جزيرة العرب حينما كانت متحدة) لها كثير من المتاعب . والعائلة الحاكمة في مسقط على اتصال حر مع العالم الخارجي ، بينما لا يملك الامام مثل ذلك الأمر . وإذ يسمى الأول وراء الثروة والأساليب الحديثة ، فإن الأخير يجرى وراء العزلة والدين . ولا توجد في بلاد أى منهما خدمات عامة ، كما أن مستوى المعيشة عند كليهما يدهاى جداً . ولكن سلطنة مسقط تحصل على معونة حكومة الهند دائماً. أما أراضي الامام فيما عدا بعض الأطراف فلم يسبق أن زارها أحد من الأوروبيين منذ قرن من الزمان (١٨٠).

٣٦٧ - أقر تقرير وزارة الخارجية الصادر في عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م)

والذي سبقت الإشارة إليه (الفقرة ٣٣٤ السابقة) وصف مسقط الذي ورد في

دليل شركة نفط العراق الصادر في عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) :

... ومع أن القسم الأكبر من العالم الخارجي وخصوصاً الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا التي للسلطان معها معاهدات يترف به حاكماً مستقلاً في قطعة الأرض بأسرها التي ستوصف مناطقها فيما يلي ، إلا أنه لا يكاد يكون لديه أية

(١٧٩) « دليل شركة نفط العراق » ص ٧٤ .

(١٨٠) « دليل شركة نفط العراق » ص ٧٤ - ٧٥ .

سلطنة على أية قبيلة خارج الأراضي المجاورة مباشرة لمسقط وصور وطفار وقرى
الباطنة الساحلية (١٨١).

والقبائل العمانية ، بغض النظر عن الأشياء الأخرى ، مستقلة في التفكير إلى
حد بعيد وفي رأيهم أن معاهدة « السيب » المعقودة في ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م)
أثبتت استقلالهم التام عن السلطان ويظهر أنه من المستبعد أن يتنازلوا بسهولة
عن هذا الاستقلال بأن ينتخبوا السلطان إماماً لهم أو بأن يوافقوا على أي ترتيب
يسمح بإعادة سلطنة السلطان (١٨٢).

ويدعى السلطان أن له نفوذاً على آل بوشامس وقد ذكر أنه يدفع إليهم مكافآت
سنوية وأنه يجمع منهم الغرامات عند ما تحدث أعمال الشغب والإخلال بالنظام
في أراضيهم . ولكن ليس هناك أي دليل على دفع مكافآت أو غرامات في السنوات
الأخيرة . وهناك شك في أن السلطان أو إمام عمان يمارس أية سيطرة في الواقع
فالقبيلة مستقلة من ناحية عملية مع أن هناك أقساماً ، تقيم في أراضي تتبع
للسلطنة دون نزاع (ضنك مثلاً) (١٨٣).

وهنا يجب أن نذكر أن ضنك لا « تتبع للسلطنة دون نزاع » .

٣٦٨ - وفي مقالة ظهرت في العدد الصادر في عام ١٣٦٩ هـ (إبريل
١٩٥٠ م) من المجلة الجغرافية الكندية ، يقدم المستر رونالد كودراي الذي أقام
في ساحل الصلح بعض الزمن ممثلاً لمجموعة شركة نفط العراق ، شهادة بريطانية
أخرى حول الوضع الحقيقي لسلطنة مسقط وحول وجهة النظر البريطانية في وضع
واحة البريمي :

تشتمل عمان من ناحية جغرافية على ساحل الصلح وواحة البريمي في الشمال
الغربي وعلى ظفار في الجنوب الغربي . أما من الناحية السياسية فهي أبعد ما تكون
عن كيان واحد ، فساحل الصلح مشيخة مستقلة (كذا) وعمان نفسها سلطنة
مستقلة والبريمي منطقة محايمة صغيرة . أما ظفار فهي جزء منعزل من السلطنة
لا تكاد تزيد على كونها مصيفاً للسلطان .

(١٨١) « مذكرات عن القبائل » ص ١ .

(١٨٢) « مذكرات عن القبائل » ص ١٠ .

(١٨٣) « مذكرات عن القبائل » ص ١١ .

والبدوي العاني رجل حرب بروحه يدين بالولاء لقبيلته لا لدولته . وقد كانت القبائل منذ عام ١٩١٣ ثائرة علناً وقد انتخبت منها إماماً وهو الزعيم الديني . وهكذا تقتصر سلطة الساطان الفعلية على مسقط والقسم الملاصق لها من المنطقة الساحلية . وليس لمراسيمه أية فائدة في خارج هذه المنطقة ، مما جعل السفر في عمان أمراً عسيراً بشكل غير مألوف (١٨٤) .

ونرجو توجيه النظر بصورة خاصة إلى وصف كودراى للبريمي « بمنطقة محايدة » وهذا بالطبع رأى بريطاني خالص . وقد وردت أول بادرة رسمية عن اعتراف الحكومة البريطانية بادعاء أبو ظبي بأجزاء من البريمي ، وردت في المذكرة البريطانية الموجهة في عام ١٣٦٩ هـ (٤ ديسمبر عام ١٩٤٩ م) للملكة العربية السعودية (الفقرة ٥٩ من الفصل الخامس فيما بعد) . ويظهر أن النظرة الرسمية الجديدة لم تكن قد نقلت إلى المستر كودراى عندما كتب مقاله (الذي ربما كان قد أعد بالطبع قبل ديسمبر عام ١٩٤٩) ، ولكن كان لا بد له أو لشركته من تلقي ذلك في حينه . إن دليل شركة نفط العراق بين التعاون الوثيق بين موظفي الحكومة البريطانية وممثلي شركات الزيت البريطانية في جزيرة العرب :

بالنظر إلى الظروف السياسية والاجتماعية البدائية فإنه من الطبيعي ألا يجري العمل إلا على أساس العون والإرشاد المبدؤين من الساطات البريطانية التي يستطيع موظفوها السياسيون ، الذين يحتفظون على قلوبهم بملاقات وثيقة مع جميع عناصر الشعب ، أن يقوموا بتوفير الأمن والمعلومات الضرورية لاستمرار العمل (١٨٥) .

٣٦٩ - وفي مؤتمر الدمام الذي عقد في عام ١٣٧١ هـ (يناير ١٩٥٢ م) تدم المندوبون البريطانيون بالنيابة عن حاكم أبو ظبي خريطة تبين خطأ وصف بأنه يمثل الحدود التي يدعى الحاكم بها . وكانت هذه الخريطة نسخة من واحدة أعدتها الجمعية الجغرافية البريطانية الملكية لتشرح عليها الرحلات التي قام بها

(١٨٤) المجلة الجغرافية الكندية (١٩٥٠ م) ص ١٨٤ .

(١٨٥) « دليل شركة نفط العراق » ص ٥٨ .

ويلفرد شيجر^(١٨٦). وكانت النقطتان الرئيسيتان في أقصى الجنوب والجنوب الشرقي موردى الماء القرينى وأم الزمول (انظر إلى الخريطة الأولى المرفقة بهذا العرض). وكان هذان الموردان غير معروفين لدى البريطانيين حتى قام شيجر بهذه الرحلة عبر الرمال الواقعة إلى الجنوب من الظفرة في عام ١٣٦٦ هـ (أواخر ١٩٤٦ م). وبالنظر إلى الملاحظات الواردة في دليل شركة نفط العراق (الفقرة ٣٦٥ السابقة) فإن المرجح أنهما لم يكونا معروفين أيضاً لدى حاكم أبو ظبي. وما يستحق الذكر أن شيجر لم يذكر كلمة واحدة عن نفوذ أبو ظبي أو أية علاقة للحاكم بالمنطقة التي يقع فيها هذان الموردان عندما مر بها في عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٦ م)^(١٨٧).

٣٧٠ - وإذ حل عام ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) كان النشاط الحديدى للبريطانيين وأعاونهم في المنطقة التي يدور عليها البحث الآن قد وصل إلى حد اضطر السكان إلى أن يجددوا بقوة التماساتهم من الحكومة العربية السعودية بتعيين أمير للبريمي يحافظ على حقوقهم. ووصل تركي آل عطيشان إلى البريمي بصفته الأمير السعودى في يوم عيد الأضحى (١٠ ذى الحجة ١٣٧١ هـ الموافق ١ سبتمبر ١٩٥٢ م) فاستقبل بمظاهرة رائعة من الحماس الشعبى والإخلاص للملكة السعودية^(١٨٨). ولأجل تسهيل إقامة العدل، عين الأمير الشيخ مبارك بن على بن سالم من آل بو شامس قاضياً لكي يعمل جنباً إلى جنب مع الشيخ عبد الله بن عبد العزيز (الفقرة ٣٥٩ السابقة) الذي كان يقظ الفكر وقتى الروح وإن كان متقدماً في السن. ومن الحديدى بالذكر أن الشيخ مبارك قاض يتبع المذهب المالكي وإن كان يبنى أحكامه في كثير من الأحيان على نصوص مأخوذة من كتب الحديث الرئيسية للمذهب الحنبلى.

(١٨٦) المجلة الجغرافية البريطانية، مجلد ١١١ (١٩٤٨ م).

(١٨٧) المجلة الجغرافية البريطانية، مجلد ١١١ (١٩٤٨ م) ص ٦ و ٧ و ١٠.

(١٨٨) ستعرض الأحداث التي وقعت عقب وصول ابن عطيشان في الفصل الخامس فيما بعد.

٢١ - حكم الملك سعود بن عبد العزيز ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م)

٣٧١ - توفي جلالة الملك عبد العزيز في ٢ ربيع الأول ١٣٧٣ هـ (٩ نوفمبر ١٩٥٣ م) وخلفه ولده سعود . وإذ كان صاحب الجلالة الملك سعود وثيق الارتباط بوالده في شئون إدارة الدولة خلال سنوات كثيرة ، فقد أصبح عارفاً تمام المعرفة بالمبادئ التقليدية للحكم السعودي ، وقد كرس نفسه ليوفر لشعبه أقصى ما يمكن من مزايا حكومة إسلامية صحيحة تعمل في العالم الحديث . وإن جلالته يرغب بإخلاص في تسوية ودية للمشاكل القائمة بينه وبين الحكومة البريطانية ، إلا أنه - مثل والده الراحل - قوى الإحساس بالحقوق التاريخية لآل سعود ورغبات شعبه الثابت على الإخلاص والولاء لعرش جلالته .

٣٧٢ - توفي الإمام محمد بن عبد الله الخليلي في ٢٩ شعبان ١٣٧٣ هـ (أوائل مايو ١٩٥٤ م) . وقد انتخب شعب عمان وزعماء الأباضية الشيخ غالب بن علي الهنائي إماماً على عمان ، وهو الذي كان قد اختير لهذا المنصب الجليل بموافقة الإمام السابق قبل ذلك بقليل . أما سلطان مسقط فقد كان يبذل جهوده لعدة سنوات محاولاً إقناع شعب عمان أنه مرشح لائق لهذا المنصب .

وكذلك فقد تمسك بأهداب الدين وفروضه كما أعاق كثيراً من التطورات الممكنة منذ عام ١٩٤٨ ، وعمليات الزيت بوجه خاص . ثم إنه حاول أن يبني لنفسه سمعة تتركز على السنة الدينية الصحيحة . (١)

بيد أن أهالي عمان تمسكوا برفضهم قبول أحد أفراد آل بو سعيد رئيساً لدولتهم .

(١) « مذكرات عن القبائل » ص ١٤ .

٣٧٣ - وكما سوف يبين بتفصيل أوفى في الفصل الخامس ، فقد لجأ البريطانيون وأعدائهم إلى استخدام القوة العسكرية بعد وصول تركي آل عطيشان إلى البريمي ، مع أن جماعة ابن عطيشان الصغيرة كانت مدنية في طابعها . وقد نصت اتفاقية التوقف الموقعة في عام ١٣٧٢ هـ (٢٦ أكتوبر ١٩٥٢ م) على الكف عن استخدام مثل هذه القوة ولكن البريطانيين عادوا إلى استخدامها بعد أن ألغوا الاتفاقية في عام ١٣٧٢ هـ (٢ إبريل عام ١٩٥٣ م) من جانب واحد . وقد أعادت اتفاقية التحكيم الموقعة في عام ١٣٧٣ هـ (٣٠ يوليو ١٩٥٤ م) المساواة العسكرية في المناطق الخاضعة للتحكيم . وفي المفاوضات التي أدت أولاً إلى اتفاقية التوقف ثم إلى اتفاقية التحكيم كما سيوضح في الفقرتين ٩٥ و ١٠٩ من الفصل الخامس فيما بعد ، سعت الحكومة العربية السعودية إلى تطبيق النصوص على منطقة أوسع بكثير مما كانت الحكومة البريطانية مستعدة لأن تقبله . ويمكن ملاحظة موقف الحكومة البريطانية هذا فيما يتعلق بالأعمال التي اتخذها سلطان مسقط وأعدائه منذ ٢٩ ذى القعدة (٣٠ يوليو ١٩٥٤ م) في المناطق الخارجة عن مجال اتفاقية التحكيم . ومع أن الأثر المباشر لهذه الأعمال يقع على مناطق خارجة عن نطاق هذا التحكيم ، إلا أن هذه الأعمال جديرة بالتدوين هنا ، حيث أن وقعها لا يزال ملموساً حتماً في المناطق الخاضعة للتحكيم كما أنها تمس مشاعر الأهليين الذين يعيشون هناك بصورة مباشرة . وكما أعلنت الحكومة العربية السعودية باستمرار ، فإن البريمي لا تقع داخل فراغ معزول عن الإقليم المحيط بها ، ولا يمكن لسكانها إلا أن يتأثروا عندما يتعرض أقاربهم وأصدقائهم المجاور لإزعاج أجنبي .

٣٧٤ - ومعظم الأعمال التي أشير إليها في الفقرة السابقة قد اتخذت باسم سلطان مسقط ، حيث أن تحديد المناطق التي تخضع للتحكيم لا يدع مجالاً واسعاً لأعمال مماثلة تتخذ باسم حاكم أبو ظبي . وعندما وقعت اتفاقية التحكيم ،

كان هناك مركز عسكري في محضة باسم السلطان وهي لا تبعد إلا كيلومترات قليلة فيما وراء دائرة البريمي . وينبغي التأكيد بأن محضة تقع على بعد أكثر من أربعين كيلو متراً إلى غرب المركز الذي وصفه وزير السلطان وناظر ماليته عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) بأنه الموقع الذي يعين الحد الغربي لدولة مسقط ، ولم يسبق لجندي واحد من جنود السلطان أن عسكر في محضة قبل وصول ابن عطيشان إلى البريمي . وإن الإبقاء على هذا المركز واستمرار نشاط الجنود المعسكرين هناك منذ توقيع اتفاقية التحكيم لأمر هام بالنظر إلى إصرار الحكومة البريطانية على تحديد نصف قطر دائرة البريمي بأقل من خمسة وعشرين كيلو متراً . وأن الأسلوب الذي اتبعه جنود السلطان لإيذاء الرعايا السعوديين في محضة يتجلى في أقوال عبيد بن جمعة وهو شيخ قبيلة بني كعب وأبرز شخصية في محضة ، وقد أخرج من موطن آبائه وأجداده وأرغم على الفرار هرباً بحياته (الملحق ١١٣) . وقد ارتكبت أعمال عدوانية أخرى منذ توقيع اتفاقية التحكيم . وإن عجز السلطان عن السيطرة وحده على الأراضي المدعى بها باسمه ، ليتضح من أن الأعمال التي تقوم بها القوات في محضة يوجهها الضباط البريطانيون وينفذ أغلبها قوات عدن التي تجلبها الحكومة البريطانية . وهناك عدد آخر من المراكز المشابهة محتفظ بها في الجبال بين محضة ووادي القور في الشمال ، أي أنها واقعة فيما هو معترف بأنه ديرة بني كعب . على أن المركز في محضة ، وهو أقرب الجميع إلى دائرة البريمي ، لا يزال أكثرها تهديداً بالخطر .

٣٧٥ - ويتضمن التاريخ المسرود في الصفحات السابقة بيانات عديدة

للموظفين البريطانيين آخرها يعود إلى خمس سنوات ماضية فقط (الفقرة ٣٦٧ السابقة) وهي تؤكد بأن سلطة السلطان محصورة في الساحل . وقد اعترفت مسقط بموجب معاهدة السيب الموقعة عام ١٣٣٨ هـ الموافق ١٩٢٠ م (الفقرة ٣٣٤ السابقة) باستقلال أهالي عمان في الداخل . ولكن على الرغم من ذلك فإن هدف

الحصول على نقطة ارتكاز للسلطان هناك لم يصرف النظر عنه إلى الأبد . ففي أواسط عام ١٣٧٣ (فبراير عام ١٩٥٤ م) اتخذت الخطوة الرئيسية الأولى نحو تحقيق هذا الهدف عندما أرسلت فصيلة من جنود مسقط يقودها ضباط بريطانيون ، ونزلت في الدقم على الساحل الجنوبي لعمان بصحبة فرقة استكشاف أوفدتها شركة الزيت البريطانية في مسقط . وفي شهر أكتوبر توغل الجيولوجيون والجنود من الدقم إلى الداخل مسافة خمسمائة كيلو متر تقريباً وذلك بقصد إقامة مركز في فهود على مقربة من الحدود الجنوبية لإمامة عمان . أما الخطوة التالية فقد جاءت بعد ذلك بأسابيع قليلة عندما قطعت فصيلة من جنود مسقط بقيادة ضباط بريطانيين الجبال واحتلت بلدة عبري الهامة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من البريمي . وكانت نتيجة هذه الأعمال الإحداق بالإمامة من كل جانب مع فرض حصار عسكري يبلغ من الإحكام والشدة ما بلغه الحصار الذي فرض على البريمي خلال تولى ابن عطيشان مهام منصبه .

٣٧٦ - إن المحاولة لتوسيع سلطة سلطان مسقط بالقوة العسكرية جنباً إلى جنب مع البحث عن الزيت ، لتظهر في الحوادث التي وقعت في عبري خلال الشهور القليلة الماضية ، وقد جرى ذكر احتلالها في الفقرة السابقة . ولم يكن للسلطان في الماضي وال أو حاكم على عبري (قارن بالفقرة ٢٥٦ السابقة) ، في حين أنه كان لإمام عمان وال هناك منذ عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) (الفقرة ٣٤٣ السابقة) إلى أن جرى احتلال المكان تحت إشراف الضباط البريطانيين عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) . وقدم موظف من حكومة السلطان بصحبة الجنود الذين وصلوا إلى الموقع معلناً بأنه هو الآن والى عبري . وفي محاولة لإظهار سلطته ، قام الولى المزعوم يسنده الجنود بإرغام الأهليين في المناطق المجاورة على دفع مبالغ من المال خلال القسم الأخير من ١٣٧٤ هـ (أوائل صيف عام ١٩٥٥ م) تحت ستار الزكاة الإسلامية . ولم يكن السلطان في

الماضى قادراً على جمع الزكاة الصحيحة (قارن بالفقرة ٣٢٨ السابقة) ، وهذه المحاولة فى القيام بمثل هذه الجباية فى مثل هذا التاريخ المتأخر لتتطوى على اعتراف ذى مغزى عن أهمية الزكاة الصحيحة فى تقرير السيادة فى دولة إسلامية .

٣٧٧ - إن النكبة الحالية التى حاقت بأهالى عمان قد دفعت الشيخ سليمان ابن حمير زعيم الجبل الأخضر واليد اليمنى للإمام الحديد إلى توجيه نداء مؤثر فى كتاب إلى جلالة الملك سعود بتاريخ ١١ ذى القعدة سنة ١٣٧٤ (الموافق أول يوليو سنة ١٩٥٥) :

بسم الله الرحمن الرحيم

مولاي صاحب الجلالة الملك سعود المعظم

لقد أحاط بنا الانجليز والسيد سعيد وأمرهم لا يخفى عليكم فينا ونحن لا لنا حول ولا قوة إلا بالله وبكم وأنت أخبرتنى لما كنت فى حضرتك العلية قلت لى من أراد منا فنحن لا نرى بدا منه فنحن ومن حاله من حالنا نريد منكم وندخل تحت ظل حمايتكم العلية والمشايخ الأمراء آل حمده (زعماء قبيلة بنى بوعل) (٣) كذلك وأقول أنا أول صديق عمانى لكم وحاشاك أن تتخذنا ونحن نطلب منك فمجل لنا بتصرتك رجالا وقوة وأرضنا كلها أرضك حيث تريد تنزل أصحابك ونستجير بالله وبك فالغوث الغوث . . .

(٣) انظر الفقرة ٥٤ السابقة من أجل الوقوف على تاريخ بداية دخول هذه القبيلة فى ولائها القديم لآل سعود .

٢٢ - النتائج

٣٧٨ - لقد كان أساس حكم آل سعود لمدة قرنين من الزمان هو السير على العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وتمت العودة إليها بزعامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وقد انتشرت الدعوة إلى التوحيد ، وهي أول حركة في العصر الحديث لتطهير حياة المسلمين ورفع شأن الإسلام ، من مراكز في الغرب إلى أندونيسيا في الشرق ، غير أن جزيرة العرب بقيت محورها ومركزها ، كما أن أعظم وقع وتأثير لها كان في نفوس عرب الجزيرة . وقد أخرج آل سعود في غمار تأييدهم لهذه الحركة سلسلة من الحكام العظام المخلصين لعقيدتهم والمكرسين أنفسهم لشعبهم . ففي حكومتهم ، التي قامت على أساس الشرع ، كانوا دائماً على صلة وثيقة برعاياهم . وبينما هم على استعداد إذا ما دعت الحاجة لخوض غمار القتال في سبيل قضية عادلة ، فإن أئمة آل سعود ما زالوا يعتقدون أن صيانة السلام العربي هو أفضل الوسائل لرعاية مصالح الناس في الجزيرة .

٣٧٩ - إن استمرار الدولة السعودية ظل سليماً خلال القرنين الماضيين . وعندما تسبب التدخل الأجنبي في توقف سير الحكم السعودي مدة قصيرة خلال اوائل القرن التاسع عشر ، وكذلك عندما أصبح هذا الحكم ضعيفاً حوالى أواخر القرن نفسه ، فقد بقيت مثل الدولة تعيش في قلوب الناس ، كما قوبل رجوع المظاهر الخارجية لهذا الحكم بحمد الله والثناء عليه . وكان أعظم استرداد للحكم هو الاسترداد الأخير الذي قام به الملك عبد العزيز « الذي يكاد يكون آخر الأبطال والفرسان »^(١) . « والقصة تجعل قلوب العرب تنبض ، كأنها ملحمة لا تزال ذكرها عالقة بالأذهان »^(٢) .

(١) السر أولاف كارو « منابع القوة » (١٩٥١ م) ص ٣٧ . كان السر أولاف وزير الشؤون الخارجية في حكومة الهند خلال الحرب العالمية الثانية .

(٢) كارو ، ص ٣٥ .

٣٨٠ - وتؤكد هذا التاريخ الروابط القديمة الباقية على مر الزمن بين آل سعود والمناطق المتنازع عليها . لقد جرى ذكر البريمي أكثر بكثير من ذكر المناطق الغربية - الظفرة وغيرها - لأن البريمي كانت مركز الإدارة الرئيسي شرق الحسا . وممارسة السلطة على المناطق الغربية من قبل الموظفين السعوديين في البريمي أمر مفروغ منه ، على أن الأسلوب المرن الذي انتهجته الحكومة السعودية في الترتيبات الإدارية ، كان يسمح أحياناً بأن تقوم الحسا أو الرياض بممارسة الإشراف المباشر . وكانت أغلبية حركة التنقل بين نجد والحسا من ناحية ، وإقليم البريمي من ناحية أخرى ، تتخذ سبيلها دائماً عن طريق البر لا عن طريق البحر . وجميع المناطق الغربية تقطنها قبائل يعود ولاؤها لآل سعود إلى قرن ونصف في الماضي . أما بالنسبة للبريمي نفسها فإن هذا السرد التاريخي يقدم قائمة طويلة بأسماء امراء سعوديين عينوا هناك بشكل رسمي امتدت خدمة بعضهم هناك مدة سنوات طوال . وكان بجانب كل أمير قاض يتولى السلطة القضائية العليا في الإدارة . وقد اوردت أسماء عدد كبير من هؤلاء الأشخاص ، ولكن الوثائق الباقية لم تسجل أسماءهم جميعاً . وبالإضافة إلى هؤلاء الموظفين ، كانت الحكومة العربية السعودية تعتمد دائماً على رؤساء القبائل الذين يحتفظون بمناصبهم بفضل السلطة المركزية ويعملون باسمها . وقد تتجول القبائل ، التي يمارسون سلطاتهم عليها ، بعيداً عن العاصمة ، ولكن أحداً من وكلاء الملك لم يسبق له أن قال لهم بعجرفة إنهم لن يروا وجه ملكهم (قارن بالفقرة ٣٠٠ السابقة) .

وإن أهالي إقليم البريمي وكذلك أهالي المناطق الغربية ليرتبطون باستمرار مع آل سعود برباط الإسلام ، وهناك ركنان من بين أركان الدين الخمسة جديران بتنويه خاص في هذا الصدد ، وأحدهما هو دفع الزكاة السنوية إلى الإمام المعترف به ، وذلك هو الأسلوب المتبع في الإسلام للإقرار بسيادة الحاكم الذي يتعين عليه مقابل ذلك أن يمنح الحماية عند الحاجة (انظر الفقرة ٣٨

من الفصل السادس فيما بعد). أما الركن الثاني وهو الحج إلى بيت الله فقد عمل على تيسيره كثيراً المركز المحترم الذي يتبوأه ملك البلاد العربية السعودية بوصفه خادماً الحرمين الشريفين ، ومهمته هذه تعتبر من أقدس الأمانات في الإسلام .

٣٨١ - وليس لحكومة سلطان مسقط أى أساس ديني ترتكز عليه . فإن آل بو سعيد لم يخرج إمام من نسلهم الرئيسي منذ قرن ونصف من الزمان . والسلطان الحالي ، وهو أباضي ، قد رفضه بشدة جماعة الأباضية على وجه العموم في سنة ١٣٧٣ هـ (شهو مايو ١٩٥٤ م) . كما أنه ليس للسلطان أية سلطة لجمع الزكاة أو ممارسة غيرها من مظاهر السلطة في الحكم الإسلامي . فحكومته دنيوية مقصورة على الساحل ، لأن الأكثرية الغالبة من أهالي عمان في الداخل يرغبون في العيش في ظل حكومة دينية . وحكومته كذلك لا تقوم إلا بالمساندة البريطانية ، وبدون هذه المساندة ما كان بوسعها أن تبقى وتُدوم ، كما أقر بذلك وكرره مراراً الموظفون البريطانيون العاملون ببواطن الأمور . ومنذ الحرب العالمية الأولى والإنكليز يحتلون المراكز الرئيسية في حكومة السلطان كما يشرف الضباط البريطانيون على قواته العسكرية . على أن هذا جميعه لم يكن كافياً فقد وجدت الحكومة البريطانية أنه من الضروري أن تجلب جنوداً من الخارج في الأزمات .

٣٨٢ - وكما يتبين من هذا العرض ، فإنه لم يكن هناك اتصال له أهمية تذكر بين مسقط والبريمي في الماضي . فعلى عكس ما هو الحال بشأن المملكة العربية السعودية ، لا تستطيع مسقط تقديم قائمة تتضمن أسماء أمراء أو قضاة أو غيرهم من الموظفين الذين خدموا باسمها هناك . ولقد أكد الموظفون البريطانيون مراراً عدم وجود أية سلطة تتصل بالسلطان في البريمي ، كما سبق للمصادر البريطانية أن ذكرت في السنوات الأخيرة بأنه ليست هناك أسس يرتكز عليها أى ادعاء لمسقط بالبريمي .

٣٨٣ - وليس لحكومة أبو ظبي أيضاً أية أسس دينية يرتكز عليها حكمها ، فهي تقوم في الدرجة الأولى على السياسة البالية التي تتبعها الحكومة البريطانية في الخليج الفارسي . وحكومة أبو ظبي هذه بدائية الشكل لدرجة تجعل من الصعب على البريطانيين أن يسيطروا عليها بنفس الطريقة التي يتبعونها مع حكومة مسقط ، فالموظفون البريطانيون لا يحتلون مراكز رئيسية لأن مثل هذه المراكز ليس لها وجود . وعلى الرغم من ذلك ، فإن سلطة البريطانيين ، مع أنها تمارس في أبو ظبي بأسلوب يقل في مظهره عما هو عليه الحال في مسقط ، إلا أنها تتساوى في فعاليتها في كل من أبو ظبي ومسقط . ونكتفي هنا بذكر مثل واحد فقط على ذلك ، وهي الطريقة التي رسم بها البريطانيون خط حدود ليقدم باسم الحاكم ، نظراً لعجز الأخير عن « تفهم الخطوط على الخريطة أو العلامات على الأرض » (الفقرة ٣٦٥ السابقة) .

٣٨٤ - وكما يتبين من هذا السرد ، فإن السلطة المزعومة لأبو ظبي في المناطق الغربية المتنازع عليها تكاد تكون كلياً من اختراع الموظفين البريطانيين ، وهم الذين وضعوا الأسس على الورق ، دون الواقع ، لادعاءات بأراض ما زال كثير من أجزائها مجهولاً لدى رؤساء أبو ظبي وأهاليها القليلين . وفي خلال السنوات العشرين الماضية تكون لدى البريطانيين اهتمام متزايد بهذه الأراضي جعل الحكومة البريطانية تتخلى عن سياستها التقليدية بالابتعاد عن داخل جزيرة العرب وبتجنب التدخل في الأمور الداخلية للبلاد الواقعة تحت حمايتها . أما فيما يتعلق بصلبة أبو ظبي بالبريمي ، حيث يملك الحاكم وأفراد عائلته مزارع نخيل ، فإننا نكتفي هنا بأن نؤكد الحقيقة بأن المصادر البريطانية الرسمية لم تكن تحتوى قبل ديسمبر ١٩٤٩ على أية إشارة لأية سيادة يتمتع بها الحاكم على الواحة . والمصادر البريطانية التي تسبق ذلك كانت تتجه إما إلى الاعتراف بالسلطة السعودية على البريمي أو أنها تردد وجهة النظر الرسمية التي ثبتت عليها الحكومة البريطانية

باستمرار خلال النصف الأول من هذا القرن ، بأن الواحة كانت مستقلة تحت سلطة زعماء نعيم الذين لم ينكر البريطانيون ولاءهم لآل سعود وللدعوة إلى التوحيد منذ القدم .

٣٨٥ - وإذ تطالب المملكة العربية السعودية بالمناطق المتنازع عليها فإنها لا تسعى وراء ضم أراض جديدة. فإن مطالبتها تقوم على أساس أن هذه المناطق مع سكانها كانت ، ولا تزال ، سعودية منذ مائة وخمسين عاماً . وينظر هؤلاء الأهالي الذين يملأ نفوسهم ولاء لآل سعود موروث ، إلى المملكة العربية السعودية في عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٥ م) على أنها خير أمل لتحقيق الوحدة الإسلامية ، والاتحاد العربي ، والتحرير من السيطرة الأجنبية .

الفصل الخامس

التاريخ الدبلوماسي ١٣٢٩ - ١٣٧٣ هـ (١٩١١ - ١٩٥٤ م)

١ - في الفصول السابقة قدم وصف لجغرافية المناطق المتعلقة بعمل الهيئة ولسكان تلك المناطق وتاريخها المحلي . وسيخصص هذا الفصل لعرض التاريخ الدبلوماسي لهذه المناطق مع تحليل للأهمية الحاضرة لشتى المفاوضات والمقترحات والمقترحات المضادة والاتفاقات (بما في ذلك الاتفاقات المزعومة والاتفاقات التي لم يكتمل وجودها) والخلافات التي برزت في ذلك التاريخ . وتشمل الحوادث المسرودة الفترة من نحو سنة ١٣٢٩ إلى سنة ١٣٧٣ هـ (١٩١١ - ١٩٥٤ م) . وهي تبدأ بالمفاوضات الانكليزية التركية بين عامي ١٣٢٩ و ١٣٣٢ هـ (١٩١١ و ١٩١٤ م) بشأن أمور الخليج الفارسي ، وبالنشاط المعاصر للملك عبد العزيز الذي كان إذ ذاك قد استقر تماماً على عرش آبائه حاكماً لنجد . وفي المرحلة التالية ، بعد فترة الهدوء التي تلت حرب ١٣٣٢ - ١٣٣٧ هـ (١٩١٤ - ١٩١٨ م) ، بدأت المفاوضات بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتحدة في صدد هذه المناطق في عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) واستمرت حتى عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) وفي أثناء حرب ١٣٥٨ - ١٣٦٤ هـ (١٩٣٩ - ١٩٤٥ م) تركت هذه المفاوضات جانباً دون الوصول إلى أى تفاهم ، ثم استؤنفت في عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) واستمرت بشيء من الانتظام بضع سنين . ولما تعذر الاتفاق عن طريق المفاوضات ، اتفق الجانبان في عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م) من حيث المبدأ على التحكيم ، وبعد محادثات أخرى مسهبة وقعا في يوم ٢٩ ذى القعدة ١٣٧٣ هـ (٣٠ يوليو سنة ١٩٥٤ م) اتفاقية التحكيم التي شكلت بمقتضاها هيئة التحكيم هذه لحل خلافاتها .

١- المفاوضات الإنكليزية التركية ١٣٢٩-١٣٣٢ هـ (١٩١١-١٩١٤ م)
 ٢- في عام ١٣٢٩ هـ (مارس ١٩١١ م) ، وبناء على طلب الحكومة العثمانية ، بدأت مباحثات بين تركيا والمملكة المتحدة بقصد تسوية المشاكل المختلفة التي كانت قائمة بينهما إذ ذلك . وقد كانت تركيا - بسبب متاعبها مع إيطاليا في شمال إفريقيا ولأسباب أخرى - راغبة في الوصول إلى اتفاق مع بريطانيا . وفي سبيل الحصول على ذلك كانت مستعدة لأن تتنازل لمصلحة بريطانيا عن امتيازات محسوسة ، وخصوصاً في مناطق مثل الخليج الفارسي حيث يمكن التضححية بادعاءات تركيا القائمة على الورق دون خسارة واقعية تذكر . ولم يعرف الاتجاه المعقد لهذه المفاوضات إلا منذ عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) عندما نشرت الحكومة البريطانية القسم الثاني من المجلد العاشر من السلسلة الرسمية « للوثائق البريطانية بشأن أسباب الحرب ١٨٩٨-١٩١٤ » بإشراف المؤرخين الكبيرين الأستاذ جوتش والأستاذ تمبرلي . والوثائق التي طبعت في هذا المجلد - ويبدو أنها تقدم سجلاً يكاد يكون كاملاً للمفاوضات من وجهة النظر البريطانية - هي المصدر الرئيسي للسرد التالي . .

٣- قوبلت المقترحات الافتتاحية التي قدمتها تركيا^(١) برد بريطاني^(٢) في عام ١٣٢٩ هـ (٢٩ يوليو ١٩١١ م) أورد المسائل التي ستبحث تحت العناوين الثلاثة التالية :

(١) خط سكة حديد بغداد (وكان في ذلك الوقت موضوعاً رئيسياً للمنافسة الإنكليزية الألمانية)^(٣)

(٢) المصالح المتقابلة لكل من بريطانيا وتركيا في منطقة الخليج الفارسي

(١) جوتش وتمبرلي ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ٢٥ - ٢٦ .
 (٢) جوتش وتمبرلي ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ٤٥ - ٤٨ .
 (٣) في موضوع سكة حديد بغداد راجع كتاب إيرل « تركيا والدول العظمى وسكة حديد بغداد » (١٩٢٣ م) .

(٣) زيادة الرسوم الجمركية التركية التي كانت حسب النظام السائد يومذاك تتطلب موافقة الحكومة الأجنبية التي يعينها الأمر .

غير أنه قد أكد أن المسائل الثلاث متشابكة تشابكاً وثيقاً بحيث لا يستطاع تسوية إحداها مستقلة عن المسألتين الأخرين . وعلى هذا الأساس جرت المفاوضات طوال عامي ١٣٢٩ و ١٣٢٠ هـ (١٩١١ و ١٩١٢ م) حتى وقع مندوبو الحكومتين بالأحرف الأولى ثلاثة مشاريع اتفاقيات وتصريحات مختلفة مرفقة بها في عام ١٣٣١ هـ (٦ مايو ١٩١٣ م) على أن يرجع فيها إلى جهات الاختصاص^(٤) . وتتعلق مشاريع الاتفاقيات هذه بسكك الحديد في آسيا الصغرى ، وبشئون الخليج الفارسي وبالملاحة في شط العرب .

٤ - وبعد مباحثات وتعديلات أخرى وقعت الاتفاقيتان الخاصتان بالخليج الفارسي وشط العرب والتصريحات المختلفة المرفقة بهما في لندن في عام ١٣٣١ هـ (٢٩ يوليو ١٩١٣ م) من قبل إبراهيم حتى باشا عن تركيا والسر أودورد جري عن بريطانيا^(٥) . وحالت الصعوبات التي نشأت حول اتفاقية سكة الحديد دون توقيعها في ذلك الوقت ، والواقع أن الاتفاقية لم تصل قط إلى مرحلة التوقيع . ونصت اتفاقية شط العرب في المادة ٢١ على أن يبقى ذلك الترتيب سارياً مدة ستين سنة من يوم توقيعه . أما اتفاقية الخليج الفارسي فقد نصت من ناحية أخرى في المادة ١٨ على ما يلي :

سيصدق على الاتفاقية الحالية وسيجرى تبادل وثائق التصديق في لندن حالما يسنى ذلك ، وعلى أقصى تقدير في غضون مدة ثلاثة أشهر .

(٤) النصوص في كتاب جوتش وتمبرلي ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ١٠٠ - ١١٤ .
 (٥) النصوص في كتاب جوتش وتمبرلي ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ١٨٣ - ١٩٨ . كانت الوثيقتان باللغة الفرنسية .

وعلى الرغم من هذا النص فإن حتى باشا قال في تصريح أفضى به يوم التوقيع إن الاتفاقيتين لن تصبحا ساريتين ما دامت الحكومة البريطانية تتمسك بتحفظات معينة صيغت في مذكرة بنفس التاريخ من السر أدورد جرى . وهذه التحفظات جعلت موافقة بريطانيا على بعض الإصلاحات الضريبية والإدارية التركية معلقة على توقيع تركيا لاتفاقية سكة الحديد وعلى سماح تركيا بإدخال تغييرات على صلاحيات مصر في الاقتراض^(٦) . ولم يحدث قط فيما بعد أن سحب أى تحفظ من هذه التحفظات كما لم يسحب تصريح حتى باشا .

٥ - إن اتفاقية الخليج الفارسي التي وقعت في يوم ٢٩ يوليو - وللسهولة سيشار إليها فيما بعد باسم الاتفاقية الانكليزية التركية عام ١٩١٣ - تعالج في القسم الأول وضع الكويت وحدودها (وكانت الكويت بارزة حينئذ كمحطة نهائية محتملة لسكة حديد بغداد) ، وفي القسم الثاني قطر ، وفي القسم الثالث البحرين ، وفي القسم الرابع اعتراف تركيا بالإجراءات البريطانية في الخليج الفارسي لمساعدة أعمال الملاحة والبوليس البحري والحجر الصحي . وينص القسم الخامس والأخير على أن ترسم لجنة تخطيط على الأرض الحدود المختلفة المحددة في نص الاتفاقية . وفي تصريح سرى مرفق ، وافقت تركيا على سحب موظفيها وقواتها من الكويت وعلى دفع مبلغ ألف جنيه لشيخ البحرين لتنازله عن جميع ادعاءاته في جزيرة الزخنونية الواقعة بالقرب من الساحل جنوب البحرين غير بعيد عن ميناء العقير .

٦ - فيما يتصل بالتحكيم الحالى ، تعد المادة الحادية عشرة أهم قسم من الاتفاقية ، وهي أول مادتين في الجزء المعنون « قطر » ونصها الكامل كما يلي :

إن سنجق نجد العثاني ، وحده الشمالى ميبين بخط الحدود الموضح في المادة السابعة من هذه الاتفاقية ، ينتهى صوب الجنوب عند الخليج تجاه جزيرة الزخنونية التي تتبع

(٦) النصوص في كتاب جوتش وتمبرلى ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ١٩٦ - ١٩٨ .

السنجق المذكور . وسيتمد خط يبتدىء من الطرف الأقصى للخليج المذكور في اتجاه الجنوب إلى الربع الخالي مباشرة ، ويفصل نجد عن شبه جزيرة قطر . وحدود نجد موضحة بخط أزرق على الخريطة المرفقة بالاتفاقية الحالية (ملحق ه (أ)) . أما وقد تنازلت الحكومة العلية العثمانية عن جميع ادعائها المتصلة بشبه جزيرة قطر ، فالمفهوم لدى الحكومتين أن شبه الجزيرة المذكورة سيحكمها - كما كان الحال في الماضي - الشيخ قاسم بن ثافي وخلفاؤه من بعده . وتعلن حكومة صاحب الجلالة البريطانية أنها ان تسمح لشيخ البحرين بأن يتدخل في الشؤون الداخلية لقطر أو أن يتعدى على الحكم الذاتي لتلك البلاد أو أن يضمها إليه . (٧)

٧- إن هذه المادة هي مصدر « الخط الأزرق » المشهور الذي يبدو في الخريطة الأولى المرفقة بهذا العرض . وهناك نقطتان ينبغي مراعاتهما فيما يتعلق بهذا الوصف أولهما أن الجزء الأكبر من الأرض التي وصفت بأنها سنجق « نجد » العثماني هو في الواقع داخل منطقة الحسا الساحلية . وثانيتهما أنه من الهراء الجغرافي التحدث عن الخط الأزرق باعتبار أنه يفصل « نجد » عن شبه جزيرة قطر ، وهي رأس داخل في البحر تقع قاعدته على مسافة غير قريبة شرق الخط الأزرق على زاوية قائمة معه ، كما أنه لا معنى لاعتبار الخط الأزرق مقرراً للحدود السياسية لقطر ، لأن الخط يخترق مناطق داخلية لم يسبق لها أي ارتباط بتلك المشيخة حتى في عرف البريطانيين أنفسهم . إن أحد الألفاظ المحيطة بالخط الأزرق التي لم تحل بعد ، هو إلى أية وحدة أو وحدات سياسية يستطيع البريطانيون أن ينسبوا إليها ملكية الإقليم الداخلي الشاسع الواقع شرق الخط ، دون أن يقعوا في حرج ظاهر . ففي جميع شرق جزيرة العرب لم يوجد ولا يوجد حاكم يقع تحت السيطرة البريطانية يستطيع أن يدعى بشكل مقبول بعشر هذا الإقليم .

٨- وبسبب استمرار الصعوبات في وضع الترتيبات المتعددة الجوانب اللازمة لسكة حديد بغداد والامتيازات الاقتصادية الأخرى ، لم يصدق على

(٧) جوتش وتمبرلي ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ١٩٣ .

اتفاقية عام ١٩١٣ في فترة الأشهر الثلاثة المحددة . وتم توقيع اتفاقيات إضافية مدت مدة التصديق من قبل بريطانيا وتركيا في ٢١ أكتوبر ١٩١٣ و ١٠ ديسمبر ١٩١٣ و ١١ فبراير ١٩١٤ و ٢٤ مارس ١٩١٤ و ٢٦ يونيو ١٩١٤ ، وحدد آخر هذه الاتفاقيات ٣١ أكتوبر سنة ١٩١٤ آخر موعد لتبادل وثائق التصديق^(٨) . وحتى ٢٠ أغسطس ١٩١٤ ، بعد بدء الحرب في أوروبا ، اقترح الممثل التركي أن تمضي الحكومتان في التصديق ، ولكن لا يبدو أن هذا الاقتراح قد عمل به من جانب البريطانيين .^(٩) وبحلول ٣١ أكتوبر ١٩١٤ أصبحت الأمتان على بعد ساعات قليلة من الحرب ، وأصبح عدم التصديق على اتفاقية عام ١٩١٣ حقيقة دائمة في التاريخ .

٩ - بينما كان التصديق على اتفاقية عام ١٩١٣ يؤجل المرة تلو المرة ، وقعت تركيا والمملكة المتحدة اتفاقية في لندن في عام ١٣٣٢ هـ (٩ مارس ١٩١٤ م) بصدد حدود عدن - وسيشار إليها فيما بعد بالاتفاقية الإنكليزية التركية عام ١٩١٤ . وقد قضت هذه الاتفاقية بتبادل وثائق التصديق في غضون ثلاثة أشهر ، ويقال إن ذلك تم في عام ١٣٣٢ هـ (٣ يونيو ١٩١٤ م) .^(١٠) وقد أيدت الاتفاقية قبل كل شيء بعض البروتوكولات (وهي ملحقة بالاتفاقية) التي وضعت في أعوام ١٩٠٣ و ١٩٠٤ و ١٩٠٥ م من قبل المفوضين البريطانيين والترك ، الذين كانوا قد قاموا بمسح خط الحدود ورسمه على الأرض بين الأراضي التي أعلن أنها تابعة لعدن والأراضي التي أعلن أنها تابعة « لولاية اليمن » التركية .

(٨) جوتش وتمبرلي ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ٢٤١ و ٢٨٢ .

(٩) جوتش وتمبرلي ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ٤٢٠ .

(١٠) ورد هذا التاريخ في كتاب « المعاهدات » لايتشيسون ، مجلد ١١ ، ص ٤٣ . ولكن من العجيب أن وثائق التصديق لم تنشر في ذلك الوقت سواء في « سلسلة المعاهدات » البريطانية الرسمية أو في سلسلة « الأوراق البريطانية والأجنبية الرسمية » .

(١١) نص الاتفاقية والبروتوكولات وارد في كتاب « المعاهدات » لايتشيسون ، مجلد ١١ ، ص ٤٢ - ٥٢ . ونص الاتفاقية (بدون البروتوكولات) في كتاب جوتش وتمبرلي ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ٣٤٠ - ٣٤١ .

وبعد تنقيحات ثانوية تتصل بهذه الحدود ، مضت الاتفاقية فنصت على أنه من نقطة اسمها لكمة الشعوب (أو الأشعوب) بالقرب من النهاية البرية للخط المسوح

. . . تتبع حدود الأراضي العثمانية خطاً مستقيماً يمتد من لكمة الشعوب في الاتجاه الشمالي الشرق إلى صحراء الربع الخالي في زاوية ٤٥ درجة . ويتصل هذا الخط في الربع الخالي عند خط عرض ٢٠ درجة ، بالخط المستقيم المباشر المتجه جنوباً الذي يبدأ من خليج العقير عند نقطة على الساحل الجنوبي ، والذي يفصل الأراضي العثمانية لسنجق نجد عن أراضي قطر وفقاً للمادة ١١ من الاتفاقية الإنكليزية العثمانية بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩١٣ الخاصة بالخليج الفارسي والأراضي المحيطة به . وأول الخطين موضح باللون البنفسجي وثانيتها باللون الأزرق في الخريطة الخاصة المرفقة مع هذا

وهذا الخط الخاص باتفاقية عام ١٩١٤ ، الذي سيشار إليه فيما بعد بالخط البنفسجي ، يظهر في الخريطة الأولى المرفقة بهذا العرض .

١٠ - بينما كان الممثلون البريطانيون والتركي في لندن يقومون في عامي ١٩١٣ و ١٩١٤ م بالتصرف بحدود جزيرة العرب غيابياً على هذا النحو أخذتهم الأحداث التي جرت هناك على حين غرة . ففي فصل الربيع من سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) تحرك الملك عبد العزيز ليطرد الحامية التركية من الحسا ويعيد تلك المنطقة إلى موضعها بين ممتلكات آل سعود . وفي أوائل شهر مايو سقطت الحفوف بعد هجوم ليلي مفاجيء ، وتلتها القطيف بعد بضعة أيام ، وفي غضون الشهر خرج الترك من الحسا بعد أن سمح لهم بأن يذهبوا بحرية وسلام . (١٢) فلما وقعت الاتفاقية الإنكليزية التركية في ٢٩ يوليو لم يكن قد بقي للترك فيما سمي « سنجد نجد العثماني » أية سلطة . وقد كتب السر برسي كوكس الذي

(١٢) غير ما كتب بلغة غربية عن هذا الفتح هو ماورد في كتابي قلبي « اليوبيلى العربى »

(١٩٥٢م) ص ٢٩ - ٣١ و « البلاد العربية السعودية » (١٩٥٥ م) ص

كان آئذ المعتمد السياسي البريطاني في الخليج الفارسي عن هذا الانقلاب المفاجيء :

كان يمكن أن يكون ذلك تطوراً طريفاً متوقماً في أى وقت حتى اللحظة التي بدأنا فيها هذه الاتفاقية الودية مع الترك ، معترفين على وجه التحديد وبصورة عرضية بأن الحسا جزء من ممتلكات تركيا . وحدث هذه الآن أمر غير مناسب أبداً . . . فنحن الآن في موقف عسير لإزائه (أى عبد العزيز) . (١٢)

١١ - وكما سيرد في سياق هذا السرد فيما بعد ، زعمت المملكة المتحدة في سنين تالية أن الملك عبد العزيز عقد اتفاقاً مع السلطات التركية في عام ١٣٣٢ هـ (١٥ مايو ١٩١٤ م) ، أى بعد سنة من فتح الحسا ، حمل بمقتضاه لقب والى نجد وارتضى الاشراف التركي على علاقاته الخارجية . ويبدو أن المملكة المتحدة استنتجت من ذلك في سنوات متأخرة أن حاكم نجد قد قبل بموجب عمله هذا الاتفاقيات الانكليزية التركية السابقة لذلك التاريخ وصار خاضعاً لها . أما أنه قد جرت مكاتبات ومباحثات بهذا الشأن ، فيبدو أن هذا قد وقع بالفعل ، غير أنه لم يكن العثور في المحفوظات السعودية على نص أى اتفاق سعودي تركي منجز . (١٤) وسواء كان هناك فعلاً اتفاق من هذا النوع أم لا ، فذلك على أى حال أمر قليل الأهمية إذا روعى سياق الحوادث في تلك الفترة ، فقد كان الوقت وقت منافسات سياسية حادة لا بين الدول الأوروبية وتركيا فحسب ، بل كذلك بين زعماء جزيرة العرب أمثال الملك عبد العزيز والملك الحسين شريف مكة المكرمة وآل رشيد . ففي السنوات العشر السابقة كانت هناك سلسلة دائمة من المناورات المعقدة التي كان الترك يحاولون عن

(١٣) نقلاً عن كتاب فيليب جريفز « حياة السر برسي كوكس » (١٩٤١ م) ص ١٧٠ - ١٧١ . وطبعاً لم تعترف الاتفاقية بالحسا على وجه التعيين جزءاً من ممتلكات تركيا ، إذ أنها لم تشر إلى الحسا إطلاقاً .

(١٤) قارنه بمحدث الشيخ يوسف ياسين مع المسر رفدل والسر ريدير هولارد في يوم ١٩ مارس ١٩٣٧ (الفقرة ٤٣ : اللاحقة) .

طريقها انقاذ مركزهم المتداعى بمناصرة زعيم ضد آخر . فبينما كان الترك في عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) يتحدثون مع السيد الحديد في الحسا كانوا يبعثون بالأسلحة والمال إلى آل رشيد ليستخدموها ضده .^(١٥) وأصدق عبارة عن هذه الإجراءات البيان المجمل الوارد في كتاب وزارة الخارجية البريطانية نفسها بعنوان « دليل الصلح عن تركيا الآسيوية » وقد نشر في عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) :

أدى مسعى أخير قام به الترك الاحتفاظ ببقية من نفوذ عن طريق إقناع ابن سعود بالاعتراف بسيادتهم الاسمية على الأراضي التي كان قد كسبها فعلا ، أدى إلى مفاوضات استمرت من سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) إلى سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) وانهارت بنشوب الحرب .^(١٦)

١٢ - ولم تكن المملكة المتحدة نفسها زاهدة عن الاشتراك في هذه المباراة في السياسة العربية .^(١٧) فلم يمض وقت طويل على سقوط الحسا في يد حاكم نجد ، حتى زاره في العقير الوكيل السياسي البريطاني في البحرين ، وتلا ذلك رسائل من السر برسي كوكس .^(١٨) وقبل نهاية السنة زار الرياض الكابتن شيكسبير الوكيل السياسي في الكويت . ويبدو أن عبد العزيز لم يبلغ في هذه المحادثات بشيء عن المفاوضات الإنكليزية التركية في لندن التي كانت الحكومة البريطانية تتعامل فيها مع غيره بشأن الأراضي التي كانت في حوزته . غير أن علاقات البريطانيين معه استمرت طوال عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) دون أن

(١٥) فلي « البلاد العربية السعودية » ص ٢٦٩ و « اليوبيل العربي » ص ٣٥ .
(١٦) كتاب وزارة الخارجية البريطانية « دليل الصلح رقم ٥٨ : تركيا الآسيوية » (١٩٢٠ م) ص ١١ - ١٢ .

(١٧) انظر بصفة عامة كتاب فلي « اليوبيل العربي » ص ٣٤ - ٤١ .
(١٨) تتضمن المحفوظات السعودية مثلا الكتاب التالي من كوكس إلى عبد العزيز بتاريخ ٩ شوال سنة ١٣٣١ هـ (نحو ١١ سبتمبر سنة ١٩١٣ م) : « ردأ على رسالتكم المؤرخة في ٣ رمضان سنة ١٣٣١ هـ التي تبديون فيها رغبتكم في معرفة موقف بريطانيا ، أبلغكم انها تريد الصداقة . على أنه ينبغي معرفة مطالبكم لا يمكن الاعتراف مع الدولة العثمانية باستقلال قطر » .

تعرض لعقبات ظاهرة بسبب نصوص الاتفاق السعودي التركي المزعوم المؤرخ ١٥ مايو ، وتبدلت بين الطرفين آيات الصداقة والتقدير . ويلاحظ أن هذه السياسة لم تلق موافقة إجماعية حتى في داخل الحكومة البريطانية نفسها . ففي عام ١٣٣٢ هـ (٣١ مارس ١٩١٤ م) صدر التعليق التالي عليها في مضبطة يلوح أنها كتبت بقلم المستر ألوين باركر الموظف المسئول الأول عن المفاوضات التركية في وزارة الخارجية البريطانية :

كنت أشعر دائماً بأن السياسة التي نتبعها تجاه ابن سعود مفعمة بمخاطر شديدة على سلامة تركيا ، وكنت شخصياً أعارض دائماً معارضة شديدة في المقابلات التي جرت بينه وبين موظفينا . (١٩)

غير أن الاتصالات البريطانية السعودية استمرت على الرغم من هذه الآراء النظرية ، حيث لم يكن أمام المملكة المتحدة من الناحية العملية سبيل آخر للاختيار . (٢٠)

١٣ - وفي عام ١٣٣٢ م (أواسط شهر أكتوبر سنة ١٩١٤ م) قبيل بدء الحرب بين تركيا والمملكة المتحدة ، تجمعت في البحرين قوة بريطانية جردت من الهند . ولو كان هناك اعتقاد جدي في الدوائر البريطانية في ذلك الوقت بأن الحسا لا تزال خاضعة للسيادة التركية ، لما كان أيسر من تحريك فصيلة من هذه القوة ، بمجرد إعلان الحرب ، ضد أرض العدو المجاورة هذه ، واحتلال المدن الرئيسية وإبعاد التهديد التركي للجناح البريطاني . والواقع أن شيئاً من هذا لم يحدث . ويبدو أنه لم يطرأ قط على الجانب البريطاني أي خاطر بشأن اعتبار الحسا تركية في ذلك الوقت . وقد تحركت الحملة شمالاً في الخليج للاستيلاء

(١٩) جوتش وتمبرل ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ٨٢٩ .

(٢٠) بألفاظ السر برسي كوكس : « إذا لم نصل إلى ضرب من ضروب الاتفاق الموقت ، فإن حكومة الهند وهذا الشخص المتواضع في المنطقة نفسها سيكون لديهم كثير مما يقلقهم » . جريفرز « حياة كوكس » ص ١٧١ .

على البصرة ، واستدعى الكابتن شيكسبير مرة أخرى للمفاوضة مع عبد العزيز وقبل أن تتمكن هذه البعثة من أن تؤتي ثمرتها ، قتل شيكسبير في معركة جراب بين السعوديين وآل رشيد في أوائل عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م) . والكتاب الذي أعلن فيه عبد العزيز وفاته إلى السر برسي كوكس كتاب خالد باعتباره تأبيناً بسيطاً ولكنه مؤثر ، من محارب لمحارب :

لقد حاربنا ضد ابن رشيد في أرطوى وتلت ذلك معركة كبيرة يا للخسارة ان صديقنا المخلص والشخص النادر الذي يتنى لنا الخير قد أصيب من بعيد ومات . وكنا قد ألحنا عليه ليتركنا قبل القتال ولكنه أصر على أن يخوضه قائلاً « ان أوامري أن أكون معكم وفي ذهابي مخالفة لشرقي وأوامري ، ويجب أن أبقى بالطبع » . أرجو إبلاغ أسنى لحكومة جلالة الملك . (٢١)

١٤ - أجلت وفاة الكابتن شيكسبير لبضعة أشهر الاتفاق الذي كان على بريطانيا بمقتضاه أن تعترف رسمياً بالحالة التي كانت قد وجدت في شرق جزيرة العرب لعدة سنين ، غير أنه في عام ١٣٣٤ هـ (ديسمبر ١٩١٥ م) اجتمع عبد العزيز والسر برسي كوكس في بلدة دارين الواقعة على جزيرة قرب القطيف . ونتيجة لذلك تمت معاهدة دارين عام ١٣٣٤ هـ (٢٦ ديسمبر ١٩١٥ م) (٢٢) ، وقد نصت في المادة الأولى منها على

أن الدولة البهية الإنكليزية أكيداً تعترف وتقر بأن النجد والحسا والقطيف والجيل وما يليها وحدودها التي سنتذكر بها وستتمين بعد حين وبندرها على شواطئ خليج فارس هي من ممالك ابن سعود ومالك أجداده السابقين منه فهذه الوسيلة تعرف ابن سعود المشار إليه حاكماً مستقلاً على الممالك المذكورة ورؤساً مطلقاً على عشايرها وبعده أولاده وأعقابهم بالوراثة . . .

(٢١) أوردتها السر أرنولد واسن في كتابه « الولاة » مجلد ١ (الطبعة الثانية، ١٩٣١ م) ص ٣١ .
(٢٢) الترجمة الإنكليزية للنص واردة في كتاب أيتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٢٠٦ - ٢٠٨ . ويشير بعض الكتاب إلى المعاهدة أحياناً باسم معاهدة القطيف . أما وقد وقعت المعاهدة من الجانب البريطاني بمعرفة موظف مسئول أمام حكومة الهند ، فقد أرسلت المعاهدة إلى تلك الحكومة للتصديق عليها ، فتم ذلك في يوم ١٨ يوليو سنة ١٩١٦ .

وطبقاً للمادة الثالثة تعهد عبد العزيز بالألا يدخل في مكاتبات أو اتفاقات مع أية دولة أخرى ، ووافق بمقتضى المادة الرابعة على أن يتبع مشورة بريطانيا « بشرط » - وهو شرط هام - « ألا تكون ضارة بمصالحه الخاصة » . وتعهد طبقاً للمادة السادسة بأن

... يتعهد كما عملوا أجداده^(٢٣) من قبله أن يتجنب من التعدي والمداخلة في حدود الكويت والبحرين ومشايخ قطر وساحل عمان الذي هم تحت حماية الدولة البهية ولهم روابط المعاهدة مع الدولة المذكورة ، وسيتمين تحديد حدودهم فيما بعد .

١٥ - يمكن أن يقال إن معاهدة دارين التي كان لها أن تبقى سارية حتى تحل محلها معاهدة جدة بتاريخ ١٨ ذى القعدة ١٣٤٥ هـ (٢٠ مايو ١٩٢٧ م)^(٢٤) تمثل خاتمة هذه الفترة الأولى في التاريخ الدبلوماسي للمشكلة الحاضرة . فقد يكون من المفيد إذن التريث قليلاً وبحث الآثار الدائمة - إن كانت ثمة آثار - لهذه السلسلة من الحوادث . والنقط الرئيسية للمشكلة هي طبعاً مسألة الخط الأزرق . والواقع أن الحد الغربي للمناطق المشمولة بهذا التحكيم ، وهي التي يحددها الخط الذي طالبت به أبوظبي في عام ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) ، لا يقع عند أية نقطة متطرفة إلى الغرب تطرف الخط الأزرق . وإذن لم يعد الخط الأزرق نفسه خط حدود ممكن حتى في نظر المملكة المتحدة . ومع ذلك فإن المملكة المتحدة قد استعانت بخيال لهذا الخط في الماضي لتأييد الحجة القائلة بأنه قد اعترف وفقاً لهذا الخط بأن أراضي الحكام الخاضعين للحماية البريطانية تمتد غرباً إلى هذا المدى ، وبأن المملكة العربية السعودية باتت ملزمة بهذا الاعتراف ،

(٢٣) وردت كلمة « أبوه » بالمفرد في الترجمة الإنكليزية للمعاهدة كما نشرها آيتشيسون . ويحتمل أن تكون خطأ مطبعياً صوابه « أجداده » وفقاً لما هو وارد في النص الرسمي العربي أي « آباؤه » بالمعنى المتداول .

(٢٤) سلسلة معاهدات عصبة الأمم ، مجلد ٧١ ، ص ١٣١ - ١٦٤ . وكتاب « المعاهدات » « لأيتشيسون » مجلد ١١ ، ص ٢٢٧ - ٢٣٣ (النص الإنكليزي فقط) .

ومن ثم فإن أية حقوق تدعيها المملكة العربية السعودية شرق الخط الأزرق ينبغي تبيان الحصول عليها بطريقة صحيحة بعد ذلك الاعتراف .

١٦ - ان ما تعرضه بريطانيا، على ما يستطاع استقصاؤه من البيانات الواردة في مكاتبات دبلوماسية جرت بعد ذلك (٢٥) ، هو ما يلي : في عامي ١٣٣١ و ١٣٣٢ هـ (١٩١٣ و ١٩١٤ م) كانت تركيا الدولة المعترف دولياً بأنها ذات سيادة في القسم الشرقي من جزيرة العرب الممتد جنوباً حتى منطقة النفوذ البريطاني . إن أحداً لا ينكر أن الاتفاقية الإنكليزية التركية عام ١٩١٣ التي حددت الخط الأزرق لم يصدق عليها قط ، غير أن اتفاقية عام ١٩١٤ التي صدق عليها والتي حددت الخط البنفسجي قد أشير فيها على التخصيص إلى الخط الأزرق . وقد اعتبر هذا قبولاً للخط الأزرق فصار بعد ذلك نافذاً باعتباره التزاماً يربط تركيا طبقاً لاتفاقية عام ١٩١٤ لا اتفاقية عام ١٩١٣ . ويقال إن إخراج الملك عبد العزيز للترك من الحسا في عام ١٣٣١ هـ (مايو ١٩١٣ م) لم يضعف أثر ذلك الالتزام المقيد لسبب من السببين التاليين أو كليهما : أن المملكة العربية السعودية باعتبارها الدولة التي خلفت الدولة العثمانية ملزمة بالأوضاع الإقليمية لسابقتها إلى أن يتم تعديلها بطريقة مشروعة ، وأنه طبقاً لاتفاق الملك عبد العزيز مع الترك بتاريخ عام ١٣٣٢ هـ (١٥ مايو ١٩١٤ م) الذي قبل فيه فيما يقال لإشراف تركيا على علاقاته الخارجية ، فإن الملك عبد العزيز اعترف بالترتيبات التركية السابقة فيما يتعلق بالحدود ووافق عليها .

١٧ - وفي رأي الحكومة العربية السعودية أن العرض الآنف الذكر ليس له ما يستند به بحال . وهي تشير أولاً إلى الحقيقة التي لا جدال فيها وهي أن اتفاقية عام ١٩١٣ ، مهما قيل فيها ، لم يصدق عليها قط . ولم يقتصر الأمر على أنه لم

(٢٥) توجد أمثلة في المذكرتين البريطانيتين بتاريخ ٢٨ ابريل ١٩٣٤ (الملحق ٤) وبتاريخ ٢٥ يوليو ١٩٥٠ (الملحق ٣١) .

يصدق عليها قط ، بل إن التصديق عليها قد أرجىء مراراً وتكراراً بإجراءات إيجابية من الجانبين ، وهذا دليل واضح على عدم رغبتهما في وضعها موضع التنفيذ . وكما ذكر آنفاً ، كانت اتفاقية عام ١٩١٣ عنصراً واحداً فقط في تسوية شاملة جرت بشأنها مفاوضات حتى عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) ، والواقع أنها لم تنجز قط . ومما يذكر أيضاً أن هذا الإرجاء قد حدث مرتين بعد توقيع اتفاقية عام ١٩١٤ ومرة بعد التصديق عليها . وفي مثل هذه الظروف ، ليس من المقبول أبداً أن يقال إن الجانبين قد أرادا إخراج الخط الأزرق من السياق ، وهو في الواقع مرتبط أوثق ارتباط بمسألتى الكويت والبحرين ، ثم اعتباره وحده نافذاً بواسطة إشارة موجزة في اتفاقية عام ١٩١٤ . والأقرب تمشياً مع العقل أن تعتبر الإشارة إليه في عام ١٩١٤ مجرد تسهيل لتحديد نقطة ينهى عندها الخط البنفسجي - وهي نهاية توافق خط الحدود المتوقع امتداده من الشمال دون الاحتياج إلى تعديل آخر .

١٨ - وهكذا إذا كان من الصعوبة بمكان تبيان أن الخط الأزرق ملزم لتركيا ، فإن مما يزيد على ذلك صعوبة تبيان أنه قد صار في أي وقت مضى ملزماً للمملكة العربية السعودية التي لم تكن طرفاً في الوثيقة الأصلية . وواضح أن المملكة السعودية نفسها لم تقبل أو توافق قط على الخط الأزرق كما سيتضح مما سيرده هذا العرض عن المفاوضات التالية ، فالمسألة إذن هي : هل يمكن أن تكون المملكة العربية السعودية قد أصبحت ملزمة بأية طريقة غير مباشرة ؟ لقد تحدث البريطانيون عنها باعتبارها « الدولة التي خلفت العثمانيين » ، غير أن المملكة العربية السعودية لا تعد نفسها ولم تعد نفسها قط الدولة التي خلفت الإمبراطورية العثمانية . فمثلاً ، لم يسبق قط لأية حكومة أن اقترحت جادة أن الامتيازات التي كانت تتمتع بها الدول الأجنبية في الولاية العثمانية كانت تسرى على الأراضي الخاضعة لآل سعود كما أن المملكة العربية السعودية لم تقبل قط تبعة أي نصيب في الدين العثماني العام القديم .

وفيما يتعلق بالحسا وشرق جزيرة العرب على وجه خاص ، ترى الحكومة العربية السعودية أن الملك عبد العزيز بطرده الترك في عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) لم يعمل سوى أن استأنف إشرافه على ممتلكات مشروعة لآبائه جردوا منها في فترة ضعف بواسطة الاحتلال التركي العسكري .

١٩ - وحتى لو فرض أن المملكة العربية السعودية ، بوصفها الدولة التي خلفت تركيا ، ملزمة بالاتفاقيات التركية السابقة ، فإن ذلك لا يؤدي إلى أنها ملزمة بالخط الأزرق ؛ فطبقاً لوجهة النظر البريطانية ظفر الخط الأزرق بأثره القانوني من اتفاقية عام ١٩١٤ التي صدق عليها في عام ١٣٣٢ هـ (٣ يونيو ١٩١٤ م) وفي ذلك الوقت كان عبد العزيز قد استقر « خليفة » للترك في الحسا مدة تزيد على سنة ، ومهما يكن الأمر فيما يتعلق بالاتفاقيات التركية السابقة ، فالمؤكد إنه لم يلتزم بأية ترتيبات دخلت مرحلة التنفيذ بعد أن أصبح « خليفة » . فبحلول عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) صار بمفرده صاحب الصلاحية للتصرف بأمر المناطق التي يمر بها الخط الأزرق اللهم إلا إذا خولت تركيا بطريقة ما أن تتصرف باسمه .

٢٠ - وهذا يصل بنا إلى النقطة الأخيرة التي أثارها المملكة المتحدة بعد سنوات ، ألا وهي اتفاق ١٣٣٢ هـ (١٥ مايو ١٩١٣ م) المزعوم . وكما ذكر قبلاً ، لم يعثر بين المحفوظات السعودية على مثل هذه الوثيقة . ومع ذلك ، فلو وجدت لوجب أن ينظر إليها على ضوء الظروف المحيطة بها باعتبارها مناورة عابرة في توازن القوى العربية المتأرجحة . وإذا وجدت ، فالمؤكد أنها لم تتم بنية خالصة من ناحية تركيا التي كانت في نفس ذلك الوقت مشغولة بتسليح أعدى أعداء الملك عبد العزيز . وإذا كانت قد وجدت فإنها اعتبرت على الفور وثيقة عفا عليها الدهر بدليل أنها لم تقف في وجه الموظفين البريطانيين الذين أسندت إليهم المشكلة الخاصة بحماية المصالح البريطانية في المنطقة نفسها من ناحية عملية ،

فخصوا يتعاملون مع الملك عبد العزيز متجاهلين بدورهم مناورات الترك ومخاوف المستر باركر في لندن . فلا يليق أن تأتي المملكة المتحدة بعد عشرين أو أربعين سنة لتدعى وجود قوة ملزمة لوثيقة ، إن كانت موجودة ، فإنها قد تجاهلتها عملياً في ذلك الوقت . ومن العسير أن يحق للمملكة المتحدة إمساك العصا من طرفها ، وقد سبق أن اختارت السبيل المضاد لهذا الاتفاق المزعوم في أيام الكابتن شيكسبير .

٢١ - ويزداد التناقض في الادعاءات البريطانية وضوحاً بنصوص معاهدة دارين التي اعترفت الحكومة البريطانية فيها بأن « النجد والحسا والقطيف والجبيل وما يليها وحدودها هي من ممالك بن سعود وممالك أجداده السابقين » وبأنه كان « حاكماً مستقلاً » عليها . ومثل هذه التعابير تتعارض معارضة تامة مع الخط الأزرق لأنها تعد عبد العزيز - بحق - خليفة لآبائه من قبله ، وقد امتدت أراضيهم إلى أبعد بكثير من حدود « نجد » كما ورد في الاتفاقية الإنكليزية التركية عام ١٩١٣ . وإننا نعرض أن الاعتراف الوارد هناك يكون عقبة مانعة جديدة في وجه أى تقرير من المصادر البريطانية بأن عبد العزيز كان خلفاً للأتراك كحاكم في شرق جزيرة العرب أو أنه كان ملزماً بمفاوضاتهم مع البريطانيين .

٢ - مفاوضات ١٣٥٢ - ١٣٥٧ هـ (١٩٣٤ - ١٩٣٨ م)

٢٢ - لم تثر المملكة المتحدة أية صعوبات بشأن الحدود الشرقية والجنوبية الشرقية لأراضي الملك عبد العزيز طيلة ما يقرب من عشرين سنة بعد توقيع معاهدة دارين في عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) . وفي هذه السنين ، جاب ممثلو أمير الحسا جميع أنحاء الأراضي المشمولة بالتحكيم الحالى وغيرها فجمعوا الضرائب ، واستردوا الممتلكات المسروقة ، وأقروا الأمن العام دون أن تبدوا بادرة احتجاج من حاكم أبوظبي أو من سلطان مسقط . ولم يقل أحد قط إن هذا النشاط قد تجاوز في أى وقت من الأوقات المنطقة الصحيحة أو أنه تعدى على أراضي آخرين .

٢٣ - وفي الحق إنه لمن الصعوبة بمكان تصور صدور أية شكوى في ذلك الوقت . فبعد سنوات من الحروب التي دافعت فيها القوات البريطانية عن سلطان مسقط ، اعترف السلطان في معاهدة السيب الموقعة في ١١ محرم ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) (الفقرة ٣٣٤ من الفصل الرابع فيما سبق) بافتقاره التام إلى السلطة على شعب عمان . وفي الفترة عينها ، كان حاكم أبوظبي يؤكد في رسائل إلى الملك عبد العزيز الوحدة القائمة بينهما كما يؤكد أن

« أهل المقاصد إن شاء الله لا يرون منا مجال ولا نلتفت إلى زعمهم وظنونهم الفاسدة » (١) .

وبعد نحو سنتين كتب مرة أخرى يقول :

« ولا شك أننا لكم في هذه الأطراف عيناً باصرة لكم بخالص النصح ، والاجتهاد لما فيه مصالحكم مثل ما أن الأخ الشيخ عبد الله بن جلوي في ناحية بلدكم الحسا قاوماً بالاجتهاد في أوامر جنابك فنحن كذلك إن شاء الله في هذا الطرف الشرقى قايمين

(١) كتاب الشيخ حمدان بن زايد بتاريخ ٥ ربيع الأول سنة ١٣٣٦ هـ (نحو ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٧ م) (الملحق ٤) .

بالاجتهاد لما فيه مصالح الجميع مثل ما تظنوا وزيادة وشركا في الخير وضده كمضو
بغير مفصل والفرق معدوم مدة الحياة والتقلوب شواهد على ذلك» (٢).

٢٤ - وفي مؤتمر عقد في العقير في أواخر عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) وشهده كل من الملك عبد العزيز والسر برسي كوكس ، عقدت اتفاقات حددت الحدود بين ممتلكات الملك من ناحية الكويت والعراق من ناحية أخرى (٣). ولم يعقد اتفاق بشأن الحدود الشرقية والجنوبية الشرقية ، ولا يبدو أن أى مسعى في هذا السبيل قد بذل ، كما أنه لم يحدث تلويح بالخط الأزرق أو الخط البنفسجى . وعند تحديد تخوم الكويت وهى تختلف كل الاختلاف عن تخوم الكويت التى كانت موضع التفكير فى اتفاقية عام ١٩١٣ ، كما أنها كانت على نطاق أضيق ، أدرجت إشارة وردت عن الخط فى الوثيقة السابقة ، وذلك رغبة فى تبسيط الوصف الجغرافى ، غير أنه لم يذكر أن اتفاقية ١٩١٣ أو أى جزء منها كان ملزماً . وعلى عكس ذلك قال السر برسي كوكس للملك إن الحدود بين قطر ونجد ينبغى على أساس صحتها أن تمتد من سلوة إلى خور العديد - وهو رأى يتعارض تعارضاً تاماً مع كل من الخط الأزرق وادعاءات أبو ظبى فى خور العديد . ووقفت المسألة عند هذا ، ولم يذكر شىء آخر عنها عندما جرت المفاوضات فى سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) لتحل معاهدة جدة (٤) محل معاهدة دارين التى صارت غير ذات موضوع منذ وقت طويل . والمعاهدة

(٢) كتاب مؤرخ ٢٤ جادى الثانية سنة ١٣٣٨ هـ (نحو ١٥ مارس سنة ١٩٢٠ م) (المحقق ٣) .

(٣) الاتفاقات مؤرخة يوم ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٢ . وقد وردت الترجمة الإنكليزية لنصوصها فى كتاب « المعاهدات » لايتسون ، مجلد ١١ ، ص ٢١١ - ٢١٤ .

(٤) «سلسلة معاهدات عصبة الأمم» ، مجلد ٧١ ، ص ١٣١ - ١٦٤ (بالإنكليزية والعربية ومعهما ترجمة فرنسية) . وكتاب « المعاهدات » لايتسون ، مجلد ١١ ، ص ٢٢٧ - ٢٣٣ (بالإنكليزية فقط) .

الجديدة التي عقدت في يوم ١٨ ذى القعدة ١٣٤٥ هـ (٢٠ مايو ١٩٢٧ م)
أكدت بصراحة في المادة الخامسة :

(... عل أن تراعى قواعد القانون الدولى المرعى بين الحكومات المستقلة)

وفي المادة السادسة تعهد الملك بالمحافظة على علاقات الود والسلام .

مع الكويت والبحرين ومشايع قطر والساحل العمانى الذين لهم معاهدات خاصة
مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية .

٢٥ - انتهت فترة الهدوء هذه فيما يتعلق بالحدود الشرقية والجنوبية الشرقية
بمذكرة أرسلها السر أندرو ريان الوزير المفوض البريطانى فى جدة فى عام
١٣٥٣ هـ (٢٨ أبريل ١٩٣٤ م) إلى فؤاد بك حمزة الذى كان وكيلًا لخارجية
المملكة العربية السعودية . وفى هذه المذكرة (الملحق ٤) أبلغت حكومة المملكة
العربية السعودية أن الحكومة البريطانية قد تلقت من حكومة الولايات المتحدة
استفساراً بشأن الحدود فى شرق جزيرة العرب ، وأن الحكومة البريطانية فى ردها
قد زودت الولايات المتحدة بنسخ من الاتفاقيتين بين إنكلترا وتركيا عامى ١٩١٣
و ١٩١٤ . وقيل فضلاً عن ذلك إنه وإن لم تكن اتفاقية عام ١٩١٣ قد صدق
عليها قطعاً ، فإن التخوم المحددة فى المادة الحادية عشرة من تلك الوثيقة (أى
الخط الأزرق) قد اعتبرت نهائية فى المادة الثالثة من اتفاقية عام ١٩١٤ التى
صدق عليها والتى لا تزال من وجهة نظر الحكومة البريطانية نافذة .

٢٦ - كان لهذه المكاتبه صداها المباشر من جانب المملكة العربية السعودية
فى محادثة مع السر أندرو ريان فى يوم ٢ مايو أكد فؤاد حمزة أن حكومة
المملكة العربية السعودية لا تعتبر الخط الأزرق ملزماً لها . وقد تلت ذلك مكاتبه
تحريرية بنفس المعنى فى يوم ١٣ مايو . وبعد ترديد وجهة النظر البريطانية فى رد
بعث به السر أندرو ريان فى يوم ١٥ يونيو (الملحق ٥) ، سلمه فؤاد حمزة

في يوم ٢٠ يونيو (الملحق ٦) مذكرة سعودية أكثر تفصيلاً تشتمل بتوسع على النقط التي ذكرت في البيانات السابقة . ونفت هذه المذكرة اختصاص الترك عام ١٩١٣ بأن يعالجوا شئون الأراضي التي طردهم منها الملك ، وأكدت كذلك اعتراف بريطانيا في معاهدة دارين عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) بحق الملك الوراثة ، وأكدت الطابع العربي السعودي للقبائل المقيمة في المنطقة وقد أقيمت البيانات التي ذكرت في هذه المكاتبه تأييداً قوياً من الآراء التي أبدتها الملك نفسه في مقابلة له مع السر أندرو ريان في يوم ١٤ يوليو (مقتطفات في الملحق ٧) .

٢٧ - في عام ١٣٥٣ هـ (سبتمبر ١٩٣٤ م) سافر فؤاد حمزة إلى لندن ليجري محادثات أخرى عن موضوعات مختلفة معلقة بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتحدة . وخصص اجتماع في صباح يوم ١٩ سبتمبر لمسائل الحدود وكان الحاضرون الرئيسيون فؤاد حمزة والمستر رندل من وزارة الخارجية البريطانية والسر أندرو ريان (مقتطفات في الملحق ٨) . وفي هذا الوقت أعلن المستر رندل أن الحكومة البريطانية على استعداد « لأن تتخلى عن الناحية القانونية لمسألة الحدود إذا أمكن الوصول إلى اتفاق عام على موضوعات النزاع المختلفة ، ولكن من الضروري لعمل ذلك معرفة رأى الملك الشخصي بشأن الحدود . وإذ رحب فؤاد حمزه بذلك ، أشار إلى انزعاج الملك بسبب إصرار بريطانيا في المدة الأخيرة على اتفاقية عام ١٩١٣ بينما لم تذكر هذه الاتفاقية قط عندما عقد معاهدته مع البريطانيين في عامي ١٣٣٤ و ١٣٤٥ هـ (١٩١٥ و ١٩٢٧ م) ومضى فقال إنه يعتقد أن الملك سيطالب بالمناطق التي تتردد عليها القبائل الموالية له من زمن طويل ، مثل آل مرة والمناصير ، غير أن أى بيان محدد عن موقف المملكة العربية السعودية يجب أن ينتظر ورود تعليقات من الملك ، ويأمل فؤاد حمزة أن يتلقاها في القريب . وقد آتى مزيد من الضوء على هذه المحادثات في تقرير

فؤاد حمزة المختصر (الملحق ٩) وفيه قيل إن الممثلين البريطانيين استبعدوا الإمارات العربية ، عدا مسقط ، باعتبارها غير ذات شأن .

٢٨ - لم تصل تعليمات الملك البرقية بتاريخ ٧ أكتوبر ١٩٣٤ م (الملحق ١٠) إلى لندن قبل سفر فؤاد حمزة ، وقد جاء فيها :

وأما مع مسقط وعمان وقطر فهذه لا نعلم فيها حدوداً لأحد إذ أنه من ولاية آباءنا وأجدادنا ما صار لأحد فيها كلام كلها تحت أيدينا من ذلك اليوم إلى اليوم . وبالأخص الصحارى والبادية ونحن المسؤولون عنها ولم يعترض علينا في ذلك معترض ولم يشاركنا فيها أحد لا عربي ولا عجمي حتى نعرف لها حدوداً معلومة ولكن الآن أهل مسقط وعمان وقطر إخواننا وطوارفنا وليس بيننا وبينهم أى خلاف .

وقد فصلت هذه النقطة في الأسبوع التالى فى محادثة بين الشيخ حافظ وهبة الوزير المفوض السعودى فى لندن والمستر رندل . وأبلغت هذه المحادثة إلى الملك بكتاب (فى الملحق ١١ مقتطفات منه) .

٢٩ - استؤنفت المفاوضات بين فؤاد حمزة والسر أندرو ريان فى جدة عام ١٣٥٣ هـ (يناير ١٩٣٥ م) . وظلت هذه المحادثات لوقت ما معنية بمسائل كثيرة غير مسألة الحدود ، وأن تكن قد جرت محادثة بشأن المدى الذى ينبغى فيه على حكام الخليج الفارسى المرتبطين بمعاهدات مع الحكومة البريطانية الاشتراك فى أى تسوية لحدودهم . ورداً على اقتراحات سعودية بأنه يحسن أن يكون الحكام ذوو الشأن موجودين فى أى محادثات خاصة بالحدود ، أوضحت الحكومة البريطانية أنها وحدها المسؤولة عن العلاقات الخارجية للحكام ، وأن موضوع وجودهم أو وجود ممثليهم فى أية محادثات هو موضوع اتفاقات داخلية لا تعنى المملكة العربية السعودية .

٣٠ - وإزاء هذا الموقف البريطانى الصارم تجاه اشتراك الحكام المحليين ، أبلغ فؤاد حمزة الملك فى يوم ٢٥ فبراير أنه « ليس فى إمكاننا إجبارهم على غير

ذلك إذا رغبتنا في حل المشكلة عن طريق المفاوضات . وبديلاً لذلك رأى إما السعى لتسوية المسألة عن طريق مفاوضات سياسية أو وضعها على أساس قانوني للطعن في قانونية الحجج البريطانية إما في محكمة العدل الدولية أو في عصبة الأمم . وآثر هو الطريق الأول في ذلك الوقت ، مع احتمال اللجوء إلى الثاني إذا لزم الأمر فيما بعد (الملحق ١٢) . وقد وافق الملك على هذه التوصية عموماً . ومن ثم فإن مفاوضات فؤاد حمزة التالية بشأن الحدود يمكن اعتبارها مسعى للوصول إلى حل وسط سياسي ، مع استمرار بقاء فكرة أساسية وهي أنه إذا أخفق المسعى فتستطيع المملكة العربية السعودية وثقة أن تضع دعاويها الكاملة أمانة لدى هيئة غير متحيزة . ويلاحظ كذلك أن مسألة الحدود هي عنصر واحد فقط من عناصر كثيرة داخلية في المفاوضات التي كانت دائرة يومذاك ، ومن ثم فإن المسلك السعودي بشأنها قد يتأثر بما يجري في أجزاء أخرى من المنطقة .

٣١ - إزاء الوضع العام هذا ، قدم فؤاد حمزة إلى السير أندرو ريان في ٢٩ ذي الحجة ١٣٥٣ هـ (٣ إبريل ١٩٣٥ م) اقتراحاً يعين خط حدود بين المملكة العربية السعودية وقطر وخطاً آخر بين المملكة العربية السعودية والمشيخات المختلفة المشمولة بالحماية البريطانية في شرق جزيرة العرب وجنوبها . ويشار عادة إلى الخطين معاً باسم « خط فؤاد » . ونص هذا الاقتراح هو كما يلي :

(١) تعتبر حكومة المملكة العربية السعودية أن خط الحدود الذي يفصل بينها وبين إمارة قطر يمر من المواقع الآتية :

يبدأ الخط المذكور من نقطة واقعة على ساحل البحر المعروف بدوحة سلوى على محاذاة امتداد نقطة اتصال جبل دخان بالأرض الموالية لها إلى الغرب تاركاً المسافة التي إلى الغرب منه والواقعة بين جبل دخان وجبل النخس للمملكة العربية السعودية وجبل دخان وما وراءه إلى الشرق لقطر . ويتجه الخط إلى الجنوب والجنوب الشرقى على محاذاة سفح القلائل الشرقى تاركاً القلائل المعروفة باسم قلالة الدرب ومشاش الصميم والمفصل والمقدر والطمز وأم سمرة وعريق مشاش بن شافي وما إلى غيرها من الأراضي المعروفة باسم العريق والقلائل للمملكة العربية السعودية

وما كان إلى شرق هذا الخط فهو لقطر . ثم يمتد الخط من مشاش بن شافي إلى العقيل حتى ساحل البحر تاركاً نقيان قطر لقطر ونخور العديد للسلكة العربية السعودية .

(٢) وتعتبر حكومة المملكة العربية السعودية أن خط الحدود المذكور الذي يفصل بينها وبين الامارات والمشيخات العربية الواقعة على الخليج الفارسي ماراً من المواقع الآتية :

ويبدأ الخط المذكور من نقطة واقعة على ساحل البحر وتبعد عن مركز خور العديد ٢٥ كيلو متراً في الاتجاه إلى الجنوب والجنوب الشرقي على محاذاة الأراضي المعروفة باسم المحين وسبخة مطي وكفة اللواء تاركاً البلاد التابعة لكفة اللواء الامارات العربية وما كان إلى غربها للسلكة العربية السعودية .

(٣) ويمتد الخط المذكور من حدود بلاد كفة اللواء إلى نقطة تقاطع خط الطول الشرقي ٥٦ درجة بخط العرض الشمالي ٢٢ درجة ثم يتبع محاذاة خط الطول الشرقي ٥٦ درجة إلى نقطة تقاطعه بخط العرض الشمالي ١٩ درجة ثم يتجه إلى استقامة واحدة إلى نقطة تقاطع خط العرض الشمالي ١٧ درجة بخط الطول الشرقي ٥٢ درجة ومنها في استقامة واحدة في اتجاه الغرب على محاذاة خط العرض الشمالي ١٧ درجة حتى يتقاطع مع خط الطول الشرقي ٤٦ درجة ومن هذه النقطة يتجه في نفس الاتجاه إلى أن يقطع الخط المعروف بالخط البنفسجي .

وسيلاحظ بخصوص الأجزاء التي تلمس قطر وأبو ظبي ، في الاقتراح ، أن الوصف وضع بشكل عام ، مقترحاً المناطق التي من الممكن أن يمر منها خط الحدود ، دون أن يعرف بالضبط موضع الخط . وقد عقد القصور الجسيم في الخرائط الموجودة آنئذ عمل المتفاوضين . وتظهر الخريطة الأولى المرفقة بهذا العرض أقرب تحديد تقريبي لخط فؤاد ، والأقسام الشمالية مبينة بتفصيل أوسع على الخريطة الثانية .

٣٢ - بعد أن قدم فؤاد حمزة عرضه هذا لحل وسط بستة أيام ، عرضت مذكرة بريطانية بتاريخ ٩ أبريل مقترحات مضادة (الملحق ١٣) . وفي هذا العرض اقترحت المملكة المتحدة خطأ ، كان بدوره ناقصاً بعض الشيء في الدقة في التحديد ، يقع على بعد أميال شرق الخط الأزرق في الاتفاقية

الإنكليزية التركية عام ١٩١٣ ويكاد يكون موازياً له . ويترتب على هذا منح المملكة العربية السعودية رقعة من الأرض معدل عرضها نحو ٦٠ كيلو متراً تمتد جنوباً إلى خط العرض الشمالى ٢٠ درجة ، وينحرف الخط الجدي بعد ذلك فى اتجاه جنوبي غربى ليلتقى بالخط البنفسجى الوارد فى اتفاقية عام ١٩١٤ . ويبدو أن هذا الاقتراح ، الذى يشار إليه أحياناً باسم « الخط الأخضر » ، لم يعتبره كل من الفريقين إلا خطوة عابرة .

٣٣ - وقد جرت محادثات أخرى فى لندن فى عام ١٣٥٤ هـ (شهرى يونيو ويوليو سنة ١٩٣٥ م) بين فؤاد حمزة والشيخ حافظ وهبة عن المملكة العربية السعودية والمسترنندل والسر أندرو ريان عن المملكة المتحدة . وفى هذه المحادثات اقترحت المملكة المتحدة تعديلاً بسيطاً على اقتراحها المعروف باسم الخط الأخضر ، ويعرف ذلك التعديل بالخط البنى .^(٥) وقد أبان فؤاد حمزة أن الاقتراح بوضعه الأخير لا يزال غير ممكن القبول من جانب المملكة العربية السعودية ، حيث أنه يتطلب منها التنازل عن أراضى للملك عليها ادعاء ثابت مقرر . وفى خلال المحادثات أكد فؤاد حمزة أن أى خط للحدود يجب أن يوضع أولاً وقبل كل شىء على أساس الاعتراف القاطع بتبعية الآبار والمراعى فى الصحراء لقبائل معينة ، كما أكد أن الاقتراح البريطانى قد تجاهل حقوق آل مرة وقبائل سعودية أخرى فى هذا الخصوص . وكان أبرز مثال على ذلك هو الادعاء الذى تقدم به المسترنندل للمطالبة بمورد مياه بنيان (إلى الجنوب من سلوة قرب خط العرض الشمالى ٢٣ درجة و ١٠ دقائق وخط الطول الشرقى ٥٠ درجة و ٥٦ دقيقة) على اعتبار أنه « مركز أساسى » فى أراضى أبو ظبى . وقد أوضح فؤاد حمزة أن المورد المذكور يعود إلى آل مرة دون تساؤل أو شك - وهى حقيقة اعترف بها

(٥) لم يبين الخطان الأخضر والبنى على الخرائط المرفقة بهذا العرض ، وذلك لتفادى ازدحام الخرائط وإكثرت الخطين المذكورين ذوى صفة عرضية تماماً .

البريطانيون ضمناً في مقترحاتهم التي قدموها بعد شهر قلائل ولم يثيروها قط من جديد .

٣٤ - وفي الاجتماع الذي عقد في ٢٤ يونيو ١٩٣٥ م تقدم المستر رندل بملاحظة تستحق الاهتمام ، حيث أنها تلتقي شيئاً من الضوء على المبادئ المستحدثة التي كان البريطانيون يضعون على أساسها مقترحات الحدود . فقد قال رندل إنه من الضروري :

. . . أن يوضع حد معين لا يمكن أن تمارس وراثة سيادة اقليمية ولو كانت هذه السيادة الاقليمية لا تمارس في الواقع حتى ذلك الحد . (٦)

إن هذا الاتجاه يمكن مقابله بما جاء في كتاب فؤاد حمزة إلى المستر رندل بتاريخ ٢ يوليو والذي أوضح فيه أن اقتراحه المقدم في أبريل قد تعمد فيه عدم الامتداد إلى الحد الذي يعتبر أن حقوق المملكة العربية السعودية تصل إليه ، وإنما قد وضع على أساس محاولة لتحديد خط يكون مقبولاً لدى جميع من يعنيه الأمر . وفي ذلك الكتاب أورد فؤاد حمزة بعض الاعتبارات التي تؤيد موقفه . ومع أن كثيراً من المعلومات كانت تخص حدود قطر فقط ، وأن بعض أسماء المواقع حرفت أثناء النقل ، إلا أنه نظراً لأهمية الكتاب فقد أعيد طبعه بأكمله في الملحق ١٤ . وقد أدرجت محادثات لندن فيما يتعلق بموضوع الحدود على تعهد بأن يقوم الموظفون البريطانيون بدراسة المعلومات التي تقدم بها فؤاد حمزة وأن يبعثوا بردهم عليها إلى الحكومة العربية السعودية فيما بعد .

٣٥ - وبينما كان خط فؤاد والخط الأخضر يبحثان في ربيع سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) انتهت المفاوضات بين حاكم قطر وشركة النفط الإنكليزية الفارسية المحدودة ، التي كانت قائمة يومئذ ، بمنح امتياز زيت من جانب الحاكم إلى

(٦) المحضر البريطاني للاجتماع الأول مع فؤاد بك حمزة ، ٢٤ يونيو ١٩٣٥ ، ص ٢ .

الشركة في عام ١٣٥٤ هـ (١٧ مايو ١٩٣٥ م) . وعلى أثر ذلك أعربت المملكة العربية السعودية لكل من حاكم قطر والمملكة المتحدة عن الأمل في ألا يتم شيء بصدد هذا الامتياز حتى تسوى مسألة الحدود . فأدى ذلك إلى كتاب (الملحق ١٥) بتاريخ ١٣٥٤ هـ (٢٦ سبتمبر ١٩٣٥ م) أرسله المستر كلفرت القائم بالأعمال البريطاني في جدة إلى الشيخ يوسف ياسين واعترض فيه على أن الملك ترأسل مع حاكم قطر مباشرة . وزعم الكتاب أن هذا يخرق المادة السادسة من معاهدة جدة التي وافق الملك بمقتضاها على إقامة علاقات ودية وسلمية مع الحكام العرب الذين لهم معاهدات خاصة مع الحكومة البريطانية . وتضمن الكتاب فضلاً عن ذلك ترديداً عاماً للموقف البريطاني من أن الخط الأخضر يمثل أقصى حد من التساهل في أمر الحدود يمكن أن تقوم به الحكومة البريطانية .

٣٦ - أما كتاب المستر كلفرت فجاء رد عليه من الشيخ يوسف ياسين بتاريخ ١٣٥٤ هـ (١٥ أكتوبر ١٩٣٥ م) (الملحق ١٦) أشير فيه إلى أن المادة السادسة من معاهدة جدة لم تفرض حظراً على التراسل بين الملك والحكام المذكورين وأن معاهدات العلاقات الخاصة المشار إليها لم تفرض التزامات ما على المملكة العربية السعودية . أما في موضوع التخوم عامة ، فإن الرد أكد رغبة المملكة العربية السعودية في منح جيرانها أقصى ما يمكن ، على الرغم من أن « كل تلك الأملاك كانت تابعة لآباء جلالة الملك عبد العزيز وأجداده » . ثم عاد فبنى صحة الحقوق القانونية التي تطالب بها المملكة المتحدة ومضى يقول :

من أجل ما تقدم فإن حكومتنا تحتفظ بحقها الكامل في البلاد والأماكن التي لا ترى أن تنازل عنها لأمرأ تلك الجهات وكل ما يعطى من امتيازات أو حقوق في تلك الأماكن المحتفظ بها فإن حكومتنا لا يمكن أن تقره ولا توافق عليه وتسجل تحفظها بشأنه .

هذه من جهة ومن جهة ثانية فيسرى أن أخبركم أن حكومتنا على استعداد تام في أي وقت من الأوقات للبحث في اتمام مسألة الحدود ، بروح الود والصدقة لأولئك الأمرأ المجاورين .

٣٧ - عاد السر أندرو ريان إلى منصبه في خريف سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) ، واستؤنفت المفاوضات بينه وبين فؤاد حمزة في الرياض في شهر نوفمبر . وفي أول اجتماع من هذه عقد في يوم ٢٤ نوفمبر ، أعلن الوزير البريطاني أن حكومته قد درست بدقة المعلومات التي قدمها فؤاد حمزة في لندن في شهر يوليو ، وأنها انتهت إلى أن المعلومات السابقة عن مناطق الحدود لم تكن كاملة أو صحيحة ، وأن موقفها تبعاً لذلك لم يكن سليماً ، لأنها تجاهلت الاعتبارات الإقليمية ودير القبائل . غير أنها صارت الآن راضية بأن تسير على نفس القاعدة مع المملكة العربية السعودية على الرغم من أنها غير قادرة على قبول التوحيد الخاص المقترح في خط فؤاد (مضبطة فؤاد حمزة عن هذا الاجتماع في الملحق ١٧) . وفي اليوم التالي قدم السر أندرو ريان الاقتراح البريطاني على أساس إعادة حكومته النظر في المشكلة ، وفي مقابلة له مع الملك في نفس اليوم ، أكد مرة أخرى الطابع المعدل لوجهات نظر حكومته (مضابط فؤاد حمزة عن اجتماعات يوم ٢٥ نوفمبر في الملحق ١٨) .

٣٨ - الواقع أن الاقتراح البريطاني عام ١٣٥٤ هـ (٢٥ نوفمبر ١٩٣٥ م) ويشار إليه أحياناً باسم « خط ريان » أو « خط الرياض » يعد تحولاً أساسياً عن الخطين الأزرق والأخضر اللذين سبق لبريطانيا أن تمسكت بهما تمسكاً شديداً . ونص الاقتراح كما يلي :

(١) يمتد بشكل خط مستقيم يبدأ من نقطة على شاطئ دوحة سلوى على بعد أربعة أميال إلى الشمال الشرقى لنقطة واقعة على بعد أربعة أميال من قصر السلوى ومتجهاً في استقامة الشرق الجنوبي لمسافة عشرة أميال (ونهاية هذا الخط موضحة بالمقطع A) .

(٢) خط يمتد من المقطع (A) إلى نقطة (مقطع B) تقع في منتصف المسافة بين حالوين ونخلة ويرسم الخط مستقيماً بقدر الإمكان لكي يترك إلى أبو ظبي المواقع الآتية وهي نخلة وعقلة المناصير وفرهود والرمث والحفوس والطريق من الدوحة إلى أبو ظبي وهي التي تمر غرباً من سبخة عمرة والتي يترك إلى المملكة العربية السعودية حالوين بالديرش ورفوان .

- (٣) خط مستقيم من المقطع (B) إلى نقطة تقاطع خط الطول ٥٢ درجة شرق مع خط العرض الشمالى ٢٣ درجة (المقطع C)
- (٤) خط مستقيم من المقطع (C) إلى نقطة تقاطع خط الطول الشرقى ٥٥ درجة مع خط العرض الشمالى ٣٠ ، ٢٢ درجة (المقطع J) .
- (٥) خط مستقيم من المقطع (J) إلى نقطة تقاطع خط الطول الشرقى نفسه ٥٥ درجة من خط العرض الشمالى ٢٠ درجة (المقطع G) .
- (٦) خط يمتد من المقطع (G) إلى نقطة تقاطع خط الطول الشرقى ٥٣ درجة مع خط العرض الشمالى ١٩ درجة (المقطع H) ويرسم الخط مستقيماً تقريباً لكي يترك سبحة ميجورة إلى المداككة العربية السعودية ورملة معشن إلى مسقط وعمان .
- (٧) خط مستقيم من المقطع (H) إلى نقطة تقاطع خط العرض الشمالى ١٨ درجة مع الخط المعلوم بالخط البنفسجى .

والخط الذى حدد هكذا ، ظاهر بوجه عام فى الخريطة الأولى المرفقة بهذا

العرض ، وجزؤه الشمالى ظاهر بتفصيل أكثر فى الخريطة الثانية .

٣٩ - إن الحادثات بين فؤاد حمزة والسر أندرو ريان التى جرت فى الأيام

التالية مباشرة لتقديم اقتراح ريان الحديد ، دارت بصفة رئيسية حول حدود قطر وكانت يومئذ موضع اهتمام كبير بسبب الاتصالات الدبلوماسية التى جرت فى الصيف السابق ، وأشار فؤاد حمزة إلى أن العرض البريطانى غير مرض لأنه لم يجب أياً من المطلبين السعوديين الرئيسيين : فلم يعترف بمطالبة المملكة العربية السعودية سواء بجبل النخس على الجانب الغربى لقطر ، أو بامتداد على الساحل شرق قطر يبدأ قرب خور العديد . وحيث أن هاتين النقطتين جوهريتان من وجهة النظر السعودية ، فإن الخط على وضعه المقترح جاء غير مرض من جانب المملكة العربية السعودية ، ومن ثم اكتفى فؤاد حمزة بأن أشار إلى نواح أخرى يمكن أن تكون عرضة للاعتراض . وتأكد من أن الوزير البريطانى لم يخول له أن يعرض أو أن يقبل أى تعديلات جوهرية سواء فى قاعدة قطر أو فى غيرها . وهكذا وصلت مفاوضات الحدود إلى مأزق فى نهاية شهر نوفمبر وأرجئت على أساس أن السر أندرو ريان سيقدم عنها تقريراً مفصلاً إلى لندن .

٤٠ - فى النصف الأول من عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) كانت المملكة

العربية السعودية تحسب أن مسألة الحدود تبحث بحثاً إضافياً في لندن وأنه حينما يحل الوقت الملائم ينتظر وصول اقتراحات جديدة من المملكة المتحدة . وتلت ذلك فترة هدوء في المباحثات لم يقطعها إلا اتصالات عابرة بين فؤاد حمزة أو الشيخ يوسف ياسين وبين السر أندرو ريان ، تتعلق على وجه رئيسي بعلاقات المملكة العربية السعودية مع قطر ، ولكن ينبغي ملاحظة أنه في خلال حديث مع السر أندرو ريان في عام ١٣٥٥ هـ (٢ يونيو ١٩٣٦ م) انتهى الشيخ يوسف ياسين الفرصة لإبداء الملاحظة التالية :

فعرفه يوسف أنه (ريان) يجب أن يذكره الآن بصورة ولو خارجة عن موضوعنا وهي الواقع أن جلالة الملك يمتد نفوذه إلى كل القبائل في ساحل الخليج ويستوفى الزكاة من كل القبائل وليس للأمرء على ساحل الخليج نفوذ خارج مدتهم . فقال ريان هل المفهوم أن جلالة الملك يصدر أوامره للأمرء والأمرء يطعمون . فأفاده يوسف المقصود أن نفوذ جلالة الملك يمتد على سائر العربان المقيمة في تلك المقاطعات . . . (٧)

٤١ - في عام ١٣٥٥ هـ (نوفمبر ١٩٣٦ م) ، استفسر السر ريدير بولارد ، الذي كان قد خلف السر أندرو ريان وزيراً مفوضاً لبريطانيا في جدة ، من فؤاد حمزة عن الوقت الذي قد تكون فيه المملكة العربية السعودية مستعدة لاستئناف مفاوضات الحدود . واتضح حينئذ أنه بسبب سوء تفاهم كانت كل حكومة تنتظر أن تتخذ الحكومة الأخرى الخطوة التالية . وعند بحث الموقف مع السر ريدير بولارد نحو يوم ٢٦ ديسمبر ، أشار فؤاد حمزة إلى أن مفاوضات السنة السابقة قد جرت على أساس أن المواقف القانونية للجانبين ستترك بصفة مؤقتة جانباً ، رغبة في الوصول إلى حل مقبول بالتراضي . فإذا تعذر الوصول إلى اتفاق ، أصبح كل جانب حراً في اللجوء إلى البراهين والوثائق التي تؤيد موقفه القانوني ، ولكنه قال للسر ريدير بولارد إن من رأيه أن هذه المرحلة لم تبلغ بعد .

(٧) مضبطة الشيخ يوسف ياسين عن محادثته مع السر أندرو ريان بتاريخ ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ هـ (نحو ٢ يونيو ١٩٣٦) .

وعلى أثر ذلك اتفقا على أن يطلب السر ريدر بولارد تعليمات أخرى بشأن الموضوع من حكومته .

٤٢ - لم يحدث أمر هام آخر حتى عام ١٣٥٥ (مارس ١٩٣٧ م) ، عندما جاء المستر رندل من وزارة الخارجية البريطانية إلى جدة لبحث مسائل مختلفة معلقة بين المملكة المتحدة والمملكة العربية السعودية ، منها مسألة الحدود الشرقية والجنوبية . وفي أثناء حديث عن هذا الموضوع جرى يوم ١٩ مارس مع الشيخ يوسف ياسين - وقد شهدته أيضاً السر ريدر بولارد^(٨) - تمسك المستر رندل من حيث الجوهر بالآراء السابقة لحكومة المملكة المتحدة . وتأييداً لادعاء أبو ظبي بخور العديد ، أشار بشيء من الإسهاب إلى أن الحكومة البريطانية قد أكدت لأبو ظبي بأن خور العديد واقعة في أراضيها ، وإن كان قد اعترف بأن البريطانيين قد منعوا أبو ظبي في مناسبات شتى من امتلاكها امتلاكاً فعلياً . وعند الرد ذكر الشيخ يوسف بإيجاز أنه مهما تكن أقوال الحكومة البريطانية لأبو ظبي أو لتركيا فإن ذلك بالبداية لا يلزم المملكة العربية السعودية . وذكر الشيخ يوسف للمستر رندل في أثناء حديث عام عن خط فؤاد :

نحن لانطالب بأراض جديدة ولا يمكن أن نتوخى ربح شيء . فجلالة الملك حريص على مصلحة تلك البلاد ويحبل لأهلها خالص المودة ، كما أن أهلها يحلمون بجلالته نفس تلك العواطف . ولا يمكن أن يطمع في تلك الأراضي أبداً ، وإلا لو طالبنا بجزءنا كاملة لكاننا نطالب فيما وراء تلك الحدود مما كانت تحت سلطة آباء جلالته وأجداده .

وفي خلال الحديث ، وجواباً على ملاحظة المستر رندل بأن المملكة المتحدة تريد أن تترك الحجج التاريخية جانباً وتسعى لالتماس طريقة عملية موفقة ، أبدى الشيخ يوسف موافقة تامة . وأشار إلى أنه لو أراد الملك أن يصر على جميع حقوقه

(٨) مقتطفات من سجل هذا الحديث أدرجت في الملحق ١٩ .

لكان طالب بملك آباؤه وأجداده الممتد إلى ما وراء تلك المناطق ولما ترك بعض الأماكن التي سلطته ممتدة إليها الآن وأهلها خاضعون له .

٤٣ - في أثناء الحديث نفسه أشار المستر رندل إلى « حقيقة » أن الملك عبد العزيز كان في عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) قد عقد اتفاقاً مع الترك اعترف فيه بأن لتركيا سلطة في هذه المنطقة ، مع أنه لم يكن لتركيا سلطة فعلية (٩) .
فرد الشيخ يوسف على هذا مباشرة

بأنه لا يوجد أية معاهدة أبداً باعتراف جلالته وإذا وجدت بعض صور مكاتيب فربما تكون غير مطابقة للحقيقة . وأنا بحث كثيراً فلم أجد شيئاً من تلك المعاهدة المزعومة ولا من تلك الكتب .

٤٤ - وجه الجانبان اهتماماً كبيراً في مباحثات هذه الفترة إلى موقع آبار الصفاق في المنطقة الواقعة إلى الغرب مباشرة من سبخة مطى . وعلى الجرائط التي كانت متاحة للمفاوضين قبل ١٣٥٦ هـ (مارس ١٩٣٧ م) ظهرت الصفاق على بعد نحو ٧٥ كيلو متراً جنوب ساحل الخليج الفارسي ، وعلى هذا الافتراض سلم البريطانيون بأنها واقعة على الجانب السعودي من خط ريان لسنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٥ م) ، ثم بدأت الشكوك تظهر فيما بعد بشأن صحة هذا الموقع ، ودل البحث آخر الأمر على أن الصفاق تقع عند نقطة أبعد بكثير في اتجاه الشمال ، على بعد نحو ٢٥ كيلو متراً فقط جنوب الخليج . وعلى هذا الأساس الجديد كان البريطانيون أول الأمر مترددين في الاعتراف بأن الصفاق أرض سعودية لأن معنى ذلك تعديل هذا الجزء من خط ريان لمصلحة المملكة العربية السعودية . غير أن السر ريدر بولارد أشار في كتاب إلى الأمير فيصل عام ١٣٥٦ هـ (٤ ديسمبر ١٩٣٧ م) (ملحق ٢٠) أن التعديل قد قبل وأن الخط الذي اقترحه المملكة المتحدة قد عد بناء على ذلك واقعاً أقرب إلى الساحل بنسبة مماثلة .

(٩) بشأن هذا الاتفاق المزعوم راجع الفترتين ١١ و ٢٠ فيما سبق .

٤٥ - وفي نفس الكتاب بتاريخ ١٣٥٦ هـ (٤ ديسمبر ١٩٣٧ م) قال الوزير البريطاني أيضاً إنه قد نعى إلى علم الحكومة أن جيولوجي الشركة المسماة الآن شركة الزيت العربية الأمريكية يعملون قرب سلوة ، وأن حكومته رأت من غير المستحسن لتلك الشركة أن تجتاز في عملها التعريف الجارى لخط ريان . واقترح فضلاً عن ذلك أنه ما دام هناك شك بشأن الوضع المضبوط لبعض النقاط الجغرافية المذكورة في المفاوضات ، فلتؤلف هيئة طوبوغرافية مشتركة لتبديد هذه الشكوك ببحث الموقف على الطبيعة .

٤٦ - بعث الأمير فيصل برد شامل على هذه الرسالة بتاريخ ١٦ شوال ١٣٥٦ هـ (١٩ ديسمبر ١٩٣٧ م) (الملحق ٢١) أدرج فيه الملاحظات التالية:

وحيث أن الحكومة البريطانية . . . ما تزال تمسك بالتحديد الذي ورد في مذكرتك المشار إليها ، فإن حكومة جلالة الملك ترى أنه من الصعب إكمال الوصول إلى تسوية نهائية مادامت الحكومة البريطانية متمسكة بموقفها ولم توافق على الشيء الواقع مما هو واقع تحت تصرف جلالة الملك ونفوضه بالفعل . فإذا كانت الحكومة البريطانية مستعدة بالفعل لفتح موضوع العمل على إيجاد طريقة حل على أساس الأمر الواقع ويزيل الإشكال ، فإنه ليس أحب لدى حكومة جلالة الملك من ذلك .

وفي ما يتعلق بالعمل الجيولوجي في المناطق المتنازع عليها ، أكدت المذكرة حق الجيولوجيين الخاضعين للإشراف السعودي في العمل داخل الأراضي التي تدعى بها المملكة العربية السعودية. (١٠) أما في ما يتعلق بالهيئة الطوبوغرافية المشتركة فقد شك في فائدتها في ذلك الوقت ، ولكن الفكرة لم ترفض .

٤٧ - أعرب السير ريدر بولارد عند إفادته بتسلم هذا الكتاب في ٣ فبراير سنة ١٩٣٨ عن أن الحكومة البريطانية قد تساهلت مرة بعد أخرى رغبة في

(١٠) في كتاب إلى السير ريدر بولارد بتاريخ ٢٥ ديسمبر تأييداً لهذا الكتاب الرئيسي أعرب فؤاد حزة عن استعداد المملكة العربية السعودية في التفاهم على ألا يتجاوز جيولوجيو أي من الجانبين الخط الذي يدعى به الجانب الآخر وذلك ريثما يتم الاتفاق النهائي بين الحكومتين .

ملاقة آراء المملكة العربية السعودية ، وأنه قد أصبح من المستحيل عليها أن تذهب إلى أبعد من ذلك . فرد الأمير فيصل في ١٦ ذى الحجة ١٣٥٦ هـ (٦ فبراير ١٩٣٨ م) (الملحق ٢٢) على هذه الملاحظات رداً مسهباً هاماً أعاد فيه بيان موقف المملكة العربية السعودية . وبعد أن أشار في كتابه إلى أنه قد اعترف في معاهدة دارين لسنة ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) بحق الملك في أراضي آبائه وأجداده ، مضى فقال :

واتمسك المرضى بهذا النص جعل قسماً و اسماً من حضرموت وظفار وعمان وأبو ظبي وقطر داخلنا ضمن أراضي جلالته . ونظرة تاريخية تثبت أن مخافر العبر وبريمي وظفار وفي أواسط قطر كانت مخافر سعودية أنشأها أجداد جلالته الملك في القرن الماضي . غير أن جلالته حيا منه في الوفاق والتفاهم مع الحكومة البريطانية وفي عدم حرمان أصدقائه من أمراء العرب على الخليج الفارسي ، ولو كان في ذلك خسارة مادية عليه ، كل ذلك جعله بعد الإلحاح الشديد يقبل بتحديد أقل مطالبه أملاً في وضع حد حاسم للاشكال . ولم يكن يخطر على بال جلالته أن ما ذكره سيكون موضوع جدال ونقاش . فالخط الذي تتسكك حكومتى به يمثل أدنى حد للمطالب المشروعة والمعقولة ولذلك فإن قول سعادتكم إن التساهل والتسامح كان يأتي من جانب الحكومة البريطانية بينما أن موقف حكومتى لم يتغير أمر قد غسقت فيه حكومة جلالته الملك ونسيت معه التضحيات العظيمة التي ضحيتها بتنازله لأمراء تلك البلدان العربية المجاورة عن مناطق واسعة يوجد كل حق تاريخي واقعي لإثبات تابعيتها لجلالة الملك .

٤٨ — على أثر إرسال هذا الكتاب أجرى فؤاد بك حمزة والسر ريدر بولارد مباحثات أخرى قال فيها الوزير البريطاني إنه قد يكون من الممكن في مباحثات خاصة وغير رسمية بالمرّة تجرى بينهما بحث الإمكانات الأخرى لمعالجة مشكلة الحدود . ويبدو من السجلات المتاحة أن مثل هذه المباحثات التي جرت لم تسفر عن مقترحات مثمرة وأنه لم تحدث تطورات جوهرية في الشهور التي تلت ذلك . فإن التفاوض التدريجي للموقف العالمي العام في سنتي ١٣٥٧ و ١٣٥٨ هـ (١٩٣٨ و ١٩٣٩ م) شغل أذهان الحكام والساسة المسئولين في جميع البلدان ، وبنشوب الحرب في عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) ترك الموضوع طبعاً لبحثه بعد انتهائها .

٣ - الحوادث من ١٣٥٨ إلى ١٣٧٠ هـ (١٩٣٩ - ١٩٥١ م)

٤٩ - بقيت مسألة الحدود معلقة بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتحدة خلال فترة الحرب من ١٣٥٨ إلى ١٣٦٤ هـ (١٩٣٩ - ١٩٤٥ م) وإلى ما بعد ذلك مدة من الوقت واستمرت الأمور كسابق عهدهما تماماً . وقام موظفو أمير الحسا دون أية إعاقة بتصريف مهامهم المعتادة من جمع الزكاة ونشر لواء الأمن . وفي السجلات الملحقة بهذا العرض ما يشير إلى بعض تلك المهام . كان حاكم أبو ظبي أثناء هذه السنين منهمكاً على الأكثر في منازعات مع حاكم دبي البلدة الساحلية المجاورة له ، الواقعة إلى الشرق . وخلال هذه الفترة حدث أمر له أهميته ولا يجوز التغاضي عنه وهو أنه في ١٣٦١ هـ (٢٠ إبريل ١٩٤٢ م) أبرم اتفاق صداقة وحسن جوار بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتحدة (نيابة عن الكويت) وفي الرسائل المتبادلة التي ألحقت بالانفاقية اعترفت المملكة المتحدة اعترافاً صريحاً بأن بعض القبائل ومنها آل مرة وبني هاجر والمناصير هي قبائل سعودية . ولم تكن القائمة شاملة على كل حال ، لأنها اقتصرت على ذكر القبائل التي قد تخصصها الترتيبات التي اتفق عليها .^(١)

٥٠ - وبانتهاء الحرب تضاعف النشاط في تنمية موارد الزيت في الشرق الأوسط وتوسع الإنتاج حيثند توسعاً كبيراً وجدد بكل همة البحث عن موارد جديدة وهو البحث الذي توقف إبان الحرب وتسنى لشركة استثمار البترول (ساحل الصلح) المحدودة وهي الشركة البريطانية التابعة لمجموعة شركة نفط العراق والتي تملك امتيازاً من حاكم أبو ظبي منذ ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) ، أن

(١) نص الانفاقية والرسائل المتبادلة في « سلسلة معاهدات هيئة الأمم » مجلد ١٠ ، ص ١١٧ - ١٤٩ ، وفي الملاحق ٢٣ مقتطفات منها .

تبدأ عمليات التنقيب على نطاق ضيق خلال موسم شتاء ١٣٦٧ - ١٣٦٨ هـ (١٩٤٨ - ١٩٤٩ م) . واستمرت هذه العمليات خلال المواسم التالية حتى عام (١٩٥١ م) ولو أن جميع هذا العمل لم يجر في المناطق المتنازع عليها حالياً .

٥١ - وفي نفس موسم ١٣٦٧ - ١٣٦٨ هـ (١٩٤٨ - ١٩٤٩ م) بلغت فرق تابعة لشركة الزيت العربية الأمريكية ، أثناء تنفيذ برنامجها التنقيبي المعتاد ، المنطقة الواقعة إلى الجنوب والجنوب الشرقي من قطر . ودخلت فرقة إلى الظفرة بقصد إجراء استكشاف سطحي ولكن العمل الأكثر تفصيلاً كان مقصوداً على المنطقة الواقعة غرب سبخة مطى . وانهمكت الفرق بعض الاهتمام في تفصيل المسح التمهيدى الأولي الذي أجرته إحدى فرق شركة الزيت العربية الأمريكية في موسم ١٣٥٦ - ١٣٥٧ هـ (١٩٣٧ - ١٩٣٨ م) وتصحيح ذلك المسح ، وكان برنامجهم - كما هو الأمر دائماً - معروفاً للحكومة العربية السعودية وموافقاً عليه من جانبها ، وكان يرافق الفرق كالعادة بضعة جنود مرسلين من قبل أمير الحسا .

٥٢ - في عام ١٣٦٨ هـ (٢١ - ٢٢ إبريل ١٩٤٩ م) زار المستر ستوبارت الضابط السياسى البريطانى في عمان الساحلية مخيم إحدى الفرق السعودية الواقع شمال غربى الصفاق ، في نقطة تقع على خط العرض الشمالى ٢٤ درجة و ١٠ دقائق وخط الطول الشرقى ٥١ درجة و ٢٦ دقيقة على وجه التقريب . وكان يرافقه أحد إخوة حاكم أبو ظبى والمستر جاكسون من شركة الزيت البريطانية وبعض الحرس المسلحين وسلم المستر هولم كبير جيولوجى الفرقة ، كتاباً (الملحق ٢٤) جاء فيه ما يلى :

لقد اعترفت حكومة جلالتها البريطانية في المداينة المتحدة دائماً بامتداد أراضي حاكم أبو ظبى حتى حور العديد ولهذا فإنه من طبيعة الحال أن يعتبر الحاكم وجود شركتكم عند نقط شمال الصفاق تعدياً ، وبالأخص نظراً إلى وجود الجنود السعوديين مع الشركة .

ثم حث الكتاب لمصلحة الأمن

بسحب الفرق العاملة في المناطق التي تابعيتها غير متفق عليها قبول حدوث أية
حادثة ممكنة بين السعوديين وبين رعايا أبو ظبي .

٥٣ - وخوفاً من وقوع مثل هذه الحادثة المؤسفة قام قائد الفصيلة السعودية
الخيمة هناك بتجريد الحرس المرافقين للمستمر ستوبارت من سلاحهم بصورة
موقته . وفي نظره (وهذا ما وافقت عليه تماماً الحكومة العربية السعودية) كان
مثل هؤلاء الخدم المسلحين التابعين لدولة أخرى دون حصولهم على إذن يشكل
عدواناً لا مبرر له على الأراضي العربية السعودية . وقد أعيدت الأسلحة فيما بعد
عندما بدأ المستمر ستوبارت عودته إلى بلدة أبو ظبي ، وكان قصده في البداية
مواصلة السفر إلى قطر، ومما لا يخلو من التفككة أنه طلب مساعدة دليل سعودي ليقوده
هو وأخا الحاكم عبر الأراضي التي أعلن منذ برهة وجيزة أنها تابعة لأبو ظبي .

٥٤ - وبعد موافقة الحكومة العربية السعودية أجابت شركة الزيت العربية
الأمريكية على كتاب المستمر ستوبارت بتاريخ ٢٥ إبريل ، بأنه ليس من شأنها
التدخل في الجدل القائم على الحدود ، وأن أى اعتراض على نشاطها يجب أن
يوجه إلى الحكومة العربية السعودية ، ولكن نظراً لدقة الوضع - فإنها تسحب
فرقها من المواقع المتنازع عليها على ألا يكون في ذلك مساس بحقوق المملكة
العربية السعودية (الملحق ٢٥) . وفي الوقت ذاته تبودلت بخصوص هذا الموضوع
بين الحكومتين العربية السعودية والبريطانية تبودلت مراسلات اشتكى فيها كل
جانب من عدوان الآخر على أراضيه .

٥٥ - وقد أوضحت حادثة ستوبارت هذه أن الركود الذي خيم أثناء الحرب
على شئون الحدود قد انتهى . فقد مر حوالى الاثنتى عشرة سنة منذ آخر مرة
كانت فيها موضع عناية الحكومتين ، وأصبح من الواضح ضرورة إجراء
مفاوضات في هذا الشأن . وفي ١٣٦٨ هـ (سبتمبر ١٩٤٩ م) جرت أحداث

استطلاعية غير باثة بين الشيخ يوسف ياسين (وفؤاد حمزة فيما بعد) وبين وفد بريطاني مؤلف من المستر سكوت فوكس ، الذي كان حينئذ القائم بالأعمال في السفارة البريطانية في جدة ، والميجر بلي الوكيل السياسي في الكويت . وفي مذكرة موجهة لهذا الوفد أعربت المملكة العربية السعودية عن رغبتها في إيجاد تسوية ودية ولكنها لم تقدم أية مقترحات معينة . وبعد أيام من المحادثات أرجئت الاجتماعات لتتاح الفرصة لكل من الحكومتين لإعادة النظر في سياستها .

٥٦ - وقد عرض موقف المملكة العربية السعودية بعد دراسة في بيان أبلغ للسفارة البريطانية بجدة في ٢٢ ذى الحجة ١٣٦٨ هـ (١٤ أكتوبر ١٩٤٩) (الملحق ٢٦) . وعرض البيان رأى المملكة العربية السعودية ، القائل بأن المبادئ التي يسترشد بها في أية تسوية للحدود يجب أن تكون « ما هو تحت سلطة جلالة الملك عبد العزيز ، وما هو تحت سلطة الأمراء والمشايخ » . وعلى هذا الأساس « وبعد دراسة عميقة لمنازل القبائل وتتبع الأمر الواقع » اقترحت خطين ، الأول خط للحدود مع قطر يمر عبر قاعدة شبه الجزيرة ، والثاني مع أبو ظبي يبتدئ من ساحل الخليج ويمتد إلى نقطة تقع على مسافة تقل عن خمسة وعشرين كيلومتراً في الشمال الغربي من البريمي . وكانت التحديدات الدقيقة كما يلي :

٢ - بعد دراسة عميقة لمنازل القبائل وتتبع الأمر الواقع فهي ترى أن تكون الحدود بينها وبين قطر كما يلي :

١ (يبدأ خط الحدود بين المملكة العربية السعودية وقطر من نقطة على ساحل دوحة سلوى عند خط العرض ٢٤ درجة و ٥٦ دقيقة (نقطة أ) .

ب) من نقطة (١) يتجه خط إلى الشرق رأساً حتى يصل نقطة تقاطع خط العرض (٢٤) درجة و (٥٦) دقيقة مع خط الطول ٥١ (نقطة ب) .

ج) من نقطة ب يتجه الخط اتجاهاً مستقيماً حتى يصل ساحل البحر عند خط العرض ٢٤ درجة و ٤٨ دقيقة (نقطة ج) تاركاً عامرة للمملكة العربية السعودية وبهذا ينتهي الحد بين قطر والمملكة العربية السعودية .

٣ - تعتبر الحكومة العربية السعودية أن خط الحدود بينها وبين أبوظبي يبدأ من نقطة واقعة على ساحل الخليج بين بندر المرفأ وبندر المغيرة تبعد (٢) كيلومتراً شرقاً من بندر المرفأ (نقطة أ) ويتجه الخط من هذه النقطة اتجاهها مستقيماً إلى الجنوب الشرقي تماماً حتى يصل خط العرض ٢٣ درجة و ٥٦ دقيقة (نقطة ب) ومن هذه النقطة يتجه الخط اتجاهها مستقيماً إلى الشرق رأساً حتى يصل خط الطول ٥٤ درجة (نقطة ج) ومن نقطة ج يتجه الخط اتجاهها مستقيماً حتى يصل نقطة تقاطع خط العرض ٢٤ درجة و ٢٥ دقيقة مع خط الطول ٥٥ درجة و ٣٦ دقيقة (نقطة د) .

وهذان الخطان المحددان هنا مبينان في الخريطة الأولى وبتفصيل أكبر للقسم الغربي في الخريطة الثانية وللقسم الشرقي في الخريطة الثالثة .

٥٧ - وبوضع هذين الخطين أعادت المملكة العربية السعودية مرة أخرى تمسكها بموقفها بشأن ما تعتبره حقوقها المشروعة الكاملة فيما يتعلق بالأراضي المتنازع عليها . وفي مفاوضات ١٣٥٣ - ١٣٥٧ هـ (١٩٣٤ - ١٩٣٨ م) وافقت على أن تترك جانباً هذه الحقوق إلى حين ، وسارت شوطاً بعيداً في بحث حل وسط يجعل من الممكن التوصل إلى اتفاق . ولم تقابل اتصالاتها هذه بعدم المبالاة فحسب بل بالرفض من الجانب الآخر الذي حث على قبول الخط المقدم من جانبه . ولا شك هناك أنه بفشل المحادثات وبمرور الظروف الخاصة التي عرضت فيها المقترحات السعودية لعام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) ، فإن هذه المقترحات تعتبر غير قائمة وهي بصفتها جزء من مفاوضات غير مثمرة قد تبخرت تماماً ولا يمكن أن تعلق عليها أية أهمية في الإجراءات الحالية .^(١)

(٢) قارن هذا ببيان محكمة العدل الدولية الدائمة في « قضية مصنع خورزو (تعويض) » : « وفي النهاية يمكن أن يبين مرة أخرى أنه ليس باستطاعة المحكمة أن تأخذ بعين الاعتبار تصريحات أو اعترافات أو مقترحات قد تكون جرت بين الطرفين أثناء مفاوضات مباشرة بينهما بعد أن لم تؤد مثل هذه المفاوضات إلى اتفاق كامل » . الحكم رقم ١٣ ، ١٣ سبتمبر ١٩٢٨ ، سلسلة أ ، رقم ١٧ ، ص ٥١ و « تقارير المحكمة الدولية » وضع هلسن ، مجلد ١ ، ص ٦٨٠ .

وليس غريباً على المملكة العربية السعودية عقب مرحلة دامت اثني عشر عاماً أن تعود إلى الموقف الذي تعتبر نفسها بحق أهلاً له وأن تقوم بمفاوضات جديدة على أساس الحالة التي كانت قائمة بالفعل في هذه المناطق . ويتجلى هذا العزم على الاحتفاظ بادعاء يتفق تماماً مع الوضع القائم فعلاً ، في الفقرة الرابعة من البيان التي تقول :

٤ - هذه نقاط الحدود التي تراها الحكومة العربية السعودية تتفق مع الواقع بالنسبة لسلطانها وسلطة أبو ظبي مستندة في ذلك إلى أن الأراضي التي حددت بموجب هذا للمملكة العربية السعودية تعيش فيها قبائل المملكة العربية السعودية من بني هاجر والمناصير والعوامر وآل مرة والدوامر وغيرهم من القبائل .

٥٨ - وتظهر الفقرة الخامسة كذلك عزم المملكة العربية السعودية على أن تحدد ضمن نطاق حدود قانونية دقيقة ادعاء المملكة المتحدة بأنها تمثل بعض حكام جزيرة العرب في معاملاتهم مع الحاكم العربي الأول :

٥ - من النقطة الأخيرة التي هي نقطة تقاطع خط العرض ٢٤ درجة و ٢٥ دقيقة مع خط الطول ٥٥ درجة و ٣٦ دقيقة وما إلى جنوب تلك المنطقة وشرقها . إن الجنوب والشرق من هذه النقطة هو تحت سلطات مشيخات ليس لها صلات عهدية مع الحكومة البريطانية ولذلك فإن الحد بين المملكة العربية السعودية وهذه المشيخات يتم الاتفاق عليه بين الحكومة العربية السعودية والمشيخات المشار إليها .

وقد وضع هذا البيان ليوضح أن المملكة العربية السعودية لا تعترف للمملكة المتحدة بسلطة التكلم بالنيابة عن إمام عمان أو عن الرؤساء الآخرين في المنطقة المشار إليها ممن ليست لهم معاهدات خاصة تنظم علاقاتهم مع المملكة المتحدة .

٥٩ - ولم يكن منتظراً بطبيعة الحال أن تنظر المملكة المتحدة بهدوء واتزان إلى أية إعادة من جانب المملكة العربية السعودية بتأكيد مطالبها الكاملة . ففي

مذكرة بتاريخ ١٣ صفر ١٣٦٨ هـ (ديسمبر ١٩٤٩ م) (الملحق ٢٧) (٣)
أبلغت السفارة البريطانية بجدة وجهة نظر حكومتها بأن

ليس أمامها إلا أن تمسك بموقفها على أساس الادعاء القانوني وهو « الخط الأزرق »
و « الخط البنفسجي » كما جرى تحديدها طبقاً للاتفاقيات الإنجليزية التركية
بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩١٣ و ٩ مارس ١٩١٤ .

وأخذت هذه المذكرة ، بعد ذلك ، بمعارضة بعض الحقائق الواردة في
البيان السعودي كما أنها فسرت الفقرة الخامسة بأنها تشير إلى البريمي حيث « أن
ادعاءات شيخ أبو ظبي تعطي حكومة صاحب الجلالة حقاً لا مرأى فيه بالمفاوضة
نيابة عنه » . وعلاوة على ذلك صرحت المذكرة بأن أراضي واقعة جنوب البريمي
(ولكن ليس في داخلها) تدخل تحت سلطة سلطان مسقط الذي يحق أيضاً
للمملكة المتحدة أن تمثله . وقد أرفقت بالمذكرة صورة من التصريح الذي يقال
إنه قدم في عام ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦ م) نيابة عن عبد الله بن فيصل (الفقرة ٢١٧
من الفصل الرابع فيما سبق) والذي تعهد فيه بعدم التدخل في شئون القبائل
العربية المرتبطة بمعاهدات من المملكة المتحدة .

٦٠ - وفي جواب مؤرخ ١٩ صفر ١٣٦٩ هـ (١٠ ديسمبر ١٩٤٩ م)
(الملحق ٢٨) أعادت الحكومة العربية السعودية تأكيد ادعاءاتها الواردة في
بيان ٢٢ ذى الحجة ١٣٦٨ هـ (١٤ أكتوبر) وأكدت ثانية أنها لا تطالب
إلا بحقوقها المشروعة « بأرض يسكنها رعاياها وسلطانها فيها وحكمها عليها » .
وكذلك أوضحت الحكومة العربية السعودية موقفها بخصوص البريمي :

أما ما ورد في الفقرة السابقة من الإشارة إلى « بريمي » فإن بريمي ومنطقة الإمام
الخليل وما يليها كانت ولا تزال مأهولة بالقبائل العربية السعودية وليست تحت
سلطة سلطان مسقط كما أنها ليست تحت سلطة شيخ أبو ظبي ، وليست لها أي

(٣) يشار أحياناً إلى هذه المذكرة (كما في المذكرة البريطانية المؤرخة ٢٥ يوليو ١٩٥٠) (الفقرة
٦٢ اللاحقة) على أنها مؤرخة في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٤٩ .

معاهدة مع الحكومة البريطانية ولذلك فن غير المعقول أن تجرى مفاوضات مع الحكومة البريطانية لتحديد الحدود بين المملكة العربية السعودية وهذه المشيخات لأن أى عقد فى هذا الشأن مع غيرهم لا يعتبر قانونياً .

وبعد تصحيح الوضع بهذه الصورة قدمت الحكومة العربية السعودية الاقتراح الإيجابى التالى فى سبيل حل المشكلة :

وفى النهاية تبلى الحكومة العربية السعودية رغبة صادقة فى التعاون على تحديد الحدود بطريق العدل والإنصاف وهى لا تطالب ولا ترغب أن يدخل فى حوزتها إلا ما هو لها وتحت سلطاتها وعلى هذا الأساس فهى على استعداد أن توافق على القيام بدراسة مشتركة عن حقيقة الواقع لما ثبت من الأماكن تابعاً لسلطان المملكة العربية السعودية بقى لها وما ثبت أنه تحت سلطان غيرها فهو لمن ثبت له وهذا هو الأساس الذى يمكن أن يحل كل المنازعات فى هذا الشأن .

٦١ - ولم يثر الاقتراح السعودى رداً سريعاً من جانب المملكة المتحدة على أنه حدث فى ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٦٩ هـ (١٨ إبريل ١٩٥٠) أن شكت مذكرة بريطانية من أن جماعة من الرعايا السعوديين تحت إمرة ابن منصور ضربوا شخصاً تابعاً لحاكم أبو ظبى فى الجواء وسرقوا بعيه كما سلبوا رعايا آخرين لأبو ظبى (الملحق ٢٩) . وقد قيل إن ابن منصور هذا هو نفس الرجل الذى كانت إقامته الطويلة فى أراضى أبو ظبى فى العام الماضى موضع احتجاج شفقوى لدى الحكومة العربية السعودية فى إبريل ١٩٤٩ م . وقد زعمت المذكرة أن مثل هذه الأعمال من جانب الموظفين السعوديين فى منطقة رفضت الادعاءات السعودية بها لا يمكن إلا أن تؤثر على نتيجة مفاوضات الحدود الحالية ، واستفسرت المذكرة بلهجة لا تكاد تؤدى إلى نجاح مثل هذه المفاوضات عن الخطوات التى تقترح الحكومة السعودية القيام بها :

. . . لإعادة ممتلكات الأشخاص الذين سلبوا ، وكذلك لتأمين عدم دخول موظف الحكومة العربية السعودية إلى أراضى شيخ أبو ظبى من دون إذنه فى المستقبل .

٦٢ - وقد عالج رد سعودى شامل بتاريخ ٢٤ رجب ١٣٦٩ هـ (١١ مايو ١٩٥٠ م) (الملحق ٣٠) الجواب على هذه المذكرة ومذكرات أخرى متعلقة

بإدعاءات في الخليج الفارسي لا تدخل في نطاق الإجراءات الراهنة وقد أشير إلى أن ابن منصور بصفته عاملاً من عمال الزكاة في خدمة الحكومة العربية السعودية إنما كان يقوم بتنفيذ واجبات أعماله بالطريقة المعتادة ، وأن العنصر الحديد في الموضوع كان محاولة حاكم أبو ظبي التدخل في هذه الأعمال وأن الحاكم لا صلاحية له للتدخل في تنفيذ موظفي الملك لواجبات أعمالهم لأنها متعلقة بالرعايا السعوديين ثم طلبت المذكرة جواباً سريعاً من المملكة المتحدة على الاقتراح السعودي بتشكيل لجنة فنية مشتركة لدراسة الحالة على الطبيعة .

٦٣ - وأخيراً قدم لوزارة الخارجية العربية السعودية عرض تفصيلي لموقف الحكومة البريطانية ، وكان ذلك في صورة مذكرة مفصلة بتاريخ ٩ شوال ١٣٦٩ هـ (٢٥ يوليو ١٩٥٠ م) (الملحق ٣١) . وفي هذه الوثيقة يبين لأول مرة بشيء من التطويل الادعاء القانوني الذي أشير إليه في المذكرة البريطانية المؤرخة ١٣ صفر ١٣٦٩ هـ (٣٠ نوفمبر - ٤ ديسمبر ١٩٤٩ م) (الملحق ٢٧) ويتمثل عرض الجانب البريطاني فيما يلي :

طبقاً للقانون الدولي يكون صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود السلطة التي خلفت الحكومة التركية ، وقد أقر جلالاته ارتباطه بهذا في معاهدة ١٥ مايو ١٩١٤ مع تلك الحكومة . والحكومة التركية بتوقيعها على المعاهدتين الانجلو تركية لعامي ١٩١٣ و ١٩١٤ أقرت بأن سلطاتها في البلاد العربية لم تمتد شرقاً الخطوط الموضوعة في تلك المعاهدتين . فعليه فإن جلالاته لا يستطيع أن يجعل أي حوادث أو ظروف كانت موجودة قبل إتمام هاتين المعاهدتين أساساً لدعوى في أرض تقع شرق هذه الخطوط وبناء على ذلك لو أن جلالاته يرغب في أن يقيم دعوى على أي منطقة من هذا القبيل فإن عليه أن يبرهن بأن اكتسب السيادة على تلك المنطقة بعد ١٩١٤ طبقاً للقانون الدولي وأن يقدم من أجل ذلك الحقائق والحوادث التي تلي ذلك التاريخ والتي يعتمد عليها في إثبات دعواه .

٦٤ - وبعد أن أشارت المذكرة إلى أن الادعاءات التاريخية للمملكة العربية السعودية قد عولجت في مذكرة ٣٠ نوفمبر استمرت في القول بأن احتلال أراض من جانب قبائل رحل لا يعتبر كافياً في عرف القانون لإقامة ادعاء

صحيح ، ولو اقترن ذلك بأداء دفعات متنوعة إلى جباة الضرائب السعوديين . أما الأقوال التي ذكرت لتأييد هذا الرأي فهي أن القبائل تنتقل بشكل غير منتظم حيث تمر قبائل مختلفة في أوقات متباينة في منطقة معينة وكثيراً ما تؤدي الضرائب مجرد تفادى النزاع . إن هذه الأقوال قد نوقشت كلها في مكان آخر من هذا العرض (الفصل الثالث السابق والفصل السادس اللاحق) ويكفي أن يسجل أن هذه الأقوال تظهر في رأي الحكومة العربية السعودية جهلاً بطرائق حياة القبائل في المناطق المطالب بها ، ولا يمكن تفسير هذا الجهل إلا بأنه راجع إلى عدم الإلمام بالمناطق . وكان الجانب البريطاني إيجابياً أكثر في موافقته بالمذكرة على دراسة غير متحيزة للمشكلة تقوم بها لجنة فنية مشتركة ، وإن كان ذلك قد اقترن بعدة شروط . وكان أبعد هذه الشروط عن الإنصاف في نظر الحكومة السعودية هو مطالبة الحكومة العربية السعودية بتقديم أدلة تفصيلية تؤيد ادعاءاتها شرقي الخطين الأزرق والبنفسجي دون أن يكون هناك التزام مقابل على المملكة المتحدة للقيام بالمثل .

٦٥ - وخلال الشهر التالي لتقديم المذكرة زاد توتر العلاقات بين الحكومة العربية السعودية والمملكة المتحدة بنسف البريطانيين دون مفاوضات أو إعلان سابق للنصب التي أقامتها الحكومة العربية السعودية في بعض الجزائر الواقعة تجاه الشاطئ . وكان لهذا اللجوء إلى القوة تأثير مضاد شديد في الرأي العربي السعودي بطبيعة الأمر . إن الادعاءات الخاصة بالجزائر لا تدخل في نطاق الإجراءات الراهنة ، ولكن أثر مثل هذه الأعمال يشكل جزءاً من الأساس التاريخي للنزاع الحالي . وعلى الرغم من هذا التحدى فقد وضعت مذكرة الرد السعودي المؤرخة ٩ ذى الحجة ١٣٦٩ هـ (٢٢ سبتمبر ١٩٥٠ م) (الملحق ٣٢) في عبارات ترمي إلى حل وقد وافقت المذكرة بوجه العموم على جميع الشروط التي قرنت بإنشاء اللجنة المشتركة ، اللهم إلا الطلب الخاص بتقديم أدلة من جانب

الحكومة العربية السعودية وحدها . ولم يذكر بهذا الصدد إلا أن ذلك الأمر ليس تمهيداً ضرورياً لإنشاء هيئة للكشف عن الحقائق . وقد حث على الإسراع في إنشاء اللجنة ، وتكررت هذه الدعوة في كتابين من الشيخ يوسف ياسين إلى المستر تروت السفير البريطاني بتاريخ ٧ محرم ١٣٧٠ هـ (١٩ أكتوبر) (الملحق ٣٣) و ١٤ صفر (٢٥ نوفمبر) (الملحق ٣٤) .

٦٦ - وقد ازداد تعقد المفاوضات الآنفة الذكر بسبب أعمال التنقيب عن الزيت التي كانت تجرى في الأراضي المتنازع عليها خلال العام . وكانت هذه الأعمال صادرة عن الجانب البريطاني وحده إذ كان الجانب السعودي يحض باستمرار على عدم القيام بأعمال الزيت في المناطق المتنازع عليها ريثما تتم تسوية مسألة الحدود وذلك بقصد تقليل الاحتكاك . وتبعاً لذلك الرأي امتنعت الحكومة العربية السعودية بعد عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) عن التصريح بأي عمل من ذلك القبيل من جانبها . وفي مذكرة بتاريخ ٤ شعبان ١٣٦٩ هـ (٢١ مايو ١٩٥٠ م) (الملحق ٣٥) احتجت الحكومة العربية السعودية على عمليات الزيت في محاذة الشاطئ بين جبل الظنة وبندر المغيرة . ولم يصل الرد على ذلك إلا في ٢٠ ذى الحجة (٣ أكتوبر) عندما أجاب السفير البريطاني إجابة موجزة بأن المملكة المتحدة تعتبر ادعاء الحكومة العربية السعودية بتلك المنطقة ليس له ما يبرره ، ومن ثم فإنها لا تستطيع الموافقة على إيقاف عمليات الزيت هناك (الملحق ٣٦) . وقد أثار هذا الرد المقتضب جواباً موزوناً من الشيخ يوسف ياسين بتاريخ ٧ محرم ١٣٧٠ هـ (١٩ أكتوبر) (الملحق ٣٣) أورد فيه أن مثل هذا الموقف لا يتفق مع المقترحات البريطانية الأخرى التي تجبذ وقف الأعمال في مناطق المغمورة ، ولا مع التعهد المقترح لتحايش الأعمال التي من شأنها أن تضعف مركز أحد في المناطق المتنازع عليها ريثما تتم تحقيقات اللجنة المشتركة ، ولا مع المحادثات الشفوية بينه وبين السفير . وقد تبودلت وجهات

النظر مرة أخرى في كتاب من القائم بأعمال السفارة البريطانية في ٣٠ محرم ١٣٧٠ هـ (١١ نوفمبر ١٩٥٠ م) (الملحق ٣٧) وجواب من الشيخ يوسف بتاريخ ١٤ صفر (٢٥ نوفمبر) (الملحق ٣٤) ولكن لم يؤد ذلك إلى أى تعديل في الموقف . وأثناء ذلك قامت الحكومة العربية السعودية في ١٨ محرم (٣٠ أكتوبر) بالاحتجاج رسمياً مرة أخرى على عمليات الزيت البريطانية في المناطق المجاورة لجبل الظنة وفي المنطقة القبلية لقبيلة المناصير (الملحق ٣٨) .

٦٧ - وقد اقتضت المراسلات بين الحكومتين في أوائل عام ١٣٧٠ (١٩٥١ م) على مسألة وضع الاتفاق المبدئى على تشكيل لجنة مشتركة في أحكام محددة . وقد احتفظ كل من الجانبين بموقفه في النقاط الأساسية للموضوع ولما كان المشروع لم ير النور قط فلا داعى لاستعراض المراسلات التي جرت بالتفصيل . فالمذكرة البريطانية المؤرخة ٤ ربيع الثانى ١٣٧٠ هـ (١٠ يناير ١٩٥١ م) والجواب السعودى المؤرخ ١٩ ربيع الثانى (٧ فبراير) والمذكرة البريطانية بتاريخ ١١ رجب (١٨ إبريل) وجميعها متعلقة بهذا الموضوع ، موجودة بنصونها الكاملة في الملاحق ٣٩ و ٤٠ و ٤١ . هذا ولم يتم شئ من الترتيبات الخاصة باللجنة مما ورد في آخر هذه الوثائق ، وذلك بالنظر إلى اقتراح حل جديد قدمته الحكومة البريطانية في أواخر ربيع عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) وكان ذلك بصورة دعوة رسمية وجهت إلى الأمير فيصل لزيارة لندن خلال الصيف بوصفه وزيراً للخارجية للدخول في مباحثات مع وزارة الخارجية البريطانية بشأن الخلافات القائمة بين الحكومة العربية السعودية والمملكة المتحدة . وقد قبلت هذه الدعوة ووضعت الخطط الخاصة باللجنة مؤقتاً على الرف ، ولكن التطورات التي وقعت بعد ذلك سارت كما يظهر فيما بعد في طريق يختلف عما كان ينتظر من قبل .

٤ - مؤتمر لندن ١٣٧٠هـ (١٩٥١ م)

٦٨ - افتتح مؤتمر لندن في ٨ أغسطس ١٩٥١ م وانتهى في ٢٤ أغسطس وكان الوفد السعودي برئاسة الأمير فيصل ، ووفد المملكة المتحدة برئاسة المستر هربرت موريسون وزير الخارجية . وربما كان الجزء الأعظم من المباحثات قد خصص لمشاكل الجزائر والحدود البحرية في الخليج الفارسي ، ولكن اهتماماً جدياً قد وجه كذلك إلى مسألة الحدود البرية .

٦٩ - في مذكرة عرضت على المؤتمر بتاريخ ١٤ ذى القعدة ١٣٧٠ هـ (١٧ أغسطس ١٩٥١) (الملحق ٤٢) أعاد المندوبون البريطانيون تأكيد وجهة نظر حكومتهم فيما للاتفاقيات التركية الانكليزية من صفة ملزمة وبذلك وقع على عاتق الحكومة العربية السعودية عبء إثبات سيادتها على مناطق تقع شرق الخط الأزرق والخط البنفسجي . وأضافت المذكرة أن ذلك يمكن إظهاره من جانب الحكومة العربية السعودية بإثبات أحد الأمرين التاليين وهما :

- ١ - أن المنطقة ذات الشأن تقطنها قبيلة مستوطنة قد ثبت بمسلكها الدائم المنتظم خلال مدة من السنين تتصل بالوقت الحاضر أنها تدين بالولاء بصفة قاطمة لجلالة الملك ابن سعود . وإذا كانت إحدى المناطق تقطنها قبيلة مستوطنة فإن زيارة قبيلة منتقلة لها بصورة منقطعة ان يكن ذات أثر في وضعها ذلك الغرض .
- ٢ - أن المنطقة ذات الشأن .

(أ) لا تقطنها قبيلة مستوطنة .

(ب) وتستعملها عادة قبيلة منتقلة يثبت أنها بمسلكها المستمر خلال مدة من السنين تتصل بالتاريخ الحاضر قد أعلنت ولاها بصفة قاطمة لجلالة الملك ابن سعود كما أنها أولاً - لم تعان ولاها بمسلك مماثل خلال مدة ماثلة لأي رئيس أو حاكم مشمول بحماية صاحب الجلالة البريطانية أو لعظمة سلطان مسقط أو لأي رئيس يدين بالولاء لعظمته . ثانياً - أو لم تقبل سلطة أي رئيس أو حاكم من هؤلاء في سبيل إقامة بالمنطقة ذات الشأن .

(ج) ولا تستعمل بانتظام من جانب قبيلة منتقلة لم تعترف بالولاء لجلالة الملك ابن سعود بمسلك كالمبين في الفقرة (ب) .

واختتمت المذكورة بالقول بأنه نظراً إلى أن الحقائق المتعلقة بهذه المعايير غامضة في حالات كثيرة فقد وافقت المملكة المتحدة على اللجنة المقترحة للكشف عن الحقائق .

٧٠- وفي الجلسة السابعة للمؤتمر بتاريخ ٢٠ أغسطس بحثت المذكورة البريطانية ، وبعد أن أعاد الأمير فيصل وجهة النظر السعودية عن الاتفاقيات التركية الانكليزية أشار إلى الاعتراضات المتعددة على المعايير التي اقترحها البريطانيون ثم استأنف الكلام قائلاً :

ما دامت المشكلة تظهر مستعصية على الحل على اساس الاقتراحات التي قدمت حتى الآن ، فإنه يرغب بتقديم اقتراح شخصي بحث وهو أن يحصل اجتماع مائدة مستديرة تضم كل شيخ معنى ويمثلا عن سلطان مسقط وطبعاً ممثل عن حكومة جلالته ، وهؤلاء يجتمعون بممثل الملك ابن السعود وفي جو المائدة المستديرة هذا يبحثون جميع اختلافاتهم ويقدمون طلباتهم مستندة إلى معرفتهم الشخصية واعتقادهم وهو يأمل أن هذه الوساطة تسهل الوصول إلى تسوية يقبلها كل من يعنيه الأمر ويتميدهم لأنهم يكونون قد وافقوا شخصياً وبذلك يتحاشى التأخير الطويل الذي تسببه لجنة تحقيق ومفاوضات تعقبا. (١)

٧١- وفي الجلسة التاسعة بتاريخ ٢٢ أغسطس أفاد الوفد البريطاني أن حكومته ترحب بفكرة المؤتمر الذي اقترحه الأمير فيصل على أن يكون من المفهوم أن وفد المشايخ سوف يرأسه ممثل المملكة المتحدة . واقترح الوفد البريطاني أن يسبق المؤتمر لجنة للكشف عن الحقائق ، ثم اقترح الأمير فيصل وقف جميع الأعمال في المناطق المتنازع عليها ريثما يتوصل إلى قرار بشأن السيادة على هذه المناطق . وقد أدى ذلك إلى بحث مستفيض في الجلستين التاسعة والعاشر عن نوع الأعمال ومدى المناطق التي تتعرض لمثل ذلك الإيقاف . وقد سعى الوفد السعودي إلى أن يوقف في جميع المناطق المتنازع عليها كافة الأعمال المستحدثة وخصوصاً ما يتعلق

(١) مضابط الجلسة السابعة (مجلها الجانب البريطاني نيابة عن كلا الجانبين في الملحق ٤٣ .)

منها بشركات الزيت وقوات عمان الساحلية التي نظمت مؤخراً تحت إشراف البريطانيين. وأما البريطانيون فقد ذهبوا إلى أن المنطقة الواقعة غرب خط المملكة العربية السعودية لعام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) (كذا) هي وحدها موضوع النزاع وإن أعمال ساحل عمان ذات صبغة عادية للأمن والإدارة فلا ينبغي أن تمنع. على أن الوفد البريطاني سلم في النهاية بضرورة وقف أعمال قوات ساحل عمان كما وافق كلا الجانبين على وقف أعمال الزيت. وكان من المفهوم لدى الجانبين أن النشاط الإداري العادي في المناطق المتنازع عليها يجب أن يسمح باستمراره، وأوضح الوفد السعودي أنه عني بهذا النشاط ما كان موجوداً منه في ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) أو قبل ذلك التاريخ. (٢)

٧٢ - وبعد مراجعة الأمير فيصل لجلالة الملك في اقتراح عقد مؤتمر مائدة مستديرة وموافقة جلالته على ذلك، وضع الاقتراح في صورته النهائية في خلاصة للمباحثات بالشكل التالي (الملحق ٤٦):

اتفق الفريقان على أن يعقد اجتماع في وقت قريب وفي مكان يتفق عليه بحضور حضرة صاحب العظمة حاكم قطر وحكام أبو ظبي وحكام المقاطعات الأخرى الذين يعينهم الأمر تحت رئاسة مندوب بريطاني يرأس فريق الحكام الذين لهم معاهدات مع الحكومة البريطانية ومندوبين من قبل حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود لدرس الواقع مما هو عائد للملكة العربية السعودية أو لأي من أولئك الحكام والمشايخ في الساحل العماني وذلك للوصول إلى اتفاق على تحديد الحدود بصفة عادلة طبقاً لما كان لجلالة الملك عبد العزيز ولآبائه وأجداده ولما كان لأولئك الأمراء وآبائهم وأجدادهم في تلك المناطق المختلف عليها.

أما الشروط الخاصة بوقف الأعمال فقد وضعت في نفس الوثيقة بالشكل

التالي:

(٢) مضايطة الجلسة التاسعة في الملحق ٤٤ ومقتطفات من مضايطة الجلسة العاشرة في الملحق ٤٥.

لقد اتفق الطرفان على أنه إلى نهاية المؤتمر الذي سيعقد في الشتاء القادم فإن حركات وتنقلات مندوبي شركات الزيت من الطرفين وأيضاً حركات وتنقلات قوات عمان ستحدد خارج المنطقة التي سيدور البحث حولها في المؤتمر وهذا قد قبله كلا الطرفين بدون مساس في حقوقها في المناطق التي ستكون محل البحث .

واتفق بعد ذلك على عقد المؤتمر في مدينة الدمام .

٥ - مؤتمر الدمام ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م)

٧٣ - افتتح المؤتمر المنصوص عليه في اتفاقية لندن في مدينة الدمام في ٢٨ يناير ١٩٥٢ م ، وبالنظر لوفاة الملك جورج السادس تأجل الاجتماع في ٧ فبراير بناء على طلب الوفد البريطاني ، ثم عاد المؤتمر إلى الانعقاد في ١٤ فبراير وتأجل في نفس اليوم إلى أجل غير مسمى وذلك بناء على طلب الوفد البريطاني ، ولم يدع المؤتمر ثانية إلى الاجتماع بعد ذلك التاريخ . وكان يرأس الوفد السعودي الأمير فيصل ورأس الوفد البريطاني السير روبرت هاي المعتمد البريطاني في الخليج الفارسي . وقد حضر الاجتماع شخصياً كل من حاكم قطر الشيخ على ابن عبد الله آل ثاني وحاكم أبو ظبي الشيخ شخبوط بن سلطان . واقتصرت المباحثات على الحدود البرية بين البلاد العربية السعودية وقطر وعلى الحدود البرية الغربية والجنوبية لأبو ظبي . أما الحدود في اتجاه البريمي وعمان فلم تناقش . وبالنظر إلى أن معظم النقاط الرئيسية التي أثارها الجانبان في ذلك الوقت قد عولج في مكان آخر من هذا العرض فلن يقدم هنا سوى استعراض موجز لحجج الجانبين وموقفهما .

٧٤ - إن الحدود بين البلاد العربية السعودية وقطر لا تدخل في نطاق عملنا الحالي الذي لم يشترك حاكم قطر طرفاً فيه . ولكن وضع هذه الحدود يؤثر - كما ذكر آنفاً - في نقطة انتهاء حدود أبو ظبي ، حسب تعريفها في الادعاءات البريطانية التي مدت هذه الحدود حتى وصلت إلى قطر . ولذلك فقد يجدي أن نصف - كمعلومات تاريخية - الخط الذي ادعى به البريطانيون في مؤتمر الدمام نيابة عن قطر . ويبدأ هذا الخط على الطرف الغربي لشبه الجزيرة في نقطة تبعد حوالي ثمانية كيلومترات إلى الشمال من سلوة ، ثم يتجه إلى أقصى نقطة غربية لحوار العديد على الجانب الشرقي مع نتوء نحو الجنوب في أنشودة

كبيرة مارة بعدد من النقاط المسماة . ومن الواضح أن الادعاء قد شمل أراضي أوسع من تلك التي تقدم بها الاقتراح البريطاني عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥ م) ، بل إن الادعاء ليسير أبعد من ذلك بحيث يدخل في قطر هجرة الأخوان في السكك وهي المعروفة بوقوعها في المملكة العربية السعودية منذ زمن بعيد (الفقرة ١٠ من الفصل الثاني) والخط المدعى به موضح بصفة عامة في الخريطة الأولى ثم بتفصيل أوسع في الخريطة الثانية .

٧٥- وفي صباح يوم ٢٩ يناير من أيام المؤتمر أعلن حاكم قطر أنه كان دائماً يعتبر ملك البلاد العربية السعودية والده وأن أى قرار يتخذه جلالته بخصوص حدود قطر يعتبر مقبولاً لديه^(١) . وبعد مهلة قصيرة طلبها المندوب البريطاني لإجراء حديث خاص بينه وبين الحاكم استأنف المؤتمر أعماله وأكد السر روبرت أنه هو الشخص الذى يحق له الكلام عن حاكم قطر . فقال الأمير فيصل إن ادعاء قطر سوف يحال إلى الملك لاتخاذ قرار فيه حسب طلب الحاكم وهنا اشترط السر روبرت هاى أن الحكومة البريطانية بوصفها المخولة بحماية مصالح قطر يجب أن تحتفظ بحقها فيما يتعلق بالموافقة على أى قرار يتخذه الملك . ثم قال الأمير فيصل إنه يقدر الدور الذى تقوم به بريطانيا في الخليج الفارسي إلا أن الواقع أن البريطانيين ليسوا أصحاب الأراضي التي يجري البحث فيها وفي اعتقاده أن التفاهم الذى تم في لندن كان يرسم فكرة عقد اجتماع يقوم فيه الحكام المحليون أنفسهم - بوصفهم أصحاب المناطق المتنازع عليها - بتقليب أوجه الخلاف فيما بينهم بروح المودة والحوار . ولم يوافق السر

(١) إن ثقة حاكم قطر كان لها ما يبررها من السوابق . ففي نزاع بين اليمن والبلاد العربية السعودية في ١٩٣٢ حول ملكية جبل العرو أعلن الإمام يحيى ملك اليمن أنه يترك الفصل في ذلك للملك عبد العزيز ، وفي ظرف أربعة أيام أعلن الملك قراره الذى كان ضد البلاد العربية السعودية وفي صالح اليمن . الكتاب الأخضر السعودى عن العلاقات مع اليمن ، ص ١٦ - ١٧ ، والمجلة الأمريكية للقانون الدولي ، مجلد ٣٣ (١٩٣٩ م) ص ٣٥٦ - ٣٥٩ .

روبرت هاى على ذلك وذكر الشرط الوارد فى اتفاقية لندن بأن يكون الحكام تحت رياسة شخص بريطانى دليلاً على أنه هو الذى يستطيع أن يتكلم نيابة عنهم . وعند ذلك حذر الأمير فيصل من رد الفعل السىء الذى قد ينجم عن تدخل البريطانيين دون ضرورة فى مفاوضات تجرى بين جيران وأصدقاء .

٧٦ - أما فيما يتعلق بالحدود بين البلاد العربية السعودية وأبو ظبي ، فإن الموقف بشأنها فى مؤتمر الدمام كان أكثر تعقيداً . وقد قدم البريطانيون ادعاء أبو ظبي فى ٣٠ يناير نيابة عن الشيخ شخبوط الذى كان مسلكه أكثر تحفظاً خلال المؤتمر من مسلك حاكم قطر . وقد كان الخط المدعى به يمتد من سوداء نثيل على حدود قطر المقترحة فى اتجاه الجنوب والجنوب الشرقى حتى القرينى (وقد وضعت على الخريطة المقدمة على أنها تقع عند خط العرض الشمالى ٢٢ درجة و ٥ دقائق وخط الطول الشرقى ٥٣ درجة و ٤٠ دقيقة على وجه التقريب) ثم يتجه الخط إلى الشمال الشرقى حتى أم الزمول (وقد بينت على الخريطة المقدمة عند خط العرض الشمالى ٢٢ درجة و ٣٥ دقيقة وخط الطول الشرقى ٥٥ درجة و ١٠ دقائق على وجه التقريب) . وحال الخط دون وصول أراضي المملكة العربية السعودية إلى الساحل الواقع شرق قطر ومثل على العموم ادعاء أوسع من خط ريان المقدم سنة ١٩٣٥ وأوسع من أية تعديلات أدخلت على خط ريان فيما بعد . وفى اعتقادنا أن لهذا التوسع أهمية فى تقدير الشكاوى البريطانية من أن المملكة العربية السعودية ارتكبت من بعض النواحى عملاً غير لائق إذ جعلت خطها المقترح عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) يقع إلى الشرق من الخط الوارد فى عرضها لحل وسط عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) . إلا أن ذلك الخط المدعى به لم يمتد غرباً فى أية نقطة من نقطه حتى الخط الأزرق كما أنه ليس ثمة دلائل على أنه قد اشتق منه أو رسم على أساسه . والخط المذكور مبين فى الخريطة الأولى .

٧٧ - ولأول مرة في تاريخ المفاوضات قدم الوفد البريطاني في الدمام بعض الحجج المعينة لتأييد ادعاء أبو ظبي . وكان من بين هذه النقاط التي قدمت في بيان شفوي يوم ٣١ يناير ما يلي :

- ١ - أن قبيلة بني ياس - ويدعى أنها من أتباع أبو ظبي - هي القبيلة المسيطرة على الإقليم الواقع غربي سبخة مطي .
- ٢ - أن النشاط البحري وأعمال صيد السمك في شاطئ الظفرة هي في أيدي بني ياس على الأغلب ، وأنهم يمارسونها بتصريح من حاكم أبو ظبي .
- ٣ - أن حاكم أبو ظبي كان يجمع الزكاة من قبائل بني ياس والمناصير .
- ٤ - أن أبناء بني ياس والمناصير للمذهب المالكي من مذاهب السنة يثبت أنهم لا يمكن أن يكونوا سعوديين .
- ٥ - أن حاكم أبو ظبي كان له أمير وقاض في ناحية الجواء .
- ٦ - أن أخا حاكم أبو ظبي ولد في الجواء .

٧٨ - وفي التعليق على هذه الأقوال أشار الوفد السعودي ، في جملة ما أشار إليه ، إلى أن « بني ياس » في الواقع غير معروفين تقريباً غربي سبخة مطي ، وأن النشاط البحري ورخص صيد السمك الصادرة في مدينة أبو ظبي لا تقرر وضع الأقاليم البرية ، وأن الزكاة المزعومة لا تتجاوز هدية ثلاثين سلة تقريباً من سلال التمر مقدمة من بعض أفراد بني ياس في الجواء ، وأن أمير الجواء المزعوم لم يقض هناك إلا شهرين اثنين خلال عام واحد ، وأنه إذا كان المذهب المالكي حائلاً دون الجنسية السعودية فإن ذلك سوف يدهش الكثيرين من رعايا جلالته المخلصين ومنهم قاضي الظهران المالكي المذهب . أما أن أخا حاكم أبو ظبي قد ولد في الجواء فهذه حجة يمكن أن تقدرها الحكومة العربية السعودية لأنه على ذلك ينبغي أن تؤول الكويت إلى البلاد العربية السعودية لأن الكويت كانت مهد ولادة ولي العهد (جلالة الملك سعود الآن) .

٧٩ - وكذلك قدم الوفد السعودي أدلة إيجابية لتأييد موقف الحكومة العربية السعودية وكانت هذه على وجه العموم من النوع المبين كاملاً في أمكنة

أخرى من هذا العرض ولا داعى لتفصيلها في هذا المجال . على أن هذه الأدلة كانت تشكل جزءاً محسوساً من الأدلة المتعلقة بولاء القبائل للجانب السعودي في هذه المنطقة ، وبامتداد ديار القبائل ، وبالنشاط الإدارى للموظفين السعوديين . وقد بدا أن الوفد البريطانى غير مستعد لإيلاء هذه الأمور اعتبارها المناسب كما أنه لم يقدم فى تنفيذها أدلة من نفس الطراز . وفى أكثر من مرة حاول البريطانيون إثارة خط فؤاد أساساً للمباحثات ، ولكن بشكل معدل كان من شأنه أن يحرم البلاد العربية السعودية حتى من شقة الساحل الضيقة إلى الشرق من قطر وهي التى كانت الحد الأدنى عند فؤاد حمزة . وقد أشار المندوبون السعوديون إلى أن الحل الوسط الذى كان قدمه فؤاد قد مات منذ زمن طويل ، وأن المؤتمر مكلف على كل حال بموجب اختصاصاته بأن يدرس الحقائق التى تتعلق بما يعود لكل من الجانبين . وعلى الرغم من هذا التحديد فقد وافقوا بروح ترمى إلى حل على أن يرفعوا الاقتراح البريطانى إلى جلالة الملك للنظر فيه .

٨٠ - وهكذا وصل المؤتمر إلى مأزق بعد تقديم الأدلة السعودية التى لم تفند ، ولم يؤد أسبوع من التأجيل إلى إحداث أى تغيير فى الموقف . وفى ١٤ فبراير اتفق على تأجيل آخر لمدة شهر على الأقل كما ووفق على الاحتفاظ بالقيود المفروضة على أعمال شركات الزيت وقوات ساحل عمان ، وهى القيود التى قررت فى لندن ، وذلك على أساس أن المؤتمر قد تأجل فقط دون أن ينفض . وكما ذكر من قبل فإن المؤتمر لم ينعقد ثانية ، ولكن بالنظر لعدم الوصول إلى أى اتفاق جديد فقد كانت الحكومة العربية السعودية تعتبر دائماً أن تلك القيود سارية المفعول باستمرار .

٨١ - وبعد تأجيل اجتماعات الدمام جرت محادثة بالرياض بين الأمير فيصل والمستر بلهام السفير البريطانى وكان ذلك حوالى ٣ جمادى الآخرة ١٣٧١ هـ (٢٨ فبراير ١٩٥٢ م) . وقد أوضح الأمير فيصل فى الاجتماع أن

الاقتراح البريطاني في الدمام بإعادة إثارة خط فؤاد هو اقتراح غير مقبول بالمرّة من جانب الحكومة العربية السعودية . ومهما كان قد حدث في عهد مفاوضات فؤاد حمزة ، فإن ذلك الاقتراح لم يربط المملكة العربية السعودية بعد نحو عشرين عاماً وليس من الممكن أن يربطها . وقد قرأ الأمير فيصل على السفير رسالة من الملك نفسه عن هذا الموضوع (الملحق ٤٧) ، وهذه الرسالة تؤكد أنه إذا

كانت الحكومة البريطانية تريد الاستمرار في سياستها في اقتطاع جزء من أراضينا وأراضي آبائنا وأجدادنا وإعطائها لشيخ أبو ظبي أو غيره متناسية حقوقنا المشروعة وصادقتنا معها فهذا ما لم نكن ننتظره منها نتيجة للصدقة والمردة الصميّة التي كانت ولا تزال تربطنا بالحكومة البريطانية كما كان أملنا فيها ترغب في الإنصاف وعدم اقتطاع أملاكنا فإننا لا نرغب إلا في بلادنا وبلاد آبائنا وأجدادنا .

إن مشابهة هذه العواطف لتلك التي عبر عنها الملك في ١٣٥٢ هـ (١٩٣٤ م) (الملحقان ٧ و ١٠) لأمر رائع حقاً .

٨٢ - وفي نفس ذلك الاجتماع تقدم السفير البريطاني باقتراح شخصي مؤداه أن يعين شخص ثالث محايد أو جماعة من الأشخاص المحايدين للتحكيم بين الجانبين والوصول إلى تسوية مرضية . وقد أجاب الأمير فيصل بأن مؤتمر الدمام أوضح أن الجانبين لم يتفقا بعد على المبادئ التي يمكن أن تقرر التسوية ولا بد من الوصول إلى مثل ذلك الاتفاق أولاً ، على أن الأمير فيصل أبدى أن طرفاً ثالثاً قد يساعد في إنجاز هذه المحاولة . ثم وعد السفير يبحث اقتراحه الشخصي مع حكومته وأن يطلب منها تعليمات بشأنه .

٦ - مسألة البريمي واتفاقية التوقف ١٣٧٢ - ١٣٧٣ هـ (مارس -
أكتوبر ١٩٥٢ م)

٨٣ - أخذت الحكومة العربية السعودية لمدة من الوقت قبيل ربيع عام
١٩٥٢ تتلقى أخباراً من البريمي والمناطق المجاورة لها عن الاهتمام المتزايد الذي بدأ
يظهره البريطانيون ، والأشخاص الذين يعملون لمصلحتهم ، بأمر ذلك الإقليم .
وورد الكثير من هذه الأخبار شفهيّاً ولكن بعضها جاء كتابةً واثنان من الكتب
يظهران الروح العامة الكامنة وراءها . كتب الشيخ راشد بن حمد بن شامس
من البريمي إلى الملك في ٩ رمضان ١٣٧٠ هـ (نحو يونيو ١٩٥١ م) (الملحق
٤٨) يحذره من

مقاصد الأجانب والمستعمرين والعرب المشاغبين العامرين بحسب مطالب الأجانب...
ونحن وديارنا وأحرامنا الكرم .

وبعد بضعة أسابيع ، كتب راشد بن سعيد أكبر مشايخ البلوش في عمان
من المازم في ١٥ شوال ١٣٧٠ (نحو ٢٠ يوليو ١٩٥١) (الملحق ٤٩)
يقول :

لا زال يتردد علينا الإنجليز بواسطة السيد سلطان مسقط وبواسطة آل بو فلاح...
ونحن ومن تبعنا من القبائل إن شاء الله تبع المملكة الرشيدة السعودية .

وقد أكد رؤساء القبائل والأعيان الآخرون الذين كانوا يراقبون هذه
التطورات ولاءهم للملك وطلبوا منه تعليقات بخصوص الموقف الذي يجب أن
يتخذوه .^(١)

(١) يوجد في الملاحق ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ أمثلة لبيانات من هذا القبيل وردت في
ذلك الوقت من أعيان في سائر منطقة الظاهرة .

٨٤ - وقد أدت هذه الحوادث في ٣ رجب ١٣٧١ هـ (٣٠ مارس ١٩٥٢ م) إلى إرسال مذكرة إلى السفارة البريطانية في جدة (الملحق ٥٥) اشتمت فيها المملكة العربية السعودية من أعمال البريطانيين وذكرت رسمياً أنها لا تستطيع أن تعترف بسيادة أى من حكام الساحل العماني على منطقة البريمي إذ أن الزعماء المحليين هم رعايا يدينون بالولاء للملك. وعلى هذه الرسالة ورد رد من المملكة المتحدة (الملحق ٥٦) ينفي التأكيدات السعودية ويدعى بأن الزيارة التي قام بها ضابط سياسى بريطانى إلى البريمي كانت أثناء تأدية « مهام إدارية » مما سمحت اتفاقية لندن باستمراره في المناطق المتنازع عليها . ويمكن الإشارة إلى أن هذا الرد كان متحفظاً بشكل يدعو إلى الدهشة إذ أنه كان خالياً من ذكر الحاكم الذى تصرف « هذه المهام الإدارية » بالنيابة عنه .

٨٥ - وبما أن المحاولة لتوسيع النفوذ البريطانى قد عكرت صفو الحالة التي كانت سائدة قبلاً في منطقة البريمي ، فقد ازداد الاضطراب بين السكان هناك خلال الربيع والصيف . ووردت عرائض إلى الرياض تحث على إقامة السلطة السعودية على أسس أقوى رسمياً من أسس الولاء عن طريق زعماء القبائل كما تجابه المناورات البريطانية بطريقة أكثر فعالية. (٢) ونتيجة لذلك بعثت الحكومة العربية السعودية بتركى آل عطيشان في ذى الحجة ١٣٧١ هـ (أواخر أغسطس ١٩٥٢ م) لتولى مهامه أميراً للبريمي ومسئولاً أمام أمير الحسا . وقد رافق ابن عطيشان - وكان موظفاً في الإدارة المدنية في مقاطعة الحسا هيئة مدنية يتراوح عددها بين ثلاثين وأربعين شخصاً من كتبة وفنيين وشرطة وخدم . وكانت هذه الجماعة مثالا للجماعات التي تساعد الموظفين السعوديين أثناء مزاولتهم الطبيعية لمهامهم ، والشئ المؤكد للغاية أن هذه الجماعة لم تضم أية قوات

(٢) الملحقان ٥٣ و ٥٤ مثلان خطيان لهذه العرائض .

بل كانت برمتها ذات طابع مدني ولم تتوقع حدوث أية مصاعب خاصة . ومن المؤكد أنه لم يكن من الممكن قط أن تكون هذه الجماعة أداة للعدوان المسلح كما اتهمت فيما بعد .

٨٦ - وفي مذكرة سلمتها السفارة البريطانية في جدة بتاريخ ٢٤ ذى الحجة ١٣٧١ هـ (١٤ سبتمبر ١٩٥٢ م) (الملحق ٥٧) احتج رسمياً على وصول ابن عطيشان إلى البريمي وقيل إن البريمي واقعة داخل الأراضي التي تشملها قيود لندن وأن وصول ابن عطيشان هو خرق لهذه القيود وأنه يجب سجنه ومرافقته في الحال . وبينت المذكرة بالإضافة إلى هذا أنه بما أن « جزءاً من أراضي البريمي يقع ضمن سلطنة مسقط » فإن المملكة المتحدة تحتج بالنيابة عن السلطان بطلب منه « وبالإصالة عن نفسها » . ولم يرد هناك أى ذكر لحاكم أبو ظبي وكان ذكر السلطان أول إشارة رسمية عرضت على المملكة العربية السعودية بأن ثمة حقوقاً في البريمي يطالب بها نيابة عنه . وفي الوقت الذي سلمت فيه هذه المذكرة أدلى المستر ريتشز القائم بالأعمال البريطاني بتصريح شفوي انطوى على ما يأتي :

إن على أن أطلب جواباً عاجلاً ومرضياً لأنه إذا لم يسحب تركي بن عطيشان كما هو مطلوب فإن حكومية جلالته ستكون مضطرة لاتخاذ الإجراء الذي قد تراه ضرورياً لحماية موقفها .

٨٧ - وفي مقابلة له مع جلالة الملك في ١٥ سبتمبر كرر المستر ريتشز الشكاوى الواردة في المذكرة البريطانية ثم خاطبه الملك قائلاً :

إن تشرشل يدعوك « راعي الليالي السود » (٣) ولكنه يجيء الآن ليطلب بأرضي . ارجع إلى تاريخي معكم منذ الأيام الأولى حتى الوقت الحاضر وانظر كيف تعاملت مع

(٣) « لقد شاقني أن قابلت الملك ابن سعود حاكم المملكة العربية السعودية الشهير وكان لي شرف دعوة هذا الرجل العظيم إلى الغداء في واحة الفيوم ، وإعرابي له عن شكر بريطانيا العظمى على إخلاصه الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل لبلادنا والتضحية المشتركة والذي لمع أكثر ما لمع في

الحكومة البريطانية ومع جميع العرب والمسلمين . وحتى أنني تكلمت علناً في مكة أمام
جموع المسلمين في أيام الحرب مناشداً الناس الوقوف إلى جانب بريطانيا، فلماذا كان
هذا إذا كانت النتيجة أن تبدأ الحكومة البريطانية في إعطاء أراضي لأناس لم
يفيدها بشيء وتأتي الآن لتطلب مني أرض وأرض أجدادي ؟ أين هي الصداقة ؟ إنني
لست مستعداً للتخل عن شبر من أراضي . هل تفضلون الصدق والتعدل ؟ تعالوا
ودعونا نبحث المسألة كأصدقاء لكي نحل المشكلة في ساعة واحدة على أساس ما كان
ملكاً لأبائي وأجدادي وما هو الآن ملك لي . (٤)

٨٨ - وجرت فيما بعد مباحثات حول المذكرة البريطانية بين الشيخ يوسف
ياسين والمستر ريتشز في ١٥ و ١٦ سبتمبر ولخصت في النهاية النقاط التي
عرضت شفويّاً إذ ذلك في الرد الرسمي السعودي بتاريخ ٢٨ ذي الحجة (١٧
سبتمبر) (الملحق ٥٨) الذي أعربت فيه المملكة العربية السعودية عن وجهة
نظرها بأن لا صفة هناك للمملكة المتحدة في البريمي بما أن المنطقة لم تكن تحت
سيطرة أي من الحكام الواقعيين تحت الحماية البريطانية ، وأن زيارة الموظف
البريطاني قد عجلت بإثارة القضية وجعلت من الضروري لإرسال ابن عطيشان
وأن قيود لندن لا تمتد إلى منطقة البريمي وعلى أي حال فإنها تنطبق فقط على
شركات الزيت وقوات ساحل الصلح وليس على الموظفين السعوديين ، ومع
استنكار الجواب للهجة المذكرة البريطانية الأخيرة فإنه أكد رغبة المملكة العربية
السعودية في تسوية أي نزاع بالطرق السلمية .

٨٩ - وبينما كان يجري تبادل الآراء في الرياض واصل المشايخ المحليون
والأعيان في البريمي اشتراكهم في مظاهر الولاء للمملكة العربية السعودية .
فثلاً لم يمض وقت طويل على وصول ابن عطيشان حتى اشترك ثمانية وعشرون

أشد الأيام حلقة وسوادا في أوقات الخطر المميت . . رئيس الوزراء تشرشل في مجلس العموم
٢٧ فبراير سنة ١٩٤٥ « المناقشات البرلمانية في مجلس العموم » سلسلة ٥ ، مجلد ٤٠٨ ،
عمرد ١٢٨٩ .

(٤) محاضر المحادثات ، ٢٦ ذي الحجة ١٣٧١ هـ (١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٢ م) .

منهم في إعلان يسلمون فيه أمرهم « لمولانا صاحب الجلالة الملك المعظم » (الملحق ٥٩) . ولم تكن أقل هذه الظواهر أهمية أن تكون هذه الوثيقة قد صدق عليها ليس أمام قاضي البريمي فحسب بل أمام قاضي الشارقة ومطوع دني أيضاً ، وكلا البلدين من المشيخات الساحلية المشمولة بالحماية البريطانية . وفي الأسابيع التي تلت ذلك أصدر الكثير من الأعيان الآخرين في المناطق المجاورة بيانات مماثلة (جميع الملاحق من ٦٠ إلى ٦٦) وخلال شهر من وصول ابن عطيشان إلى البريمي بلغ عدد الزعماء الذين وقعوا بيانات كتابية من هذا النوع ما لا يقل عن تسعة وخمسين .

٩٠ - وبالطبع لم يكن البريطانيون ليسمحوا باستمرار هذا النوع من المظاهر ، وفي الوقت نفسه تقريباً أي في الوقت الذي وقع فيه أول البيانات الآنف ذكرها وصل إلى البريمي ضابط سياسي بريطاني قادماً من الشارقة ترافقه قوة مسلحة وأقام مركزاً يبعد نحو أربعة كيلومترات عن القرية . وحوالي هذا الوقت بدأت الطائرات الحربية البريطانية القيام ببرنامج يكاد يكون يومياً بالتحليق على ارتفاع منخفض فوق قرية حماسا وما جاورها ، وهي القرية التي اتخذها ابن عطيشان مقراً لعمله . وقد كان ممكناً أن يرتد هذا النوع من الكيد الصياني إلى نحور الجناة لو أن السكان المستثارين قابلوا ذلك بإطلاق النار كما كان يرغب الكثيرون منهم . ولكن ابن عطيشان ، على كل حال ، أصدر ونفذ أوامر مشددة بعدم المقابلة بالمثل فلم تقع أية أضرار (وهذا مقياس لسلطته الفعالة) .

٩١ - وقد أقر جلالته الملك موقف ابن عطيشان (الملحق ٦٧) بينما اتخذت الحكومة العربية السعودية خطوات للاحتجاج على هذا الإرهاب الجوى ، وكان ذلك بمذكرة إلى السفارة البريطانية في جدة (الملحق ٦٨) . وبعد يومين اثنين تناول احتجاج آخر (الملحق ٦٩) موضوع وصول قوات برية مسلحة إلى البريمي .

وقد أدى وصول القوات العسكرية التي أصبحت تتألف في النهاية من فصائل قوات الساحل وقوات عدن. (٥) ومن بعض الجماعات المسلحة غير النظامية التي تعمل في خدمة حاكم أبو ظبي وسلطان مسقط ، أدى ذلك سريعاً إلى بناء قوة تفوق بمراحل جماعة ابن عطيشان من الأتباع والموظفين المدنيين ، وقامت القوات البريطانية في نفس الوقت بإجراءات لها صفة الحصار ضد ابن عطيشان وجماعته وضد الذين يميلون إلى الجانب السعودي في الواحة . وقد ضعفت عزيمته السلطان عن القيام بمحاولة فيما بعد لإرسال قوة أكبر من جهة صحار في أكتوبر ، وكان السبب ، كما نقلته الأخبار التي وصلت إلى علم الحكومة العربية السعودية ، هو الموقف غير الموالى من جانب القبائل التي تتحكم في الممرات الموجودة وسط الجبال بين صحار والبريمي . وقد كانت هذه التعبئة في صحار هي الأخرى موضع احتجاج من جانب الحكومة العربية السعودية في مذكرة مؤرخة ١١ أكتوبر .

٩٢- وبالنظر إلى الموقف الخطير الذي أوجدته هذه الخطط والحركات فقد أمر الملك في ٢٩ ذى الحجة ١٣٧١ هـ (١٩ سبتمبر) السفارة السعودية في لندن بتقديم رسالة شخصية من جلالته إلى وزير الخارجية البريطانية (الملحق ٧٠) . وقد ذكر جلالته في هذه الرسالة أن الموقف البريطاني ليس مؤملاً له شخصياً فحسب بل إن مثل ذلك الخلاف ليس في مصلحة أحد في العالم العربي في وضعه العام . وأضاف جلالته أنه واثق من أن المستر إيدن سوف يقدر الموقف ، ولكن إذا لم يحدث ذلك فإن الحكومة العربية السعودية قد تضطر إلى اللجوء إلى مجلس الأمن للدفاع عن حقوقها . وقد سلم الرد على هذه الرسالة (الملحق ٧١) في ١٩ محرم ١٣٧٢ هـ (٩ أكتوبر) . وقد أكد المستر إيدن في ذلك الحين بجلالة الملك أن عمل الطائرات التابعة للسلاح الجوي الملكي قد

(٥) أبلغت الحكومة العربية السعودية أن سبب إدخال فصائل قوات عدن إلى البريمي هو أن الموظفين البريطانيين كانوا يشكون في إمكان الاعتماد على قوات عمان الساحلية .

أوقف، وأبدى استعدادة لسحب قوات ساحل عمان بمجرد انسحاب ابن عطيشان وذكر المستر إيدن أن اقتراحات بريطانية جديدة بشأن مشكلة الحدود سوف تصل قريباً على الرغم من أن هذه الاقتراحات « قد تأخرت بسبب العمل الذي قام به جلالة الملك في البريمي ». وينبغي أن يلاحظ بصفة عابرة أن التأكيد الذي ورد في الرسالة عن تعزيز ابن عطيشان بالرجال لم يكن له من أساس، هذا ولم يبد الجانب البريطاني شيئاً من الاهتمام بالنتائج السياسية العامة التي ذكرت في رسالة الملك .

٩٣ - وقد تولت مذكرة رسمية بريطانية بتاريخ ١٨ ربيع الأول ١٣٧٢ هـ (٣ أكتوبر) (الملحق ٧٢) الرد على الحجج الواردة في المذكرة السعودية المؤرخة ٢٨ ذى الحجة ١٣٧١ هـ (١٧ سبتمبر) . ففيما يتعلق بخروج البريمي عن دائرة القيود المفروضة في مؤتمر لندن أو الدمام اعترف بأن البريمي لم تذكر في محاضر المؤتمرين ولكن قيل إن هذا الإغفال كان « بمحض الصدفة » . وعلى أي حال فقد استمرت المذكرة في القول بأن حكومة المملكة المتحدة تعتبر أراضي البريمي « ملك حكومات أخرى » وهي تحتفظ بموقفها « بالنيابة عن مشيخات عمان الواقعة تحت حمايتها وبالنيابة أيضاً عن سمو سلطان مسقط » . وقد عملت الإشارة الغامضة إلى مشيخات عمان عامة على استمرار ترك المجال مفتوحاً لاختيار أي من هذه المشيخات أو كم منها يدخل حلبة النزاع . وقد تكرر هذا الغموض في الفقرة التالية من المذكرة التي قيل فيها إن إرسال القوات والطائرات كان بناء على طلب السلطان ومشايخ الساحل وإن ذلك كان « لجرد تأمين سلامة القبائل الواقعة تحت حمايتهم ضد ما كان يذئب، على ما يظهر، أنه خطر مهدد يتمثل في شخص ابن عطيشان . ثم كررت المذكرة طلب سحب ابن عطيشان .

٩٤ - وفي ذلك الوقت سعت الحكومة العربية السعودية للحصول على المساعي الطيبة من جانب حكومة الولايات المتحدة . وعلى الرغم من أن هذه المساعي لم تقدم بصفة رسمية فإن السفير الأمريكي المستر هير قدم مقترحات شخصية قيمة قبلتها الحكومة العربية السعودية في الحال وكانت هذه المقترحات تدعو إلى أن ترفع الإجراءات التقييدية ، وأن يمتنع كل من الجانبين عن أعمال الإثارة ، وأن يظل الجانبان في البريمي في الوقت الراهن مع الاحتفاظ بوضعهما القائم ، واستئناف المفاوضات المباشرة . وقد ضمنّت هذه المقترحات حرفياً في مذكرة سعودية قدمت إلى الجانب البريطاني في تاريخ ٢٠ محرم ١٣٧٢ هـ (١٠ أكتوبر) (الملحق ٧٣) وهكذا كانت الحكومة العربية السعودية مرة أخرى هي البادئة باقتراح اجراءات محددة لتخفيف حدة التوتر . على أنه قد أوضح للمستر ريتشر في نفس الوقت أن انسحاب ابن عطيشان خارج عن الموضوع ، ذلك أن البريمي أرض سعودية ولا يمكن أن يترك سكانها للتشقى والتعذيب اللذين لا بد أن يقعا بعد رحيل ابن عطيشان .

٩٥ - وفي ١٢ أكتوبر قبلت المملكة المتحدة من حيث المبدأ مقترحات « التوقف » التي وضعها المستر هير ، كما اقترحت العمل بها في الحال ريثما تناقش التفاصيل لاتفاقية رسمية تطبق فيها هذه المقترحات . وقد وافقت الحكومة العربية السعودية على هذه الترتيبات في الحال وفي ٢٠ أكتوبر افتتحت محادثات في الرياض مع السفير البريطاني المستر بلهام للوصول إلى اتفاقية مفصلة . ولم تصادف صعوبات جديدة في تفصيل مقترحات المستر هير ، ولكن مناقشات واسعة جرت فيما يتعلق بالمنطقة التي تطبق فيها هذه المقترحات . وقد أرادت المملكة المتحدة أن تحصرها في واحة البريمي وحدها بينما رغبت الحكومة العربية السعودية في أن تشمل « منطقة البريمي وما جاورها » وذلك لحماية رعايا سعوديين كثيرين في هذه المنطقة الأوسع من أي إرهاب أو أحداث غير مرضية أخرى .

وكان في اعتقاد الممثل البريطاني أنه غير محمول أن يعالج أمر أية منطقة خارج الواحة مع أنه كتب إلى الشيخ يوسف ياسين في ٦ صفر ١٣٧٢ هـ (٢٥ أكتوبر) أن « الروح والنية » هي أن لا يجرى أى عمل محمل (في أى مكان فيما يظن) في أثناء المفاوضات (الملحق ٧٤) . وقد أكد الشيخ يوسف في رده على ذلك في اليوم التالي استعداد الحكومة العربية السعودية لتطبيق الاتفاقية على المنطقة الأوسع ، ولكن في حالة عدم موافقة الحكومة البريطانية على ذلك فن الطبيعي أن يقصر التطبيق على الواحة (الملحق ٧٥) . هذا ولم يصل أى رد مرض على ذلك الاقتراح .

٩٦ - وقد وقع كل من الأمير فيصل والمستر بلهام في ٦ صفر ١٣٧٢ هـ (٢٦ أكتوبر ١٩٥٢ م) ما يسمى « اتفاقية التوقف » بالنصوص التي ظفرا بها أثناء المفاوضات ، واعتبرت سارية المفعول في الحال . وقد تضمن نص الاتفاقية (الملحق ٧٦) المبادئ الثلاثة التي وضعها المستر هيروست فقرات تفسيرية تتناول نواحي محددة للمشكلة مثل توقف طيران السلاح الجوي الملكي وعموين الفصائل المختلفة وعودة طرائق الحياة العادية والتجارية للسكان المحليين . وقد نص في الاتفاقية ، بالإضافة إلى ذلك ، على أنها لن تؤثر بشيء في ادعاءات الجنابين وأن المباحثات سوف تستأنف لإيجاد حل للمشكلة بالطرق الودية . وقد وجه الشيخ يوسف ياسين كتاباً إلى المستر بلهام بعد عقد الاتفاقية مباشرة بشأن تأمين حرية الانتقال للسكان المحليين ، واقترح في ذلك الكتاب نظاماً لإصدار تذاكر مرور موقته لهذا الغرض (الملحق ٧٧) ولم يستطع المستر بلهام أن يجيب على ذلك الكتاب فوراً لعدم وجود تعليمات لديه .

٩٧ - وخلال المفاوضات الخاصة باتفاقية التوقف ، ولكن بصفة مستقلة عنها ، تقدم الملك باقتراح شخصي لإيجاد حل دائم . ففي رسالة موجهة إلى المستر بلهام في ٤ - ٥ صفر ١٣٧٢ هـ (٢٣ أكتوبر) أورد جلالته الاقتراح التالي :

إن جلالة الملك حريص كل الحرص على إنهاء المشكلة القائمة في منطقة البريمي وما جاورها بأسرع ما يمكن حرصاً على الصداقة القائمة بين البلدين ومنع ما يكدرها بسبب ما حدث في منطقة البريمي وما جاورها ، وإن الاتفاق الذي توصل إليه التهدئة الحالية في منطقة البريمي وما جاورها لا يمكن أن يزيل القلق الموجود في نفس جلالة إلا بإيجاد حل سريع لهذه المشكلة .

وليس لدى جلالة شك في حتمية في منطقة البريمي وما جاورها من الوجهة القانونية أو التاريخية ولكن جلالة يدع هذا جانباً في الوقت الحاضر ، ويجب أن يقترح تشكيل لجنة ثلاثية تذهب إلى المنطقة كلها وتعمل استفتاء عاماً بطريقة توضع موادها بشكيل يتفق عليه قبل البدء في الاستفتاء وعلى ضوء تلك النتيجة تقرر الحدود في منطقة البريمي وما جاورها .

وبالنظر لما يعلمه جلالة الملك من أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية صديقة للفرقيين فإن جلالة يقترح أن تكون حكومة الولايات المتحدة هي الجانب الثالث في اللجنة الثلاثية المقترحة والتي تؤلف من جانب سعودي وجانب بريطاني وجانب أمريكي

وهذا الاقتراح أيضاً لم يمكن عمل شيء بشأنه سوى إحالته إلى لندن للنظر فيه .

٧ - الحوادث من ١٣٧٢ إلى ١٣٧٣ هـ (نوفمبر ١٩٥٢ - يوليو ١٩٥٤ م)

٩٨ - إن توقيع اتفاقية التوقف وتقديم اقتراح الملك بالاستفتاء أنهما هذه السلسلة من المفاوضات في الرياض . ولم تجر أية مباحثات أخرى قبل تقديم مذكرة بريطانية في ٤ ربيع الأول ١٣٧٢ هـ (٢٢ نوفمبر) (الملحق ٧٨) ذكر فيها عجز الحكومتين عن الاتفاق على مسألة الحدود ثم مضت المذكرة تقول :

ونتيجة لما سبق فإن حكومة صاحبة الجلالة تعتبر أن محاولات أخرى لتسوية هذه المسألة عن طريق مفاوضات مباشرة من الأرحح أن تكون عديمة الجدوى رغماً عن توفر النية الحسنة والصدقة التي تربط بين الأطراف ، وإنه قد آن الأوان لإعادة النظر في الإجراء الذي ينشد به الوصول إلى حل . لذلك فإن حكومة صاحبة الجلالة تقترح اصالة عن نفسها وبناء على طلب من سلطان مسقط وعمان ، إحالة الخلاف في وجهات النظر حول وضع الحدود العربية السعودية على الفور إلى تحكيم أشخاص يتفق عليهم .

٩٩ - وقد أكدت المملكة العربية السعودية أيضاً في جوابها بتاريخ ١٨ ربيع الأول ١٣٧٢ هـ (٦ ديسمبر) (الملحق ٧٩) رغبتها في التوصل إلى حل يتمشى مع الصداقة القائمة بين الحكومتين منذ زمن طويل ، وذكرت المملكة المتحدة بأن الملك كان قد قدم اقتراحاً لهذه الغاية يقضى بإجراء استفتاء ولكن جواباً ما لم يصل بهذا الشأن . وإنه نظراً لاعتبار البريمي أرضاً سعودية فإنه لا توجد هناك أية مشكلة تعتبرها المملكة العربية السعودية ملائمة للتحكيم . ولكن الجواب أشار إلى أن التحكيم قد يكون مناسباً إذا ما استمر عدم الاتفاق حول المواقع الصحيحة للحدود في منطقة البريمي ، وأن ذلك ينطبق أيضاً على الحدود الأخرى مع أبو ظبي وقطر . بيد أن الجواب اقترح أن تجرى أولاً مفاوضات مباشرة أخرى طبقاً لما تقضى به اتفاقية التوقف .

١٠٠ - وفي ١٩ ربيع الثاني ١٣٧٢ هـ (٥ يناير ١٩٥٣ م) ورد رد من المملكة المتحدة (الملحق ٨٠) يعلن أن حكومة جلالته لا تعتبر أن « إجراء استفتاء على ضوء الحوادث الأخيرة يكون أمراً مناسباً أو يمكن أن يؤدي إلى حل يتناول بعين الاعتبار جميع العوامل ذات العلاقة » وأنها « مقتنعة بأن استمرار المفاوضات المباشرة مع الحكومة العربية السعودية ليس من المحتمل أن ينهي النزاع الحالي » ومن ثمة جددت المذكرة عرض التحكيم ، كما حثت رسالة شخصية مرفقة من المستر إيدن إلى الملك على قبوله (الملحق ٨١) .

١٠١ - وفي أثناء ذلك لم تكن الأمور في البريمي تجري بهدوء ، فإن الحوادث المتتالية جعلت من الواضح أكثر فأكثر أنه رغم ما يجرى من اتصالات دبلوماسية ، فإن الموظفين البريطانيين المحليين قد عقدوا عزمهم على استخدام جميع الوسائل لدعم موقف ثبت من وصول ابن عطيشان إلى البريمي واستقباله فيها أنه موقف زائف . إن المملكة العربية السعودية لا ترغب في مجال هذا العرض أن تعيد سرد جميع الحوادث المؤلمة التي وقعت ، فإن حدوث مثل هذه الأمور محتموم تقريباً عندما تجابه قوة أجنبية مسلحة أناساً مستشارين . كما أن المملكة العربية السعودية لا تنكر أن بعض الأشخاص من السكان المحليين ربما تصرفوا بدافع العاطفة في بعض الأحيان ، وهي شاكرة لأن حزم ممثلها بالرغم من الاستفزاز الكبير حال دون وقوع اصطدامات كبيرة ، ولأن خسارة البريطانيين الوحيدة في الأرواح وقعت في حادث محزن حين قتل ضابطان بريطانيان بيد رجل من رجالهم أنفسهم . وإن قائمة بأنواع المضايقات والإساءات التي أوقعت بالرعايا السعوديين والزيارات غير المشروعة التي قام بها الضباط السياسيون إلى البريمي مع جماعات إضافية مسلحة ، لا تثبت شيئاً فيما يتعلق بجوهر هذه القضية اللهم إلا إظهار شعور ملحوظ بالقلق وعدم الاطمئنان كان يخامر البريطانيين . وأحد الأمثلة على ذلك أنظمة الجوازات الحديدية التي أصدرتها في ساحل الصلح على

أن تطبق على الرعايا السعوديين . وسواء أكانت هذه الأنظمة مشروعة فنياً بموجب اتفاقية التوقف أم لم تكن فإنها كانت بدعة لا تنطوي على الصداقة ولا تؤدي إلى مفاوضات ودية . وقد كان من حسن الحظ أن ألغيت في ١٣٧٢ هـ (يناير ١٩٥٣ م) .^(١) وقد تناولت الاحتجاجات الدبلوماسية بعض الحوادث الأخرى وفي الملحق ٨٢ مثال على ذلك .

١٠٢ - واسترسلت المملكة المتحدة في إبراز سلسلة من التهم المضادة بالطرق الدبلوماسية (كما هو الحال مثلاً في الملحق ٨٣) وعن طريق بيانات ألقيت في مجلس العموم البريطاني . ولم تثبت شيئاً يذكر فيما يتعلق بمقائيق النزاع . ومن الأمور البارزة فيها ، على كل حال ، التهمة القائلة بأن ابن عطيشان قد « عبث بولاء القبائل التقليدية » .^(٢) وعلى ضوء التاريخ والتأكيدات الاختيارية المقدمة في الملاحق ٤٨ إلى ٥٣ و ٥٩ إلى ٦٦ فإن هذا القول هو بالطبع محض هراء ، والولاء التقليدي لأهالي منطقة البريمي إنما يتجه صوب الرياض ، كما أوضح في الفصل الرابع ، وليس صوب حكام صغار في الساحل يعملون وفقاً لمشية دولة أجنبية . وما كان هناك أى خرق لاتفاقية التوقف في أن يزور الأهالي المحليون ابن عطيشان فقد نصت الاتفاقية بصراحة على أن يكون بلاه كانهم زيارة ممثلي الجوانب المختلفة في البريمي للأعراب عن آرائهم بحرية . وإن الغيظ الذي تملك البريطانيون - ويدخل هذا الأمر في صميم الموضوع - يعود إلى أن

(١) ويمكن أن يلاحظ هنا أن أعيد فرضها في ٣٧٤ هـ (يناير ١٩٥٥ م) فور أن ناشدت هذه الهيئة كلا الطرفين في اجتماع نيس باتخاذ الخطوات لإزالة أى سبب للاحتكاك بينهما .

(٢) أعلن المستر سلوين لويد وزير الدولة بوزارة الخارجية في مجلس العموم عام ١٣٧٢ هـ (٣ أبريل ١٩٥٣) أن « ممثل الحكومة العربية السعودية الذي تمركز بصورة غير مشروعة في واحة البريمي قد استمر خلافاً لاتفاقية التوقف باستغلال موقفه في البريمي للعبث بولاء القبائل التقليدية ببسط النفوذ السعودي في منطقة شاسعة » . « مناقشات البرلمان » سلسلة ٥ ، مجلد ٥١٣ ، عمود ١٣٦٩ .

السكان المحليين فضلوا التحدث إلى ابن عطيشان على التحدث إليهم إذ أنهم كعرب يتعاملون فيما بينهم بالأسلوب التقليدي لشعبهم يعتبرون الإنكليز دخلاء عليهم ، وكان ذلك في نظر البريطانيين الأمر الذي لا يعترف وهو الذي أوحى إليهم أن يتخبطوا باتهاماتهم ، فقد كانوا في ذلك كمن أغفلت دعوته إلى مآدبة .

١٠٣ — وتجلت خيبة الأمل لدى البريطانيين في مذكرة مطولة بتاريخ ١٧ رجب ١٣٧٢ هـ (٢ أبريل سنة ١٩٥٣ م) (الملحق ٨٤) تضمنت مرة أخرى وجهة نظرهم في الموقف كما نسبت إلى السعوديين سوء السلوك في حوادث مزعومة عديدة . وقيل نتيجة لذلك إنه « لم يكن لدى حكومة جلالتها من خيار سوى أن تساعد الحكام المشار إليهم في سلطاتهم » وهذه ضرورة واضحة جداً إذا ما أراد هؤلاء الحكام المحافظة على مطالباتهم بمناطق لم تكن لهم سلطة تذكرونها . ثم تولت المذكرة التخلي عن القيود التي ووفق عليها في لندن ومد سريان مفعولها في الدمام وعن اتفاقية التوقف ، وأخطرت المذكرة بأن المملكة المتحدة والحكام الذين تحت حمايتها وساطان مسقط « مضطرين للاحتفاظ بالحرية الكاملة في أعمالهم فيما يتعاق بكل الأمور المشمولة بالاتفاقيات السابق ذكرها » . ورفضت المذكرة مرة أخرى الاقتراح السعودي بإجراء استفتاء وجددت العرض البريطاني بالتحكيم . وفي رسالة شخصية مرفقة إلى الملك (الملحق ٨٥) اعترف المستر تشرشل رئيس الوزراء بأن المذكرة ستكون بلاشك « غير سارة » ولكنه أصر بعبارات مفحمة على التزامات بريطانيا تجاه « جيران جلالتهكم » .

١٠٤ — ومع أن رئيس الوزراء تكلم بحرارة عن الصداقة القديمة بين البلدين وأعرب عن الأمل في أن تبرهن الصعوبات الموجودة أنها صعوبات مرفقة ، فإن حكومته لم تظهر أية بادرة من بوادر الاعتماد على هذه الصداقة . وفي الوقت الذي سلمت فيه هذه الرسائل تحركت قوات ساحل الصلح وشئى الوحدات غير

النظامية للعمل في البريمي والمناطق الغربية وأنشئء حول مقر ابن عطيشان في حماسا طوق من المراكز العسكرية . وفرض حصار عليه حصار شديد ثم نفذاً برنامج منظم من المضايقة أملاً في إضعاف مرفقه وجعله غير قابل للتعزيز . وبحلول الصيف والحريف عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) كان في واحة البريمي وحدها ستة عشر مركزاً على الأقل ، ويمكن اعتبار هذا الامتداد لعمليات الحصار أصدق صورة لإطراء ابن عطيشان كما أن فشلها في إزعاجه يمثل قوة تأييده الشعبي ، ولم يكتف البريطانيون بالبريمي وحدها ، فقد أنشأوا عدداً مماثلاً على الأقل من المراكز الثابتة والمتحركة في الجواء وفي أماكن أخرى من المناطق الغربية ورفع أيضاً الحظر المفروض على الشركات البريطانية بالقيام بعمليات الزيت في المناطق المتنازع عليها وبدئاً بمثل هذه العمليات بالفعل عقب بضعة شهور . وهكذا سارت الأمور بطريقة غير سارة فعلاً .

١٠٥ - وكان من الممكن أن ينتج عن أعمال البريطانيين هذه رد فعل بالغ الخطورة ، ويعود الفضل في عدم وقوع ذلك إلى تسامح المملكة العربية السعودية التي امتنعت عن القيام بأية حركة مضادة لمناورات البريطانيين العسكرية وعن تقوية المدنيين المرافقين لابن عطيشان . وتجلد ابن عطيشان في موقفه على الرغم من العزلة المفروضة عليه وقد استصوب عدم الاصطدام بالبريطانيين . وفي الرياض اعترض الملك في رده على تشرشل رئيس الوزراء بتاريخ ٦ شعبان ١٣٧٢ هـ (٢٠ إبريل) (الملحق ٨٦) على الأعمال البريطانية ولكنه في الوقت ذاته وبمناكبة سياسية لم يتوان في السعي لإيجاد مخرج من هذه الحالة القابلية للانفجار . وبما أن الاستفتاء كان غير مقبول لدى المملكة المتحدة فقد أعرب عن استعدادده لأن تبحث حكومته مع السفير البريطاني مقترحات تجمع ما بين التحكيم والاستفتاء على شرط أن تسحب القوات التي أدخلت إلى المنطقة أخيراً وتعود اتفاقية التوقف إلى سريان مفعولها .

١٠٦ - وفي المحادثات التي جرت في الرياض بين الشيخ يوسف ياسين والمستر بلهام من ١٩ إلى ٢٣ ابريل ومن ٧ إلى ١٣ مايو سنة ١٩٥٣ وضعت الأسس الأولى لما أصبح فيما بعد ، وعقب جهود كبيرة أخرى ، اتفاقية التحكيم المؤرخة ٢٩ ذى القعدة ١٣٧٣ هـ (٣٠ يوليو ١٩٥٤ م) وقد استبعد في ذلك الحين الحل الوسط الأساسى القائل بتخلى المملكة العربية السعودية عن إصرارها على إجراء استفتاء دقيق مقابل تخويل هيئة التحكيم سلطة إجراء تحقیقات من تلقاء نفسها فى المناطق المتنازع عليها دون أن تقتصر على ما يعرضه عليها الجانبان واتفق المتفاوضون أيضاً من حيث المبدأ على مسائل أخرى ، ولكن صعوبة خطيرة نشأت حول وجهة نظر المملكة العربية السعودية فى أن يعود الطرفان إلى التساوى فى القوة إما بإعادة التمسك باتفاقيتى لندن والتوقف أو بما يماثل ذلك من ترتيبات كما يجرى التحكيم فى جو محايد . وفى ٢٣ شعبان ١٣٧٢ هـ (٧ مايو) وردت رسالة شخصية أخرى للملك من المستر تشرشل رئيس الوزراء (الملحق ٨٧) تعرض للسألة على أنها « مسألة شرف بيننا أن لا يقوم أى الفريقين بالحصول على فوائد فيما يتعلق بالحالة العسكرية » . ولم يكن هذا المرور السطحي بنقطة أساسية كهذه مرضياً للمملكة العربية السعودية خصوصاً عندما اقترن ببيان المستر تشرشل الآخر عن مسألة هامة أخرى وهى تمويل تركى آل عطيشان فى حالة الحصار البريطانى :

ثانياً : بخصوص تركى ، فإنه يقتضى طبعاً خلال تسوية التحكيم أن يمن . وسوف يمكن له أن يبتاع بحرية من السوق المحلية .

١٠٧ - وقد أدت رسالة رئيس الوزراء هذه إلى إرسال رد محص من الملك بتاريخ ٢٧ شعبان ١٣٧٢ هـ (١١ مايو) (الملحق ٨٨) يلقى الضوء على هذه الأمور الخطيرة ويضعها فى مكانها الحقيقى .

لقد رحبت ولا أزال أرحب بالحل الودي الذي اتفق على مبادئته في الرياض مع سفير جلالته ولكن بشرط أن يكون بلدنا على قدم المساواة في تلك المناطق المتنازع عليها . إن مثل هذه المساواة كانت قائمة طبقاً لاتفاقية لندن واتفاقية التوقف ولكن نتيجة للأعمال التي اتخذتها الحكومة البريطانية في الأسابيع الأخيرة نشأ عدم تكافؤ الفرص في القوات مما لا يمكن أن يؤدي إلا إلى الإخلال بالتحقيق غير المتحيز وبالنتيجة العادلة التي يرغب فيها الطرفان .

وفي رسالة فخامتكم تقرحون أن تكون «مسألة شرف بيننا أن لا يقوم أى الفريقين بالحصول على فوائد فيما يتعلق بالحالة العسكرية» . إن تعهدات الشرف هي للأصدقاء والأنداد . وقد أخذت الحكومة البريطانية بالمبادئ المتفق عليها بالحصول لنفسها في هذا الوقت على فوائد عسكرية في المناطق المتنازعة . ومع ذلك فإننا - كما تعلمون فخامتكم - قد امتنعنا عن أية إجراءات مقابلة من نوع مائل . إننا نثق بأن احترام مبدأ العدالة بين الأصدقاء هو الذي يساعد على حل المنازعات ، والعدالة يمكن أن تتحقق بالاستمرار في تنفيذ ما تم الاتفاق عليه في اتفاقية التوقف في الرياض وما تقرر في اجتماع لندن ، وبمجرد إقرار فخامتكم ذلك فإننا مستعدون لأن نتبادل مع فخامتكم تأكيدات الشرف بأن لا يقوم أى الفريقين بعمل شيء يخل بذلك .

وأرجئت محادثات الرياض دون تسوية هذه النقطة الهامة ، ترقباً لما تراه المملكة المتحدة في الموضوع .

١٠٨ - وهكذا بعد أن اتفق من حيث المبدأ في ربيع ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م) على تسوية النزاع عن طريق التحكيم اتجهت المحادثات التالية بأكملها تقريباً إلى وضع الترتيبات لهذه الغاية ولم تتناول جوهر النزاع . ولم تكن هذه المفاوضات قصيرة ولا سهلة وكانت توشك في بعض الأحيان على الفشل ولا ضرورة هناك لسردها بالتفصيل . لقد بدأت هذه المفاوضات في لندن في خريف ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) واستمرت خلال نوفمبر وديسمبر في جدة ولندن ، ثم استؤنفت في ربيع ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) وتوصلت نهائياً إلى نهاية ناجحة في جدة في شوال وذى القعدة ١٣٧٣ هـ (يونيو ويوليو ١٩٥٤ م) . وكانت هناك عدة نقاط تكتنفها الصعاب ولكن العقبات الكأداء الثلاث كانت تعريف منطقة البريمي ، وإعادة التساوي في القوة في المناطق المتنازع عليها ، والنشاط الذي يسمح به لشركات الزيت .

١٠٩ - أما في النقطة الأولى فتمسكت المماكة العربية السعودية بإصرار في أن تحدد منطقة البريمي بتوسع لتشمل القرى والجماعات القبلية التي تربطها بالواحة وبالمماكة العربية السعودية أو أصر القرابة والمصالح المشتركة . وكانت موافقة المملكة العربية السعودية في النهاية على التعريف الاصطناعي الضيق لمنطقة البريمي الذي اصطلح عليه في الاتفاقية مسترحاة فقط من رغبتها في جعل التحكيم ممكناً ، ومثل هذه الموافقة لا تعني بالطبع أن المملكة العربية السعودية بأى حال من الأحوال قد حددت حريتها في اتخاذ الموقف الذي تقتضيه مصالحها فيما يتعلق بالمناطق التي لا يشملها هذا التحكيم .

١١٠ - وأما ما يتعلق بإعادة تساوى القوتين في المناطق المتنازع عليها فقد تمسكت المماكة العربية السعودية بوجهة نظرها الواردة في كتاب الملك المؤرخ ٢٧ شعبان ١٣٧٢ هـ (١١ مايو ١٩٥٣ م) القائلة بأن هذه المساواة ضرورية جداً لاتخاذ إجراء حيادي عادل . وكانت المملكة العربية السعودية في هذا الصدد متأثرة بآراء لجنة التحقيق التابعة لعصبة الأمم والتي حققت عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) في نزاع حول الموصل بين تركيا والعراق التي كانت حينئذ تحت الانتداب البريطاني ، فقد ذكرت اللجنة في تقريرها بهذا الشأن أن تحرياتها قد تعرقلت لأن أحد الطرفين كان يقبض على زمام الأمور في الإدارة والبوليس في المنطقة المعنية . (٣) وكما كان متوقفاً فقد اعترضت المملكة المتحدة مدة

(٣) « كان وضع اللجنة في الموصل يزداد صعوبة فقد علمت أن الأشخاص الذين تظاهروا لتأييد تركيا قد ألقى بهم في السجن . كما كان أعضاء اللجنة أنفسهم تحت رقابة مستمرة . ووضعت دوريتان من البوليس على أبواب مقر اللجنة صدرت إليهما التعليمات بملاحظة دخول الأعضاء وخروجهم وإشعار دائرة البوليس المركزية بنتيجة ذلك . فاتفق لأعضاء اللجنة أنه لا يمكن تحت هذه الظروف القيام بتحريات حيادية ، وأبلغوا الطرفين قرارهم هذا كما أوضحوا بأنه لن يتيسر للجنة أن تبدأ عملها حتى تنتهي هذه الحالة » . « مسألة الحدود بين تركيا والعراق » . التقرير المقدم إلى المجلس من قبل اللجنة المشكلة بقرار المجلس في ٣٠ سبتمبر ١٩٢٤ جنيف (١٦ يوليو ١٩٢٥) وثيقة عصبة الأمم سي ٤٠٠ م ١٤٧ ، ١٩٢٥ ، (٧) ص ٩ .

طويلة على هذه النقطة ولكنها رضية في النهاية بإجراء انسحاب عام . وفي المذكرتين المتبادلتين المرفقتين بالاتفاقية الرئيسية بتاريخ ٢٩ ذى القعدة ١٣٧٣ هـ (٣٠ يوليو ١٩٥٤ م) أدرجت الأحكام التي تتناول هذا الجانب الهام من المشكلة وكذلك الأحكام التي تخول الهيئة سلطات الإشراف في المنطقة .

١١١- وفيما يتعلق بمسألة عمليات الزيت حثت المملكة العربية السعودية المملكة المتحدة في ربيع الأول عام ١٣٧٣ هـ (نوفبر ١٩٥٣ م) كما سبق لها أن فعلت مراراً في عام ١٩٥٠ ، على قبول رأيها بوقف جميع عمليات الزيت في المناطق المتنازع عليها إلى أن يقرر مصير هذه المناطق (الملحق ٨٩) . وكانت هذه العمليات قد استؤنفت من قبل الشركات البريطانية عقب تخلي البريطانيين في ١٣٧٢ هـ (إبريل ١٩٥٣ م) عن القيود الموضوعة في لندن ، بيد أن المملكة العربية السعودية كانت باستمرار تمنع منح هذا اذلان لمؤسسات الزيت فيها خشية أن تزداد الحالة الدقيقة تأزماً وحدة . وفي مذكرة سلمت في ١٣٧٣ هـ (فبراير ١٩٥٤ م) جعلت المملكة المتحدة استمرار نشاط شركاتها شرطاً لا بد منه في اتفاقية التحكيم (الفقرة ج من الملحق ٩٠) وأوردت شتى الحجج القائلة بأن امتياز المناطق البرية ذات الشأن قد سبق ادعاء المملكة العربية السعودية عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) وأن امتياز المناطق المغمورة كان متصلاً به .

١١٢- وإزاء هذا الموقف البريطاني وضعت المملكة العربية السعودية في ١٣٧٣ هـ (مايو ١٩٥٤ م) ترتيباً لإحدى فرق العمل التابعة لشركة الزيت العربية الأمريكية لدخول المناطق الغربية المتنازع عليها ، الأمر الذي أثار سخط الموظفين البريطانيين الذين نسوا على ما يظهر حكمة بلادهم القديمة القائلة « إن ما ينفع ذكر الأوز ينفع أنثاها » . وقد عدلت المدألة نهائياً في المذكرتين المتبادلتين بتاريخ ٢٩ ذى القعدة ١٣٧٣ هـ (٣٠ يونيو ١٩٥٤ م) التي خصصت

لكل جانب منطقة يمكن أن يعمل أصحاب الامتياز داخل نطاقها على أن لا يكون في ذلك مساس بالمطالب السياسية التي يشملها الموضوع .

وبهذه المناسبة فإن مما يسترعى شيناً من الاهتمام أن شركة بريطانية كانت في أوائل عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٥ م) تعمل في حفر بئر اختبارية عميقة في أحد الأماكن المجاورة للجزء الجنوبي الشرقي لسبخة مطى في أقصى الجزء الغربي مما ادعت به أبو ظبي في عام ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) . ولدى المملكة العربية السعودية من الأسباب ما يحملها على الاعتقاد بأنه كان لمشورة الضباط السياسيين البريطانيين الكفة الراجحة على مشورة الخبراء الجيولوجيين في اختيار موقع هذه البئر .

٨ - النتائج :

١١٣ - إن التاريخ الدبلوماسي الذي عرض في القسم السابق قد سرد بشيء من الإسهاب لكي يضع الحوادث الماضية في مكانها الصحيح ويسهل فهم هذا الموضوع المعقد . وفي هذا الاستعراض كانت المماكة العربية السعودية ترمى إلى هدفين : أن تجعل جلياً أنه لا يوجد أي شيء في السجل الماضي من شأنه أن يضعف صحة المطالب السعودية التي هي موضع الدراسة هنا ، وأن تظهر أن بعض التفسيرات لهذا التاريخ التي وضعتها المماكة المتحدة في أوقات متعددة هي تفسيرات مغلوطة ولا أساس لها من الصحة . وقد تجلت ثلاثة من هذه التفسيرات على وجه التحديد في البيانات البريطانية ويبدو أن من المستحسن تنفيذها . ولا تعدو هذه المزاعم في حقيقتها المجردة أن تكون كما يلي :

١ - أن المملكة العربية السعودية ملزمة بطريقة ما بالخط الأزرق في الاتفاقية الإنكليزية التركية بتاريخ ١٣٣١ هـ (٢٩ يوليو ١٩١٣ م) وعليها أن تظهر فيما يتعلق بأية مناطق شرق ذلك الخط حقوقاً مكتسبة منذ ذلك الوقت .

ب أن الخط السعودي لعام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) لا يبرر له وأنه توسع في المطالب مناقض لخط فؤاد عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٥ م) .

ج - أن نشاط المملكة العربية السعودية ومطالبها في المناطق التي يشملها هذا الموضوع تنقض المادة السادسة من معاهدة جدة ١٨ ذى القعدة ١٣٤٥ هـ (٢٠ مايو ١٩٢٧ م) التي تعهدت المملكة العربية السعودية بموجبها بأن تحافظ على «علاقات الصداقة والسلام» مع مشايخ قطر وساحل عمان المرتبطتين بمعاهدات خاصة مع الحكومة البريطانية .

١١٤ - وبشأن النقطة الأولى نعرض - مستنيرين بضوء الحقائق التي أوردت في الفقرات ١٧ إلى ٢١ السابقة - أن الخط الأزرق في الاتفاقية الإنكليزية التركية عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) ليس ملزماً للمملكة العربية السعودية ولم يسبق له أن كان ملزماً لها . وهناك أسباب مختلفة لتأييد وجهة النظر هذه ، ولكن المملكة

العربية السعودية تفضل أن تؤكد سبباً واحداً فقط ينطوي على الحقيقة الراضخة التي لا يمكن إنكارها وهو أن اتفاقية عام ١٩١٣ م لم يصدق عليها إطلاقاً ولم تدخل في حيز التنفيذ . وان الحقيقة الإضافية بأن اتفاقية عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) المصدق عليها قد أشارت إلى الخط الأزرق كوسيلة لتحديد نقطة انتهاء الخط البنفسجي لا تؤثر في قوة الحقيقة الأساسية ولا تعني أن الخط الأزرق قد أصبح بذلك مقبولاً بشكل نهائي . لقد بقيت اتفاقية ١٩١٣ م معلقة بينما أخذ الطرفان يتساوومان حول نقاط خلاف أخرى في تسوية بريطانية تركية شاملة وكان ممكناً أن تعدل الاتفاقية أكثر من ذلك نتيجة لهذه المساومات ولا يتصور أن أيّاً من الطرفين كان يقدم على إضعاف الاتفاقية كمادة للمساومة بأن يدخل الخط الأزرق من الباب الخلفي ويجعله نافذاً . أما المزاعم القائلة بأن الملك عبد العزيز الذي كان آنذاك حاكماً على نجد قد اعترف عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) بسيطرة الأتراك على شئونه الخارجية وبذلك قبل ضمناً الترتيبات السابقة في ١٣٣١ و ١٣٣٢ هـ (١٩١٣ و ١٩١٤ م) ، فإن من الجلي أنه إذا كان قد توصل إلى مثل هذا التفاهم بالفعل (وهذا ليس مؤكداً بأي حال من الأحوال استناداً إلى المعلومات المتوفرة) فقد داهمته الحوادث ، وكان أمراً باطلاً منذ البداية . كما أن الإصرار عليه لا يمكن أن يكون مقنعاً إذا جاء من جانب الحكومة البريطانية إذ أنها كانت حينئذٍ منهيكة مع الملك عبد العزيز في مفاوضات مباشرة أسفرت عن معاهدة دارين في ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م) . وسواء عقدت أو لم تعقد أية اتفاقية بين السعوديين والأتراك فإن تصرف المملكة المتحدة هذا يمنعها من الاستناد إلى هذه الاتفاقية .

١١٥ - ونعرض فيما يتعلق بالنقطة الثانية ، وهي الزعم بأن ادعاء المملكة العربية السعودية عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) هو حدث جديد ، أن الوثائق تظهر بجلاء أن الملك وحكومة المملكة العربية السعودية كانوا دائماً يعتبرون أن

أراضيهم تمتد بشكل عام إلى جميع مناطق جزيرة العرب التي كانت في أيدي آل سعود خلال القرن الثاني عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) حتى الأبول الموقت لهذا البيت في السنوات التي تلت ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) اللهم إلا في حالة تحديد هذه الأراضي فيما بعد بموجب اتفاقيات كانت المملكة العربية السعودية طرفاً فيها . وهذا هو الرأي الذي كان سائداً في عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) وفي السنوات السابقة واللاحقة كما هو مبين في بيانات مثل التي طبعت في الملاحق ٦ و ٧ و ١٠ . وقام فؤاد حمزة عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) بمحاولة بارزة للتوصل إلى اتفاق مع حكومة بريطانية لا تزال تستحوذ على تفكيرها اتفاقاً عام ١٩١٣ م وعام ١٩١٤ م ، وقد بلغ أقصى حد ممكن في صياغة عرض لحل وسط يقدمه للبريطانيين للنظر فيه . وقد أوضح هو بنفسه أن هذا العرض لا يأخذ في الحسبان حقوق الملك الكاملة (الملحق ١٤) . ورفض هذا العرض من جانب المملكة المتحدة بمجرد تسليمه تقريباً وضاعت سنوات في المباحثات للتقريب بين وجهتي نظر الطرفين . ومن ثم فإن العرض الذي تقدم به فؤاد قد استنفد ولا يمكن أن يكون له تأثير يضعف أي ادعاء قدم فيما بعد . وعندما وضعت المملكة العربية السعودية خطها عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) عقب ركود دام خمس عشرة سنة ، لم تكن بذلك تتقدم بمطالب جديدة ، وإنما كانت تعيد بدقة آراءها الأصلية في الأراضي التي لها حق مشروع فيها . وعلى ضوء الوثائق فإنه لم يكن هناك اتجاه جديد في ادعاء ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) بل كان الاتجاه الجديد في الحل الوسط المقدم عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) .

١١٦ — ولا تجد المملكة العربية السعودية أساساً للنقطة الثالثة على الإطلاق . فقد حافظت باستمرار على علاقات الصداقة والسلام مع حكومات قطر ودول الساحل لا بسبب التزاماتها بموجب معاهدة جدة فحسب بل نظراً لصلوات القرابة والصداقة التقليدية التي يرتبط بها جميع سكان جزيرة العرب . وقد كانت تعرف

دائماً بحقوق هؤلاء الحكام في أراضيهم وقدمت تعاونها دون تحفظ للمحافظة على السلام والأمن العام ، وتستمر في ذلك . وقد اقتصر النشاط السعودي تماماً على الأراضي التي كانت ولا تزال في نظر المملكة العربية السعودية أراضي سعودية . لذلك فإن المملكة العربية السعودية ترى أن النشاط السعودي سليم ليس فيه ما يدعو إلى التساؤل بموجب معاهدة جدة .

١١٧ - وخلاصة القول إن المملكة العربية السعودية ترى عدم وجود أي شيء في التاريخ الدبلوماسي للمناطق المتنازع عليها من شأنه أن يشير بأي شكل من الأشكال إلى أن ادعاءاتها القائمة هي ادعاءات لا يمكن دعمها أو تبريرها ، بل على العكس من ذلك فإن الوثائق تثبت بذل جهود عديدة من جانب المملكة العربية السعودية على مر السنين للتوصل إلى أي حل معقول لا يضحى كلية بمصالحها القومية أو بمصالح رعاياها الذين يعيشون في المناطق المتنازع عليها ، غير أن هذه الجهود لم تنجح وكانت النتيجة أنه عقب مضي نصف قرن تقريباً لم توضع بشأن هذه المناطق أية ترتيبات دبلوماسية مازمة للمملكة العربية السعودية كما أنها لم تدخل في أية تعهدات دولية تتنافى مع موقفها الحالي . وفي حالة عدم وجود مثل هذه الالتزامات فإن المجال مفتوح أمام الهيئة لتتخذ قراراً بشأن المواضيع المعروضة عليها عن طريق تقدير نزيه وعادل للحالة التي كانت سائدة بالفعل في هذه المناطق . وستخصص الأجزاء التالية من هذا العرض لحقائق هذه الحالة وأهميتها .

The first part of the book is devoted to a general
 introduction of the subject, and to a description of the
 various methods which have been employed for the
 purpose of determining the true nature of the
 phenomena which are observed.

The second part of the book is devoted to a
 detailed description of the various methods which
 have been employed for the purpose of determining
 the true nature of the phenomena which are
 observed. The third part of the book is devoted
 to a detailed description of the various methods
 which have been employed for the purpose of
 determining the true nature of the phenomena
 which are observed. The fourth part of the book
 is devoted to a detailed description of the
 various methods which have been employed for
 the purpose of determining the true nature of
 the phenomena which are observed.

The fifth part of the book is devoted to a
 detailed description of the various methods
 which have been employed for the purpose of
 determining the true nature of the phenomena
 which are observed. The sixth part of the book
 is devoted to a detailed description of the
 various methods which have been employed for
 the purpose of determining the true nature of
 the phenomena which are observed.

الفصل السادس

الأسانيد القانونية للمملكة العربية السعودية

١ - المبادئ العامة :

١ - إن من رأى المملكة العربية السعودية - وهو ما أشير إليه في المقدمة (الفقرة الثانية من الفصل الأول) - أن أولى المسألتين المعروضتين على هيئة التحكيم تنطوي بالضرورة ، شأنها في ذلك شأن الثانية ، على موضوع تحديد السيادة على إقليم . ولا يمكن تخطيط الحدود بين المملكة العربية السعودية وبين أبو ظبي بالضبط إلا بعد التحقق من المدى الجغرافي لحقوق الطرفين على ضوء ادعاءاتهما والأدلة . وقد أبرزت اللجنة التي عينتها عصبة الأمم للتحقيق في النزاع حول الموصل عام ١٣٤٣ (١٩٢٥ م) ، أبرزت على خير وجه هذا التمييز بين التصرف بأمر منطقة وبين مجرد تقرير أمر خط متنازع عليه :

صحيح ان النزاع يتعلق في نهاية الأمر بمسألة حدود ، إلا أنه . . . من الواضح أن الأراضي الواقعة بين الخطين اللذين اقترحتهما الحكومتان البريطانية والتركية أوسع من أن تسمح بالقول بأن المسألة لا تعدى تعيين الخطوط . (١)

٢ - وبموجب المادة الرابعة من اتفاقية التحكيم ، ينبغي على هيئة التحكيم أن تراعى في أعمالها « جميع اعتبارات القانون والواقع والإنصاف ذات الأثر في الموضوع » . ونحن نعرض أن في هذا توجيهاً إلى الهيئة بأن تسير في أعمالها على أسس واسعة . فإن لها من ناحية ، أن تسترشد بالمبادئ القانونية المعترف بها في

(١) « تقرير اللجنة » وثيقة عصبة الأمم رقم سي ٤٠٠ م ١٤٧ ، ١٩٢٥ ، (٧) ص ١٧ .

تكوين آرائها فلا تنصرف إلى دراسة الخلاف على أساس تقدير ذهني بحت ، ومن ناحية أخرى فإنه ليس الاعتبارات القانونية الفنية — مثل تلك الاعتبارات التي توجد في قواعد الإثبات أحياناً — أن تحول بين الهيئته وبين دراسة جميع العوامل التي تعتقد أن لها بالموضوع صلة . والهيئته بصورة خاصة غير مقيدة بأية قيود — كما يتضح من القسم الأخير من المادة الرابعة — يمكن أن تشنئها عن أن تأخذ بعين الاعتبار الظروف الخاصة التي تحيط بمجتمع إسلامي قائم في الصحراء . ولهذا النقطة أهمية خاصة بالنظر إلى أن جميع الدول التي قدمت عنها ادعاءات تخص هذه الإجراءات تتكون من مجتمعات إسلامية تشترك في اللغة والدين والتراث الاجتماعي .

٣ — وفي رأي الممثلة العربية السعودية أن اعتبارات القانون التي ينبغي أن تسترشد هيئة التحكيم بها توجد في نظريات القانون الدولي الأساسية التي تنفق « ومبادئ القانون الأساسية التي تعترف بها الأمم المتحضرة » بغض النظر عما إذا كانت هذه الأمم قد ورثت تقاليد الفقه الروماني أو الأنجلو سكسوني أو الإسلامي أو فقه الشرق الأقصى . فالنظرية الأساسية مثلا التي يعبر عنها باللاتينية بما معناه « العقود ملزمة » موجودة في الشريعة الإسلامية ، إذ جاء في القرآن الكريم قوله تعالى :

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود (٢)

وإننا نعتقد أيضاً أن هناك مبادئ معينة يقر بصحتها الجميع وتنطبق على المنازعات الإقليمية الدولية .

(٢) القرآن الكريم ، الآية الأولى من سورة المائدة . وانظر أيضاً الآية ٣٤ من سورة الإسراء « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مشلولاً » . وهناك آيات كريمة في نفس المعنى مثل الآية التاسعة من سورة هود والآيتين ٩١ و ٩٢ من سورة النحل .

٤ - وعلى هذا الأساس تعرض المملكة العربية السعودية أن النقاط التالية تبرز مبادئ عامة مقررة لها صلة بالنزاع الحالي :

١ - إن حق دولة في السيادة على إقليم ما يمكن أن يستند ، في جملة ما يرجع إليه إلى سند تاريخي ناشئ من اكتساب صلي في أزمان ماضيه اتبع بحيازة فعلية فيما بعد .

ب - حيث لا يمكن التحقق من الاكتساب الأصل (أي اكتساب السيادة على إقليم ليس لأية دولة سيادة عليه) ، فإن الحيازة الفعلية تكفي وحدها سنداً للحق في السيادة .

ج - تتكون الحيازة الفعلية من إظهار السيادة على الإقليم بشكل مستمر وسلمي مقرون بنية الدولة وعزمها على التصرف بصفتها صاحبة السيادة على الإقليم . ويختلف شكل الإظهار ومداه وزمنه - وهذه جميعها لازمة لاثبات الحق - باختلاف ظروف الزمان والمكان .

د - إن استمرار الحياة من ناحية المبدأ لا تنقضه الانقطاعات العرضية الموقته مادام أنه ليس هناك نية للتخلي عن الإقليم وطالما أن دولة أخرى لم تقم حيازة فعلية دائمة خلال مثل هذه الفترة .

هـ - ليست هناك حاجة إلا للنزير اليسير من الممارسة الفعلية للسيادة طالما أنه لا تستطيع دولة أخرى الادعاء بما يزيد على هذا النزير .

٥ - إن المبادئ المتقدمة كما سيتضح من عرضها بالتفصيل فيما يلي مستمدة في جزء كبير منها من التحليل المسهب لموضوع السيادة الإقليمية الوارد في الحكم الذي أصدرته هيئة تابعة لمحكمة التحكيم الدائمة بخصوص « قضية جزيرة بالماس »^(٣) وكذلك في حكم محكمة العدل الدولي الدائمة في « قضية الوضع القانوني لجرينلانند الشرقية »^(٤) . ونعتقد أيضاً أن هذه المبادئ كما سيتضح ،

(٣) الحكم الصادر في ٤ أبريل سنة ١٩٢٨ . سكوت « تقارير محكمة لاهاي » (السلسلة الثانية) ص ٨٤ - ١٣١ . والأمم المتحدة تقارير أحكام التحكيم الدولية « مجلد ٢ ص ٨٢٩ - ٨٧١ .

(٤) حكم ٥ إبريل ١٩٣٣ م . السلسلة أ/ب رقم ٥٣ ، ص ٢٢ - ١٤٧ . وهنسن ، « تقارير المحكمة الدولية » مجلد ٣ ، ص ١٥١ - ١٩٥ .

تتفق وقرارات أخرى صادرة عن المحاكم الدولية وكذلك مع وجهات نظر الكتاب الأكفاء في القانون الدولي . ومما تجدر ملاحظته أنها تنسجم انسجاماً جوهرياً مع الأسانيد القانونية التي قدمتها المملكة المتحدة في « قضية منكيريز وأكرهوز » التي نظرت فيها مؤخراً محكمة العدل الدولية . (٥)

٦ - وتعرض المملكة العربية السعودية مستعملة نفس الكلمات الواردة في مذكرة المملكة المتحدة في « قضية منكيريز وأكرهوز » :

أنه حيثما كان في وسع دولة أن تبرز سنداً أصلياً للسيادة على إقليم (تمييزاً لذلك عن السند غير الأصلي كالتنازل) واستمرت في حيازتها الفعلية لذلك الإقليم ، فإنه من حق تلك الدولة بموجب القانون الدولي أن يعترف لها بالسيادة على ذلك الإقليم . (٦)

والمملكة العربية السعودية تدعى ، فيما يتعلق بالمناطق المتنازع عليها الآن ، بمثل هذا السند الأصلي الذي يرجع إلى قيام أول سلطة سعودية في تلك المناطق في عام ١٢١٠ هـ (١٧٩٥ م) .

٧ - ولو كانت هناك ضرورة لكان من الممكن عند هذه النقطة الدخول في بحث نظري مطول للأساس الذي ينبغي أن يقوم عليه ادعاء الملكية السعودية هنا بسند السيادة . فقد يكون هناك مجال للنقاش مثلاً فيما إذا كان يجب أن يبنى سند السيادة على أساس الاستيلاء - وهذا ينطوي على أن الأراضي كانت قبل ذلك غير تابعة؟ لأحد - أو على أساس التقادم ، وهذا ينطوي (بمعناه الضيق) على اكتساب إقليم عن طريق وضع اليد بالرغم من وجود حق سابق لدولة

(٥) عرض المملكة المتحدة (٣ مارس ١٩٥٢ م) الفقرة ١٨٤ . ومحكمة العدل الدولية « المرافعات في قضية منكيريز وأكرهوز » مجلد ١ ، ص ١٠٢ .

(٦) عرض المملكة المتحدة ، الفقرة ١٨٦ ، محكمة العدل الدولية ، و « المرافعات في قضية منكيريز وأكرهوز » ، مجلد ١ ، ص ١٠٣ .

أخرى واحتلاله زمنياً طويلاً بعد ذلك .^(٧) ونعرض على كل حال أنه يكفي لجميع الأغراض الحالية ، أن نعتبر أن سند المملاكة العربية السعودية للسيادة قائم في جوهره على الحيابة الفعلية خلال مدة طويلة وهو أساس يدخل ضمن نطاق التعريف الأوسع للتقادم الذي يستعمله بعض المؤلفين مثل فيريكيوس^(٨) ، والذي عرف بصورة أدق تحت عنوان « التوطيد عن طريق السند التاريخي » .

وهذا التوطيد، الذي يمكن أن يكون له أهمية عملية بالنسبة للأقاليم التي لم تصل بعد إلى نظام دولة كامل وكذلك بالنسبة لبعض المناطق البحرية مثل الخليجان ، لا تخضع للشروط المحددة التي تتطلبها الأنواع الأخرى من اكتساب السيادة على إقليم . إن العادة المستقرة منذ أمد بعيد ، والتي هي أساس التوطيد ، لا تعدو أن تفسر مجموعة من المصالح والعلاقات التي تؤدي في حد ذاتها إلى ربط إقليم أو منطقة بحرية بدولة معينة ، وإن هذه المصالح والعلاقات التي تختلف في أحوالها - وليس مضي مدة من الزمن تحدد مقدماً ، وهو أمر غير معروف في القانون الدولي - هي التي يضعها القاضي في الواقع موضع الاعتبار ليقرر وجود التوطيد عن طريق السند التاريخي أو عدم وجوده .^(٩)

٨ - في نظر المملاكة العربية السعودية أن الحيابة الفعلية هي أهم عامل منفرد يجب أخذه في الحسبان لحل النزاع الراهن ، سواء اعتبر هذا العامل متمماً لسند السيادة المبني على عمل من أعمال الاكتساب ، أو اعتبر صالحاً في حد ذاته أساساً لادعاء صحيح ، إن القضيتين البارزتين في السنوات الأخيرة تتفقان تماماً

(٧) لقد أخذت المملكة المتحدة بهذا الرأي في التقادم في العرض الذي تقدمت في «قضية منكيريز وأكرهوز» الفقرة ١٨٦ . انظر أيضاً مقالة جونسون عن «التقادم المكسب في القانون الدولي» في السجل البريطاني السنوي للقانون الدولي ، مجلد ٢٧ (١٩٥٠ م) ص ٢٣٢ - ٣٥٤ .

(٨) « أنه كثيراً ما يصعب تقرير ما إذا كانت الدولة قد اكتسبت إقليمياً عن طريق الاستيلاء ، أما لأنها لم تستكمل جميع الإجراءات الضرورية الشرعية لتلك الوسيلة أو لأنه لا يمكن إثبات أن الأراضي المحتلة كانت بغير سلطان عند احتلالها . وفي هذه الحالة ، إذا استطاعت الدولة أن تدعى بحيازة طويلة سلمية فإن التقادم يتدخل عندئذ ليضع حداً للمناقشة التي لولاه (أي التقادم) لبقيت دون أن تنتهي إلى نتيجة » . فيريكيوس «التقادم في القانون الدولي العام» (١٩٣٤) ، ص ٥٩ .

(٩) شارل دي فشر «نظريات وحقائق في القانون الدولي العام» (١٩٥٣ م) ص ٢٤٤ .

فما يختص بهلما المبدأ في القانون الدولي العام . فقد قرر القاضي هوبير في الحكم
الذي أصدره بشأن جزيرة بالماس أن :

... . العرف ، شأنه في ذلك شأن الفقه ، يقر- وإن اختلفت الصيغ القانونية وكان
هناك اختلاف في الشروط المطلوبة - بأن إظهار السيادة على إقليم بشكل مستمر
وسلمي (سلمى بالنسبة للدول الأخرى) يكفي لتكوين سند للسيادة . (١٠)

وقد أبدت محكمة العدل الدولية الدائمة بخصوص « قضية جرينلاند الشرقية »

قبل الشروع في دراسة تفصيلية للأدلة المقدمة إلى المحكمة يجدر بنا أن نقرر أن
الادعاء بالسيادة الذي لا يقوم على أساس عمل معين أو سند معين مثل معاهدة تنازل
بل على إظهار السلطة بشكل مستمر إنما يتضمن عنصرين يتعين إثبات وجود كل
منهما ، وهما النية والإرادة في التصرف كصاحب سيادة وبعض الممارسة الفعلية
أو الإظهار لتلك السلطة . (١١)

٩- إن المبادئ المعروضة هنا متفقة أيضاً مع آراء الفقهاء المسلمين . فإن
رأى أبي يوسف (المتوفى عام ٧٩٨ م) وكذلك رأى الشيباني (المتوفى عام
٨٠٤ م) ، التلميذين الشهيرين للفقهاء الكبير أبي حنيفة ، مسجلان على النحو
التالي الذي أورده السرخسي المعاصر لهما :

الدار إنما تنسب إلى أهلها لثروت يدهم القاهرة عليها وقيام ولايتهم الحافظة فيها . (١٢)

١٠- تستمد هذه البيانات المتعلقة بالمبادئ العامة المزيد من الأهمية من
نصوص اتفاقية التحكيم التي تدعو في الفقرة (١) من المادة ٤ إلى أخذ الوقائع

(١٠) سكوت « تقارير محكمة لاهاي » (السلسلة الثانية) ص ٩٢ - ٩٣ ، والأمم المتحدة « تقارير

أحكام التحكيم الدولي » مجلد ٢ ، ص ٨٣٩ .

(١١) سلسلة أ/ب رقم ٥٣ ، ص ٤٥ - ٤٦ . وهدسن « تقارير المحكمة الدولية » مجلد ٣ ،

ص ١٧٠ - ١٧١ .

(١٢) أوردها (بالعربية والإنجليزية) محمد حيد الله في « نظام الدولة في الإسلام » (الطبعة الثالثة

١٩٥٣ م) ص ٨٢ . كان أبو يوسف قاضي القضاة في زمن الخليفة هارون الرشيد .

التاريخية المتعلقة بحقوق كل من الأطراف ذوى الشأن بعين الاعتبار ، والفقرة (د) من المادة ٤ تشير بجلاء وتأكيد إلى ممارسة السلطة فى المناطق ذات الشأن .

١١ - تتكون الحيابة الفعلية بادئ ذى بدء من شىء من الممارسة الفعلية لسلطة أو شىء من الإظهار الفعلى لها بالإضافة إلى توفر النية والإرادة فى التصرف كصاحب سيادة . والمقصود من هذا فى المقام الأول نشاط من جانب الدولة كما هو مبين فى حكم المحكمة فى « قضية منكيرز وأكرهوز » :

ومن بين الحقائق العديدة التى أثارها حكومة المملكة المتحدة تعلق المحكة بصورة خاصة أهمية فى الإثبات على الأعمال المتعلقة بممارسة السلطة والإدارة المحلية والتشريع . (١٣)

وقد تبدو أعمال الأفراد غير الرسميين فى المناطق المتنازع عليها بحسب هذا المعيار أقل أهمية بكثير ، لأنها بحكم طبيعتها لا يمكن أن تكون فى حد ذاتها ممارسة لسلطة الدولة . إلا أنه يجب على كل حال عدم تجاهلها ، إذ أن الفقرة (د) من المادة ٤ لا تتناول ممارسة السلطة فحسب بل أيضاً « أى نشاط آخر » فى عبارة واسعة بحيث تشمل تلك التى يقوم بها أشخاص غير رسميين . ونعتقد أن أوجه النشاط غير الرسمى هذه لها دور رئيسى فى تحديد ما إذا كانت الحالة تدعو أو لا تدعو إلى تطبيق المبدأ القائل « بعدم تعكير صفو الأشياء الهادئة » :

يجب الامتناع بقدر الامكان عن تعديل حالة الأشياء القائمة فعلا والتى كانت قائمة منذ زمن بعيد . (١٤)

١٢ - ولإثبات سند السيادة ، يجب أن تكون الحيابة مستمرة لمدة من الزمن وليست هناك نقطة أكثر وضوحاً فى كتابات الفقهاء من أنه ليست هناك مدة

(١٣) « تقارير محكمة العدل الدولية » ١٩٥٣ م ، ص ٦٥ .

(١٤) حكم دائرة من محكمة التحكيم الدائمة فى « قضية جريسبادارنا » (السويد ضد النرويج)

٢٣ أكتوبر سنة ١٩٠٩ م . سكوت « تقارير محكمة لاهاي » ص ١٣٠ و ٤٩٣ .

معينة يحددها القانون الدولي. (١٥) وغاية ما يمكن أن يقال هو أنه بمراعاة طبيعة الإقليم - مساحته وسهولة الوصول إليه وأهميته وعدد سكانه - فإن المادة يجب أن تكون كافية لتحقيق غرضين : أولاً ، يجب أن تكون طويلة طويلاً كافياً لتثبيت أن الدولة صاحبة الادعاء كانت في الواقع تمارس حقوق السيادة على الإقليم وعلى أساس أقوى من مجرد أساس عابر ، وثانياً ، يجب أن تكون طويلة بحيث تمنح الدول الأخرى وقتاً كافياً لتكون على علم بالحالة ولتتحرك إذا كانت ثمة ضرورة لحماية أية مصالح من مصالحها التي قد تتأثر . ويمكن القول بأنه نظراً لوسائل المواصلات والإعلان الحديثة فإن المدة المطلوبة اليوم لا بد أن تكون أقصر مما كان يبدو ضرورياً في الماضي بسيره الأبطأ .

١٣ - مع أن الحيازة من حيث المبدأ يجب أن تكون مستمرة حتى تكون نافذة المفعول ، فإن هذا الشرط يجب ألا يفسر تفسيراً مترمناً بحيث يخلق التزاماً تستحيل مواجهته . فمن الواضح أنه ليس بمقدور أية دولة مهما كانت أن تؤكد سلطتها كل لحظة وبدون انقطاع في كل بقعة من أراضيها . إن وجهة النظر في الموضوع التي ترى المملكة العربية السعودية أنها الوجهة الصحيحة قد عرضها بجلاء القاضي هوبير في « قضية بالماس » :

صحيح أن مظاهر السيادة الإقليمية تتخذ أشكالاً مختلفة تبعاً لأحوال الزمان والمكان . ومع أنها مستمرة من حيث المبدأ إلا أن السيادة لا تتمكن ممارستها في الواقع في كل لحظة وفي كل بقعة من الإقليم . إن التقطع وعدم الاستمرار اللذين لا يزيلان الحق بخلافان بالضرورة وفقاً لما إذا كانت المناطق ذات الشأن مأهولة أو غير مأهولة ، أو كانت المناطق داخل أقاليم تقوم عليها مظاهر السيادة بغير جدال أو كانت المناطق مما يمكن الوصول إليه مثلاً من البحار العالية (١٦)

(١٥) فيريكيوس « التقادم في القانون الدولي العام » (١٩٣٤ م) ص ٨٥-٩٣ . مقالة جونسون عن « التقادم المكسب في القانون الدولي » في السجل البريطاني السنوي للقانون الدولي ، مجلد ٢٧ (١٩٥٠ م) ص ٣٤٧ .
(١٦) سكوت « تقارير محكمة لاهاي » السلسلة الثانية ، ص ٩٤ . والأم المتحدة « تقارير التحكيم الدولية » مجلد ٢ ، ص ٨٤٠ .

وتتفق آراء كبار المعلقين مع هذا الرأي. (١٧)

١٤ — وكما أن سلطة الدولة لا تحتاج إلى إظهار في كل بقعة من الأرض ، كذلك فهي لا تحتاج إلى إظهار في كل لحظة من الزمن . ووفقاً للرأي المقبول عامة ، لا تفقد الدولة سيادتها على أرض بمجرد حدوث فترة انقطاع . وقتها في حيازتها الفعلية ، ذلك أنه يجب أن يكون ثمة شيء أكثر من ذلك حتى تتجرد الدولة من حقها بالسيادة وأما أن يكون ذلك بمحصول دولة أخرى خلال فترة الانقطاع على حيازة فعلية عن طريق النقاد ، أو بوجود بيئة على صورة ما تدل على نية ثابتة للتخلي عن الإقليم من جانب الدولة الأولى ، فإن سلب الإقليم من دولة أو انسحابها نتيجة لظروف قاهرة لا يهينان في حد ذاتهما حق الدولة في السيادة إذا توفرت لديها النية في العودة . (١٨) وقد وضعت هذه النقطة في « قضية جرينلانده الشرقية » على الشكل التالي :

وأما فيما يتعلق بالتخلي الاختياري فليس هناك ما يدل على أي تخلي بات من جانب ملك النرويج أو ملك الدانمرك .

وخلال القرنين الأولين أو نحو ذلك بعد أن بادت الجماعات التي حلت بها فإنه يبدو أنه لم يكن هناك أي اتصال مع جرينلانده وتضامات المعلومات عنها ولكن بقي التقليد الخاص بحق الملك حياً ، وفي أوائل القرن السابع عشر تجدد الاهتمام بجرينلانده من جانب الملك وشعبه معاً . (١٩)

- (١٧) « إن الاحتلال الفعلي — كما يتطلب عادة — ليس معناه أن يمتد إلى كل زاوية وركن ، ويكون أن توضع في بعض الأماكن داخل الإقليم قوة قوية يمكن أن تتوزع عند الضرورة على المنطقة كلها لكي تضمن حداً أدنى من النظام والحماية القانونية داخل الحدود ويمنع أي تدخل من دولة ثالثة (المفعول الواقعي) » . فون هايت « الاكتشاف والضم الرمزي والمفعول الواقعي في القانون الدولي » المجلد الأمريكي للقانون الدولي ، مجلد ٢٩ (١٩٣٥) ص ٤٦٣ . انظر أيضاً حول « القانون الدولي » (الطبعة الثامنة ، وضع هجنز ، ١٩٢٤ م) ص ١٢٨ .
- (١٨) يقول فوشيل في هذه النقطة بأن التخلي لا يكون اختيارياً إذا ما حيل مؤقتاً بين دولة وبين ممارستها ساطعاً بسبب تمرد أو حرب تتطلب تركيز قواتها في نقاط أخرى . فوشيل « القانون الدولي العام » (الطبعة الثامنة ، ١٩٢٥ م) مجلد ١ ، جزء ٢ ، فقرة ٥٤٥ .
- (١٩) السلسلة ا/ب ، رقم ٥٣ ، ص ٤٧ ، وهدسن « تقارير المحكمة الدولية » مجلد ٣ ، ص ١٧٢ ويطابق هذا أيضاً ما قرره المحكمة في « قضية جزيرة كليبرتون » (فرنسا ضد المكسيك) :

١٥ - وجرى بحث هذه المسألة منذ بضع سنوات من جانب المستر بكيت (السر أريك فيما بعد) ، المستشار القانوني السابق لوزارة الخارجية البريطانية في معرض تحليل « لقضية جرينلاند الشرقية » وبعد دراسة تلك القضية وكذلك « قضية بالماس » ذهب إلى أنه إذا فقدت دولة سيطرتها على إقليم مؤقتاً فإنها تحتفظ بحقها المبدئي لاستكمال مركزها مرة أخرى ، وذلك أسوة بحق دولة في أن تستكمل عن طريق الحيازة ادعاء بإقليم قائماً على الاكتشاف . ومضى يقترح ثلاثة مبادئ تحكم مثل هذه الحالة :

- (١) إن للدولة، التي تملك حق السيادة الناقص، الحق في أن تعتبر صاحبة سيادة وأن تنتظر من جميع الدول الأخرى الاعتراف بأعمالها المتعلقة بالإقليم على أنها أعمال صاحبة السيادة الإقليمية طالما أنه ليس هناك أية دولة أخرى تستطيع أن تبرز سند سيادة أفضل .
- (٢) وسند السيادة الأفضل يمكن اكتسابه عن طريق التصادم، أي إذا قامت دولة أخرى بتأسيس حيازة فعلية وحافظت عليها علانية لمدة كافية من الزمن .
- (٣) إذا اكتسبت دولة أخرى سند سيادة أفضل فإن السيادة الناقصة تضيع تماماً ، سواء تخلت أو تنازلت الدولة الأولى عن حقوقها طواعية أو بغير رضاها . (٢٠)

١٦ - وهناك سابقة مفيدة عن هذه النقطة موجودة في « قضية خليج ديلاجوا » بين بريطانيا العظمى والبرتغال وقد أصدر فيها رئيس الجمهورية الفرنسية قراراً تحكيمياً في ٢٤ يوليو ١٨٧٥ م. (٢١) وكان النزاع يتعلق بإقليم في شرق أفريقيا يقع في الجانب الجنوبي من نهر يصب في خليج ديلاجوا . وقد ادعت بريطانيا بحقها في هذا الإقليم استناداً إلى بعض معاهدات التنازل التي

-
- « ليس هناك من سبب يدعو للافتراض بأن فرنسا قد فقدت حقها نتيجة للتخل ، طالما أنه لم تخامرها أية نية في التنازل عن الجزيرة . وأما أنها لم تمارس سلطتها هناك بصورة إيجابية فهذا لا يعني سقوط اكتسابها للسيادة الذي كان قد تم بصفة نهائية » . الأمم المتحدة « تقارير أحكام التحكيم الدولي » مجلد ١ ، ص ١١١٠ - ١١١١ .
- (٢٠) بكيت « الموضوعات الهامة العامة . . . في قضاء محكمة العدل الدولي الدائمة » سلسلة المحاضرات مجلد ٥٠ (١٩٣٤ م) ص ٢٥٥ .
- (٢١) دي لا براديل وبوليتيس « مجموعة التحكيم الدولية » مجلد ٣٩٦ ص (١٩٥٤ م) ص ٥٩٦ - ٦٥٠

حصل عليها ضابط بحري بريطاني عام ١٨٢٣ م من الرؤساء المحليين الذين تقدموا إليه على أنهم مستقرون . وكذلك كانت البرتغال تدعى بحقها في الإقليم على أساس الاكتشاف والحيازة في تاريخ يسبق عام ١٨٢٣ م بكثير . وقد بدا أن البرتغال كان لها حيازة فعلية على الجانب الشمالى من النهر ، إلا أن قبضتها على الجانب الجنوبي كانت ضعيفة ومتقطعة . وكانت معاهدات عام ١٨٢٣ م موضع احتجاجات برتغالية قدمت إلى بريطانيا من عام ١٨٢٦ م إلى عام ١٨٢٨ م . ولكن بعد ذلك لم تقل أية من الحكومتين شيئاً عن الموضوع خلال مدة ٣٢ عاماً كما لم تقم أية منهما بأى عمل من أعمال السيادة في المناطق المتنازع عليها . (٢٢) ولكن بريطانيا في عام ١٨٦٠ م سعت إلى إحياء ادعائها بإيفاد قوة بحرية إلى هناك ، ثم أحيل الخلاف الذى تبع ذلك إلى التحكيم . وقد صدر الحكم في صالح البرتغال ، وبين المحكم أنه على ضوء وضع البرتغال الذى استمر منذ زمن طويل فإن الضعف الموقت لسلطتها نحو عام ١٨٢٣ م لا يمكن أن يعطل حقوقها ، ولو أن ذلك قد يغفر للضابط البريطانى خطأه

إن الاتفاقيات التى عقدها الكائين أوزين مع الرؤساء المحليين - حتى ولو أن ضعف السلطة البرتغالية في هذه الأجزاء ربما كان السبب عام ١٨٢٣ في وقوعه في الخطأ وفي بعض الأحيان اعتباره عن حسن نية أن الرؤساء المحليين في المناطق المتنازع عليها مستقلون عن التاج البرتغالى - تناقضت هذه الاتفاقيات على كل حال وحقوق البرتغال . . . (٢٣)

ومما يلاحظ كذلك أن فترة الأعوام الاثنتين والثلاثين ، بين ١٨٢٨ م و ١٨٦٠ م ، الخالية من نشاط الدولة في المنطقة لم يعتبر أنها تعطل حيازة البرتغال الفعلية ، على الرغم من الادعاء المضاد الذى كان وجوده معروفاً .

١٧ - وفي الدراسة التحليلية الشاملة لهذه القضية من جانب الأستاذ برليا الواردة في كتاب دى لا براد بل وبوليتيس ، يسوق المعلق العلامة الملاحظات

(٢٢) دى لا براديل وبوليتيس ، مجلد ٣ ، ص ٦٣٢ .

(٢٣) دى لا براديل وبوليتيس ، مجلد ٣ ، ص ٦٣٨ .

التالية على هذه الناحية من الحكم ، وهي ملاحظات ترى المملكة العربية السعودية أنها منيرة للأذهان :

إن احتلال البرتغال كان مزعماً كما كان متقطعاً أو على الأقل فإن سلطتها على بعض بقاع الإقليم قد أصابه الخسوف لمدة طويلة بعض الشيء . والحكم ، وهو حريص على مداراة كافة المشاعر ، يقرر أن « ضعف السلطة البرتغالية في بعض الأحيان » ربما أوقع في الخطأ الكابتن أوين الذي كان حسن نيته بعيداً عن الجدل . ولكن الحكم عند تقريره بحقوق البرتغال لا يأخذ في الحسبان هذا « الضعف » . ويحق لنا أن نرى أن في هذا مجرد حنكة من الحكم ، حنكة يمكن لنا أن نضيف أنها لا علاقة لها بالقانون . ولكن رغماً عن ذلك ، يظل الواقع أن الحكم لم يعتبر أن انقطاعاً عابراً وجزئياً في نفاذ الاحتلال أو في ممارسة السلطة يهدم حق البرتغاليين في السيادة .

وإذا رجعنا الآن إلى القانون اللاحق عن الموضوع ، نجد قاعدة تبرز بوضوح في أحكام القضاء ، وبحسب هذه القاعدة فإن انقطاعاً معيناً في ممارسة السيادة يمكن ملاحظته والسماح به دون أن تزال رغم ذلك صحة السند الحقيقي الناشئ عن الاحتلال بسبب هذه الواقعة . . .

إن ما يجب أن نذكره في هذه القضية ، هو أن الحكم قام ، دون أن يقصد ذلك ، بل مراعاة منه فيما يبدو للباقة الدبلوماسية المجردة ، قام - ويكاد الإنسان أن يقول إن ذلك كان سرياً للزمن - بصياغة قاعدة أصبحت اليوم ثابتة لقانون الاحتلال ، وبموجبها لا يهدم الانقطاع أو التقطع في ممارسة السيادة حق السيادة الشرعي الذي تدعى به دولة ما . (٢٤)

١٨ - تبقى نقطة أخرى جديرة بالملاحظة فيما يتعلق بموضوع الحيابة الفعلية ، وهي المبدأ المقرر على النحو الآتي في « قضية جرينلاندا الشرقية » :

إنه يستحيل على المرء قراءة سجلات الأحكام في القضايا المتعلقة بالسيادة الإقليمية دون أن يلاحظ في عدد كبير من القضايا أن المحكمة كانت تقنع بالنزير اليسير من الممارسة الفعلية لحقوق السيادة شريطة أن لا يكون بوسع الدولة الأخرى أن

تتقدم بادعاء أقوى. وإن هذا لينطبق بصورة خاصة في حالة ادعاءات السيادة على مناطق قليلة السكان أو غير مأهولة (٢٥).

ونعتمد أنه سيتبين أن لهذا المبدأ أهمية خاصة عند معالجة أمر الأقاليم المتنازع عليها حالياً .

١٩ - ونعرض هنا على أساس البحث السابق ، بأنه على الرغم من أن الحيازة الفعلية « في حالة النزاع هي المقياس السليم والطبيعي للسيادة الإقليمية » (٢٦) فإن درجة نشاط الدولة المطلوب لتكوين الحيازة هذه يمكن أن يختلف اختلافاً واسعاً باختلاف الظروف . (٢٧) فبالنسبة لجزيرة صغيرة غير مأهولة قد لا يحتاج الأمر إلى أكثر من وضع اليد عليها بصورة رسمية ، (٢٨) وبالنسبة لمنطقة زراعية أو تجارية آهلة بالسكان قد يكون من الضروري وجود إدارة منظمة تنظيمياً عالياً لتصرف المهام العادية للدولة بطريقة صحيحة . (٢٩) وبالنسبة لإقليم ناء قطع شوطاً صغيراً في مضمار التقدم ويسكنه عدد محدود من الناس ، يبدو أن جهازاً إدارياً بسيطاً نوعاً ما هو ما يجب أن ينتظر ، شريطة أن يكون كافياً لحفظ النظام العام ومواجهة حاجات السكان في انتظام وكفاءة معقولة . ومن الواضح أنه لا يمكن ولا يلزم في مثل هذه المنطقة ممارسة السيادة بصفة مستمرة

(٢٥) سلسلة أ/ب ، رقم ٥٣ ، ص ٤٦ ، وهدسن « تقارير المحكمة الدولية » ص ١٧١ .

(٢٦) القاضي هوبير في « قضية بالماس » . سكوت « تقارير محكمة لاهاي » (السلسلة الثانية) ص

٩٤ والأم المتحدة « تقارير أحكام التحكيم الدولية مجلد ٢ ، ص ٨٤٠ .

(٢٧) بستانت « القانون الدول العام » مجلد ٣ (١٩٣٦ م) ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٢٨) كما في « قضية جزيرة كليبرتون » ، المجلة الأمريكية للقانون الدولي ، مجلد ٢٦ (١٩٣٢ م)

ص ٣٩٠ - ٣٩٤ (الترجمة الانكليزية) . والأم المتحدة « تقارير أحكام التحكيم

الدولية » مجلد ٢ ، ص ١١٠٨ - ١١١١ .

(٢٩) لندن « اكتساب الأقاليم المتأخرة وحكمها في القانون الدولي » (١٩٢٦ م) ص ١٥٩ .

في جميع المواضع ، كما أن السيادة لا تزول حتى مع وجود فترات انقطاع ملموسة في مظاهر هذه السلطة على الإقليم . وحتى إذا بلغت فترة الانقطاع عشرات السنوات ، فإن ذلك لن يكون تخلياً ما لم يظهر بوضوح أنه كانت هناك نية انسحاب دائم ، أو أن دولة أخرى اغتنمت الفرصة لاكتساب سند أقوى . وأخيراً بالنسبة للوضع بين المدعين المتنازعين ، فإن الطرف الذي يستطيع أن يظهر درجة من نشاط حكومته أكثر نسبياً من الآخر ، حتى لو لم يكن مقدار النشاط كبيراً جداً ، هو الطرف الفائز .

٢ - عروض المملكة العربية السعودية :

٢٠- إن عروض المملكة العربية السعودية بشأن الأراضي المتنازع عليها مبينة فيما يلي . إلا أنه قبل سردها والبدء في استعراض انطباق المبادئ العامة التي جرى بحثها في القسم السابق على الحقائق ، يجدر بنا الإشارة باختصار إلى نقطة مبدئية ، وهذه تتعلق بمقدرة الدولة السعودية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين على اكتساب حقوق السيادة وممارستها . ونعرض أنه يكفي فيما نحن بصددده أن نذكر أن الحكام من آل سعود كانوا مستقابين فعلا ، وأن البريطانيين كانوا يتعاملون معهم على هذا الأساس طوال تلك المدة (١) وعلاوة على ذلك فإن الحكومة البريطانية منذ معاهدة دارين سنة ١٩١٥ م حتى اتفاقية التحكيم عام ١٩٥٤ م قد قبلت صراحة المبدأ القائل إن تلك الأراضي التي تعود للملك ولآبائه وأجداده هي أراضي المملكة العربية السعودية وبذلك فإنها تتفق مع الواقع ومع مواقف الطرفين منذ زمن بعيد من اعتبار أنه كان لدى الدولة السعودية التي كانت قائمة في القرن التاسع عشر الكفاءة التامة لحيازة حقوق السيادة والاحتفاظ بها .

٢١- وعلى أساس المبادئ العامة التي جرى بحثها في القسم السابق ، تعرض المملكة العربية السعودية أن الدولة السعودية اكتسبت السيادة على الأراضي

(١) مثلا ، كانت الإجراءات البريطانية التي اتخذت عام ١٨٥٩ م ضد بلدة الدمام على الساحل السعودي مبعث احتجاج من الوالي التركي في بغداد « على أساس أن الدمام تشكل جزءاً من ممتلكات السطان الموروثه ، فأنكر المتمد البريطاني في رده ادعاء الأتراك ، وأكد حق بريطانيا العظمى في التعامل مع الأمير الوهابي رأساً » وقد مضت بريطانيا في العمل على هذا الأساس . وزارة الخارجية البريطانية « دليل الصلح رقم ٧٦ . الخليج الفارسي » ١٩٢٠ م ص ٥٠ .

المتنازع عليها هنا بطريقة أصلية (أى أنه لم تكن لدولة أخرى سيادة على هذه الأراضي إذ ذاك) فى تاريخ سابق لعام ١٨٠٠ م ، وأنها منذ ذلك الحين قد بسطت وأظهرت عليها سلطة مستمرة ذات فعالية كافية . باعتبار الظروف المتعلقة بذلك - للاحتفاظ بحقوقها بكل قوة . وحتى إذا كانت هناك فترات ضعفت فيها سلطتها ، خاصة لمدة من الزمن تلت عام ١٨٧٣ م ، إلا أن المماكة العربية السعودية ترى أن هذا لا يستمط سند سيادتها التاريخى ، إذ أنه لم تكن ثمة نية للتخلى . كما أنه لم تقم أية دولة أخرى أثناء تلك الفترات بتركيز نفسها فى وضع أقوى فى الأراضي المتنازع عليها . وبمحكم الملك الراحل عبد العزيز انتهى الضعف الموقت الذى طرأ على السلطة السعودية واستعيدت سيطرة المملكة العربية السعودية على الإقليم استعادة تامة . وتعرض المملكة العربية السعودية أن أعمال الملك عبد العزيز كانت فى حتميتها وفى نظر القانون عبارة عن استرداد لسلطة وراثية لم يسبق التخلى عنها قط . إلا أنه ، إذا دعت الضرورة إلى ذلك ، فإن المماكة العربية السعودية ستذهب إلى أن الحوادث التى وقعت منذ ارتقاء جلالة الملك الراحل للعرش تكفى فى حد ذاتها لتأييد ادعاءات المماكة العربية السعودية بموجب المبادئ القانونية التى تنطبق على هذا الوضع .

٢٢- وإذ بينا بصورة مختصرة طبيعة العروض القانونية التى تقدمت بها المملكة العربية السعودية فإنه يحسن بنا أن ننتقل الآن إلى تفصيل أوسع للحجج التى تؤيدها .

٣ - أدلة الحيازة الفعلية

(١) الوضع الذى كان قائماً فى التاسع عشر

٢٣ - يعتقد فيما يتعلق بمركز الدولة السعودية فى المناطق المتنازع عليها خلال القرن التاسع عشر الميلادى ، أن السرد التاريخى الذى ورد فى الفصل الرابع يفتى عن كل تعليق . ففى عام ١٧٩٥ م حتى عام ١٨٧٣ م ، فيما عدا ثلاث فترات منتشرة تقع جميعاً قبل عام ١٨٤٩ م ، كان ثمة أمير سعودى فى اليريمى . وحتى خلال هذه الفترات القصيرة ، ظل نفوذ الدعوة إلى التوحيد وآل سعود سائداً مسيطراً ، كما بقيت الحفوف ومقاطعة الحسا طيلة هذه المدة تقريباً فى يد أمير سعودى . وكان أمير اليريمى وأمير الحسا يسيطران - بالنيابة عن إمامهما فى نجد - على جميع تلك الرقعة من الأرض التى تقع بين مقرى إدارتهما ، وهى تشمل « المناطق الغربية » الخاضعة للتحكيم الحالى . وقد وصلت السلطة السعودية إلى أبواب قرى الساحل ، وكثيراً ما نفذت من هذه الأبواب إلى الداخل ، مما أزعج البريطانيين الذين كانوا يخشون من ظهور أية دولة قوية متحدة فى الخليج الفارسى . وكان الأمراء - دون استثناء تقريباً - رجالاً يتسمون بالمهارة والنشاط ، وكانوا يفرضون فى سرعة وحزم احتراماً للنظام العام لم يشهد له مثيل لمدة أجيال كثيرة . وفى الواقع كان بعضهم يتمون إلى بيت السابرى المشهور الذى قدم حتى الآن كثيراً من كبار الموظفين فى الدولة . وكما هو وارد فى الفصل الرابع ، فقد كان المؤرخون العرب آنئذ يتكلمون بعبارات براقة عن السلام والطمأنينة اللذين كانا يجمان على جميع البلاد فى ذلك الوقت ، وعن الأزدهار الذى نجم عن ذلك الوضع . وحتى المصادر البريطانية المعاصرة التى لم تكن عادة تنظر إلى آل سعود وأنصار الدعوة إلى التوحيد بعين الرضى تقرر بهذه الحقيقة .

٢٤- ويبدو من المستحيل إزاء هذه الدلائل ، أن يطعن في حقيقة السيطرة الفعلية المتواصلة التي مارسها آل سعود خلال هذه الفترة في المناطق التي هي الآن موضع النزاع وفيما وراء حدودها في الواقع . ولا يوجد هنالك رأى أكثر تضليلاً من الرأى التالى الذى بينته المملكة المتحدة بخصوص هذه الأعمال في مذكرتها للحكومة العربية السعودية بتاريخ ٤ ديسمبر ١٩٤٩ م (الملحق ٢٧) :

فإن كانت الحكومة العربية السعودية معتمدة في بيان مطالباتها الخالى على الحجج التاريخية ترى حكومة صاحب الجلالة البريطانية لزاماً عليها أن تبدى أن فترات قصيرة لفتح مؤقت في المناطق المشار إليها لا يمكن اعتبارها في أى ظرف من الظروف أنها تعطى الحكومة العربية السعودية أى مظهر سلطة بعد هذه الفترة وعلاوة على ذلك فإن المدة القصيرة التي طبقت فيها السلطة العربية السعودية بالقوة تلاها بيان من الأمير عبد الله في ١٨٦٦ بأنه فيما عدا تحصيل الجزية التي أنشأتها العادة القديمة لا يتدخل في المستقبل في الإمارات العربية المتحالفة مع حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة .

إن من الصعب جداً أن توصف ثلاثة أرباع قرن من الإدارة المنظمة غير المتقطعة تقريباً بأنها « فترة قصيرة » . وتصبح هذه الملاحظة مبعث سخيرية وهزء عندما تقدم بالنيابة عن مشيخة أبو ظبي التي لم تستطع في نفس تلك الفترة أن تقوم باحتلال البريمي وحدها أكثر من ثمانية شهور .

٢٥- إن الإشارة المقتبسة آنفاً من المذكرة البريطانية عن البيان الذى أصدره الإمام عبد الله بن فيصل عام ١٨٦٦ م تبعث على بحث هذه الوثيقة بإيجاز . وهذه الوثيقة طبقاً للنص الوارد في مجموعة معاهدات ايتشيسون (الملحق ٩١) هي عبارة عن بيان قدمه محمد بن عبد الله بن مانع بتفويض من الامام عبد الله إلى المعتمد السياسى البريطانى في الخليج الفارسى . وتبعاً لنصوص ذلك الإعلان تعهد الإمام عبد الله باحترام حقوق الرعايا البريطانيين في ممتلكاته ، كما تعهد علاوة على ذلك بألا

يطلق أو يهاجم أراضي القبائل العربية المتحالفة مع الحكومة البريطانية ، لا سيما
مملكة مسقط ، ما عدا تسلم الزكاة التي كانت مألوقة منذ القدم .

إن المحفوظات السعودية لا تحوى أى سجل معاصر لمثل هذا التعهد ، على
أن الحكومة العربية السعودية لا تميل لهذا السبب إلى الطعن في صحة هذه الوثيقة
أو صلاحية الشخص الذى وقعها . وإنما تورد المماكة العربية السعودية أن تذكر
فقط أن الالتزام بعدم إتلاف أراضي القبائل العربية المتحالفة مع الحكومة
البريطانية أو مهاجمتها هو التزام كانت تحترمه دائماً على كل حال ، وأن النزاع
الحالى لا ينطوى على خرق ذلك الالتزام ، بل إن المسألة في صميمها هي تقرير
مدى حدود هذه الأراضي .

٢٦- ويجب أيضاً عدم اساءة تفسير ورود ذكر الزكاة في بيان عام
١٨٦٦ م . فإن المذكرة البريطانية بتاريخ ٤ ديسمبر ١٩٤٩ م (الملحق ٢٧)
توحي مثلاً بأن الأمر لا يتعدى الترخيص للحاكم السعودى « بتحصيل الجزية »
في مناطق ليست مأكماً له وبدون أن يؤثر بذلك على كيان استقلال هذه
الامارات . إن لهذا الإيحاء قيمته فقط عندما يفهم بجلاء أن « الجزية » المشار
إليها تعنى الأتاوة السياسية التى تدفعها دولة لأخرى . وإن الظروف التى أحاطت
بإعلان ١٨٦٦ م تجعل من الواضح أن كلمة « الزكاة » قد استخدمت ، إذا
استخدمت ، بدون دقة في وصف مثل هذه الأتاوة وخصوصاً تلك الواردة من
مسقط التى كانت موضع جدل قبل سنوات قليلة من ذلك الوقت (الفقرة ١٨٥
من الفصل الرابع فيما سبق) ، ولم تستخدم هذه الكلمة لتعنى الزكاة الحقيقية
التي يفرض القرآن دفعها على كل مسلم .^(١) وفي نظر المملكة العربية السعودية

(١) إن طبيعة هذه الزكاة الحقيقية ، التى يحق لصاحب السيادة دون غيره أن يجيبها من الأفراد
مشروحة ببعض التفصيل في الفقرات ٣٨ - ٤٠ من هذا الفصل وفي التذييل (ب) في المجلد الثانى .

ان لا علاقة لإعلان ١٨٦٦ م بتحصيل الزكاة الحقيقية من الأفراد ، بل إنه متعلق فقط بمسألة الأتاوة التي ظلت معلقة لعدة سنين مضت . لذلك فإن قيام السعوديين بتحصيل الزكاة من الأفراد مبني على أساس سلطة المملاكة العربية السعودية في السيادة على المناطق المعينة ، وليس على أساس أى ترخيص ممنوح يعود تاريخه إلى إعلان ١٨٦٦ م . وكون هذا الرأى هو أيضاً رأى المملاكة المتحدة ، فإن ذلك مبين في الاحتجاج البريطانى بتاريخ ١٨ ابريل سنة ١٩٥٠ م (الملحق ٢٩) على أعمال جباة الزكاة السعوديين في المناطق المتنازع عليها ، وهى أعمال يمكن اعتبارها بريئة وسموح بها لو كان إعلان ١٨٦٦ م يتعلق بالزكاة الحقيقية .

(ب) وجود القبائل السعودية :

٢٧ - لقد سردت معلومات مسهبة في الفصل الثالث من هذا العرض عن الأهالى والقبائل في المناطق المتنازع عليها الآن وعن تنظيمهم القبلى وطريقة معيشتهم . ووجه اهتمام خاص لنظام الديرة لدى القبائل ، وهذا موضوع كثيراً ما يسيء فهمه المراقبون الأجانب الذين يعتقدون أن أعراب الصحراء يهيمون على وجوههم عبر الرمال المتقلبة ، وقد سبقت الإشارة إلى أنه ما من شىء أبعد من هذا عن الصواب . فإن من يقطن الصحراء في تلك المناطق ينتمى إلى قبيلة لها ديرتها المعروفة ومعترف لها بحقوق فيها ، هى في جوهرها حقوق امتلاك . ويكند البدوى هو وعشيرته في سبيل الحصول على رزقهم واستخلاصه من هذه الأراضى التي كثيراً ما تكون جميلة ولكن غير مثمرة . وإن عليهم أن يستغلوا بحكمة ودراية جميع الموارد المتوفرة لديهم إذا ما أرادوا الإبقاء على حياتهم . ويتطلب هذا الأمر أن لا تخضع تحركاتهم للفرص والدوافع التي تجيء عفواً الساعة بل للمعرفة الناضجة والحكم السليم . ولولا مهارتهم وعاداتهم هذه التي

اكتسبها على مر السنين لما استطاع إنسان أن يستغل هذه المناطق الصحراوية على أى وجه كان .

٢٨ - وعلى ضوء هذه الاعتبارات ، فإنه ليس من الصعب أن نستخلص مغالطتين رئيسيتين فى المقترحات التى عرضتها المملكة المتحدة فى مؤتمر لندن عام ١٩٥١ م . ولقد طالب ذلك الاقتراح (الملحق ٤٢) .

أولاً بالتمييز بين القبائل « البدوية » و « الحضرية » فى ذلك الإقليم ، ومن ثم معالجة أمر أجزاء مختلفة فيه على أساس ولاء القبائل « الحضرية » فى الدرجة الأولى ، و ولاء القبائل « البدوية » فى الدرجة الثانية . إن الخطأ الأول الذى تنطوى عليه هذه النظرية هو أنه لا يوجد أى تفريق صحيح بين القبائل « البدوية » والقبائل « الحضرية » فى تلك المناطق إذ أن القبيلة لا تكون فى الواقع كلها من البدو أو من الحضرة . أما الخطأ الثانى فهو الافتراض بأن للقبيلة « الحضرية » - إذا كان هناك ثمة قبائل « حضرية » - ميزة حقيقية سامية تجعل حقها فى أية أراض أقوى من حق القبيلة « البدوية » . وإن هذا الرأى يتجاهل بشكل صارخ حقوق القبيلة « البدوية » فى ديرتها وهى حقوق قائمة منذ القدم ، كما يتجاهل أن مثل هذه القبيلة تقوم بأحسن استغلال ممكن لأرض تعجز عن إعاشة جماعة تستقر فيها ، وهو استغلال أعظم بالطبع مما يمكن أن تقوم به أية قبيلة مستقرة ومقيدة بأراضيها الصالحة للفلاحة ، فى أراض شاسعة وغير زراعية تقع فى الداخل . وبالاختصار فإن الحقيقة الهامة لا تتعلق بطريقة استغلال الأرض فى منطقة معينة ، بل باستغلال قبيلة ما لها بشكل مناسب وبالاعتراف بتبعيتها لتلك القبيلة . وبالتالى فإن ميول القبيلة السياسية هى نقطة ذات أهمية عظيمة فى تلك المنطقة التى تمتلكها القبيلة طبقاً لمقاييس التقاليد والعادة .

٢٩- ونعرض أن المعلومات الواردة في الفصل الثالث تبين أن المناطق الغربية الخاضعة للتحكيم تقع في جملتها داخل « ديار » آل مرة والمناصير . أضف إلى ذلك أن إثبات سعودية هذه القبائل لا يقتصر على دفعها للضرائب ، ووثائق مبايعتها ، وتاريخها الطويل في خدمة الملك بإخلاص فحسب ، بل إنه يتعدى ذلك إلى اعتراف البريطانيين صراحة بأنها سعودية وذلك في الكتب الرسمية التي جرى تبادلها عام ١٩٤٢ م (الملحق ٢٣) . أما أن يعتمد الآن أحد إلى القول بأن أوطان هذه القبائل تعود إلى أبو ظبي لا إلى المملكة العربية السعودية فإنه ليس في هذا مجانبية للمنطق والعقل ثم مناقضة لمبدأ « عدم تعكير صفو الأشياء الهادئة » الذي بحثناه في الفقرة ١١ من هذا الفصل فحسب ، بل إن هذا القول إهمالاً للمقاييس التي تنص عليها المادة الرابعة من اتفاقية التحكيم بصدد الولاء التقليدي والنظام القبلي وطرق معيشة السكان .

٣٠- وإن المملكة العربية السعودية إذ تؤكد على هذا النحو ما تعتقده عن الأهمية الأساسية « للديرة » ، فإنها لا تقصد بحال من الأحوال أن تهمل أو تقلل من حقوق الآخرين أو مصالحهم في المناطق المتنازع عليها . فعلى الرغم من أن هؤلاء ليسوا في ديارهم ، فإن الأغلبية العظيمة منهم هم أيضاً رعايا سعوديون . ومن هؤلاء أفراد في المناطق المتنازع عليها من قبائل العوامر وآل راشد والمناهيل ، وولاؤهم تشهد به المبيعات ودفاتر الزكاة باسم كل منهم في الفصل الثالث . وباستثناء أفراد متفرقين هاموا في أطراف بلدة أبو ظبي فإن أحداً من هؤلاء لم يخضع قط لسيطرة فعلية من جانب حاكم أبو ظبي .

٣١- وربما ينبغي الإشارة بصفة خاصة في هذا الصدد إلى بني ياس ، وذلك بسبب ادعاء حاكم أبو ظبي (كما فعل في مؤتمر الدمام عام ١٩٥٢ م) بأن هذه القبيلة المزعومة تابعة له وأنها تشغل مركزاً مسيطراً غربى سبخة مطى

(الفقرة ٧٧ من الفصل الخامس) . وقد أشير في الفصل الثالث إلى أن الذين يقعون تحت سلطة حاكم أبو ظبي إن هم إلا جزء من بني ياس ، في حين أن السيطرة المزعومة لهذه القبيلة غربى سبخة مطى ما هى إلا مجرد خرافة ، فالأقليم الواقع إلى الغرب من سبخة مطى هو من ديار آل مرة والمناصير بشكل لا يقبل الجدل إلى درجة أن المملكة المتحدة ، بعد أن حاولت الادعاء بمورد مياه بنيان نيابة عن أبو ظبي عام ١٩٣٤ م ، سارعت وتخلت عن هذا الادعاء ولم تعمل على تجديده منذ ذلك الوقت (الفقرة ٢٣ من الفصل الخامس) .

٣٢ - ولا جدال هناك في أن لبعض أفراد بني ياس ممتلكات في الجواء ، ولم يسبق قط أن قيل بأنه يجب عدم احترام حقوق التملك هذه ، وهذا صحيح بغض النظر عن جنسية أولئك الأفراد المعنيين من بني ياس ، ولكن الواقع أن الأغلبية العظيمة مما يسمى بقبيلة بني ياس في الجواء هى جماعة المزاريع الذين أظهروا وأكادوا ولاءهم مراراً وتكراراً للمملكة العربية السعودية . وقد سردت الإقرارات البارزة عن ذلك من جانب فارس بن غانم أكبر شيوخ المزاريع ومن جانب آخرين في الفصل الثالث .

٣٣ - ونعرض فيما يتعلق بمنطقة البريمي أن الحقائق الواردة في الفصل الثالث تؤيد وجهة النظر القائلة بأن أصحاب واحة البريمي هم أفراد قبيلة نعيم الموجودون هناك وهى قبيلة لها تاريخ طويل لعلاقتها الوثيقة مع آل سعود . وقد أكد كبار شيوخ هذه القبيلة ، وكذلك شيوخ القبائل الهامة المجاورة مثل بني كعب وبني قتب والبلوش ، ولاءهم بشكل رسمى للمملكة العربية السعودية ، وقد أشير في الفصل الثالث إلى بيانات تتعلق بهذا الأمر تحت عناوين أسماء القبائل . والحديث بالذكر أن الكثير من هذه المبايعات (مثال على ذلك الملاحق ٤٨ و ٤٩ و ٥٩ - ٦٦) قدمت في الوقت الذى كانت

فيه القوات البريطانية عاكفة على تنفيذ التضييق على الأهلين في تلك المنطقة ، الأمر الذي يعكس الشعور القوي بالوحدة الذي كان يحدوهم في ذلك . وبالنظر إلى الضغط الذي كان يفرضه البريطانيون ، فإنه يمكننا أن نفهم بسهولة أية بيانات قد تنقصها الصراحة التامة .

٣٤- وكما هي الحالة مع « بنى ياس » في الجواء ، فإن المملكة العربية السعودية لا تنكر أن بعض أفراد آل بو فلاح بما فيهم حاكم أبو ظبي نفسه هم من كبار الملاكين في البريمي ، أو أنهم مارسوا بعض سلطات الإشراف على أتباعهم في تلك الأملاك . وتتمشى مثل هذه الأعمال مع ما هو معمول به عند وجهاء العرب . ولكن المملكة العربية السعودية ترى أنه إذا كان هناك ثمة مظهر من هذا النوع فينبغي أن ينظر إليه على أنه أقرب إلى « سلطة رب البيت على عائلته » كما هو وارد في القانون الروماني القديم ، منه إلى ممارسة لسلطة الدولة. (٢) ولا تريد المملكة العربية السعودية أن تدخل في بحث الطريقة التي حصل بها آل بو فلاح على الأملاك في البريمي ، مع أن بياناً من بعض أفراد بيتهم (الملحق ٩٣) يوحي بأن الطرق التي اتبعت كانت على الأقل تبعث على الريبة . وعلى أي حال فليس من الغريب أن يمتلك رئيس دولة ما أراضي كملك خاص له داخل أراضي دولة أخرى دون أن يستدل على نشوء سيادة ما من وراء ذلك . ومثال على ذلك في منطقة الخليج الفارسي بالذات ، بساتين النخيل الشاسعة التي يمتلكها حاكم الكويت في منطقة شط العرب في العراق ، فعلى الرغم من كونها موضوعاً للجدل بين الحاكم وحكومة العراق إلا أنه لا يدعى ،

(٢) يجب الإشارة هنا إلى أن المذهب المالكي في الشريعة الإسلامية ، الذي يتبعه آل بو فلاح ، يعترف بسلطات واسعة لرب العائلة . انظر كثال على ذلك كتاب فيزي فتزجرالد عن « القانون الإسلامي » (١٩٣١ م) ص ١٤ . وهناك دراسة قصيرة عن التأثير القوي للقانون الروماني على الفقهاء المسلمين القدماء في كتاب ماكدونالد « أصول الدين والفقهاء والنظرية الدستورية في الإسلام » ص ٨٤-٨٧ .

حتى قبل تسوية مسألة حدود الكويت مع العراق ، بأن هذه الممتلكات تمنح الحاكم أية سلطات عامة في تلك المنطقة . (٣) وهناك مثل آخر وهو الممتلكات الواسعة التي يملكها في مصر ملك ليبيا الخالي وأفراد آخرين من عائلته . ومع أن جزءاً كبيراً من هذه الممتلكات يقع قرب الحدود في واحتي سيوه والداخلة ويقطنها لبييون من رعايا الملك ، فليس هناك بالطبع مجال للشك في أنها أراضٍ مصرية .

٣٥- إن الطابع السعودي لأهم القبائل في المناطق المتنازع عليها لا يتجلى في مظاهر ولاء السكان بشكل عام فحسب ، بل يتجلى أيضاً في الإدارة الفعلية والإشراف على تلك المنطقة . وبموجب النظام المرن السائد في المملكة العربية السعودية - حيث لم تدع الضرورة إلى إيجاد طبقات من الموظفين في جميع الميادين تتولى إقامة حكم فعال - يحتفظ رؤساء القبائل بسلطات واسعة وذلك بموجب صلاحيات تحولتها إياهم الحكومة المركزية . ومع أن هؤلاء الرؤساء ينتخبون من قبل أفراد قبائلهم طبقاً لعادات الصحراء القائمة منذ القدم ، إلا أن بقاءهم في مناصبهم يتوقف على قبول الملك لهم ، كما أنهم مسؤولون أمام الملك عن سلوك أتباعهم واحترامهم للنظام . إن هذا النوع من الأعمال الإدارية ذو طابع غير رسمي ، كما أنه غير مثقل بالإجراءات المطولة أو السجلات الكتابية ، بيد أن هذه الأعمال هي على كل حال أعمال حقيقية فعالة . وفي الواقع كان طابع أية حكومة عربية في جزيرة العرب تصريف أعمالها بأقل ما يمكن من الاعتماد على التدوين والأوراق . ويصعب أحياناً على الأشخاص غير الملمين بمجتمع له مثل هذا التنظيم أن يقدروا هذا النظام حق التقدير . فهم إذ ينظرون إلى ممتلكات الاستعمار الأوربي يجدون أنها تتمتع بجهاز إداري كامل يسير جنباً إلى جنب مع التنظيم القبلي ، ومن ذلك يسهل عليهم الاستنتاج

(٣) لونغريج « العراق من ١٩٠٠ إلى ١٩٥٠ » (١٩٥٣ م) ص ٢٦٦ .

بأن التنظيم القبلي قليل الأهمية أو ليست له أهمية إطلاقاً كنظام للحكم . قد يكون هذا صحيحاً إذا ما فرضت هذه الحكومة من قبل دولة أجنبية ، إلا أنه أبعد ما يكون من الصحة عندما تكون الدولة ذات السيادة منبعثة من صميم البلد وعندما تكون السلطان المركزية والقبالية منسوجتين على نفس المنوال .^(١)

٣٦- ويترتب على وجهة النظر هذه أن مجرد وجود القبائل السعودية في تلك المناطق يشير إلى وجود قسطن فعال من السلطة السعودية بغض النظر عن وجود موظف مكلف بالعمل عن طريق الحكومة المركزية مباشرة أو عن طريق الحكومة الإقليمية . والواقع أن زيارات مثل هؤلاء الموظفين إلى المناطق القبلية السكان مثل تلك المناطق كانت تتم فقط في أوقات متباعدة ، وقد تدل فترة طويلة بين هذه الأوقات على أن الأمور تسير على ما يرام تحت إشراف سلطة الرؤساء المعتادة بحيث أنها لا تتطلب أى تدخل من قبل السلطات العليا . وأن الموظفين ، كما سيتضح من الجزء التالى من هذا الفصل ، يحضرون عادة بين القبيلة والأخرى لجمع الضرائب والنظر في أية شكاوى حول العلاقات بين القبائل المختلفة . وكذلك فإنه إذا ما نشأت أية صعاب من دولة أخرى ، فإن الحكومة تتولى زمام الأمور مباشرة ، لذلك فإن إرسال تركى آل عطيشان إلى البريمي (الفقرة ٨٥ من الفصل الخامس) قد جرى بناء على طلب الرؤساء المحليين الذين شعروا بضرورة وجود ممثل للملك هناك لحجابه النشاط البريطاني المتزايد .

(١) « ان الدولة الوهابية التي بحثنا أعمالها آنفاً ما هي إلا صورة مكبرة لنظام الحكومة القبلية الذي أثبتت الأيام صلاحه » . هاريسون « العرب في ديارهم » (١٩٢٤) ص ١٣٩ . الدكتور هاريسون طبيب أمريكي مارس مهنته عدة سنوات في مسقط والبحرين والكويت ، وقد تجول كثيراً في شرق جزيرة العرب ، كما أتيح له بفضل مهنته فرص استثنائية للتعرف على الأهالي وأسلوب معيشتهم .

ج - جمع الزكاة

٣٧ - من بين مختلف الأعمال التي تدل على صحة ادعاء دولة ما بجيازة فعلية ، نعرض أن هناك أمرين لهما الأهمية القصوى في إثبات هذا الادعاء وهما جباية الضرائب والمحافظة على الأمن العام . إن هذين الأمرين - دون الأمور الأخرى - ينطويان بالضرورة على وجود سلطة قائمة في الإقليم نفسه بوسعها أن تفرض الطاعة ، وهذه القوة التي تفرض سلطانها هي المحك الأساسي لتقرير ما إذا كانت دولة ما قد اكتسبت - أو لم تكتسب - سلطة فعلية على شعب أو على أرض . وفي المناطق المتنازع عليها هنا كانت سلطة جباية الضرائب ومعاقبة المجرم من اختصاص المملكة العربية السعودية تمارسها منذ مدة طويلة بحرية وبمجزم .

٣٨ - أن الضريبة المفروضة على سكان المناطق المتنازع عليها كانت - وما زالت - الزكاة التي فرضتها الشريعة الإسلامية . وفي التذييل (ب) من هذا العرض (المجلد الثاني) يبحث الشيخ محمد أحمد أبو زهرة أستاذ الشريعة الإسلامية في جامعة القاهرة حقيقتة هذه الضريبة في الشريعة الإسلامية والنظرية القانونية المتعلقة بها . وقد أعد الترجمة الإنكليزية لهذا الرأي الدكتور ادوين كالفري أستاذ اللغة العربية والدراسات الإسلامية السابق في مؤسسة هارتفورد . وكذلك يوجد في التذييل (ب) سرد عن الزكاة كما تعرف وتجي في المملكة العربية السعودية طبقاً لهذه المبادئ القديمة . ويكفي في هذه المرحلة أن نؤكد بأن الزكاة هي ضريبة حقيقية لا تفرض إلا من قبل صاحب السيادة وتستحق على أفراد الرعية . وعلى الرغم من الالتباس الناشئ عن سوء تطبيق الكلمة أحياناً على أنواع أخرى من الرسوم ، فإن الزكاة ليست أتاوة سياسية كما أنها ليست هبة اختيارية تقدم إلى زعيم ديني بحث مثل « درايم بطرس » التي يجمعها البابا .

والزكاة - وهي في الأصل عبارة عن مبلغ مقدر لإغاثة الفقراء والمساكين - كانت منذ القدم الضريبة الرئيسية العامة المفروضة على المسلمين . ويقع على عاتق من يجمعها واجب ناشئ عن جمعها يقتضى حماية الذين يؤدونها إذ - كما سبق أن قيل - « لا جباية إلا بحماية » .

٣٩ - لقد كان جمع الزكاة طبعاً مظهراً معتاداً للسلطة السعودية في المناطق المتنازع عليها ، تلك السلطة القديمة العهد التي بدأت في عام ١٧٩٥ م . وكما اتضح من البحث الوارد في الفصل الرابع ، فإن عملية جمع الزكاة هذه لم تجر جزافاً ، وإنما كانت عملية منظمة ومرتبطة بكل عناية . وتبعاً للمبدأ القديم الذى أشير إليه ، كان دافعوا الضرائب يتلقون مقابل ذلك قسطاً كبيراً من الحماية عند تأديتهم لأعمالهم المشروعة .

٤٠ - إن جمع الزكاة في البلاد العربية السعودية اليوم يخضع في جوهره لأنظمة قررت في مناسبات متعددة كما جرى مثلاً في عام ١٩٢٥ م (التذييل (ب) في المجلد الثانى) كلها تتمشى تماماً مع الشريعة الإسلامية . وعلى الرغم من أن نسبة تقدير الزكاة تظل ، طبقاً لهذه القواعد ، دون تغيير إلا أن المبالغ والكميات التى تجبى تختلف اختلافاً كبيراً باختلاف أحوال الحصب والجذب التى تؤثر في نمو الحيوانات . وفي المناطق المعينة هنا يقع جمع الضرائب على عاتق أمير المنطقة الشرقية . وكما هو معمول به في هذا الإقليم فإن الضريبة تفرض في الدرجة الأولى على المواشى - الإبل والغنم - ولكنها قد تفرض على المنتجات الزراعية أيضاً .

٤١ - وبيعت الدولة السعودية في عهد الملك الراحل عبد العزيز أعيدت تدريجياً سلطة آل سعود التقليدية على سكان المناطق المتنازع عليها هنا . وقد جرت إعادة هذه السلطة بكل همة ونشاط بعد تعيين الأمير عبد الله بن جلوى أميراً للحسا أثر طرد الأتراك في عام ١٩١٣ م ومنذ ذلك الحين تولى موظفون

في خدمته جمع الزكاة فحلوا محل الموظفين السابقين الذين كانوا يرسلون قبلا من الرياض (الفقرة ٣١٦ من الفصل الرابع) ، ولم يبق من تلك الأيام التي لم تتسم بمثل هذا الطابع الرسمي من السجلات المنظمة سوى النزر اليسير . غير أن نشاط عمال الزكاة لم يقتصر على إجراءاتهم الكتابية إذ أنهم خلفوا وراءهم آثاراً انطبعت في ذهن دافعيها^(٥) وفي كتابات مراقب بريطاني واحد على الأقل^(٦) . وقد أيدت بيانات نجل عبد الله بن جلوي ، وهو الأمير الحالي (الملحق ٩٤) ، وبيانات بعض الموظفين وجباة الضرائب المعنيين (الملاحق ٩٥ - ٩٧)^(٧) ان الضرائب كانت تحصل من جميع القبائل في المناطق المتنازع عليها خلال الحكم الطويل لعبد الله بن جلوي كما كانت تحصل في السنوات الأخيرة . إن الجباة لم يتوصلوا بالفعل إلى كل مقاطعة وكل قبيلة سنوياً ، والسبب في ذلك معروف في أنظمة الضرائب الأكثر تعقيداً من هذا النظام ، إذ قد تكون حصيلة الضرائب أصغر من أن تستحق تجشم عناء العمل ونفقات التحصيل . وفي عدة حالات كان المسئول يرى أن الأمر لا يستدعي أكثر من جباية عرضية . ولكن هذا يعود إلى تقدير عامل الزكاة ، فهو - كما يتضح لدى القام بأية زيارة لهذا القصد - لا يعني فقدان السلطة أوحق جباية الضرائب .

٤٢ - وخلال السنوات العشرين الأخيرة كانت دفاتر الزكاة المتعلقة ببعض القبائل والأراضي المعنية هنا ، تحفظ في أمانة المحفوظات الإقليمية . ومن بين هذه الدفاتر نقلت ثمانية عشر بكاملها في المجلد الثالث من هذا العرض . وهي الدفاتر التي يعتقد أن لها أهمية خاصة في إعطاء فكرة عن عملية جمع الزكاة السعودية .^(٨) وعند دراسة هذه الدفاتر يجب أن يوضع نصب العين أنها لا تعطي

(٥) انظر البيانات التي أدلى بها زعماء المناطق المتنازع عليها وأعيانها في الملاحق ٩٨ - ١٠٧ .

(٦) برترام توماس ، كما ذكر في الفقرة ٣٤٧ من الفصل الرابع .

(٧) القبائل المذكورة في هذه الملاحق تشمل آل مرة والمناصير والعوامر وآل راشد والدروع

والمزاريع والبلوش وبنى قتب وبنى كعب والمناهيل ثم آل بو شامس وآل بو خريبان من نعم .

(٨) انظر الصور الشمسية لهذه الدفاتر في المجلد الثالث .

صورة كاملة عن أعمال جمع الزكاة ، وذلك لأن هذه الدفاتر ، التي كانت تودع في المكاتب الإقليمية بالخفوف وتتألف من المذخرات الموجزة التي كان يحتفظ بها الحياة ، إنما كانت تختص في الدرجة الأولى بالقبائل الكبيرة التي تؤدي الزكاة ، مثل آل مرة والمناصير ، ولم تتعرض للقبائل الأخرى إلا بصفة عرضية . وتدل بعض الأخطاء العرضية في الأرقام على أنه لم يقيد في الدفاتر كل ما يدفع بالفعل ، وإنما كان يسوى حساب ذلك على أساس المذكرات التي تحرر في مكان العمل .^(٩) ومن جهة أخرى فقد أدى جهل الكتاب المحضر بالقبائل البدوية المعنية إلى شيء من الإبهام واللبس فيما يتعلق بانتماء الأفراد إلى القبائل المختلفة وبأماكن الجباية . وللحصول على بيانات إضافية بخصوص جمع الزكاة من القبائل والأماكن التي لم تشملها الدفاتر يمكن الرجوع إلى بيانات الموظفين الواردة في الملاحق ٩٤ - ٩٧ وبيانات دافعي الزكاة الواردة في الملاحق ٩٨ - ١٠٧ .

٤٣ - وعلى الرغم من هذا القصور المعترف به ، فإن هذه الدفاتر المنقولة تبين الأعمال المتواصلة من جانب الموظفين السعوديين خلال عدة سنوات بين القبائل في المناطق المتنازع عليها . وتحتوي الدفاتر المقدمة على أعمال السنوات المتصلة من عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ - ١٩٣٦ م) إلى عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ - ١٩٥١ م) وهي فترة خاصة في تاريخ النزاع الحالي ، وذلك باستثناء عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ - ١٩٣٩ م) الذي لم يحتفظ منه إلا بصفحات قليلة . وتورد الدفاتر اسم كل فرد دفع الزكاة ، ومجموع المبلغ الذي دفعه ، كما تبين في كثير من الأحيان - ولكن ليس في جميع الحالات - اسم قبيلته أو جماعته ،

(٩) مثال على ذلك انه يوجد في دفاتر عام ١٣٥٥ (المجلد الثالث ، ص ١٧) رقم أدرج متأخراً بمبلغ ٤٦٠ ريالاً تسلمت من فالح بن شويشان كبير الجباة وفيما عدا ذلك لم يذكر شيء عن مصدرها .

ثم مكان الجباية. وبطبيعة الأمر يغلب في الدفاتر ذكر أفراد آل مرة والمناصير ، (١١) ولكن ثمة أيضاً مدفوعات من أفراد من العوامر ونعيم والمزاريع ومن جماعات أخرى ، على الرغم من أن أفراداً معروف أنهم ينتمون هؤلاء لم تبين هويتهم هذه بوضوح في تلك السجلات . (١١)

٤٤ - وتشمل أسماء المواقع الموجودة في المناطق المتنازع عليها والواردة في الدفاتر رقعة كبيرة من شبه جزيرة قطر من جهة الغرب في اتجاه شرقي خلال الظفرة. وفي حالات كثيرة أدرجت المدفوعات على اعتبار أنها جمعت في الظفرة فقط ، دون أى تحديد آخر. (١٢) ولكن ذكر في حالات أخرى اسم نقاط معينة ، ولا تكاد تكون ثمة حاجة للقول بأن هذه آبار أو مراعي طيبة يقصدها عدد كبير من الأهالي المجتدين من رقعة أوسع في الداخل . وكثير من هذه النقاط توجد في الإقليم الواقع عند قاعدة قطر . (١٣) وأحد أسباب ذلك هو أن هذه المنطقة الوفيرة المياه تعد معبراً يمر عليه عدد كبير من البدو القادمين من جهات أبعد ، في رحلاتهم بين الحسا وقطر والظفرة . ويمكن أن يلاحظ أيضاً أن عدداً من الأماكن

(١٠) لم تقدم خمسة دفاتر للسنوات من ١٣٥٣ هـ إلى ١٣٥٨ هـ (١٩٣٤ - ١٩٤٠ م) وهي تتعلق بأكلها بمدفوعات الزكاة من آل مرة خلال هذه المدة ، إذ يظهر أنه من غير الضروري تجميع بيانات عن هذه القبيلة التي لا جدال في سعوديتها .

(١١) وعلى سبيل المثال هذه الجماعات يمكن الرجوع إلى المجلد الثالث ، ص ١٧ (المزاريع) و ص ٢٧ (العوامر والمناهيل ونعيم) و ص ٤٧ (المزاريع ونعيم) و ص ٧٦ - ٧٧ (المزاريع والعوامر وآل حباب) و ص ١٠٩ - ١١١ (المزاريع بما في ذلك جماعة الفندي) . ومثال من دقير واحد (رقم ١٠ لعام ١٣٦٢ هـ) لأفراد من مثل تلك الجماعات مختلفين بآخرين من دافعي الضرائب ، يوجد أفراد من نعيم (ص ١٧٤ و ١٧٦) ومن المناهيل (ومفردها منهالي ، ص ١٨٤ و ١٩٥) ومن العوامر (والمفرد عامري ، ص ١٨٤ ، وكذلك ثعيلب بن صقر ، ص ١٩٤) ومن آل بو فلاح (ومفردها فلاحى ، ص ١٩٣) ومن آل حباب (ومفردها حبابي ، ص ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦) .

(١٢) ومثال على ذلك المجلد الثالث ، ص ٣٧ و ١١٧ - ١١٨ و ١٣٢ و ٢٢٢ - ٢٢٣ و ٢٥٠ - ٢٥١ .

(١٣) وأبرزها المريق (المجلد الثالث ، ص ٧٦ ، ١٠٩ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢١٧ - ٢٤٩ ، ٣٢٢ - ٣٣٧) .

المذكورة أسماؤها لا تقع في المناطق المتنازع عليها ، وإنما تقع في أراض إلى الشمال وإلى الغرب لا جدال في سعوديتها . وبينما قد لا تعتبر الجبايات التي تمت في هذه النقاط متعلقة تماماً بالموضوع ، إلا أنه لم يكن في الإمكان عملياً حذفها حين طبع السجلات . وعلاوة على ذلك فما لا يخلو من مغزى أن هذه الوثائق تدل على أنه لم يكن ثمة تفريق ، في ذهن الموظفين السعوديين المشتغلين بالأعمال المالية في ذلك الوقت ، بين أماكن داخلية في المناطق التي يدعى بها الجانب الآخر في الوقت الحاضر وبين أماكن خارجية عنها . بل كانوا يعتبرونها كلها أرضاً سعودية كانوا ينفذون فيها أوامر حكومتهم .

٤٥ - إن الدفاتر المعروضة في المجلد الثالث تورد بيانات للضرائب المحصلة على الماشية ، وخصوصاً الإبل ، دون المنتجات الزراعية وهذه الضرائب هي التي تجمع عادة والسبب في ذلك واضح في النواحي الصحراوية من المنطقة الشرقية . وبسبب وعورة الأرض وصعوبات المواصلات فإن الضرائب التي تجنى عينا على الإبل لها فائدتان ، إذ لا تمثي الجمال بنفسها إلى الخزينة فحسب ، بل إنها أيضاً تستخدم في نقل أكياس النقود القليلة نسبياً التي تحتوى على المدفوعات التقليدية . ومن جهة أخرى فإن مجموع المنتجات الزراعية الخاضعة للضريبة في هذه المناطق ليس كبيراً ؛ إذ أنها تتألف في الدرجة الأولى من التمر الذي يصعب نقله بكميات كبيرة نظراً لضخامة حجمه . ثم إن جلبيه عبر الصحراء إلى مزارع التخيل الغنية في واحة الحسا ليس - من الناحية الاقتصادية - من الحكمة في شيء . وتبين الجباية السعودية للضرائب ، في الجواء مثلاً ، التي سجلت بعض الحالات منها في المجلد الثالث ، (١٤) تبين هذه الاعتبارات التي من أجلها وجه أكبر الاهتمام إلى الإبل .

(١٤) توجد حالات من ذلك في المجلد الثالث ، ص ٧٧ ، ١١٧ - ١٣٣ . وهناك كثير من الأشخاص الذين لهم ممتلكات في الجواء وقد جبيت منهم الضرائب طبعاً في أمكنة أخرى وسجلوا تبعاً لذلك .

٤٦ - وهذه الاعتبارات نفسها هي السبب من جهة في أن الدفاتر المعروضة لا تبين جباية الضرائب في البريمي نفسها . فإن تمر البريمي ، بخلاف ما هو ضروري للاستهلاك الفوري ، لم يكن يسترعى اهتمام الجباة القادمين من الحسا ، ثم أن الإصرار على تحصيل ما يقابل ذلك نقداً كان من شأنه أن يسبب مصاعب لدافعي الضرائب الذين لا يتوفر لديهم عادة الكثير من النقد . ومن جهة أخرى فإن الإبل التي يملكها سكان البريمي - وهم يتركونها عادة خارج البريمي في مناطق المراعى الصحراوية - تجبي عليها الضريبة حيث يصادفها الجباة ، وفي بعض السنوات لم تجر الجباية في تلك المناطق المترامية . إلا أنه مما تجدر ملاحظته أنه حيثما كانت تفرض الضرائب ، كما كان يجري ذلك بين الحين والآخر ، كان الأهالي المحليون يدفعونها عن طيب خاطر (الفقرتان ٣٤٢ ، ٣٥٩ في الفصل الرابع فيما سبق) وأما في الأمور المتعلقة بالنظام العام ، كما سيجرى بحث ذلك في القسم التالي ، فقد كانت هناك على الدوام يد حازمة تعمل بشكل مستمر وظاهر .

٤٧ - من المحتمل أن بعض الأشخاص من بين المثات الذين ذكرت أسماؤهم في الدفاتر المعروضة ، لا يعتبرون أنفسهم من رعايا الحكومة العربية السعودية . على أن هذا الاحتمال لا يشكل أساساً للطعن في طبيعة الزكاة كضريبة حقيقية . بل على العكس من ذلك ، فإننا نعرض أن ذلك عبارة عن اعتراف بأن المملكة العربية السعودية هي صاحبة سيادة إقليمية تملك الحق في أن تفرض الضريبة داخل حدودها على رعاياها وعلى الأجانب على حد سواء . أما أنه قد سجل تحصيل ضرائب كثيرة في « قطر » فينبغي ألا يساء تأويل ذلك بحيث يلقى ظلالاً من الشك على طبيعة الضريبة من الناحية الإقليمية ، لأن هذه الجباية قد تمت داخل ذلك الجزء من شبه جزيرة قطر الذي يعتبر تابعاً للبلاد العربية السعودية ، وأن ما يمثله ذلك من ممارسة السلطة كان عاملاً هاماً في وضع الخط

العربي السعودي عام ١٩٤٩ م ، ويمكن أن يلاحظ أن ذلك الخط كان متحفظاً جداً ومعتدلاً في تحديده للمناطق المجاورة لقطر مما كان خاضعاً من قبل لسلطة الملك .

٤٨ - إن السجلات الثمانية عشر التي تقدم صورها تدل على جباية حصيلة تزيد على مليون من الريالات السعودية . وبينما لا يعتبر ذلك المبلغ خيالياً ، إلا أنه على الرغم من ذلك يعد مبلغاً جسيماً . فبالنسبة لعدد دافعي الضرائب والمستوى العام للثروة تبدو هذه حصيلة معقولة . وهي على كل حال ليست تافهة بحيث يمكن تفسيرها بأنها مجرد تبرع اختياري ، وعلى العموم ، فإننا نعرض بأنها تكون سجلاً يبين بجلاء فعالية الحكم السعودي وعدالته .

د - المحافظة على الأمن العام

مرادنا مصالحة البلاد وتسكين العباد وانقطاع الفتن . (١٥)

٤٩ - فيما يتعلق بالمحافظة على الأمن العام ، وهو العمل العظيم الآخر الذي يدل على الحياة الفعلية ، نعرض أن الأدلة التي تقدم نيابة عن المملكة العربية السعودية لها أيضاً وزن كبير . ان سجل الأمن والنظام للقرن التاسع عشر الميلادي سبق أن جرت الإشارة إليه (الفقرة ٢٣ السابقة) . أما السجل الخاص بالسنوات الأخيرة التي تبدأ من عهد حكم الملك الراحل عبد العزيز ، فلا يقل وضوحاً عن الأول ، فنذ اليوم الذي تولى فيه عبد الله بن جلوي في عام ١٩١٣ م مهمته أميراً مندوباً عن الملك في إقليم الحسا ، وصل عدل الحكومة إلى أقصى نواحي المنطقة ، في حين أن عدم استقرار الأمن حتى على طرق القوافل

(١٥) أوردتها الوكيل البريطاني في الشارقة عام ١٨٥٤ م ، عن أحمد السديري أمير البريمي السعودي (الفقرة ١٩٣ من الفصل الرابع) .

الرئيسية ، خلال الاحتلال التركي ، أشهر من أن يذكر . إلا أنه لم تمض سنوات قليلة على طرد الأتراك حتى تمكن مراقب معاصر محايد - الدكتور بول هاريسون الذي نقل عنه فيما سبق - من أن يكتب ما يلي :

لقد سافرت في جزيرة العرب مع قافلة كان يحمل أحد جمالها مبلغ أربعين ألف روبية . وكان هذا المبلغ جزءاً من دخل الحسا مرسلًا إلى الرياض . وكانت الرحلة عبارة عن خمسة أيام عبر الصحراء الخالية . ولم يكن بصحبة القافلة أى حارس كما لم يحاول أحد كتمان أمر المبلغ . لقد ساهمت بنفسى عدة مرات في تحميل المبلغ على ظهر الحمل . وتسلم جمال عادى من البدو المبلغ في الحسا مع كتاب يبين قيمته . وبعد خمسة أيام سلمها في الرياض وتقاضى أجراً بسيطاً على عمله . ولم يستغرب أحد باستثناء الأجنبي الغربي - نقل الأموال بالطريقة هذه. (١٦)

٥٠ - ولكي يعطى هاريسون فكرة عن الأمير الذي عمل على إيجاد هذه الحالة من الطمأنينة (وكان هاريسون يعرفه معرفة طيبة) كتب يقول :

لكن الوكيل الرئيسي لابن سعود وأقوى أمرائه في شرق جزيرة العرب هو ابن جلوى أمير الحسا وهو رجل لا يقل روعة في أسلوبه عن رئيسه . وتعلقه بابن سعود ومبدأ العدل الذي لا يعرف فيه هوادة أو ليناً ، مضرب الأمثال في جميع أرجاء البلاد . . . ولم يحز حاكم في جزيرة العرب ، باستثناء الملك نفسه ، تقدير جميع العرب كما حاز عليه أمير الحسا العادل الشديد . . . إن اسم ابن جلوى يحسب له كل حساب في جميع أرجاء شرق جزيرة العرب. (١٧)

ولقد توفي عبد الله بن جلوى عام ١٩٣٥ م ، إلا أن مستوى الإدارة الفعالة الذي وضعه ، بقي محتفظاً به كلياً من جانب ولده سعود بن عبد الله بن جلوى الذي خلفه في المنصب .

٥١ - إن النظام الذي أقامه الأمير عبد الله بن جلوى بسرعة على الجزء

(١٦) هاريسون « العرب في ديارهم » ص ١٤٥ .

(١٧) هاريسون « العرب في ديارهم » ص ١٣٤ و ١٣٦ و ١٣٨ . إن الأجزاء المحذوفة من المقتطف تعطى أمثالا عن أعمال ابن جلوى .

الأوسط من المنطقة ، جرى توسيعه فوراً بعد ذلك حتى وصل إلى الأقاليم المترامية وتحدث حاكم أبو ظبي في كتاب منه إلى الملك عبد العزيز عام ١٩٢٠ م عن العمل العظيم الذي كان يقوم به ابن جلوى ، كما أبدى سروره للتعاون معه في هذا الصدد (الملحق ٣) . ويحسن بنا أن نبين مرة أخرى أنه لم تبد أية بادرة من الحاكم حينئذ تدل على أن الأمير قد تجاوز حدود سلطته ، على أنه يذكر أن سعيد آل فيصل أحد الموظفين الذين يعملون في خدمة ابن جلوى ، قد توجه في هذه الفترة بالذات ، بناء على تعليمات الأمير ، إلى المناطق المجاورة للبريمي لتطبيق العدالة على قاتل هارب . وألقى القبض على المجرم المدعو زاهر ابن قضعان العرجاني وسجن في البريمي ثم نفذ فيه حكم الإعدام علناً في السوق بناء على أوامر سعيد (الملحق ١٠٨) .

٥٢ - وفي الملحق ١٠٩ بيان مستفيض للأمير سعود بن عبد الله بن جلوى يتناول بالتفصيل تسعاً وعشرين حادثة على سبيل المثال تبين تصرف الموظفين السعوديين فيما يتعلق بالجرائم مرتكبيها في المناطق المتنازع عليها . وهذه الأمثلة تخللت الفترة من سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م - ١٩١٩ م) حتى عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) ، أي قبيل بداية الخلاف الحالي . وكان مسرح هذه الحوادث يمتد من المناطق المجاورة للبريمي عبر عرقان غرباً للظفرة والمجن ، كما يتضح من بعض الحوادث المسرودة في الملحق ١٠٩ . وعدد منها يتعلق بممتلكات منهوبة أو مسترجعة في الجواء أو بجوارها كما يظهر من حوادث أخرى في نفس الملحق . ويتكون أكثر القضايا من سرقات الجمال ، وهي أبرز أشكال الأموال المنقولة ، إلا أنه توجد قضايا نهب بين الفينة والأخرى . ولعله من المفيد أن نسرد هنا ونحن في هذا الصدد حادتين تمثلان الحوادث المذكورة تماماً وإن باعد الزمان والمكان . ففي الأولى (في أعلى الصفحة الأولى من الملحق) التي وقعت عام ١٢٤٣ هـ (١٩٢٤ - ١٩٢٥ م) يظهر سعيد آل فيصل ، المذكور في الفقرة السابقة ، مرة أخرى

وأكان (غزاً) الدحية بن الوكش من الخميس وسالم بن رضه من العوامر وبني كتب
وأخذوا خمسين ذاقة من بني ياس على الرميثات حول السميح بين أبو ظبي ودبي وأداها
مندوبنا سعيد الفيصل وخوياء على النسورية^(١٨) وصد بعضهم لبلدان عمان ولحقهم
وأداها منهم ويعرفون أهل عمان الستة المذكورة بصولة المناصير .

وبعد مضي اثني عشر عاماً وعلى بعد عدة أميال إلى الغرب ، حيث تقع
الحجن ، وقعت الحادثة التالية (في أسفل الصفحة الثامنة من الملحق) عام
١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ - ١٩٣٧ م) .

أدى من صالح بن عزيز وأخوه حميد وأخوه علي وأحمد بن فطيش المطاوعة ومن
آل بو منذر المناصير وسيف بن عقيدة آل بو رحمة المناصير تسع ذياق وأربع
بنادق وخنجرين بواسطة خادمنا محمد السهيلي (السهلي) في الحجن على غدِير اللال سنة
١٣٥٥ ونكلو حول عشر ذياق .

ويوجد خمسة وعشرون مثالا آخر في الملحق الذي اقتطف منه المثلان الواردان
أعلاه كما أن هناك أمثلة أخرى تحويها ذاكرة بعض الأفراد مدرجة في
الملحقين ١١٠ و ١١١ .

٥٣ - هناك عدة نقاط يجب ألا تغرب عن البال عند النظر في هذه
الحوادث المسرودة في بيان الأمير سعود . أولاً أن القائمة ليست احصاء شاملاً
فهى تعطى أمثلة فقط ، تستند إلى السجلات غير الكاملة ، وإلى ذاكرة
الموظفين الذين اشتركوا في هذا العمل . وفي عدة حالات أخرى كان الموظف
المسئول يقوم بتصنيفه سريعة للحادثة في موقعها فلا تدون ولا يحتفظ لها بتسجيل .
وثانياً ، إن هذه الحوادث كانت كلها فيما بين القبائل . أما الحوادث التي
تقع ضمن القبيلة نفسها فتعالج عادة من قبل رؤساء القبائل . وثالثاً ، يجب
أن لا يغرب عن البال أن جميع هذه الحالات تتعلق بسكان لا يكونون عدداً

(١٨) تقع في نهاية ثلثي الطريق من أبو ظبي إلى البريمي ، إلى الشمال من خط مستقيم يصل بين
البلدتين .

كبيراً وليسوا على مقدار من الثراء ، كما أنهم متشبعون على مضى السنين بروح الاحترام لقوانين الحكومة . ومن أعظم الأعمال التي تمتاز بها الإدارة السعودية ، ردع الناس عن ارتكاب الجرائم بالإضافة إلى انزال العقاب بمرتكبيها . وإن نجاح هذا القمع يظهر في قلة عدد الجرائم التي وقعت . أما إذا قارنا بين الأماكن والفترات التي لم يسر فيها الحكم السعودي وبين تلك التي كانت خاضعة له ، فإن أهمية هذا العمل العظيم تبرز لنا بشكل واضح . ومثالاً على ذلك تاريخ البيت الحاكم في أبو ظبي المشمول بالحماية البريطانية (١٩) .

٥٤ - وعلى ضوء ما تقدم نعرض أنه يجب أن نعتبر أن المملكة العربية السعودية قد حافظت في السنوات الأربعين الأخيرة - كما فعلت في القرن التاسع عشر الميلادي - على الأمن العام بدرجة فعالة في جميع المناطق

(١٩) وفيما يلي رواية السر لايونل هيورث ، المعتمد السياسي البريطاني السابق في الخليج الفارسي ، وهي تلقى الضوء على هذه النقطة بدون أي تعمد : « منذ بضع سنين ، توفي شيخ أبو ظبي - وهي المشيخة الرئيسية في الخليج الفارسي - تاركاً عدة أبناء . فورثه ولده الأكبر وعقب مرور بضع سنوات على حكمه دعاه أخ له إلى العشاء ، وعندما غادر الشيخ الدار عقب العشاء اتبعه أخوه حتى أسفل الدرج وبعد أن أطلق الرصاص عليه باستهتار من الخلف تولى الحكم في مكانه . وبعد مرحلة قصيرة وجه أخ آخر دعوة عشاء للشيخ الجديد ، وما أن غادر الشيخ المكان بعد العشاء وبدأ ينزل السلام حتى اغتم المضيف هذه الفرصة السعيدة فأطلق عليه النار من الخلف وتولى الحكم مكانه . لقد كان هذا الأخ هو الشيخ عندما توليت منصب المعتمد ، ولم يسبق لي أن رأيت رجلاً ارتسمت على وجهه أمارات الخوف مثل هذا الرجل . لقد أعطيته على الأغلب سنة واحدة ليبقى حياً إلا أنه أثبت خطئي ، إذ عاش ثمانية عشر شهراً . فقد دعاه أخ له إلى العشاء غير أنه لم يطلق عليه الرصاص من الخلف فقد وقع الشيخ في كمين رصد له في طريق عودته وأطلق الرصاص عليه من الأمام . وكان الأخ الأخير حكيماً فوضع ابن أخيه على العرش والآن يدبر أولاد الرجل الذي قتل في المرة الأخيرة خططهم لقتل الشيخ الجديد . إنني واثق من أن بعض من يقرأ هذا الكلام سيتساءل لماذا لا نضع حداً لهذا الوضع ؟ وفي طوابع الجواب نجد المبدأ الذي سأعلنه فيما بعد بكامله . فحتى نفعل هذا يجب علينا أن نسيطر على البر الرئيسي وهو ما لا نرغب في أن نفعله . إذ أنه يعني توسع الإمبراطورية البريطانية . ولا يمكنك في مثل هذا العمل أن تقف في منتصف الطريق مهما كانت عندك الرغبة في أن تفعل ذلك » . هيورث « فارس والخليج الفارسي » مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلة ١٦ (١٩٢٩ م) ص ٥٠١ .

المتنازع عليها . إن عدل الدولة لم يقيم على أساس سجلات مفصلة ، إذ ليس بالوسع دائماً تقديم خلاصات صغيرة مرتبة للقضايا ، غير أن نشر لواء هذا العدل كان سريعاً راسخاً . وكما تدل البيانات فإن الأهالي كانوا يرجعون إلى سلطة الحكومة إذا ما مسهم ضرر أو حل بهم ظلم ولم تخيب هذه السلطة آمالهم في ذلك . ومع أن الإجراءات المتخذة كانت سريعة وليست ذات طابع رسمي إلا أن الجميع كانوا يعتبرونها فعالة ونزيهة . وإن قبول الأهالي لذلك هو بدوره خير دلالة على لياقة هذه السلطة في نظرهم كما أنه رفع من شأن فعاليتها .

٥ - بينات أخرى :

٥٥ - ومن بين البيانات التي تؤيد موقف الحكومة العربية السعودية تود المملكة العربية السعودية أن تلفت النظر بوجه خاص إلى البيان (الملحق ١١٢) المتعلق بخور العديد الذي قدمه مؤخراً الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني الذي حكم قطر من ١٩١٣ حتى ١٩٤٩ م ، عند ما تنازل لولده الحاكم الحالي . ونعرض هنا أن لهذا البيان قيمته الخاصة لا لأن الشيخ عبد الله كان يشغل منزلة رسمية رفيعة في فترة كان يجري فيها بحث طويل بين الحكومة العربية السعودية والحكومة البريطانية بشأن خور العديد فحسب ، بل لأنه كان على علم وطيد بالأحداث التي وقعت في منطقة الخليج خلال الأعوام الخمسة والسبعين الماضية .

٥٦ - ويؤكد الشيخ عبد الله في بيانه

. . . إن ما لا شك فيه هو أن جميع من سكن العديد في الماضي ينتمون إلى رعوية آل سعود وأن العديد تابعاً لآل سعود ولقد بينا ذلك في مناسبات عديدة لبعض الرجال الرسميين عن اعتقادنا وسجلنا معلوماتنا هذه في معظم المذكرات

وبعد شرح التفصيلات المتعددة التي تعزز ذلك لاحظ أنه

ولولا معرفتنا التامة أنه لآل سعود ما والله كنا نخليه ساعة واحدة لأن كيف يكون لأهل أبو ظبي وهذا موقه منا لكننا نعرف كيفية حالته وتابعيته إنه لآل سعود .

٥٧ - ويجب التعرض أيضاً بصورة خاصة لما كتبه بعض الرحالة الذين زاروا المناطق المتنازع عليها في السنوات الأخيرة، وقد شاهدوا الأحوال السياسية القائمة هناك ونشروا ملاحظاتهم بعد ذلك بلغة غربية من اللغات الأوروبية . أما الرحالة الثلاثة البارزون فالخدير بالذكر أن جميعهم بريطانيون وهم برترام توماس وسن جون فليبي وولفرد تسيجر ، وقد سبقت الإشارة في الفقرة ٢٤٧ من الفصل الرابع إلى ما صادفه توماس عام ١٩٢٥ م عند ما أخفق في الوصول إلى البريمي (على الرغم من أنه كان موظفاً عند سلطان مسقط) ، وأبلغ عن نشاط جباة الضرائب السعوديين هناك . ونحو هذا التاريخ ذاته علم الكابتن اكليز التابع للجيش الهندي خلال رحلة قام بها إلى داخل عمان ، علم بهذا النشاط وكتب عنه (الفقرة ٣٤٥ من الفصل الرابع) .

٥٨ - ويصف فليبي في كتابه عن رحلته التي قام بها عام ١٩٣٢ م عبر الربع الخالي المحاذية التالية التي دارت مع رئيس ادلائه المدعو علي بن صالح بن جهامان من آل مرة :

كان علي آل جهامان يركب ناقة كبيرة بيضاء اللون تعد أحسن نياق قافلتنا ، ويسير في الطليعة إلى جانب زايد الذي كان على ظهر ناقته الدرعية ، وكان علي يتحدث عن تجاربه مع جماعة من جباة الضرائب توجهت مؤخراً إلى الأقاليم الجنوبية الشرقية على طول حدود عمان حيث كان قد عاد من الرحلة في بداية شعبان ، وقال إنه كثيراً ما كان يرى حمار الوحش الذي يتردد على شعاب الغاف قرب جبل حفيت فيقتله . . . آثار اهتامي أني سمعت منه أن نفوذ ابن سعود محسوس اليوم في جميع منطقة الظاهرة ، كما يسمون المنطقة الواقعة غربى جبال عمان ، وبالطبع فإنها تضم البريمي التي كانت مركزاً وهابياً منذ زمن قديم ، وعبري أيضاً على ما ظهر . إن

بعثات جباية الضرائب هذه لا تكاد تأتي إلا بما يغطي نفقات إعدادها وإرسالها ، ولكنها تقوم بنشر مبادئ السلم الوهابية والوحدة في جزيرة العرب . وتمتد موجات الحكم المستقر ببطء ولكن باطراد من المركز نحو الخارج ويمكن اعتبار المناصير اليوم على أنهم من رعايا ابن سعود الذي يطلب منهم القليل فيما عدا قبول سلطته والمحافظة على السلم العام. (٢٠)

٥٩ - وقام ولفرد تسيجر برحلة تستحق الذكر خلال الفترة من أكتوبر ١٩٤٦ م إلى فبراير ١٩٤٧ م عبر الربع الخالي إلى أن بلغ أطراف منطقة الجواء . ولكنه امتنع عن دخول أية قرية هناك للأسباب التالية التي يذكرها في تقريره الوارد في المجلة الجغرافية البريطانية :

فلو أننا تقابلنا مع أحد من جباة الضرائب فن الأرجح أن يأخذنا معه إلى المقوف لتبرير موقفنا حيث أنه عشر علينا هنا دون أن يكون لدينا إذن من ابن سعود. (٢١)

ويجدر بالمرء أن يقابل بين هذا الخنز الذي غلب على أعمال تسيجر وبين وجهة النظر التي أبدتها فيما بعد من أن العرب في الجواء يدينون بالولاء «لأبو فلاح» ، أي مشايخ أبو ظبي ، ولنا أن نلاحظ لدى تقدير قيمة وجهات النظر هذه أنها أبدت بعد أن أخذ النزاع الخالي يتبلور . (٢٢)

٦٠ - وختاماً ، يجدر بنا أن نذكر في هذا الصدد ما قاله تسيجر في تأبينه لتوماس الذي نشر في المجلة الجغرافية البريطانية عام ١٩٥١ م ، في مجال

(٢٠) فلي «الربع الخالي» (١٩٣٣ م) ص ٢٨ .

(٢١) تسيجر «عبر الربع الخالي» المجلة الجغرافية البريطانية، مجلد ١١١ (١٩٤٨ م) ص ٦-٧ .

(٢٢) تسيجر ، «رحلة أخرى عبر الربع الخالي» المجلة الجغرافية البريطانية، مجلد ١١٣ (١٩٤٩ م)

ص ٤٠ . «تخوم عمان الصحراوية» المجلة الجغرافية البريطانية، مجلد ١١٦ (١٩٥٠ م)

ص ١٤٠ .

مقارنته لرحلات توماس ورحلات فلبى في الربيع الحالى ، من أنه كان لفلبى امتيازات معينة إذ كانت تقف :

وراه سلطة ابن سعود البعيدة المدى، وكان بإمكانه كسب بتأييد ابن جلوى أمير الحسا الذي يرهبه الناس في طول البلاد وعرضها، أن يمر بكل حرية في أراضي آل مرة، القبيلة القوية، في حين أن توماس كان يتعرض لأعظم الأخطار من هذه القبيلة... لقد كان سلطان مسقط واليه في ظفار على علاقات ودية معه (أى مع توماس) ولكن سلطتهما الفعلية لم تمتد حتى إلى جبال القرا الواقعة على مسافة أربعة أميال عبر السهل من حصن سلالة. (٢٣)

٤ - موضوع فترات الانقطاع

٦١ - لقد سرد في الفصل الرابع كيف اغتصب عزان بن قيس إمام عمان القصر الرئيسي في البريمي في يونيو ١٨٦٩ م من الأمير السعودي عبدالرحمن السديري مع أن سلطنة عزان لم تمتد إلى جميع القرى الأخرى . وفي ذلك الوقت كان عزان مسيطراً على كل عمان الداخلية وعموم ساحل مسقط ، كما أنه كان قد انتخب للإمامة حسب الأصول الدباضية . ولكن البريطانيين لم يعترفوا به قط حاكماً شرعياً على مسقط ، وكذلك فإن احتلاله لم يكن ليظل هادئاً مريحاً . ففي خريف عام ١٨٦٩ م قام السر لويس بلي المعتمد السياسي البريطاني بإبلاغ حكومة الهند أن أهالي المنطقة كانوا لا يريدون عزان بل عبد الله بن فيصل آل سعود . وبعد وفاة عزان بقليل في يناير ١٨٧١ م عادت قوة سعودية إلى احتلال البريمي وعين محبوب بن جوهر أميراً عليها . وقد ظلت السلطة السعودية التي أعيد تأسيسها قائمة مدة سنتين ونصف غير أنه ما أن حل عام ١٨٧٣ م حتى جعلت المتاعب التي كانت تواجه آل سعود في أواسط جزيرة العرب من المستحيل مؤقتاً الاحتفاظ بالسلطة العادية للحكومة المركزية على منطقة البريمي . وفي السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر زادت متاعب آل سعود هذه وكثرت واحتل ابن رشيد الرياض في عام ١٨٨٧ م ، ولو أن قبضته عليها لم تتمكن إلا في عام ١٨٩١ م . وبعد بضع سنوات من المقاومة العنيدة انسحب عبد الرحمن آل سعود إلى الكويت ، ومن هناك جدد نجله عبد العزيز الكفاح في عام ١٩٠١ م وبدخله إلى الرياض نهائياً في يناير ١٩٠٢ م بدأ إحياء الدولة السعودية من جديد .

٦٢ - وقد حلت في منطقة البريمي ، بعد توقف السلطة السعودية في عام ١٨٧٣ م ، فترة اتسمت بالاضطراب الظاهر وانعدام النظام (الفقرة ٢٦٣

من الفصل الرابع فيما سبق) . وسادت الحالة حروب بين القبائل مزمنة يتخللها فترات من المناورات السياسية . وقد بقيت قبيلة نعيم أقوى الجماعات المحلية في واحة البريمي نفسها وفي المناطق المجاورة لها مباشرة وكان رؤساؤها يعتبرون أنهم يصرفون الأعمال نيابة عن آل سعود ، في انتظار عودة هؤلاء إلى الحكم (الفقرة ٢٤٠ من الفصل الرابع) . وبالتالي لا يصح أبداً أن يقال أن النفوذ السعودي قد قضى عليه . وفي القرن العشرين كان الشيخ زايد حاكم أبو ظبي قد حصل على أملاك في البريمي ، ومارس عليها نفوذاً ملموساً بسبب شخصيته القوية وثورته الكبيرة نسبياً ، بيد أن الدلائل تشير بوضوح إلى أن نفوذه كان يقتصر على الإقناع ويقف عاجزاً من الإلزام . فهو لم يستطع قط أن يخضع السكان المحليين أو يقيم النظام العام بقمع الغزو . وفي السجلات البريطانية الرسمية وحدها ، دون أن تبحث في غيرها ، يبدو أن حوادث ذلك العهد كانت سلسلة رتيبة من التهديد والغارات والمعارك والاعتقالات وأعمال السلب والشغب والفوضى . أما بالنسبة لسلطة سلطان مسقط فهي لم تكن معدومة في الداخل فحسب بل ان المعارضة الموجودة هذه كانت من القوة والفعالية حتى أن أهل الداخل استولوا منه في عام ١٨٩٥م على مدينة مسقط ، وأرغم على الفرار عن طريق أسطح المنازل إلى الوكالة البريطانية .

٦٣ - ويجمع المراقبون الأجانب القلائل الذين زاروا إقليم البريمي في هذه المدة ، يجمعون بصورة عامة على أن هذه الأراضي الداخلية لم تكن تحت السيطرة الفعالة لأى من الحكام المجاورين . فقد وجد الكولونيل مايلز ، الوكيل السياسي البريطاني في مسقط الذي وصل إلى البريمي في عام ١٨٧٥ م ، أن الجماعة المسيطرة كانت قبيلة نعيم المحلية . ويصف المبشر الأمريكى الدكتور زويمر الواحة التى سافر إليها في عام ١٩٠١م بأنها خاضعة لحكم رؤسائها وأنها لا « تزال مركزاً وهابياً » (١) وعند ما تعرض لوريمر

(١) استشهد بهذه الأقوال في الفقرتين ٢٤٨ و ٢٩٢ من الفصل الرابع .

لهذا الموضوع لدى أعداده دليله بعد خمس أو ست سنوات ، ذكر أن حدود أبو ظبي كانت فيما قبل تصل في الشرق إلى « واحة البريمي » ، ولكن دون أن تدخل الواحة في نطاقها « (٢) » وبعد صفحات قليلة نراه يتكلم عن « واحة البريمي المستقلة » (٣) ومع ذلك فإن هذا قد سطر قبيل وفاة زايد وفي أوج عظمته وقوته ، وهما عظمة وقوة يمكن القول بأن أحداً من خلفائه لم يستطع أن يبلغ شأوهما .

٦٤ - وبعودة آل سعود إلى سلطتهم الوراثية في الرياض في عام ١٩٠٣م ظهرت بوادر نهاية ذلك العهد المضطرب . ومع أن إقامة أمير سعودي جديد في الحسا لم تتم قبل مضي عشر سنوات ، إلا أن عبد العزيز أوضح للبريطانيين منذ البداية أنه يفكر في إعادة فرض السلطة السعودية على جميع ممتلكات آبائه وأجداده (الفقرات ٣٠٤ - ٣٠٦ من الفصل الرابع) وقد بدأت القبائل تعلم - حتى قبل إعادة أية إدارة سعودية رسمية في هذه المناطق - ان ثمة مرة أخرى سلطة في الرياض ينبغي أن يحسب لها حساب . ثم بدأ إعادة فرض النفوذ المباشر على القبائل بعد وصول عبد الله بن جلوي إلى الحفوف . وقد سرد تاريخ هذه الأعمال في القسم السابق ، وكانت هذه السلطة تمارس بصورة مرضية مدة سنوات عن طريق القبائل وزيارات رسمية من وقت لآخر . ولكن الضغط البريطاني المتزايد في السنين الأخيرة أدى - كما ذكر من قبل - إلى تعيين أمير سعودي مرة أخرى في البريمي عام ١٩٥٢ م .

٦٥ - وعلى ضوء المبادئ العامة التي أوردت من قبل ، فما هي النتيجة النهائية للسجل الذي قدم هنا ؟ إننا نعرض أنه بينما يبين هذا السجل فترة

(٢) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤٠٥ .

(٣) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤٠٩ .

ضعفت فيها السلطة السعودية في المناطق المتنازع عليها ، إلا أن هذه الفترة لم تكن باعتبار تلك الظروف لتضعف الحق السعودي الذي اكتسب بطريق مشروع قبل ذلك بسنين . وهناك أربعة اعتبارات يمكن تقديمها لتأييد وجهة النظر هذه . فأولاً ، لم تكن نية سعودية للتخلي عن المنطقة وإنما نجم توقف السلطة عن ضرورات الحرب . وثانياً ، أن تقطع السلطة — طالما أنه لم تكن هناك نية للتخلي — لم يكن بحكم طبيعته ليهدم الحيازة الفعلية من جانب المملوكة العربية السعودية ، وذلك بموجب القواعد التي نوقشت في الفقرات ١٣ — ١٧ السابقة من هذا الفصل . وبهذه المناسبة يذكر أنه كان في « قضية خليج ديلاجوا » فترة انقطاع دامت ٣٢ عاماً ، وقد أتت هذه الفترة بعد ثغرات سابقة ومع ذلك لم تعتبر — بالرغم من وجود إدعاء مضاد معروف — مما يهدم حق السيادة . وثالثاً ، لم تقم دولة أخرى خلال فترة الإنقطاع بإقامة حيازة فعلية في الإقليم بالقدر الذي يقضى على الحقوق السابقة للمملكة العربية السعودية . إن الفوضى والاضطراب ثم مشاهدات الرحالة تنبئ جميعاً أنه لا حاكم أبو ظبي ولا حاكم مسقط قد مارسا أى سلطة ثابتة على البريمي أو المناطق الأخرى . ولم يكن السكان في ذلك الوقت خاضعين لأية سلطة مركزية ، غير أن الشعور الموالي لآل سعود بقي غالباً عليهم . ورابعاً ، فبمجرد أن عادت القوة السعودية إلى الظهور طالب بها معظم السكان ودعوها إلى إقامة نفسها مرة أخرى عليهم وعلى أراضيهم . ويجب ألا ينسى بهذه المناسبة أنه حتى عام ١٩٠١م ، أى بعد عدة سنوات من انقطاع الإدارة الرسمية السعودية ، وجد الدكتور زويمر أن البريمي « لا تزال مركزاً وهابياً » وكما قيل في قضية جرينلاند الشرقية « بقي التقليد الخاص بحقوق الملك حياً » .

٦٦ — وبموجب المبادئ التي وضعها السر أريك بكيث والتي أوردت

(٤) سلسلة ا/ب ، رقم ٥٣ ، ص ٤٧ . وهنسن « تقارير المحكمة الدولية مجلد ٣ ، ص ١٧٢ .

في الفقرة ١٥ السابقة ، يمكن القول بأن المملكة العربية السعودية ، بانسحابها غير الاختياري من المناطق المتنازع عليها قد احتفظت بحق الأولوية وفي عادة سلطتها هناك . وهذا الحق حولها أن تبقى معتبرة صاحبة السيادة ما لم تنشئ دولة أخرى حقاً أقوى عن طريق الحيازة الفعلية لتلك الأراضي أو إلى أن تنشئ دولة أخرى هذا الحق . ويبدو من الدلائل أن دولة أخرى لم تفعل ذلك وأن السلطة السعودية قد استؤنفت في وقتها ، على أنه إذا اعتبر أن أهل الإقليم قد أصبحوا مستقلين خلال هذه المدة في الحقيقة وفي القانون ، فإن النتيجة النهائية لن تتغير ، لأن أغلبية أولئك الأهالي تقدموا لتأكيد ولائهم للجانب السعودي بمجرد عودة السلطة السعودية للظهور ، مع إبداء كل دلائل الرضا والارتياح . لذلك نعرض أنه أياً كانت وجهة النظر التي يبحث منها الموضوع ، فإن فترة الانقطاع التي طرأت على السلطة السعودية في ١٨٧٣ م لم تضع حداً للسيادة السعودية على المناطق المتنازع عليها .

٥ - النتائج

٦٧ - وخلافاً للدلائل السيطرة السعودية الفعالة التي درست في الأقسام السابقة من هذا الفصل ، نعرض هنا أنه لا حاكم أبو ظبي ولا سلطان مسقط قد مارسا قط قسماً مماثلاً من السلطة في المناطق المتنازع عليها . وربما أن كلا الحاكمين قد مارسا التفوذ أحياناً على أشخاص أو جماعات في هذه المناطق ممن كانوا مرتبطين معها بأواصر الدم أو المصلحة أو ممن كانوا مؤقتاً في مرمى بنادق أتباعهما ، الا أن هذه الحوادث المتفرقة لا يصح أن تعتبر اظهارة متصلة لسلطات السيادة من جانب أى من الحاكمين . وكذلك ربما أن حاكم أبو ظبي تسلم في السنوات الأخيرة بعض سلال التمر من الجواء وغيرها ، الا أن هذه الهدايا إلى شيخ لا يصح أن تشوه في حقيقتها بحيث تعتبر ضرائب من النوع المنصوص عليه في الشريعة الاسلامية . وكذلك ينبغي ألا ينسى أن الناس - بما في ذلك سكان المشيخات أحياناً - كانوا يلجأون دائماً إلى أمير الحسا حين السعى وراء استرداد الأشياء المسروقة أو وراء معاقبة المجرمين .

٦٨ - وكذلك تعلم المملكة العربية السعودية أنه منذ عام ١٨٧١ م تظاهرت الحكومة البريطانية بأنها « تعترف » بامتداد أراضي حاكم أبو ظبي غرباً حتى تصل إلى خور العديد (الفقرتان ٢٣٥ و ٢٤٦ من الفصل الرابع) وأن هذا الادعاء قد تكرر في عدة مناسبات تالية . وحتى بغض النظر عن أن هذه التصريحات لا تزيد على اعتراف المرء لنفسه لا عليها ، فإن هذه التصريحات التي تقوم على الورق لا يمكن أن تؤثر بحال من الأحوال على حقوق المملكة العربية السعودية . أما أن المملكة العربية السعودية كانت تعلم عن هذا الأمر في حينه أو لا تعلم ، فإن هذا لا يغير حقيقة الأمر في كثير أو قليل . ويجدر بنا هنا أن نقتطف الكلمات التي أوردها القاضي هوبير في « قضية بالماس » عندما كان

يبحث أثر معاهدة تخطيط حدود بالنسبة إلى دولة الثالثة أبلغت إليها نصوص هذه المعاهدة بصورة رسمية . ولنا هنا أن نلاحظ أن وضع الدولة الثالثة هذه بالنسبة للمعاهدة أقل قوة من وضع المملكة العربية السعودية بالنسبة إلى « اعتراف » غير رسمي صادر من جانب واحد وهو ما نحن بصدد الآن . أما كلمات القاضى هوير فكانت :

... في حين أن العقل قد يقبل القول بأن تخطيط الحدود بموجب اتفاق إذا ما أبلغ إلى دولة ثالثة دون أن يلحق احتجاجاً منها يمكن أن يؤثر على حق مبدئى يستند إلى إظهار فعلى للسيادة ، إلا أن الافتراض بأن هذه السيادة يمكن أن تتأثر بمجرد سكوت الدولة صاحبة السيادة الإقليمية عن وجود معاهدة أبلغت بها وتنطوى على التصرف بجزء من أقاليمها - ان هذا الافتراض مناقض تماماً للمبادئ التى ذكرت آنفاً والتي تتعلق بالسيادة الإقليمية. (١)

وعلاوة على ذلك فن رأى المملكة العربية السعودية أن أبو ظبى لم تتخذ قط أية اجراءات حييزة فعلية بخصوص خور العديد لتلبس الموقف البريطانى ثوباً من الحقيقة . وقد سبقت الاشارة إلى أقوال حاكم قطر المتقاعد (الملحق ١١٢) فى هذا الموضوع فى الفقرة ٥٥ السابقة .

٦٩ - وبالاختصار فإننا نعرض أنه لـ حاكم أبو ظبى ولا سلطان مسقط قد ملكا قط من السلطة ما يكفى لتثبيت أى منهما بصورة فعالة فى المناطق المتنازع عليها هنا . بل أنه كان من المستحيل عليهما أن يفعل ذلك بدون مساندة البريطانيين . وحتى السنوات الأخيرة امتنع البريطانيون بثبات عن التدخل فى شئون شرق جزيرة العرب خارج القرى الساحلية ، وقد أكدوا مراراً وتكراراً أن اهتمامهم موجه بصورة خاصة إلى الأمن البحرى فى الخليج الفارسى . وقد يتدخلون من وقت لآخر للمحافظة على المدينة الخاصة بأحد الحكام من السقوط

(١) سكوت « تقرير محكمة لاهى » (السلسلة الثانية) ص ٩٧ . والأمم المتحدة « تقارير أحكام التحكيم الدولية » مجلد ٢ ، ص ٨٤٣ .

ولكنهم لم يكونوا يفعلون ذلك على الدوام ، إذ كانوا يتحاشون في حرص أن يمنحوا أيًا من الحكام ضماناً إقليمياً محددًا . أما انشغال البريطانيين المؤثر بالامتلاكات الداخلية لحكامهم الواقعيين تحت الحماية ، فيعود إلى عهد جد قريب . أن احتجاجات اليوم لا يمكن أن تبطل حقيقة تاريخية هي أن أبوظبي ومستقط لم تسيطر قط بصورة فعالة على المناطق المتنازع عليها وأن الحكومة البريطانية لم تكن يهملها كثيراً إذا فعلتا أم لم تفعلتا . وإن مقارنة ذلك ومقابلته بالسجل الطويل للسيطرة السعودية لأمر مثير للعجب والإعجاب معاً . ونحن نعرض هنا أنه على أساس الأدلة فإن المملكة العربية السعودية ، والمملكة العربية السعودية وحدها ، يمكن أن تعتبر مستوفية للشروط التي يتطلبها القانون الدولي لاكتساب السيادة على المناطق التي تدرسها الهيئة الآن ولحيازتها هذه المناطق .

الفصل السابع

اعتبارات أخرى

١ - النظام البريطاني في الخليج الفارسي :

١ - ان المملكة العربية السعودية إذ تتناول اعتبارات لها طابع غير قانوني وتعلق - في نظرها - بالمسائل المعروضة على الهيئة ، تلفت الانتباه أولاً إلى نقطة أساسية وهي الطبيعة الشاذة التي يتسم بها اليوم النظام السياسي السائد في الخليج الفارسي الذي أقامته الامبراطورية البريطانية خلال القرن التاسع عشر الميلادي . والمملكة العربية السعودية إذ تقوم بذلك ، لا تنوي أن تناقش السلطة القانونية البحتة التي تخول للمملكة المتحدة العمل في هذا التحكيم نيابة عن حاكم أبو ظبي وسلطان مسقط ، ولكنها تبتدى أن هذا الأثر القائم لعصر التوسع الامبراطوري ليس بالنظام الذي يتمشى مع مقتضيات العصر الحديث ولا مع أماني سكان منطقة الخليج ، كما أن توسيعه إلى أن يبلغ المناطق المتنازع عليها هنا ليس مما يتفق مع الشعور الطبيعي للأهالي أو مع روح هذا العصر . ونحن نعتقد أن مثل هذا التوسيع لن يكون عادلاً من حيث المبدأ ولا مرضياً من الناحية العملية .

٢ - أخذ النظام البريطاني في الخليج الفارسي يتبلور في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، وكان يسوده مدى السنين الطوال التي أعقبت ذلك عاملان رئيسيان وهما حماية المصالح التجارية والملاحية البريطانية وتأمين سلامة خطوط الامبراطورية التي كانت تصل ما بين بريطانيا والهند ، وهي خطوط ربما كانت

تتعرض للخطر إذا قامت دولة قوية أخرى بالتمركز في منطقة الخليج . وكما تحقق بريطانيا القسم الأول من هذه السياسة ، فرضت على حكام قرى ساحل جزيرة العرب سلسلة من الترتيبات بقصد وضع حد لأعمال السلب والنهب في البحر ، وكفلت لكم حاكم مقابل ذلك قسطاً من الحماية البحرية ضد منافسيه وبذلك أصبح شيوخ الساحل معتمدين في بقائهم على السلطة البريطانية ، ونظراً لضعفهم وقلة جدواهم فقد ظلوا في وضع جعل التقدم أمراً مستحيلاً ، وان يسر المحافظة على سلطان بريطانيا وسطوتها . ولتحقيق القسم الثاني من هذه السياسة تحركت بريطانيا للعمل على مقاومة امتداد نفوذ أية دولة أخرى إلى منطقة الخليج فنجحت في صد فرنسا وروسيا وألمانيا جميعاً في أوقات مختلفة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . وكذلك كان الأمر بالنسبة لمحمد علي باشا في القرن التاسع عشر عند ما انطوت حركاته ضد السعوديين - وكانت بريطانيا أول الأمر تنظر إليها بعين الرضى - على تهديد بوصول قواته إلى ساحل الخليج في جزيرة العرب ، كما أخذت ترقب بارتياح أية محاولة من جانب تركيا لتعزيز مركزها في الخليج ، وكذلك أية محاولة عربية أخرى تظهر منها أية بوادر من شأنها أن توحد عرب الجزيرة في دولة ذات شأن .

٣ - لقد كان أيسر وأسهل كثيراً ، طبقاً لوجهة النظر البريطانية ، أن تتعامل بريطانيا مع عدد من الحكام الصغار على طول ساحل الخليج الفارسي وكذلك في مسقط ، من أن تجابه دولة واحدة قد تكون أقل استجابة لرغباتها . ان الحركات الاتحادية ، وأهمها تلك التي أوجت بها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى التوحيد وحمل لواءها آل سعود ، كانت موضع شك بريطانيا وارتياحها الشديد . واتبعت بريطانيا في الخليج على نطاق ضيق السياسة المتعلقة بالجامعة الإسلامية التي وصفها بإيجاز عام ١٩١٩ م المستر ريان (الذي أصبح فيما بعد السير اندرو ريان الوزير المفوض البريطاني في جدة المشار إليه في الفصل الخامس السابق) بالعبارات التالية :

. . . إننا عاجزون عن سحق فكرة الجامعة الإسلامية بقدر ما نحن عاجزون عن سحق الحركات الوطنية في الغرب. يجب أن يكون هدفنا التفرقة والرياء والسيطرة. ومن الضروري أن نفرق ثم نرائي لأننا لا نريد أن يتكامل المسلمون كوحدة حول المبدأ الأساسي الذي أصبح الآن شبه منسى ، وهو المبدأ القائل بأنه لا ينبغي للمسلمين أن يحكمهم غير مسلم. (١)

٤ - أن الأسباب الأصلية التي كانت تبرر موقف البريطانيين في الخليج الفارسي قد تلاشت منذ ذلك الحين . فإن الخطر الذي كان يهدد البحار لم يعد مشكلة ، وبتحريك الهند والباكستان لم تعد مواصلات الامبراطورية البريطانية موضع الاهتمام في نظر البريطانيين كما كان عليه الحال في السابق. وبتضاؤل قيمة هذه الاعترافات ، ظهر عامل جديد جعل البريطانيين يوطنون العزم على الاحتفاظ بسلطانهم في مسقط ومشيخات ساحل الصلح . وهذا العامل هو احتمال وجود معين من البترول في جنوب شرق جزيرة العرب كالذي سبق أن عثر عليه في أماكن أخرى في إقليم الخليج . ففي غالبية هذا الجزء من الجزيرة تقوم دويلات ضعيفة تعتمد كلياً على بريطانيا ، يتوقع أن تكون منقادة « لمشورة » بريطانيا والأخذ بها ، أو أن تكره على قبولها إذا ما دعت الضرورة لذلك . وقد كان هذا الوضع بالنسبة للبريطانيين مرغوباً فيه لدرجة قصوى ، إذ كان بإمكانهم أن يلجأوا إلى منطق مخادع مدعين أنهم يتعاملون مع هؤلاء الحكام طبقاً لعرفهم التقليدي ، وأنه لا جديد هناك في هذه العلاقات.

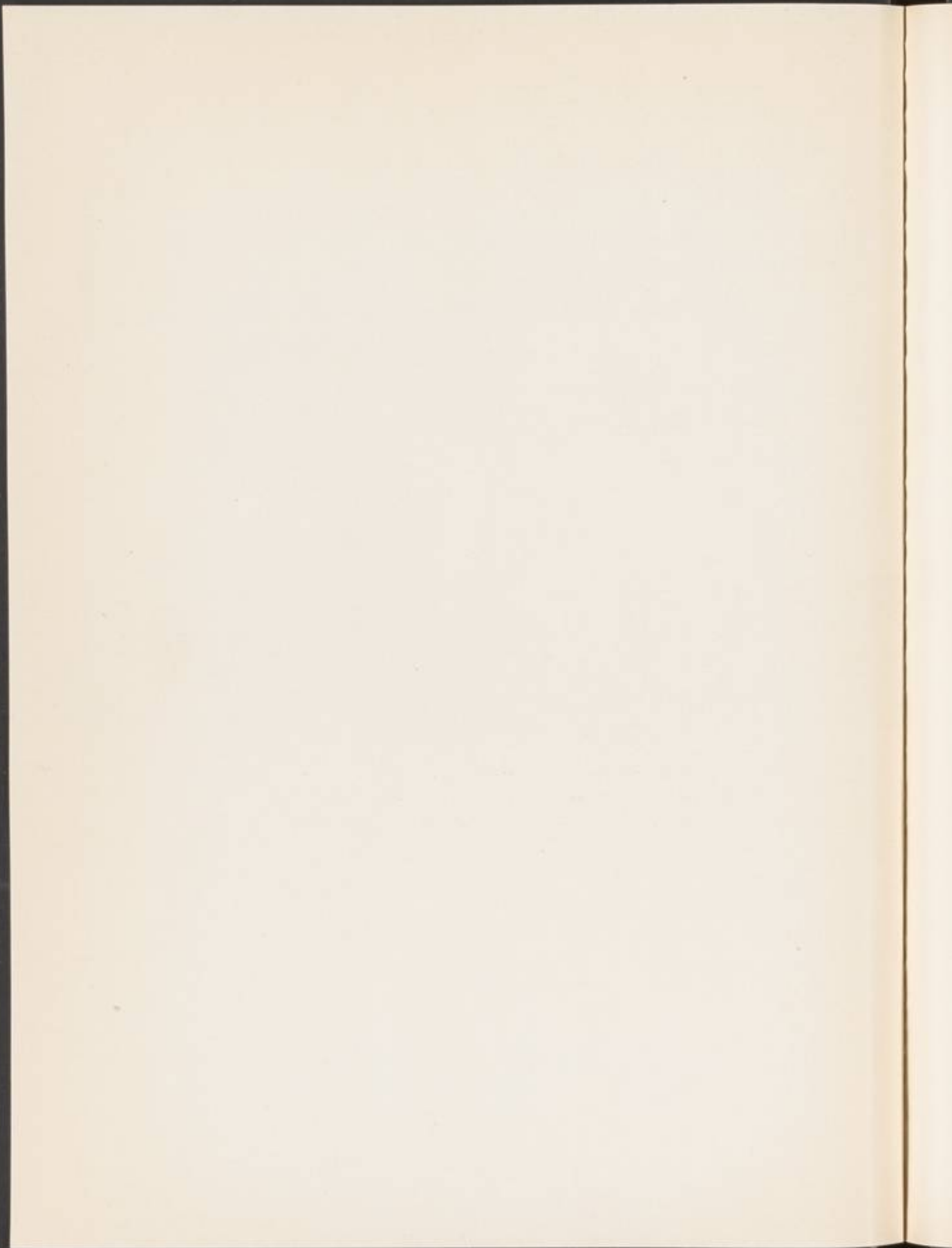
٥ - إلا أنه طرأ بعد ذلك تحول ملحوظ أحاط اللثام عن حقيقة هذا التبدل في تعاملهم . ففي سبيل ضمان البريطانيين الاشراف على امكانيات الثروة المعدنية الكامنة ، وجدوا للمرة الأولى أن من الضرورة أن يهتموا مباشرة بأمر الحدود البرية لتلك المشيخات. وهذا هو تفسير اهتمامهم المفاجيء بالأمور الإقليمية التي لم

(١) مقتطفة من وديارد وبتلر وثائق عن السياسة الخارجية البريطانية من ١٩١٩ - ١٩٣٩ « السلسلة الأولى ، مجلد ٤ (١٩٥٢ م) ص ١٠٠٣ .

يكونوا ليعلموا من أمرها لإقليلا ويعنوا بها أقل إلى ما قبل بضع سنوات قليلة . ولم يكتشف البريطانيون قيمة هذه المناطق الصحراوية بالنسبة لهم إلا مؤخراً فقط في المحادثات التي جرت مع فؤاد بك حمزة في لندن في شهر سبتمبر ١٩٣٤ م وصف الموظفون البريطانيون المشيخات العربية بأنها « عديمة الأهمية » باستثناء مسقط ، (الملحق ٩) . وإن تصميمهم الحالي « على مساعدة الحكام ذوي الشأن في تعزيز سلطتهم » (الملحق ٨٤) لا يمكن اعتباره إلا في مصلحتهم الخاصة أو من قبيل الصدفة العرضية . وإن تقديم الادعاءات في السنوات الاخيرة التي يعتقد أنها لا تستند على أساس من الواقع أو القانون ، يخدم فقط في أن يجعل الدافع لذلك أكثر جلاء ووضوحاً . وأن رجالات أمثال مطلق المطيري وأحمد السديري وغيرهما ممن حكموا البريمي باسم آل سعود ، ليعتبرون مثل هذه الادعاءات ما هي إلا محض افتراء في الواقع .

٦ - ومن الممكن في هذا الصدد ، الملاحظة بأنه لم يقم البريطانيون إلا في مارس ١٩٥١ م بتكوين القوة المعروفة بقوات ساحل عمان ، وهي قوات مستقلة كلياً عن أى من الحكام المفروض بأنها تعمل في أراضيهم ، أضف إلى ذلك أنها وضعت صراحة « تحت سلطة المعتمد السياسي في الخليج الفارسي وإدارته » .^(٢) وإن إنشاء هذه القوات يشير بوضوح إلى عزم البريطانيين على الاحتفاظ بمركزهم في هذه الأراضي بغض النظر عن مشيئة الحكام المعنيين ، لم يقابل بالارتياح في حينه من جانب المملكة العربية السعودية . وقد بلغ عدم الارتياح هذا ذروته عند ما عززت هذه القوات بأفراد من جنود الجيش العربي الأردني . كما أنه لم يخفف من حدته اهتمام البريطانيين بدعم قوات سلطان مسقط بقيادة

(٢) نظام قوات ساحل عمان ، رقم (١) لعام ١٩٥١ م ، صدر في ١٩ مارس ١٩٥١ م عن المعتمد السياسي بموجب الصلاحيات المخولة له طبقاً للمادة ٨٢ من نظام دول ساحل الصلح عام ١٩٥٠ م في الجريدة الرسمية للخليج الفارسي ، الملحق رقم (١) (١ أكتوبر ١٩٥٣ م) ص ٢٤١ - ٢٤٣ .





منظر أخذ من الجو لجزء من الجواء ، تظهر فيه بيوت بعض السكان على قمة
كثبان الرمال الضخمة (في مقدمة الصورة) ، ويظهر أحد بساطين النخيل
الكبيرة إلى اليمين ، في حين تظهر إلى اليسار مجموعات صغيرة من النخيل
المعروفة بالغيوط .

ضباط بريطانيين . وإن هذا الازدياد في النشاط العسكرى الذى يوجهه البريطانيون في شرق جزيرة العرب قد أدى إلى بعث شعور القلق في نفوس الجميع ممن لهم إلمام بحركات التوسع البريطانى في الماضى .

٧ - أن المملكة العربية السعودية تعتقد اعتقاداً جازماً ، بأنه لولا البريطانيون لما كانت هناك صعوبات جديدة فيما يتعلق بهذه الحدود . وكما يتبين من السرد التاريخى في الفصل الرابع فقد تعامل آل سعود بكل نزاهة وإنصاف وتسامح مع الزعماء والأهالى ممن لهم علاقة بهذا النزاع مدة تزيد على المائة والخمسين عاماً . وتشير الرسائل الواردة من حاكم أبو ظبى الراحل في الملحقين ٢ و ٣ ، إلى علاقات الود التى كانت قائمة ، وهذه بيئة قوية حيث كان البريطانيون يبذلون الجهد للحيلولة دون تبادل مثل هذه المراسلات . ويعود المرء بذكريته إلى البيان الذى أدلى به حاكم قطر في مؤتمر الدمام عام ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) (الفقرة ٧٥ من الفصل الخامس فيما سبق) وتدخل البريطانيون آنئذ مما قضى على اتجاه باعث على الأمل نحو إيجاد تسوية .

٨ - وأما كون سيطرة البريطانيين على سياسة مسقط ومشيخات ساحل الصلح أمراً حقيقياً وليس خيالياً ، فإن هذا يمكن التدليل عليه بكل جلاء ووضوح من أقوال الموظفين البريطانيين أنفسهم . فقد كتب الكابتن كولومب الضابط في البحرية البريطانية يقول بكل صراحة عن سكان المشيخات .

... إن القبائل القاطنة على الساحل هي تحت رحمتنا قطعاً ، وإن التوصل إلى أى هدف معهم إنما يعتمد على مبلغ القوة التى نستخدمها . (٣)

أما بالنسبة إلى مسقط ، فإن بيان الكوماناندر هو جارث (الفقرة ٢٢ من الفصل الرابع فيما سبق) يشرح وضعها بكل وضوح ، إذ يقول أن البريطانيين قد

(٣) الكابتن كولومب « اقتناص الرقيق في المحيط الهندى » (١٨٧٣ م) ص ١٣٤ .

التزموا منذ زمن «بتأييد حكام مسقط ضد شعب عمان» أو كما قال اللورد كرزون دون تحفظ (الفقرة ٢٧٦ من الفصل الرابع فيما سبق) إن مسقط . . . يمكن النظر إليها بحق كملحقة بريطانية . فنحن ندفع إعانة مالية لحاكمها كما أننا نمل سياستها ، ولهذا يجب ألا نسمح بأى تدخل أجنبي .

٩ - وعلى الرغم من هذه السيطرة الفعلية ، فقد اتصلت بريطانيا منذ زمن طويل من مسئوليتها فيما يتعلق بالشئون الداخلية لتلك الدويلات . وأخذت تسعى وراء الحصول على مزايا السلطة وفوائدها دون أن تتحمل مقابل ذلك أية مسئوليات متكافئة . ونجحت في تحقيق ذلك بفضل الوضع الشاذ الذي ابتدعته لاولئك الحكام . فحيث أن دويلاتهم لا تعتبرها بريطانيا مستعمرات أو محميات بل مجرد أنها « واقعة تحت الحماية البريطانية » ، وهذا من قبيل التلاعب بالالفاظ ، فإن المملكة المتحدة قد أفلتت بذلك من الواجبات التي تفرضها على الدول المستعمرة المادة ٧٣ من ميثاق الأمم المتحدة ، وهي التي تفرض من بين ما تفرضه وجوب تزويد السكرتير العام للأمم المتحدة بالمعلومات اللازمة . وبما أن تلك الدويلات لا تقع تحت الوصاية فلا تنطبق عليها المستلزمات الأكثر وجوباً في الفصل الثاني عشر من الميثاق . وحيث أن علاقاتها الخارجية ، مهما بلغت مبلغ السيادة نظرياً ، هي في قبضة المملكة المتحدة ، فأنها لا تملك أية وسيلة فعالة لأن تجعل صوتها مسموعاً من تلقاء نفسها . وهكذا فإن المملكة المتحدة لا تقدم حساباً دولياً عن مسلكها في تلك الأقاليم ، وهذه حالة تنفر منها مبادئ المجتمع الدولي الحديث . وأن مثل هذا الاستعمار المقنع في عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٥ م) يجب أن ينظر إليه بعين الاستياء ، وحيثما لا يمكن اقتلاعه من جذوره فيجب قطعاً عدم تشجيعه أو تنميته .

١٠ - وقد عادت الصلة البريطانية بفائدة ضئيلة على أهالي هذه المجتمعات بالإضافة إلى الضمان المحدود الذي منحه للحكام وهو حمايتهم من عجزهم ،

وحتى في هذا ، وبنوع خاص في أبو ظبي ، لم تكن الحماية كافية للمحافظة على أرواح الحكام أنفسهم في حالة عدم تأثر المصالح البريطانية بمقتل حاكم ما وحلول آخر محله ، وهذا أمر تمكن الدلالة عليه بالإشارة إلى الملاحظات غير المرضية التي أبدتها المراقبون البريطانيون عن مدى الازدراء الذي كان يحمله البريطانيون للحكام وشعوبهم . فبعد مضي قرن من قيام هذه الصلة ، وصف لوريمر مشايخ ساحل الصلح (الفقرة ٢٩٦ من الفصل الرابع فيما سبق) بأنهم « جهالة رجعيين يميلون إلى الشكوك الصبغانية » . وفي نفس هذا الوقت تقريباً كتب المستر أوبري هربرت عضو البرلمان البريطاني المتجول يصف عرب ساحل الخليج بأنهم الحلقة المفقودة بين الإنسان والقرود .^(٤) وحتى السر برسى كوكس تحدث مرة عن اجتماع عقده بعض مشايخ ساحل الصلح بأنه على شكل « سرب من الغربان » .^(٥) وبعد خمسين عاماً نوه اللورد اسكويث أوف بيشويستون - وكان حكماً في معرض التحكيم بين حاكم أبو ظبي وشركة استثمار البترول (ساحل الصلح) المحدودة ، بأنه ليس هناك قانون « معقول يمكن القول بأنه قائم » في أبو ظبي ، « هذا الاقليم البدائي جداً » .^(٦) ملاحظات السر لا يونل هيورث الذي كان معتمداً سياسياً قبل ذلك فقد جرى إدراجها في حاشية الفقرة ٥٣ من الفصل السادس فيما سبق . وليس هناك حاجة تدعو إلى الإكثار من الأمثلة . فإذا كانت هذه البيانات جميعها صحيحة فلإنها تبين إخفاق الحماية البريطانية مدى مائة وخمسين عاماً في التأثير لإدخال أي تحسن على أحوال هؤلاء الحكام وشعوبهم . وأما إذا كانت كاذبة ، فلإنها تبين اتجاهاً للدولة المسيطرة يكاد لا يتفق ومهمتها . وفي كالتا الحالتين فلإنها شهادة

(٤) أوبري هربرت « بن كندم . سجل رحلة شرقية » (الطبعة الثانية بلا تاريخ) ص ٨٧ .

(٥) جريفز « حياة كوكس » ص ٩٦ .

(٦) مجلة القانون الدولي المقارن ، مجلد ١ (١٩٥٢ م) ص ٢٥١ .

مبينة توضح السبب الذي من أجله لا ينبغي فرض النظام البريطاني على القبائل والأشخاص الذين تمكنوا حتى الآن من التملص منه .

١١ - كان البريطانيون من زمن مرهفي الحس حول أعمالهم في الخليج ، وقد يكون مرد ذلك إلى شعورهم بطبيعة مركزهم الذي لم يلق ارتياحاً بوجه عام . لذلك فإن صدى أي تحد يدعو إلى الشبهة لا بد أن يكون قوياً . واقتبس الدكتور زويمر المبشر الأمريكي منذ خمسين عاماً ، وهو الذي قضى سنوات عديدة في منطقة الخليج ، ملاحظة ملاممة أبقاها معلق ألماني استرعت انتباهه هذه المميزات للسياسة البريطانية :

... لقد درج (البريطانيون) على إدارة الخليج الفارسي برمته لدرجة أنه إذا ما وقع أقل شيء لم يكن في حسابهم أو من تدبيرهم فإنهم يفقدون تماماً ضبط انفسهم . (٧)

وان هذه الكلمات لتنتطبق حرفياً على السياسة البريطانية منذ ١٩٥٠ م ، ومثال ذلك نفس العلامات القائمة على الجزائر العربية السعودية (الفقرة ٦٥ من الفصل الخامس فيما سبق) واستخدامهم مؤخراً القوة العسكرية لفرض سيطرة سلطان مسقط - وبالتالي سلطتهم - على إمارة عمان (الفقرات ٣٧٥ - ٣٧٧ من الفصل الرابع فيما سبق) .

١٢ - ومهما ساهم البريطانيون في الماضي في استتباب الأمن في البحر فقد كانوا عنصر اختلال بالسلم والنظام في المناطق البرية الشرقية والجنوبية لجزيرة العرب . وقد عمدت المملكة المتحدة - ولا تزال تعتمد - ساعية وراء تنمية مصالحها إلى استخدام الحكام الذين يعتمدون عليها مع الأسف . وان الحركات العداوية التي تتبعها لتعزيز هذه المصالح تعيد إلى الأذهان أسلوب

(٧) أوردتها زويمر « جزيرة العرب ، مهد الإسلام » (١٩٠٠ م) ص ٢٢٣ .

القرن التاسع عشر الميلادي الكريهه ومن شأنها أيضاً الإخلال باستقرار الإقليم ،
 لهذا لا تستحق التشجيع أو التقدير . واننا لنعرض أن هذا هو المصير الذي
 ستؤول إليه الأراضي المتنازع عليها هنا إذا ما نسبت إلى أبو ظبي أو مسقط .
 لذلك فإن المملكة العربية السعودية ترى ، تحقيقاً للعدالة اليوم ، وتوفيراً للسلام
 في المستقبل ، أنه يجب على هذه الهيئة أن تتجنب توسيع مدى الاستغلال
 والسيطرة اللذين تتمتع بهما دولة أجنبية في إقليم الخليج الفارسي .

٢ - رغبات الأهالي

١٣ - إن الاعتراضات المبينة في القسم السابق والمنصبة على أى توسيع آخر لنظام استعماري في جوهره ، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع رغبات الأهالي . ونحن نعرض أن هذا هو اعتبار له أهمية بالغة في الوصول إلى حل عادل دائم للمشكلة الراهنة ، كما أنه في نظر المملكة العربية السعودية يسترعى أقصى ما يمكن من العناية المقرنة بالصبر والناة ، إذا كان القصد هو إثبات الحقائق وتقديرها تقديراً صحيحاً ، إن الموضوع يبدو بصورة خاصة أكثر ما يكون ملائمة لصلاحيات الهيئة بإجراء تحقيقات في هذا الصدد ، وإن المملكة العربية السعودية لتأمل أن ترى الهيئة من المناسب ممارسة تلك الصلاحيات أثناء إجراءات التحكيم .

١٤ - إن رأى المملكة العربية السعودية الراسخ هو أن أكثرية أهالي المناطق المتنازع عليها يعتبرون أنفسهم وأراضيهم تابعين للمملكة العربية السعودية وأنهم يعارضون بشدة المزاعم في هذه المناطق التي قدمت نيابة عن حاكم أبوظبي وسلطان مسقط . وكما أشير سابقاً ، هناك كثير من الأهالي كانت تربطهم علاقات وطيدة على مر السنين مع آل سعود وإن أعمالهم في الوقت الحاضر من دفع الضرائب وإظهار الولاء تبين بأن مشاعرهم هذه المتأصلة جذورها لم تتغير . والحقيقة هي أنه ليس هناك حاكم من حكام الساحل وخصوصاً أولئك الذين يعتمدون عموماً على التأييد البريطاني ، يستطيع أن يحتل المكانة الودية التي كان يتمتع بها آل سعود العريق في قلوب أولئك الأهالي ، ذلك البيت الذي ظل خلال قرنين من الزمن رمزاً للقانون والنظام والوحدة والدعوة إلى التوحيد في جزيرة العرب . وكما كان هذا الأمر صحيحاً في الماضي فهو

اليوم أكثر صحة وجلاء إذ تبرز أكثر فأكثر في قلوب الناس وعقولهم الرغبة الواعية في الانتساب إلى دولة عربية أصيلة لها من القوة الكافية ما يفرض احترام حقها وسلطانها .

١٥ - وللتدليل على صحة هذه التأكيدات ، فقد سبق للملك الراحل عبد العزيز أن اقترح على المملكة المتحدة في نوفمبر سنة ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) القيام باستفتاء تحت إشراف محايد في إقليم البريمي (الفقرة ٩٦ من الفصل الخامس فيما سبق) إلا أن المملكة المتحدة تجاهلت هذا الاقتراح أول الأمر ، ثم رفضته بحجة أنه « غير مناسب » (الفقرة ٩٩ من الفصل الخامس فيما سبق) . وليس من العسير في ضوء المعلومات المدرجة في هذا العرض أن نرى لماذا كان من شأن استفتاء محايد أن يكشف صراحة عن طبيعة المطالب المغالى فيها المقدمة ضد المملكة العربية السعودية ، بحيث يعود بأوخم العواقب على المزاغم الموحى بها من البريطانيين في جزيرة العرب بأسرها . وأن ذلك الرفض ليبين مدى ما كان يعانیه البريطانيون من إنعدام الثقة بشكل أساسى في موقفهم . وقد يلاحظ أن هذا الشعور لم يتناقص ، فعلى الرغم من ضغط البريطانيين ودعوتهم مدى عامين لتحسين موقفهم فقد شعروا في الشهور الأخيرة بأنهم عاجزون عن الموافقة على مرور الجماعات السعودية بطريق البر إلى البريمي ، وذلك طبقاً لقرار الهيئة المتخذ في نيس في شهر يناير ١٩٥٥ م . ويلوح بأنهم لا يجروون على السماح بظهور أية جماعة سعودية مهما كانت صغيرة أو واقعة تحت رقابة دقيقة في المناطق المتنازع عليها ، كما أنهم لا يطيقون أن يكشفوا أنفسهم ، فهم يحاولون بكل وسيلة أن يتحصنوا في خنادقهم قبل حلول يوم الحساب .

١٦ - لقد قيل ما فيه الكفاية حتى الآن في هذا العرض كما نعتقد بقصد تبيان الطابع الضعيف المقلقل لحكم الدولتين اللتين تمثلهما هنا المملكة المتحدة ، إذ تعوزهما الأسس الراضخة للتأييد الشعبي في المناطق المتنازع عليها ، حيث

يعتبرهما السكان خاضعتين لسلطة أجنبية ، وبذلك فإنهما لا تفرضان في تلك المناطق من الاحترام إلا بمقدار القوة التي تستخدمها هذه السلطة الأجنبية نيابة عنهما . وقد كانت هذه القوة تافهة منذ قرن مضى ، إلا أنها ازدادت كثيراً في الأيام الأخيرة للأسباب التي جرى سردها في القسم السابق ، كما أنها استخدمت وتستخدم بكل شدة وعنف لتقوية مركز كان فيما مضى واهياً ومتداعياً بشكل واضح . وتحت ضغط مثل هذه القوة رأى بعض السكان أنه من الحكمة أن يتحفظوا فيما يتعلق بميوهم الحقيقة . وكان هذا على كل حال أمراً متوقعاً ، إذ لم يخلق جميع الناس أبطالا يخوضون غمار حركات المقاومة . وإنه لأمر طبيعي وبشرى أن يحاول الأهالي المعرضون لإجراءات الانتقام التي تنزلها بهم وبممتلكاتهم القليلة السيارات المدرعة وقاذفات القنابل النفاثة ، تجنب مثل هذه النكبات بالأجوبة الناعمة . لكن مثل هذه الأعمال - في رأى المملكة العربية السعودية يجب أخذها على حقيقتها ، بأنها إذعان للقوة الوحشية ، كما يجب عدم إسائة تفسيرها بأنها تعبير حر عن الرأى .

١٧ - إن وقوع مثل هذه الصعوبات خلال هذه القضية يتبين في محتويات الملاحق ١١٣ و ١١٤ و ١١٥ ، وجميع هذه البيئات تطوع الأشخاص ذوو الشأن بإعطائها . وأول مثل لذلك هو بيان الشيخ عبيد بن جمعة رئيس قبيلة بنى كعب (وهو الموقع على إعلان ولاء ميين في الملحق ٥٩) حيث يصف كيف أرغم هو وعشيرته على ترك بلدتهم محضة من جانب البريطانيين ، وكيف أن اثنين من رجاله قد قتلا ، أحدهما بقنبلة والآخر برصاص مدفع رشاش . والمثل الثانى لذلك هو البيان الذى قدمه الشيخ راشد بن سعيد الدرهمكى فى البريمى ، يصف فيه كيف أرغم تحت الضغط على توقيع ولاء لحاكم أبو ظبى . وأما الثالث فقد كتب نيابة عن أفراد قبيلة العفار فى القسم الجنوبى من الظاهرة وهو يشير إلى هجوم مسلح وألوان أخرى من " تعدى الانجليز

وأعوانهم علينا ضدنا". إن هذه الإجراءات القسرية اتخذت في ربيع ١٩٥٥، وعلى الرغم من أنها وقعت خارج دائرة البريمي إلا أنها تكشف عن جو الرعب الذي عمل البريطانيون على إيجاده ، ذلك الجو الذي لم تحل دون وجوده دائرة وهمية . ولدى الحكومة العربية السعودية سبب يجعلها تعتقد بأن هناك حوادث أخرى من الإرهاب والإرغام ، إلا أنها قد امتنعت عن السعي وراء بيانات صريحة يصدرها حرصاً منها على حماية الأشخاص من انتقام متوقع .

١٨ - والبيانات التي في مصلحة جانب يستخدم هذه الأساليب لا يمكن الأخذ بها على ظاهرها . وإنه لمن الضروري في رأى المملكة العربية السعودية أن لا تقصر الهيئة بحثها على مثل هذه البيينة المكتوبة وأن تتوخى التأكد من المشاعر الحقيقية للأهالى وبذلك ، فإنها يجب أن تبدد المخاوف الناتجة ، كما يجب أن تشجع الناس على الاعراب عن آرائهم بكل حرية . وأن المملكة العربية السعودية لواقفة بأن أى تحقيق حيادى من هذا القبيل سوف ينتهى إلى ترجيح كفة البيينة التي بجانب قضيتها ، كما أنها سوف تحاول جهودها لمساعدة الهيئة في مجال إجراءات للتحقيق ترى الهيئة فائدة في القيام بها . والمملكة العربية السعودية لتعيد إلى الذاكرة في هذا الصدد الانتباه إلى أنه لم يسبق أن كان لها في أى وقت من الأوقات منذ نشأة هذا النزاع قوات عسكرية في المناطق المتنازع عليها ، كما أنها لم تحاول فرض طاعتها على السكان باستعمال تلك الأساليب « الإنسانية » مثل القاء القنابل على قراهم وإطلاق نيران المدافع الرشاشة على قطعان الماشية والإبل والنخيل . فإن أولئك الذين أعلنوا عن ولائهم للمملكة العربية السعودية قد قاموا بهذا طوعاً واختياراً ، من دون أى إرهاب ، وفي وجه معارضة بريطانية عنيدة .

٣ - فكرة الوحدة

١٩ - لعل فكرة الوحدة هي خير ما توصف به النقطة الأخيرة التي ترغب المملكة العربية السعودية في عرضها على الهيئة ، ونحن نرفع إلى الهيئة أن الإتجاه السياسى والقانونى الذى ينبغى أن يتخذ بشأن المناطق المتنازع عليها لا بد أن يعكس أوجه الوحدة القائمة فعلا فى تلك المناطق ، كما نرفع أيضاً إلى الهيئة أن أى اتجاه يأخذ فى الحسبان أوجه الوحدة هذه من الضرورى أن ينتهى حتماً فى مصلحة المملكة العربية السعودية ، وأوجه الوحدة هذه هي على السواء جغرافية وقبلية ، اقتصادية واجتماعية ، ولكنها فوق ذلك كله إنسانية وعاطفية متغلغلة فى صميم مشاعر الأهلين . وتعالج الفقرات التالية بعض الجوانب الهامة لهذا الموضوع ، كما أنها تبين الصعاب التى يتوقع أن تنشأ إذا لم تلق هذه الجوانب التقدير التام .

٢٠ - لقد أشير فى معرض وصف منطقة البريمى فى الفصل الثانى إلى أن أجزاء واحة البريمى المتعددة تعتمد إلى حد كبير بعضها على بعض فى أمورها الحيوية مثل الماء ، ولذلك يجب عدم عرقلة تماسكها إذا اريد لها الاحتفاظ بحياة مقبولة ، ذلك بأنه لكيما يلتئم السكان فالوحدة ضرورة ولهذا فإننا نرفع إلى الهيئة - على أساس ذلك المعيار - بالإضافة إلى معايير أخرى - أن مطالب أبو ظبى ومسقط فى الواحة يجب اعتبارها قائمة على أساس غير سليم . فكما يفهم ، تطالب مسقط بقريتين بينما تطالب أبو ظبى بالباقي ، ولا يطالب أى منهما بالواحة كمجموعة . وإن حكماً فى صالح إدعاءاتهما يقتضى حتماً تجزئة الواحة وإقامة حواجز سياسية مصطنعة تفصل بين هذه القرى التى يعتمد بعضها على بعض . على أن لدى بلاد الشرق الأوسط من الأسباب ما يجعلها تعتقد

أن التقسيم ليس حلاً مرضياً لمثل هذه المشكلة . فالاحتكاكات التي لا مندوحة منها نتيجة لمثل هذا الإجراء ، والظلم الذي يحيق بالمواطنين تبعاً لذلك ، ليس في حاجة إلى الإسهاب فيه ، وعلى العكس فإن بالإمكان تلافي الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية إذا ما سلم من حيث التاريخ والقانون بمطالبة المملكة العربية السعودية بالوادة بأسرها .

٢١ - وإن المملكة العربية السعودية لتقدر تماماً حقيقة صلاحيات الهيئة بأنها مقيدة في إجراءات التحكيم الخاصة بالبريمي ، بمنطقة الدائرة التي حددتها إتفاقية التحكيم . وهي لا تتوقع أن تتجاوز الهيئة صلاحياتها في أى شكل من الأشكال . إلا أنها ، كما سبق لها أن اغتنمت الفرصة فأبدت في الفصل الثاني ، ترى أن الدائرة التي رسمت حول البريمي ما هي إلا تحديد مصطنع كلياً ، لا يمت بصلة إلى الحقائق الجغرافية والإنسانية لذلك يستحيل ، في رأى المملكة العربية السعودية ، تقدير الحالة داخل الدائرة بشكل صحيح دون بعض التفهم للإقليم الذى اقتطعت منه تلك الدائرة . ولهذا السبب ، فقد قدم في الفصل الثانى بحثاً عن الوحدة الجغرافية لذلك الإقليم كما قدم في الفصل الثالث بحث عن سكانه الذين تربطهم داخل الدائرة وخارجها روابط القرى والشعور المشترك وأسلوب الحياة المتماثل . وكما أن قرى واحة البريمي المنفردة تشكل في مجموعها محيطاً أوسع ، فإن هذا المحيط بدوره هو من وجوه كثيرة مركز وحدة إقليمية أكثر اتساعاً وأهم اجزائها . ولذلك فإن فصل الواحة اصطناعياً عن منطقتها الداخلية الطبيعية يكون كارثة لجميع سكان الإقليم سواء كانوا داخل الدائرة أو خارجها . وهكذا فاننا نعرض بأن تلك هي النتيجة التي تنتهى إليها المنطقة إذا ما قرر مصيرها تمشياً مع مطالب أبو ظبي ومسقط .

٢٢ - إن إقليم البريمي الموصوف في الفصل الثانى هو إقليم برى له علاقات بسيطة - إما جغرافية أو تاريخية - مع منطقة الساحل وسكانه . وليس هناك

الكثير من العوامل المشتركة التي تجمع بين بلدة مسقط التي هي ميناء بحري أو قرية أبو ظبي التي هي مركز لصيد السمك وهما مختلفان في أسلوب الحياة وفي المصالح عن سكان الهضاب الداخلية الذين يشتغلون بالزراعة والرعى. ولم يقيم أى من الحاكين بشكل من الأشكال أية سيادة على هذه المناطق الداخلية ، سواء داخل الدائرة أو خارجها ، وعلى العكس من ذلك فإننا نعرض أن الوثائق المبينة في الفصل الثالث هي بيينة قوية على أن الأكثرية الغالبة من الأهالى في إقليم البريمي يعتبرون أنفسهم سعوديين كما يعتبرون أراضيهم جزءاً من المملكة العربية السعودية . وليس هذا صحيحاً بالنسبة لجهات الشرق والجنوب الشرقى فحسب حيث يندمج إقليم البريمي والمناطق الغربية المتنازع عليها في رقعة واحدة ، بل أنه صحيح أيضاً بالنسبة لجميع الأطراف الأخرى للدائرة . وأن التمسك بتقسيم البريمي بين مسقط وأبو ظبي ، إزاء هذه المشاعر ، هو في الحقيقة إقامة لبقعتين اصطناعيتين من الأرض يحيط بهما من جميع الجوانب إقليم سعودى بحت ، وإقامة عزلة سياسية تقضى جميع الدواعى الاقتصادية والاجتماعية بتجنّبها .

٢٣ - وبينما قد يمكن إبراز المصاعب التي يتوقع أن تنجم عن قسمة مصطنعة سياسية في إقليم البريمي ؛ فإن تلك المصاعب يجب أن يحسب حسابها عند النظر في المناطق الغربية المتنازع عليها . وفي رأى المملكة العربية السعودية أنه من الأهمية بمكان أن يوضع خط الحدود مع أبو ظبي في تلك المناطق بحيث لا يتسبب إلا في أقل ما يمكن من الاضطراب في حياة السكان ، وهذا يعنى ، كما نعرض هنا ، أن خط الحدود يجب أن يتفق بقدر الإمكان مع الحدود التقليدية لديار القبائل المعنية . وبصرف النظر عن الحجج القانونية المستمدة من حقوق القبائل في ديارها ، فمن المرغوب فيه كثيراً ، لأسباب اقتصادية وإنسانية ، إلا تجزأ القبيلة وديارها بشكل تعسفى . إن هذه الحدود القبلية ما زالت تشكل أقرب وسيلة ممكنة في هذا الإقليم لتعيين الحدود « الطبيعية » الإنسانية كما أنه

يعتقد بأنها تتيح بالتالى أحسن وسائل الإرشاد فى سبيل وضع حدود سياسية عادلة ومناسبة . إن مواقع هذه الحدود القبلية قد جرى بحثها فى الفصل الثالث . ونكتفى هنا بأن نعيد إلى الأذهان أن هذه المواقع قد سبق أن أخذت بعين الاعتبار فى إقتراح الحدود السعودى المقدم فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٩ م (الملحق ٢٦) ، ونعرض أن دراسة تلك المواقع فى معرض الإجراءات الحالية سوف تؤكد ، لهذا السبب أيضاً ، وجهة ذلك الإقتراح .

The first part of the paper is devoted to a general
 discussion of the problem. It is shown that the
 problem is equivalent to the problem of finding
 the minimum of a certain function. This function
 is defined as follows:

$$F(x) = \int_0^1 f(x, y) dy$$

where $f(x, y)$ is a function of x and y . The
 minimum of $F(x)$ is found by setting the
 derivative of $F(x)$ equal to zero. This gives
 the following equation:

$$\frac{dF}{dx} = \int_0^1 \frac{\partial f}{\partial x}(x, y) dy = 0$$

This equation can be solved for x . The
 solution is $x = \dots$

The second part of the paper is devoted to a
 detailed discussion of the problem. It is shown
 that the problem is equivalent to the problem of
 finding the minimum of a certain function. This
 function is defined as follows:

$$G(x) = \int_0^1 g(x, y) dy$$

where $g(x, y)$ is a function of x and y . The
 minimum of $G(x)$ is found by setting the
 derivative of $G(x)$ equal to zero. This gives
 the following equation:

$$\frac{dG}{dx} = \int_0^1 \frac{\partial g}{\partial x}(x, y) dy = 0$$

This equation can be solved for x . The
 solution is $x = \dots$

The third part of the paper is devoted to a
 detailed discussion of the problem. It is shown
 that the problem is equivalent to the problem of
 finding the minimum of a certain function. This
 function is defined as follows:

$$H(x) = \int_0^1 h(x, y) dy$$

where $h(x, y)$ is a function of x and y . The
 minimum of $H(x)$ is found by setting the
 derivative of $H(x)$ equal to zero. This gives
 the following equation:

$$\frac{dH}{dx} = \int_0^1 \frac{\partial h}{\partial x}(x, y) dy = 0$$

This equation can be solved for x . The
 solution is $x = \dots$

الفصل الثامن

ما تعرضه الحكومة العربية السعودية بصدد الحكم

١ - إن الإجراء الراهن بوصفه أهم تحكيم إقليمي في السنوات الأخيرة ،
لهو من الخطورة بمكان ليس بالنسبة لأطراف النزاع ذوى الشأن ولشعوب الشرق
الأوسط عامة فحسب ، بل ولجميع الذين يهمهم تشجيع تسوية الخلافات
الدولية بالوسائل السلمية أينما يكونون . والحكومة العربية السعودية من جانبها
تنظر نظرة جدية للغاية إلى هذا الإجراء ، إذ أنها تعلق أعظم الأهمية على الحل
المرضى لنزاع يمس عن كثب حقوقها التاريخية وكيانها الإقليمي . وتأمل الحكومة
العربية السعودية أن التسوية السلمية لهذا النزاع ، تشجع الإسراع في تسوية مسائل
إقليمية أخرى لم يتحقق حلها بعد في جزيرة العرب وذلك على أساس العدل
والإنصاف . ونظراً لهذه الاعتبارات فإن المملكة العربية السعودية ترى أن الأمور
المعروضة على الهيئة في منتهى الخطورة وتقتضى منها أشق العناية . وللهيئة حين
اضطلاعها بواجبها الحق في الحصول على أقصى معونة من الطرفين .

٢ - إن هذا العرض هو أول ما تقدمه المملكة العربية السعودية للهيئة
مساهمة في هذه المعونة . وفي هذا العرض حاولت المملكة العربية السعودية أن
تقدم طبقاً لنص المادة الرابعة من إتفاقية التحكيم « جميع اعتبارات القانون والواقع
والإنصاف » مما يتعلق بالنزاع . فهي طبقاً لهذا الطلب لم تقيد نفسها في بحث
النقاط القانونية وحدها ، بل حاولت أن تقدم أساساً لفهم النزاع في وضعه

الجغرافي والتاريخي والسياسي الواسع . وتعتقد المملكة العربية السعودية أن فهم هذا الوضع هو أمر جوهري للوصول إلى نتيجة عادلة .

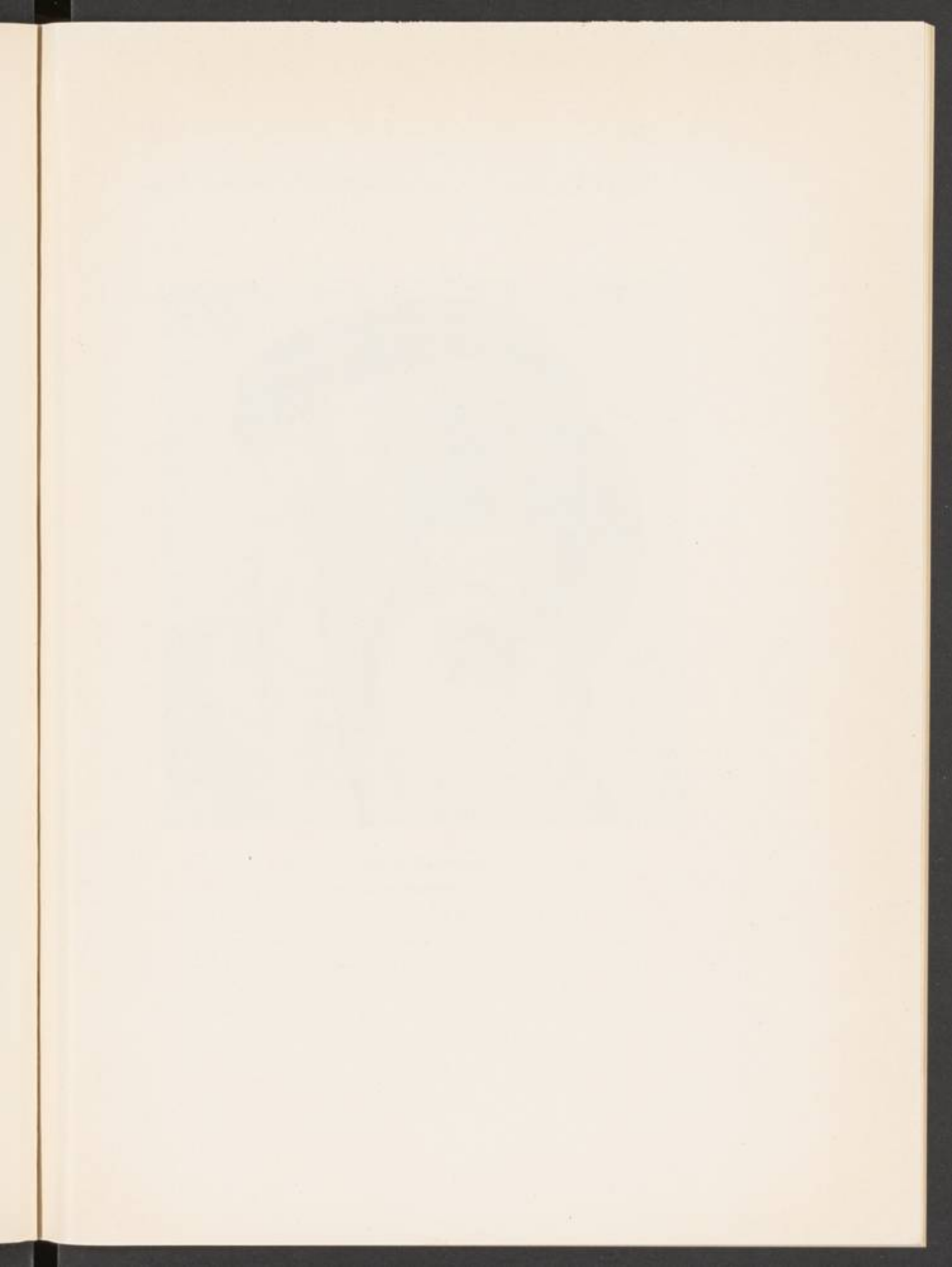
٣ - وبالنظر إلى الأبواب الأربعة للاعتبارات الخاصة الواردة في المادة الرابعة من إتفاقية التحكيم ، فالحقوق التاريخية للملك المملكة العربية السعودية وآبائه ولغيره من الحكام الآخرين ذوى الشأن وآبائهم ، يجرى تناولها بإسهاب في الفصل الرابع من هذا العرض ، بينما يجرى عرض الناحية الدبلوماسية لهذه الحقوق في الفصل الخامس . أما ولاء السكان التقليدي مع تنظيمهم القبلي وأسلوب حياتهم فيتضح في الفصل الثالث ، في حين أن الحقائق المتعلقة بممارسة السلطة تدرج في الفصل الرابع . وأما أهمية هذه العوامل في ضوء المبادئ العامة للقانون ، فيجرى تحليلها في الفصل السادس ، بينما يشتمل الفصل السابع على اعتبارات إضافية يعتقد أنها ذات أثر في الموضوع . واننا نرى أن هذه الحقائق الواقعية والمبادئ القانونية ، وكذلك الاعتبارات المنصفة المبينة في هذه الفصول تؤيد كلياً مركز المملكة العربية السعودية فيما يتعلق بالأراضي المتنازع عليها .

٤ - لهذه الأسباب ، فإن المملكة العربية السعودية تطلب من الهيئة أن تقرر ، فيما يتعلق بالأمور المعروضة عليها :

أ - أن الحدود المشتركة بين المملكة العربية السعودية وأبو ظبي هي الخط الذي حددته الحكومة العربية السعودية في ٢٢ ذى الحجة ١٣٦٨ هـ (١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٩ م) ، وهو يبدأ على الخليج الفارسي من نقطة تبعد كيلومتريين إلى الشرق من بندر المرفأ ، ثم يسير باتجاه الجنوب الشرق حتى يلتقي بخط العرض الشمالي ٢٣ درجة و ٥٦ دقيقة ، ومن ثم يتجه شرقاً حتى يلتقي بخط الطول الشرقى ٥٤ درجة ، ثم يمتد على خط مستقيم إلى نقطة تقاطع خط العرض الشمالي ٢٤ درجة و ٢٥ دقيقة وخط الطول الشرقى ٥٥ درجة و ٣٦ دقيقة .



على أبا الروس الضعيف
من قبيلة العوامر



ب- أن المملكة العربية السعودية تملك السيادة على كامل المنطقة الواقعة داخل
الدائرة التي مركزها قرية البريمي ويمر محيطها عبر نقطة تلاقى خط العرض
الشمالى ٢٤ درجة و ٢٥ دقيقة مع خط الطول الشرقى ٥٥ درجة و ٣٦ دقيقة .

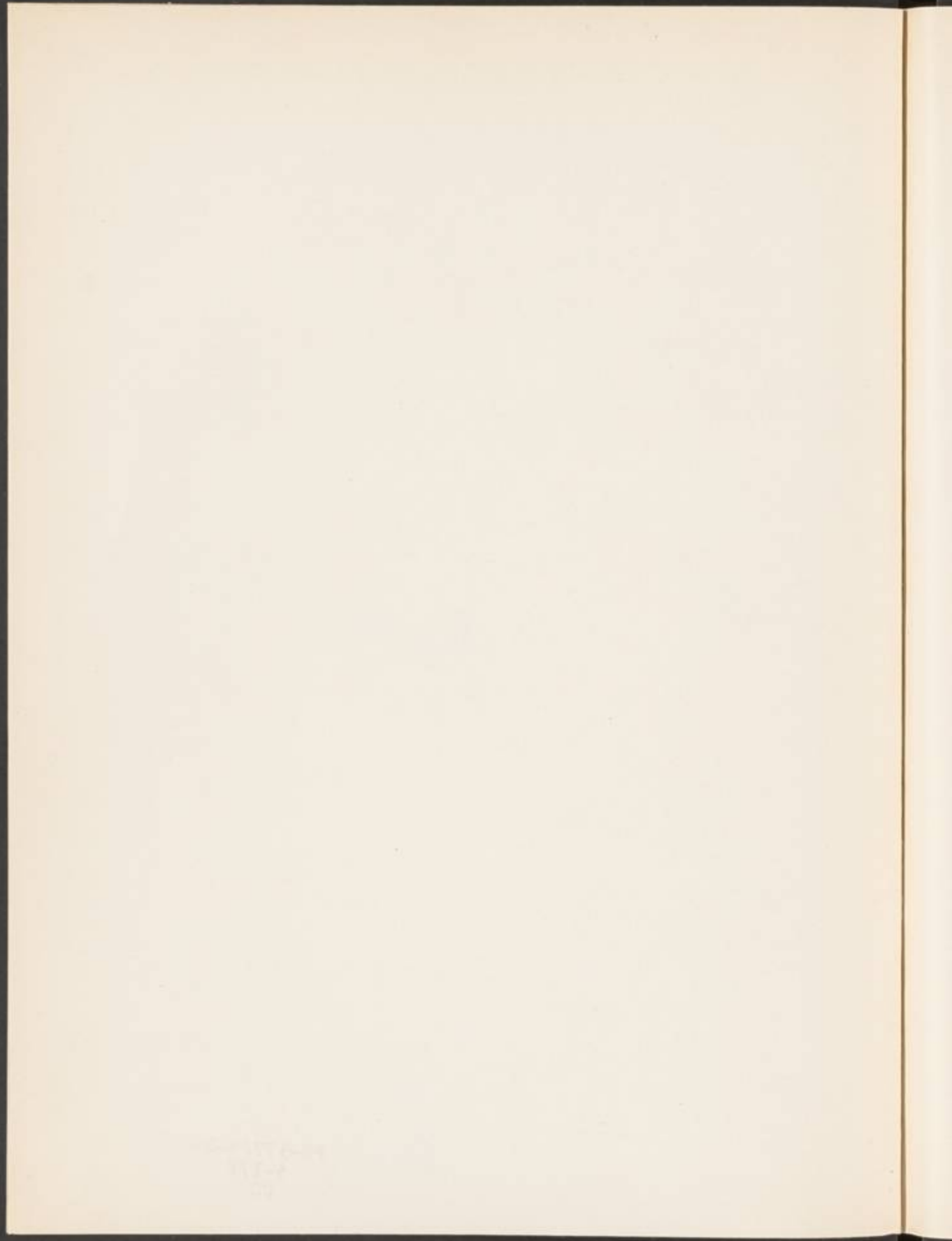
عبد الرحمن عزام

وكيل حكومة المملكة العربية السعودية

١١ ذى الحجة سنة ١٣٧٤

٣١ يوليو سنة ١٩٥٥

6142



T

S

Back

B

PB-37725-SB
5-17T
CC

